ير بلال اسماعيل

اربيل

في أدوارها التاريخية

اسة تاريخية عامة لاربيل وانمائها منذ اقدم العصور حتى
الحرب العالمية الاولى

بلال اسماعيل



اربيل في أدوارها التاريخية

...اسة تاريخية عامة لاربيل وانحائها منذ اقدم العصور حتى

الحرب العالمية الاولى

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف تلفون ٢٠٩٧

المقدمــــة

أتيح لي أثناء دراستي الجامعية وبعدها التعرف على نواحٍ كثيرة تتصل بتأريخ أربيل ، ولا غرابة فان أربيل كمدينة هامة قد شاركت بصورة فعالة في صنع الأحداث في أكثر من عصر . فقد كانت من أهم المدن الآشورية ومركزاً دينياً هاماً للآشوريين . وعبر ممراتها الجبلية كانت تتقرر صورة العلاقات السياسية للدولة الآشورية مع جاراتها في الشرق والشمال الشرقي ، وبقرب أربيل حدثت المعركة الحاسمة الشهيرة المعروفة بمعركة اربيلا سنة ٣٣١ ق.م بين الأسكندر المقدوني ودارا الاخميني ، تلك المعركة التي قررت مصير الدولة الأخمينية .

وفي العهد الفرثي (١٤٨ ق.م — ٢٢٦ م) كانت أربيل مركزاً لأمارة مستقلة عرفت بأمارة (حدياب) ضمن الدولة الفرثية التي كانت تتكون من عدة ممالك مستقلة صغيرة ولكل منها ملك يحكم بها ويخضع للملك الفرثي الكبير .

وصلت أربيل الى أوج عظمتها حينما اصبحت عاصمة لدولة مستقلة هي الدولة البكتكينية التي أسسها الامير زين الدين كوجك في سنة ٥٣٩هـ . لقد عاشت وعاصرت هذه الدولة المئة سنة الاخيرة من الخلافة العباسية . وحينما تعرضت الدولة العباسية في أواخر حكمها الى هجمات المغول المتتابعة، كانت أربيل السد المنيع في الحدود الشمالية الشرقية للخلافة أمام تغلغل المغول إلى العراق ، بل أصبحت فيما بعد واحدة من مدن ثلاث إستبسلت في مقاومة الهجوم المغولي الكبير سنة ٦٥٦ هـ ، وهو الهجوم الذي أنهى الخلافة العباسية .

وبعد : فاني أقدم هذا الجهد المتواضع ، وهو ثمرة دراسة لا أدعي بانها كاملة ولكنها محاولة أولية قصدت بها إستعراض تأريخ المدينة قدر ما تسمح به المصادر التأريخية ، وهي نادرة • لأن أخبار المدينة مبعثرة في الكتب ، وقلما يجد الانسان كتاباً جامعاً في أخبارها ومآثرها •

ولما كان الكتاب يستعرض تاريخاً طويلاً زمنياً لأربيل وأنحائها منذ أقدم العصور وحتى الحرب الاولى فإن بحوثه منصبة على درج الحوادث التأريخية حسب تسلسلها الزمني دون الاهتمام الكافي بتحليل الحوادث كما تقضي بذلك الدراسات العلمية الحديثة ، وختاماً فإني بذلت هـذا الجهد المتواضع وأديت شيئاً من الواجب كجزء مما يجب عليّ القيام به تجاه مدينتي العريقة ، وأرجو أن يكون هذا البحث مقدمـة لبحوث وتحقيقات أخرى تستوعب الحقائق التأريخية كلها وتعطي صورة أوضح لتاريخ المدينة • ولا يسعني في هذا المجال إلا أن استميح القارىء الكريم عذراً عن أخطاء ونواقص تبدو له في هذا الكتاب •

أربيل في مايس ١٩٧٠ — المؤلف

الفصل الاول

دراسة جغرافية لمنطقة اربيل

السطح : تقع أراضي المحافظة ضمن منطقة محصورة بين وادي الزابين الأعلى والأسفل • ويحد المحافظة من الشمال تركيا وقسم من محافظة نينوى، ومن الجنوب محافظة كركوك ، ومن الشرق إيران ، وقسم من محافظة السليمانية ، ومن الغرب محافظة نينوى (١) •

وتقدر مساحة المحافظة ١٦٫٦٠٠ كم٢ حسب تقدير داوسن • و بـ ١٦٫٤٨٤ كم٢ حسب تقدير مديرية المساحة العامة • و بـ ١٥٫٨٧٠ حسب تقدير الدكتور احمد سوسة • (٢) تقع مدينة أربيل على خط عرض طوله ١١ً ٣٦٫° ، وعلى خط طول ٢ً ٤٢٫° شرقاً (٣) وهي تتوسط إقليماً غنياً خصبا على هضبة مستوية يبلغ متوسط إرتفاعها (١٣٠٠) قدماً • أما السهل المحيط بالقلعة فيرتفع حوالي (١٣٣٢) قدماً عن سطح البحر (٤) • وهذه الهضبة هي خط تقسيم المياه بين الزابين • وسهل أربيل تتناثر فيه بعض الجبال القليلة الارتفاع ومن أهمها : أفانة داغ ودمير داغ ، ويشبه السهل المثلث في شكله وله إمتداد الى كركوك ، وهو إلتواء مقعر تجمعت فيه ترسبات غرينية وطين ورمل وحصى ، ويتخلل هذا السهل بعض الوديان الضحلة تصرف مياهها الى الزابين •

---

(١) العراق قديماً وحديثاً للحسني • صيدا ١٩٥٦ ص ٢٣٥ •
(٢) الدليل الجغرافي العراقي بغداد ١٩٦٠ موضوع لواء أربيل •
(٣) دائرة المعارف الاسلامية • مادة أربل •
(٤) المصدر السابق •

وتقوم على السهل في قسمه الجنوبي الغربي اكثر من ثلاثين قرية زراعية. والى الجنوب يمتد سهل كندنياوة وعرضه (١٠) أميال وطوله اكثر من (٥٠) ميلاً ، ومياهه تنصرف إلى الزابين على الجانبين بواسطة جداول كندنياوة . وتكون جبال قره چوق واطئة عند خط تقسيم المياه ولهذا السبب فإن الطريق بين ديبگه ومخمور سهلة .

يستثمر من مساحة المحافظة زراعياً حوالي (٤٠٠٠) كم٢ أي ٢٥ ٪ من مجموع المساحة ؛ يزرع نصفها سنوياً ، وبذلك يصيب الفرد الواحد من سكان الريف حوالي (٨) مشاير من الاراضي الزراعية وللعائلة الواحدة المتكونة من خمسة أشخاص (٤٠) مشارة وتزرع جميع هذه الأراضي تقريباً على الأمطار [٥] .

الأمطار : تقع أربيل في المنطقة الشبه الجبلية من العراق ضمن المنطقة الديمية التي تعتمد على الأمطار في زراعتها . ونجاح الموسم الزراعي في أربيل لا يعتمد على كمية الأمطار النازلة بقدر ما يعتمد على مواعيد نزولها ، حيث أن كمية الامطار وحدها سواء أكانت للسنة كلها أو للموسم فقط غير كافية للدلالة على مقدار وجودة المحصول ، إذ أن المهم هو توزيع المطر على أيام السنة حسب حاجة المزروعات [٦] .

يبدأ موسم المطر في اربيل وفي شمالي العراق عامة من أواسط تشرين الاول الى أواسط مايس ، ويصل الحد الأعلى من المطر شهري كانون الثاني أو شباط ، وهناك بعض الاختلاف أحياناً ، أما الفترة الواقعة بين أواسط مايس وأواسط تشرين الاول فتكون عديمة المطر تقريباً ، وذات جو خالٍ

(٥) الدليل الجغرافي العراقي . موضوع لواء أربيل .

(٦) محاضرات في جغرافية العراق للدكتور نوري خليل البرازي — كلية الآداب ١٩٥٧ .

من الغيوم ، ويمكننا تقدير أيام المطر في أربيل بين (٥٥ — ٦٥) يوماً في السنة ، والامطار الربيعية في المنطقة اكثر من الجنوب ، ولهذه الحقيقة اهمية كبيرة في زراعة الديم ، حيث تستلم المزروعات المطر في دور النمو الاخير .

الغلات الزراعية : إن أهم الغلات في المنطقة هي الحنطة والشعير ، وتعد هذه أهم الحاصلات الزراعية في المحافظة ، ويقدر ناتجها السنوي بحوالي مئة ألف طن ، ثم يأتي التبغ وهو محصول صيفي ، وتقدر المساحة التي تزرع منه حوالي عشرة آلاف دونم وهي تساوي ربع المساحة التي تزرع في الطرق تقريباً . (٧) ويلي التبغ الرز والقطن وهما من الحاصلات الصيفية كذلك وتزرع بمساحات محدودة . أما الغلات الاخرى التي تنتجها المنطقة فهي : السمسم والعدس والماش والحمص . وهناك منتوجات جبلية مثل الجوز واللوز والبلوط والفستق والسماق والعفص والتين والعنب (وله بساتين ديمية) والكمثري والتفاح وغيرها .

وتسير تربية الحيوانات بجانب الزراعة ، حيث تربى قطعان كبيرة من الأغنام الماعز في وديان الجبال وسفوحها وفي السهل الى حد ما . ويقدر عدد الأغنام والماعز بحوالي (٣٠٠٫٠٠٠) رأس ، وعدد الابقار بحوالي (٣٠) ألف رأس . (٨) ولتربية النحل أهمية خاصة ، حيث دل الاحصاء الذي أجرى في سنة ١٩٥٣ على وجود (٤٥٠٠) خلية نحل في مزارع المحافظة . (٩) وتصدر كميات من الانتاج الزراعي والحيواني الى باقي أنحاء العراق مثل : الجبن واللبن والسمن والصوف والجلود والعسل والأخشاب .

الجبال والمصايف :

---

(٧) الدليل الجغرافي العراقي — موضوع لواء أربيل .
(٨) الدليل الجغرافي العراقي — موضوع لواء أربيل .
(٩) نفس المصدر السابق .

تشكل جبال أربيل جزءاً من المنطقة الجبلية في الشمال والشمال الشرقي من العراق ، وتغطي بعض أجزائها غابات وأحراش تقدر مساحتها بحوالي (٥٠٠٠) كم٢ • (١٠) وفيما يلي نقدم أسماء وإرتفاعات بعض الجبال في المنطقة •

حصاروست — وإرتفاعه (٣٦٠٧) متراً وهو يعد أعلى جبل في العراق •

هواره چوكه — وإرتفاعه (٣٥٨١) متراً •

سياه كوه — وإرتفاعه (٣٥٧٦) متراً •

قنديل — وإرتفاعه (٣٤٥١) متراً •

سر كراوة — وإرتفاعه (٣٣٩٩) متراً •

هندرين — وإرتفاعه (٢٥٩٦) متراً •

شيرين — وإرتفاعه (٢٣٧٨) متراً •

برادرست — وإرتفاعه (٢٠٦٨) متراً •

سفين — وإرتفاعه (١٤٧٥) متراً •

بيرمام — وإرتفاعه (١٠٩٠) متراً •

حرير — وإرتفاعه (١٤٤١) متراً (١١) •

ويذكر إن جبال أربيل غنية بمعدن الرخام وهو يضاهي الرخام الايطالي بل يفوقه في بعض الميزات وهو موجود بمختلف الالوان في الاماكن التالية :

الرخام السماقي في قرية دربند على طريق رايات •

والرخام الابيض في قرية گلالة على مسافة ٤ كم شرقي القرية •

الرخام الاسود في رايات •

الرخام الاحمر في حاجي عمران في جوار الفندق (١٢) •

---

(١٠) المصدر السابق •

(١١) المصدر السابق •

(١٢) الدليل الجغرافي العراقي •

أما مصايف أربيل فتقع على الطريق العام بين أربيل والحدود الايرانية في حاجي عمران ، وهي أولا (مصيف صلاح الدين) الكائن على قمة جبل پيرمام والبالغ ارتفاعه (١٠٩٠) مترا كما مر ذلك . ويبعد عن أربيل (٣٢)كم .

ثم مصيف شقلاوة البالغ ارتفاعه (٩٦٦) مترا ويبعد عن صلاح الدين (٢١) كم . وتقع (شقلاوة) على السفح الشمالي من جبل سفين . ويلي مصيف شقلاوة (كلي‌علي‌بك) وهو الممر المؤدي الى راوندوز ويبعد عن شقلاوة (٦٠) كم .

وفي منتهى الطريق على الحدود الايرانية العراقية مصيف (حاجي‌عمران) البالغ ارتفاعه (١٧٨٠)مترا ، ومع ان هذا المصيف يبعد (١٣٠) كم عن شقلاوة إلا انه من أجمل المصايف العراقية ويمتاز بمياهه النميرية العذبـة وفي برودة طقسه الجاف الذي يتأثر بالثلوج الدائمة التي تغطي قمم الجبال المحيطة به . وفي كل من هذه المصايف فنادق عصرية حكومية (١٣) .

المصادر المائية : تعتمد منطقة أربيل على مياه الامطار في زراعتها . والى حد ما على المياه الجوفية . وقد حفرت الآبار الارتوازية لارواء البساتين من جهة ولاسقاء مدينة أربيل من جهة ثانية . وتعتبر المياه الجوفية (١٤) ذات أهمية كبيرة في حياة المنطقة ، اذ أن مدينـة أربيل نفسها بعيدة عن الزابين بمسافة ليست بقصيرة . ان كمية المياه في تلك الآبار كانت كافيـة الى العهد قريب توفي حاجة السكان عموما . كما ان نسبة الاملاح فيها قليلة بحيث تصلح للشرب والسقي . توجد الآبار قريبـة من سطح الارض بعمق يتراوح بين

(١٣) المصدر السابق .

(١٤) تكثر المياه الجوفية في المنطقة الجبلية من أربيل بسبب غزارة أمطارها وكثرة ما يتساقط عليها من الثلوج فتكثر فيها الينابيع والعيون التي تتدفق مياهها من خلال الشقوق في الصخور السطحية . وتكاد تكون أكثر قرى ومدن منطقة أربيل تقع قرب العيون .

(٥ ــ ٣٠) مترا • وقد بلغ عدد الآبار في أربيل أكثر من (٣٠) بئرا • ان توسع المدينة في الفترة الاخيرة بسبب نزوح عدد كبير من سكان الارياف اليها والسكنى فيها لاسباب مختلفة جعلها تفتقر الى المياه مما حدا بالجهات المختصة أن تعالج هذا الامر باهتمام وذلك بايصال الماء من الزاب الكبير الى المدينة بواسطة أنابيب كبيرة ذات قطر (٧٠ سم) ، من نقطة تبعد عن مدينة أربيل أكثر من (٣٢ كم) بواسطة مضخات كهربائية اربع ، للضخ العالي تضخ (١٠ر٧) م٣ ماء في كل دقيقة • وسينتج المشروع عند اكماله حوالي (١٦٥١١) م٣ ثم تزداد هذه النسبة الى (٣٠٦٠٠) م٣ من الماء في المستقبل •

ولم يكن القدماء أقل اهتماما منا بسقي مدينة أربيل ، حيث تروي الكتابات الآشورية ان محاولة نجحت في زمن الآشوريين لاسقاء المدينة ، وقد قام الملك الآشوري (سنحاريب) بمشروع كبير لهذا الغرض • وقد كشفت التنقيبات التي جرت من قبل مديرية الآثار العراقية في هذا المشروع المندرس (١٥) المعلومات القيمة التالية :

بالقرب من قرية (قلهمورتكه) الواقعة على بعد (٢٠) كم من أربيل تقع مسناة من الحجارة المكعبة في وسطها فوهة نفق ممتدا الى الجنوب ، وفي وفي احدى حجاراتها كتابة مسمارية هذه ترجمتها : (أنا سنحاريب ملك العالم وملك بلاد آشور حفرت أنهارا ثلاث في جبال خاني وهي جبال اعالي مدينة أربيل واضفت اليها مياه العيون التي في اليمين واليسار ومن جوانب تلك الانهار ، ثم حفرت قناة (تمتد) الى أواسط مدينة أربيل موطن السيدة العظيمة الالهة آشتار وجعلت مجراها مستقيما (١٦) •

هذه الكتابة تدل على أن سنحاريب جمع مياه الجبال وأجراها في قناة

(١٥) مجلة سومر ٣ (١٩٤٧) ص ٨٤ •
(١٦) نفس المصدر ص ٨٥ • حكم سنحاريب بين (٧٠٥ ــ ٦٨١ ق•م) •

الى مدينة أربيل • ففي أعالي المدينة جبل (سفين وصلاح الدين وباني — باوەداغ) تنبع منها مياه نهر باستورة المعروف • وفي وديان هـذه الجبال عدد من النهيرات يجري الى باستورة حيث تجتمع فيه بالقرب من القرى (سوسه ، زيارت ، قرزة) وهي المنوه عنها في الكتابة • أما العيون المقصودة فهي كثيرة العدد في المنطقة ، وهذه النهيرات والعيون مياهها غزيرة تسقي الآن حقولا واسعة ممتدة الى الغرب حتى قرية (دنجيزاوة) حيث يغور ماتبقى من المياه صيفا في عقيق باستورة • ولا يظهر على وجه الأرض ثانية الا بالقرب من قرية (قله مورتكة) في الغرب منها •

ولما كانت فوهة القناة في مستوى عقيق باستورة على عمق يناهز الـ (٢٠) قدما من سطح الارض فقد يتبادر الى الذهن ان المشروع شبيه بالكهاريز الشائعة الاستعمال الى الفترة الاخيرة في أربيل وقوامها : سلسلة من الآبار وتصل بينها عند قيعانها انفاق • الا ان مشروع سنحاريب يختلف عن الكهاريز بكون مياهه من عيون الجبال بينما ماء الكهاريز ماهو الا مجموعة ميـاه الآبار المحفورة •

ويبدو من خارطة منطقة أربيل : ان منطقة القناة تنحدر تدريجيا نحو

---

(١٧) كانت للكهاريز الى فترة متأخرة دور كبير في ارواء أربيل • وقد كثرت الكهاريز في زمن العباسيين وكانت في منطقة اربيل وحدها (٣٦٥) كهريزاً بحيث أن المنطقة المحيطة بأربيل كانت مملوءة بالبساتين • ويذكر الرحالة تافرنية (١٦٣٨ — ١٦٤٢) في كتابه (العراق في القرن السابع عشر) : بأنهم إنتهوا الى سهل مربع تكثر فيه الاشجار المثمرة وما هذا السهل إلا سهل أربيل • وقد ذكر الكابتن (هاي) المفتش الاداري في اربيل سنة ١٩٢٠ في كتابه (سنتان في كردستان) وجود (٦٠) كهريزاً في المدينة لم يبق منها حالياً إلى عدة كهاريز معرضة للاندثار نتيجة الاهمال في تنظيفها • أنظر : كتاب أربيل في أربعة أعوام — بغداد ١٩٦٨ ص ٤٣ •

الجنوب وكذلك نحو الغرب ، وان قرية (مورتكه) أعلى من مستوى السهل المجاور لاربيل بما لا يقل عن (١٥٠) قدما ، وهذا انحدار يكفي لانسياب المياه من القناة الى المدينة •

ومن المحتمل ان القناة كانت ظاهرة على سطح الارض في المنخفضات التي اعترضت امتدادها الى أربيل وعند اقترابها منها ، ففي الجنوب الشرقي من قرية (بحركه) (بين أربيل وقله مورتكه) معالم أقنية لا يتجاوز عرضها الثمانية امتار قد تكون جزءا من مشروع سنحاريب •

وكانت فوهة القناة مملوءة بالحصى جرفها باستورة في مواسم الأمطار وهي مربعة ارتفاعها (١٫٣٠) فسم وعرضها (١١٫٢) سم مشيدة جدرانها بالحجارة المنهدمة وارضيتها ببلاط من الحجر ذاته وتمتد بهذه السعة نحو (٦) أمتار ثم تأخذ بالتوسع التدريجي حتى يصبح عرضها (٢٧٠) سم• ويدل التبدل في عرض القناة على مهارة المهندس الآشوري لمنع تيار الماء من تخريب القناة • وعلى جانبي القناة ثقبان هما موضعين لقصبين لتثبيت بوابة القناة وتنظيم مائها • وعلى طرفي القناة مسناة تدعم أتربة المرتفع الذي من ورائها من الانهيار، وتحافظ عليها من التآكل • والمسناة من ستة صفوف من الحجارة الغير مهندمة ، ويبدو انه كان امامها رصيف من الحجارة جرفتها مياه باستورة بعيدة عن موضعها الاصلي ، ولم يبق منه الا بعض معالمه ••

ويحتمل انه كان في وادي باستورة سد واطيء لحبس كمية من الماء لملأ القناة صيفاً ، ولم يبق أثر لذلك السد • ولكن هناك أحجاراً تناهز الـ (٢٠٠) حجرا صغيرا في باستورة بعضها على بعد كيلو متر واحد من المسناة وعددها هذا يدل على انه كان في النهر شيئا من قبيل السد •

كانت امثال هذه السدود معروفة لدى الآشوريين ومنها السد المشيد

في نهر (الكومل ــ الخازر) عند فوهة قناة سنحاريب لارواء [١٨] • ونرجع الآن الى الايام القريبة لنرى كيف كان سكان أربيل يتزودون بالمياه • كان أكثر الزرع وسقاية المدينة يعتمد على الديم والكهاريز المستنبطة تحت الارض• وهي آبار تتصل احداها بالاخرى بمجرى تحت الارض يستوعب عرضه رجلا واحدا ، وهي محفورة تحت الارض بعمق يتراوح من (٦٠ ــ ٨٠) قدما • وتبعد الواحدة عن الاخرى بنحو (١٠٠) قدم ، وتجري في اتجاه واحـــد •

والكهاريز قديمة ليس اليوم من يحسن عملها ، كما انها هي التي سببت بقاء اربيل مأهولة بالسكان على تقادم العصور ، اذ لم يستطع الغزاة تدميرها كما دمروا قنوات الري في بابل وسائر مدن جنوب العراق [١٩] •

السكان وأصلهم :

ينتمي السكان في اللواء في غالبيته الى السلالة المعروفـــة بالسلالة العريضة الرأس ذات البنية الجسمية الضخمة مع أنف مقوس سميك ، وينتمي الاكراد الى هذهالسلالة • وقد إحتفظت هذه السلالة بصفاتها البشرية واللغوية في المناطق الجبلية من اللواء ، بينما تأثر قسم من الذين سكنوا السهل ببعض التأثيرات الانثروبولوجية الخاصة بسكان سهول العراق [٢٠] ، ونقصد بهم العرب المنحدرين من سلالة البحر الابيض المتوسط •

ويرى مينورسكي [٢١] أن الكرد قوم من الايرانيين يسكنون فارس

---

(١٨) مجلة سومر ٣ (١٩٤٧) ص ٨٤ ــ ٨٦ •

(١٩) العراق قديماً وحديثاً ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩ •

(٢٠) السكان في العراق • للدكتور نوري البرازي ــ مجلة كلية الآداب العدد الخامس ١٩٦٢ ص ٢٧٥ وما بعدها •

(٢١) مادة كرد في دائرة المعارف الاسلامية • ويقول الدكتور ابراهيم احمد زرقانة : إن الكرد عموماً يمكن اعتبارهم منحدرين من أسلاف النورديين الذين كانوا يسكنون السهوب •

أنظر العائلة البشرية : القاهرة ١٩٦١ ص ١٨٢ •

والقوقاز وتركيا والعراق ، ويستند وضع الكرد ضمن الشعوب الاسلامية الى أسس لغوية وتأريخية ، وهذا الوضع لا يتجافى مع الفارق الجنسي • ومن المحتمل جداً أن يكون الشعب الكردي قد هاجر في الأصل من الشرق (شرقي إيران) الى الغرب (كردستان الحالي) • وإستوطن به منذ فجر التأريخ وهذا الوضع لا يمنع إنه كان قبل قدوم هذا الشعب هناك في كردستان الأوسط قوم أو أقوام مختلفة تعيش تحت اسم مشابه لاسم ذلك الشعب الوافد كـ (كاردو) • وتم الاندماج بين أكراد إيران وهذا الشعب بعد اختلاطهما وصاروا أمة واحدة على مدى الايام والظروف (٢٢) •

وقد عثر المستشرق (يثرو دانجن ـ Thureau Dangin) في كشفين آشوريين على إقليم إسمه (كار ـ دا ـ كا) • وكان هذا الاقليم مجاوراً لأهالي (سو) و (سو) هذه تقع في جنوب بحيرة وان كما يقول (درايفر Driver) • ويقول البدليسي في شرفنامة : إن هناك قلعة قديمة تسمى (سوى) في إقليم بدليس • وبعد هذا بألف سنة شن (تجلات بلاسر الاول ١٠٩٨ ـ ١٠٦٨ ق • م) الحرب على شعب إسمه (كورتي) في جبال (آزو) التي يجعلها درايفر (حزو) الحالية (صاصون) •

ولا يشير هيرودوت في القرن الخامس ق • م الى اسم هكذا إلا إنه يقول ان الأقليم الثالث عشر في الأمبراطورية الاخمينية قد الحق بأرمينية واسمه (بوخته يوخ) التي يربطها بعض المستشرقين باسم بوختان (بوهتان)• ويذكر (جزينيفون Xenophon ٤٠١ ـ ٤٠٠ ق • م) اسم شعب (كردوك) الذي يسكن شرقي (گنتريتس ـ بوختان ـ بوهتان) • (٢٣) وبعد هذا كثر ذكر هذا الاسم في المنطقة بين الشاطيء الأيسر لدجلة وجبل

(٢٢) شرفنامة مقدمة ص ٥ ليحيى الخشاب •
(٢٣) شرفنامة مقدمة ص ٦ •

الجودي) ، فقد سماها المؤرخون (كوردئين) . وسمى هـذا الأقليم الآرامية (حوض كاردو) . وأطلق اسم (گازراتاي كاردو) على جزيرة بن عمر الحالية . وفي القديم عرف الأرمن هذه المنطقة باسم (كور دوز) .

ويذكر يا قوت الحموي نقلاً عن ابن الاثير : أن بلاد (بقردا) جزء ن جزيرة ابن عمر ، وقد اندثر اسم (بقردا) الذي كان يطلق في العصر لاسلامي الأول على هذه المنطقة ، وأصبح مذكوراً في الكتب العربية باسم جزيرة ابن عمر او بوهتان .

إن الذي لا شك فيه هو أن (كاردشو) القديمة موطن الشعب الكاردو نو وسط الموطن الاصلي للشعب الكردي الآن . وإذ ثبت هذا يجب أن سلم بأن كلمتي (كاروشوي و (كرد) مترادفتان . وهذا الرأي لامراء فيه نذ بداية القرن العشرين [٢٤] . وبعد عرض دقيق قام به منيورسكي للأبحاث للغوية التي قام بها المختصون يقول : فينتج من هذا ، إنه في عهد الفتوحات لعربية أن اللفظ المفرد (كرد) وجمعه (اكراد) . صار علماً على شعب يراني خليط أو شعب مجاور لايران وانه كان بين ذلك الشعب بعض السكان لأصليين والمحليين مثل (كاردو) [٢٥] .

ويرى (سيدني سمث Sidny Smith) [٢٦] : (ان آراء العلماء ند تغيرت في العصر الحديث فيما يتعلق باللغة الكردية . فقد ذهب بعض شتات منهم الى القول بأن اللغة الكردية ليست مشتقة من الفارسية أو حرفة عنها بل هي لغة مستقلة تماماً ولها تطوراتها الحقيقية القديمة . فهي قدم من اللغة الفارسية القديمة التي كتبت بها نقوش دارا) [٢٧] .

(٢٤) مينورسكي : مادة كرد في دائرة المعارف الاسلامية .
(٢٥) شرفنامة ــ المقدمة ص ٦ .
(٢٦) كان مديراً للاثار في العراق .
(٢٧) خلاصة تاريخ الكرد ص ٦١ نقلا عن سدنى سمث .

ويقول أمين زكي : (إن كردستان الذي هو الموطن الاول للسلالة البشرية الثانية وموضع انتشارها الى جهات أخرى حسب الحادثات التأريخية — كان يسكنه في فجر التأريخ شعوب جبال زاگروس التي هي شعوب « لولو » و « جوتي » و « كاشي » و « خالدي — كالدي » و (سوبارو — هوري — خوري) • وكان الشعب العيلامي يقيم في منتهى الشرق الجنوبي منه • فهذه الشعوب كلها عدا الشعب العيلامي هي الأصل القديم جداً للشعب الكردي) [٢٨] • ثم يضف الى القول : (إن اختلاف الاسماء الدالة على الشعب الكردي في الأزمنة القديمة لايفيد تعدد الاقوام والشعوب وانما هذا الاختلاف مما قضت به طبيعة التقدم وتطور الاحوال والظروف) • وهو يعتمد على قول (سپايزر) الذي يقول : (ان اسماء الاعلام في شعب ما قابلة للتبديل عند الشعوب الاخرى) [٢٩] •

فالكاشيون سموا على مر العصور : (كاساي ، كاسي ، كوس ، كاشتو. كوش) وهذه كلها أسماء لمسمى واحد هو الشعب الكاسي • وكذلك شعب لوللو (لوللوبوم ، لوللومي ، نوللو) • وهكذا الحال في الاسماء المتعددة بالنسبة للكرد • فالاسماء المختلفة إن هي إلا كلمات متشابهة تدل على سبيل الترادف اللفظي واطلقت إما على مجموع الشعب الكردي مباشرة وإما على تلك العشائر العديدة والقبائل الكثيرة التي كانت ولاتزال تحت اسم الكرد تعيش باسماء وعناوين مختلفة في الازمان المختلفة [٣٠] • وكانت الامم القديمة تعرف الكرد بهذه الاسماء :

گوتي • جوتي • جودي : عند السومريين •

---

(٢٨) نفس المصدر ص ٦٢ وما بعدها •
(٢٩) نفس المصدر ص ٦٢ وما بعدها •
(٣٠) شرفنامة — المقدمة ص ٩ •

گوتي • كوتي • كارتي • نورني • كاردوو • كارداكا • كاردان • كاركتان •

كارداك : عند الآشوريين والأراميين •

كورتيوي • سيرتي • كوردراها : عند الايرانيين •

كاردواسوي • كاردخوي • كاردوك • كردوكي • كردوخي • كاردويكاي : عند اليونان والرومان •

كوردوئين • كورچيخ • كورتيخ • كرخي • كورخي : عند الأرمن •

كردي • كاردوي • كارتاوية • جوردي • جودي : عند العرب [٣١] •

العشائر الكردية في أربيل :

أورد المؤرخون المسلمون بحوثاً عن الكرد عامة نبعض المناسبات التأريخية والجغرافية ، فقد ذكر كل من المسعودي (سنة ٣٣٢ هـ — ٩٤٣ م) والاصطخري (سنة ٣٤٠ هـ — ٩٥١ م) معلومات قيمة عن الكرد اكثر من غيرهما من الرحالة والمؤلفين [٣٢] • أما ابن حوقل (القرن العاشر الميلادي) فيقول : (وبين ذين النهرين [الزاب الكبير والصغير] مراع كثيرةوبلاد كانت الضياع بها ظاهرة والسكان بها الى عن قريب صالحة وافرة ، فتكاثرت عليهم البوادي وإعتورتهم الفتن فصارت قفاراً من السكان يباباً بعد العمران ، وهي في الشتاء مشاتي للاكراد الهذبانية ومصائف لبني شيبان) [٣٣] وعشيرة الهذبانية هذه كانت تسكن أذربيجان ولهم في مراغة إمارة قوية وكانت تنزح الى منطقة ما بين الزابين في الشتاء وتتخذ من قلعة أربيل مركزاً لها • ويظهر إن ابن حوقل يشير الى الفتن والحروب المدمرة التي جرت بين الرومان

(٣١) شرفنامة — المقدمة عن ١٠ نقلا عن خلاصة تأريخ الكرد لأمين زكي •
(٣٢) خلاصة تأريخ الكرد ص ٣٧٤ •
(٣٣) صورة الارض لابن حوقل النصيبي ص ٢٠٥ •

والساسانيين قبل الاسلام وكانت أربيل وما يجاورها مسرحاً لها ، وأدت الى هلاك عدد كبير من الناس • وقد اصطدم الهذبانيون بالدولة العباسية وثاروا سنة (٢٩٣ هـ) في عهد الخليفة (المكتفي بالله) بقيادة رئيسهم محمد بن بلال وهاجموا نينوى [٣٤] •

وقد تحدث صاحب صبح الاعشى [٣٥] • وصاحب مسالك الابصار [٣٦] عن الاكراد في القرن الثامن الهجري وذكرا عشرين موضعاً في إقليم الجبال وابتداؤه جبال همذان وشهرزور وإنتهاؤه صياصي (قلاع) الكفرة من بلاد التكفور ، في كل واحد طائفة من الاكراد • نذكر هنا ما يهم بحثنا من هذه المواضع •

١ — آليستر : (كانت ضمن أعمال إربل — أربيل) التي تقيم بها طائفة القرتاوية (الكرتاوية) وبيدهم من بلاد إربل أماكن أخر • (وفي صبح الاعشى : إن عددهم يزيد على أربعة آلاف ولهم أمير يخصهم) •

٢ — بلاد الكركار : وتقيم بها طائفة من الحسنانية (خشناو) وهم على ثلاثة أبطن احدها طائفة عيسى شهاب الدين وطائفة التلية وطائفة الجاكية • ويقول صبح الاعشى : وجميعهم نحو ألف رجل ولكل طائفة منهم أمير يخصهم • وترى دائرة المعارف الاسلامية : ان هذه العشيرة هي عشيرة (خوشناو) من أعمال (إربل — أربيل) وكانت ثلاثة أبطن : أحدها في بلاد (الكارتاوي ودربند قره بويلي) الذي يرى (هو فمان) : إنه كائن في جبل بجوار نهر

---

(٣٤) تأريخ الموصل ج ١ ص ٩٦ • ابن الاثير حوادث سنة ٢٩٣ هـ •

(٣٥) الشيخ أبي العباس احمد القلشقندي • وقد أكمل كتابه المذكور سنة ٨١٤ هـ في أربعة عشر مجلداً وتفاصيل الكرد في المجلد الرابع (ص ٣٧٣ — ٣٧٩) • طبع دار الكتب الملكية بالقاهرة ١٩١٤ •

(٣٦) فضل الله العمري وكتابه مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٨ م • وله كتاب آخر اسمه التعريف بالمصطلح الشريف • طبع بالقاهرة •

نزاب الصغير [٣٧] .

٣ ـ دربند قرابلي : وهو مقام طائفة (القرياوية) ولهم خفارة الدربند وصاحبه يكاتب عن الابواب السلطانية بالديار المصرية [٣٨] .

٤ ـ بين الجبلين من أعمال إربل : يقيم بها اكراد كانوا موالين لمصر ويدارون التتر وعددهم كعدد الكلالية [٣٩] . ولهم أمير يخصهم . كان لهم في الدولة المنصورية قلاوون (دولة المماليك المعاصرة للمغول في العراق) أمير يسمى تاج الدين الخضر بن سليمان .

٥ ـ مازنجان . بيروة . بخمة (بخمة ؟) والبلاد السهرانية ، ويقيم بها المازنجانية وهم منتسبون الى الحميدية مخصوصون من دون الاكراد بحسن الفروسية . ويقول صبح الاعشى : انهم طائفة مبارز الدين كاك الذي استنابه المغول في (اربل ـ أربيل) واعمالها وأقطعوه عقر شوش واضافوا اليه هرار .

٦ ـ بلاد السهرية : وهي بلاد سقلاوة (شقلاوة) وخفتيان [٤٠] أبي علي وتعرف بـ (خفتيان الصغير) ، وما بين ذلك من الدشت والدربند الكبير [٤١] وتسكنه طائفة السهرية (سهران ـ سوران) . ويقول صبح الاعشى : (وهم قوم لا يبلغ عددهم ألفا وجبالهم عاصية ودربندهم بين جبلين

(٣٧) تأريخ الكرد حاشية ص ٣٨٣ .
(٣٨) شرفنامة ـ المقدمة ص ١٧ .
(٣٩) عشيرة كانت تسكن (داتسرك ونهاوند) قرب شهر زور وعرفوا بجماعة سيف الدين عدتهم ألف مقاتل ولهم أمير خاص . تاريخ الكرد ص ٣٨١ .
(٤٠) خفتيان : هي دربند هوديان الحالية بقرب راوندوز .
(٤١) الدربند الكبير : ما يسمى اليوم بـ (گلي علي بك) نسبة الى علي بك أحد أمراء السوران .

شاهقين يسقيهما الزاب الكبير) (٤٣) • ويضيف مسالك الابصار : وعا
(المضيق) ثلاث قناطر اثنتان منهما بالحجر والطين (الجبير) والوسط
مضفورة من الخشب كالحصير ، علوها عن وجه الماء مائة ذراع في الهواء
وطولها بين الجبلين خمسون ذراعا في عرض ذراعين ، تمر عليه الدواب بأحما
والخيل برجالها وهي ترتفع وتنخفض وهم (السهرية) يأخذون الخفا
عندها وهم أهل غدر وخديعة ولهم أمير يخصهم ولصاحبها مكاتبة عن الابوا
السلطانية بالديار المصرية (٤٣) •

٧ — بلاد الدينار (٤٤) : ويسكنها الاكراد الدينارية • وفي صبح الاعشى
(وهي بلاد تلي الجولمركية وبها طائفة من الاكراد يقال لهم (الدينارية
نسبة الى بلدتهم ، وعددهم نحو خمسمائة ولهم سوق وبلد وكان لهم أمير
أحدهما الامير ابراهيم ابن الامير محمد ، وكان له وجه عند الخلفاء ، والثا
الشهاب بن بدر الدين ، توفي أبوه وخلفه كبيرا • فخلفه في امرته • وكا
بينهم وبين (المازنجانية) حروب) (٤٥) •

ويذكرالميجر — رولنسون — الذي تعرض لذكر العشائر الكرديةبقضا
(أوشنو) و (رواندز) أثناء دراسته لعاصمة (ميديا) في رحلته س
(١٨٣٦ م) : بأن عشيرة البلباس بمنطقة أوشنو — رواندز — رانية
تنقسم الى ثلاثة أقسام كبيرة هي : (پيران • منگور • مامش) • ثم يذ
فروع هذه الاقسام كما يأتي :

١ بيران : وفروعها : (موخانة • برچم • صبوريك • يوسفخليك

(٤٢) شرفنامة — المقدمة — ص ١٧ •
(٤٣) خلاصة تأريخ الكرد ص ٣٨٥ نقلا عن صبح الاعشى •
(٤٤) في دائرة المعارف الاسلامية : إنها بلاد زيباري •
(٤٥) خلاصة تأريخ الكرد ص ٣٨٨ نقلا عن صبح الاعشى • وأنـ
شرفنامة المقدمة — ص ١٨ •

سبرەما • ستا • ستاپیره • رمزیار • ئانەکالي • حسن أغابي • مەمندشینه• پاوه) •

٢ ـ منگور : وفروعها : (قادرویسي • زوري • باسکەبي • بابارشو• مرنەکنـه) •

٣ ـ مامش : وفروعها : (همزه أغابي مربوك • جوخور • بلاوند • مربابکره • فقيوثمانه (عثمانه) شين • باينك) (٤٦) •

ومما يذكر أن أحمد باشا والي بغداد حارب أفراد هذه القبيلة سنة ١٧٣٦ بسبب اخلالها بالامن والنظام وقيامها باعمـال قطع الطريق والنهب والسلب • ويقول صاحب دوحة الوزراء : (ان الباشا هجم عليهم بفرسانـه ورجاله ولكنهم قاوموه بشدة وتحصنوا بقلاعهم • ثم أخذ الجانبان يتراشقان بالبنادق والمدافع حتى ان نساء العشيرة المذكورة شوهدت مع رجالهن يحملن البنادق ويصوبنها نحو الجنود بكل شجاعة • وبعد معركة حامية وافقوا على الاستسلام وتعهدو بالطاعة) (٤٧) •

وقد تحدث نيبور في رحلته التي قام بها الى العراق سنة (١٧٦٦) عن هذه العشيرة في كلامه عن باشاكوي سنجق فقال : (ولقد عرفت من القرى الواقعة في منطقته (باشاكوي) قرية (روش) وقرية (موران) وقرية (دووين) ثم (بلباس) وهي قرية كبير فوق جبل عـال • وبلباس اسم لعشيرة متنقلة وتتشعب منها أفخاذ كثيرة تنتشر في بلاد فارس وسورية) (٤٨) •

وفي سنة (١٨٠٢) حارب علي باشا والي بغداد البلباس (لقيامهم بغارات على صاو جبلاق ومراغة وأرمية ، مما حمل الحكومة الايرانية مكاتبة

(٤٦) خلاصة تأريخ الكرد ص ٣٩١ نقلا عن رولنسون ص ٣٣ •

(٤٧) دوحة الوزراء للشيخ رسول الكركوكلي ـ ترجمة موسى كاظم نورس • بيروت ص ٤٠ •

(٤٨) رحلة نيبور ـ ترجمة محمود الامين ـ بغداد ١٩٦٥ ص ٧٥ •

الدولة العثمانية للضرب على أيديهم . فقد كتب الوزير (والي بغداد) الى ابراهيم باشا بابان بأتخاذ الاجراءات ضدهم . أما الذين نزلوا في القرى المجاورة لأربل (أربيل) فقد توجه الوزير بنفسه على رأس حملة عسكرية . ولما بلغ (آلتون كوپري) فر البلباس نحو أماكنهم في الجبال . وقد تمكنت الحملة من الاستيلاء على مواشيهم وأثقالهم . كما تمكن ابراهيم باشا طردهم من نواحي كويسنجق حتى وصل هو وجيشه الى أربل (أربيـل) وتقدم بالسلام على الوزير) [٤٩] . وقد وقعت ممتلكاتهم في أيدي القوات وهي (عبارة عن ستين ألف رأس من الضأن والماعز وألف رأس من البقر واكثر من ألف برذون وبغل عدا ما هلك في الطريق . وقد أرسل الوزير بتوزيع هذه الغنائم على سكان أربل وكوپري وكركوك وسكان القرى المجاورة لهذه المدن تعويضاً عما أصابهم من أضرار) [٥٠] .

وقد أورد (ريتش) الذي قام بزيارة للسليمانية وأربيل معلومات هامة عن عشيرة البلباس ، إذ ذكر (يتألف البلباسيون من العشائر التالية :

١ ـ كاباير : العائلة الحاكمة ، تتألف من مائتي شخص تقريباً .

٢ ـ مه نزوور ٣ ـ مامش ٤ ـ بي‌ران ٥ ـ ره‌مك ٦ ـ سن وتافا وهما يؤلفان عشيرة واحدة . ويسمى رئيس العشيرة بـ (مه‌زن) ولكل رئيس بعض السراق الذين يسرقون له . ويقدم له أفراد عشيرته الهدايا من الارزاق من تلقاء أنفسهم وهذا كل مورده . ودية الدم بين البلباسيين إثنان

---

(٤٩) دوحة الوزراء ص ٢٢٢ .

(٥٠) نفس المصدر ص ٢٢٣ . وقد أبدت هذه القبيلة (بلباس) نشاطاً واسعاً في تأريخ العراق منذ عهد مبكر ، ففي سنة ١١٠٤ هـ / ١٦٠٥ غزاها خان احمد خان حاكم (سنه) بأمر من شاه ايران . أنظر : أربعة قرون ص ٦٤ . وفي سنة ١١٢٧ هـ / ١٧١٥ حاربها والي بغداد حسن باشا (وهم اكراد جبليون غلاظ في شرق أربيل) . أربعة قرون ص ٥٥ وص ٢٦٨ .

وعشرون ثوراً ، وقد تتبدل هذه بغيرها • أما قوانينهم فهي عاداتهم العشائرية يمارسها الرئيس ويساعده في ذلك مجلس شيوخ • ولا يعاقب على الجرائم بالاعدام إلا في جريمتي الزنا والأغواء وما يشابه ذلك • ولا يزوج البلباسيون بناتهم برجال من غير عشيرتهم أو من الغرباء • والغزل موجود في حياتهم الاجتماعية • وهروب المحب بحبيبته للزواج منها أمر شائع بينهم • وإذا مات الرئيس منهم استخلفه أفضل الرجال وأشجعهم من العشيرة ، أما إذا كان ولده الاكبر غير كفء على النهوض باعباء الرئاسة فيخلفه اكفأ أخوانه • وإذا ما نصب الرئيس لايمكن خلعه • والبلباسيون في بلادهم لايعترفون طواعية بسيادة أحد عليهم سواء أكان تركياً أوغيره ، ولكنهم حينما يهبطون منطقة (قەرەجوق) ــ وقد كفوا عن ذلك منذ عدة سنين ــ يقدمون بعض الاغنام الى البك جزية وهم يحبون السلاح حباً جماً ، والكثير من البارزين منهم يملكون المعدات الكاملة من الدروع) (٥١) •

ثم يقول المستر ريتش (ولكل رجل من عشيرة (بلباس) مهما كانت منزلته الحق في إبداء الرأي في الشؤون العامة • فقد تتفق مع الرؤساء البلباسيين على صفقة تجارية فينهض فجأة أحد أفراد العشيرة ويقول «لا أوافق على ذلك » وهذا القول وحده يكفي للقضاء حالاً على الاتفاق بكامله) (٥٢) وبين البلباسيين (فئة من القرويين أو التوابع ليس لها الحق في إبداء رأيها في شؤون العشيرة والعشيرة تعدها فئة وضيعة جداً) (٥٣) •

وقد أطرى ريج شجاعة المرأة البلباسية في الحرب في كلامه على مقام النساء في كردستان فقال (إن مقام النساء في كردستان أفضل بكثير من

(٥١) رحلة ريتش (ريج) ص ١٠٥ ــ ١٠٦ الحاشية •
(٥٢) نفس المصدر ص ١٠٥ •
(٥٣) نفس المصدر ص ١٠٦ •

مقامهن في تركية وايران وأعني بذلك أن أزواجهن يعاملونهن على قدم المساواة، وانهن يسخرن من خضوع النساء التركيات) [٥٤] .

وفي موضع آخر تحدث ريج عن عشائر الـ (خوش ناو) وهي ثلاث (ميرمه‌حمه‌ني وميريوسفي وبيشده‌ري . وبين الاولتين ثار قديم يجعلهما في حرب مستمرة لصالح الباشا البابانى الذي لا يتمكن من إدامة سيطرته عليهما إلا باستغلال مهارته للاستفادة من انشقاقهم على أنفسهم كما يديم الأتراك والايرانيون سيطرتهم عليه تماماً . وهناك جدول صغير يفصل بين العشيرتين. ولهم جامع مشترك يجتمعون فيه أيام الجمعة للصلاة ثم يفترقون من بعدها ، وهم في لباسهم كأكراد العمادية . وترد لغتهم الى اللهجتين البابانية والبهدينانية وتنطبق نفس الملحوظة على اكراد (راوندوز) الذين لم أتمكن من معرفة اسم عشيرتهم الرئيسية وانني اعتقد بأنه لا يوجد بين الـ (خوش‌ناو) والراوندوزيين قرويون أو فلاحون) [٥٥] .

أما ما يتعلق بعشائر (راوندوز) فقد ذكر ريج : (ان راوندوز قلعة احدى العشائر الكردية المستقلة وكان آمرها مصطفى بك وهي (راوندوز) قائمة فوق جبل مرتفع جداً من جبال زاگروس . والراوندوزيون رماة ما هرون . لقد أرسل (عباس ميرزا) قبل بضعة سنين جيشاً لمنازلتهم فاضطر على التراجع تاركاً مدافعه وراءه وهذه المدافع الآن في قلعة راوندوز . والقوافل تمر عادة في منطقتهم بسلام ولكنها تدفع (باجاً) [٥٦] . وعشائر راوندوز تشبه في ملابسها أهالي العمادية إلا أن لهجتها تقارب لهجة

(٥٤) نفس المصدر ص ٢٠٣ .

(٥٥) رحلة ريج ص ٧٠ ـ الحاشية .

(٥٦) نوع من الرسوم كان معروفا في العراق زمن العثمانيين ويدفع عند مداخل الجسور والقناطر كضريبة للمرور .

وي سنجق) [٥٧] .

أما رولنسون (١٨٣٦) فيقول بصدد عشائر (رواندز) « كانت لايالات الواقعة بين أوشنو والزاب الصغير في عهد محمد باشا آخر أمير واندز خاضعة لهذا الامير الذي كان هو نفسه من عشيرة السوران . وهذه عشيرة قد إستولت على هذه المنطقة (رواندز) بقيادة رؤسائها الماهرين منذ ضعة قرون . ويقدر عدد أسرها في الاصل بـ (٨٠٠) أسرة . وتكاد تكون كثر سكان (رواندز) منتمية لعشيرة (رواندي) [٥٨] . أو (رواندز) يبلغ عدد أسر عشيرة (رواندز) الكبيرة هذه (١٢٠٠٠) أسرة كلها خاضعة أمراء السهران ــ السوران . هذا وكانت قلعة (روان) أو (رواندز) طول دة الامارة السهرانية ملجأ حصينا لها . وتضم بين جوانبها ألفي بيت من سكان) [٥٩] ثم يعطي تفاصيــل اكثر عن عشيرة (الراونــدي) بمنطقة رواندز) ويقسمها الى إثني عشر قسما هي : (مام گرد ، مامسال ، مامخال، ام بال ، ماملیس ، ماموي ، مسكه‌كال ، مامسكي ، بـيربال ، كه‌لو ، امه‌سام) . وإختلطت بهذه الأقسام فرق من عشائر غير راوندية وهي لما يأتي :

(شيخاب ، مالیاس ، نورك ، هناريي ، خيــلاني ، كاسان ، شيخ حمودي بامامي ، دريچكي ، سي كويي ، هيربويي ، شيكولي ، منديك ، يراجي ، بيمار) [٦٠] . وتحتوي منطقة (سيدك ــ سيدكان) الجبلية

(٥٧) رحلة ريج ص ٧٠ .

(٥٨) يقول أمين زكي : ان هذه العشيرة يحتمل انها احدى بطون عشيرة الروادي) التي كانت في الاصل مقيمة في أذربيجان حيث أسست فيهــا لحكومة الروادية وأنجبت القائد صلاح الدين . خلاصة تأريخ الكرد حاشية ص ٣٩١ ــ ٣٩٢ .

(٥٩) خلاصة تأريخ الكرد ص ٣٩١ ــ ٣٩٢ نقلاً عن رحلة رولنسون .

(٦٠) خلاصة تأريخ الكرد ص ٣٩٣ نقلاً عن رحلة رولنسون .

على أربعين قرية صغيرة يقرب عدد بيوتها من الألف ينتسب سكانها الى عشائر (رواندك • پيرەسوبى • ريسوري ، شيرواني) (٦١) •

وقال عن عشيرة بالك « وأقوى العشائر في هذه الجهات هي عشيرة (بالكى) حيث يبلغ عدد بيوتها وأسرها عشرة آلاف بيت • ومنازل هذه العشيرة منطقة جبلية في غاية من الوعورة لانها تقع فيما وراء جبل (قنديليان) وفي حدود (أشنو) و (لاهيجان) مركزها بلدة (رايت) • فكان أمير (السوران) أخضع هذه الجهات لأمره وكان يأخذ من كل بيت شخصاً فيلحقه جندياً بجيشه ومن يوم انقراض امارة السهران بقيت هذه العشيرة مستقلة في حالها • ورئيسها الحالي يدعي « عزيز بك » (٦٢) •

وقد قال ريج في رحلته الى أربيل سنة ١٨٢٠ عن قبيلة (دزەيي) : (وصلنا الى مضرب فارس رئيس عشيرة (دزەيي) في قرية (قوش تپة) وقد سميت باسم أحد التلال الصغيرة • وعشيرة دزەيي كردية ، كانت تابعة فيما سبق الى (كوي سنجاق) وقد فصلها باشا بغداد عن كل من كوي سنجاق وأربيل وجعلها تحت سلطته المباشرة ، وهذا ما جعل العشيرة لا تبالي بأحد) (٦٣) •

(٣)

ويروي الكاتبين (هاي) (٦٤) تفاصيل هامة عن العشائر الكردية في لواء أربيل وفيما يلي نصها (٦٥) :

---

(٦١) نفس المصدر ص ٣٩٢ •
(٦٢) نفس المصدر ص ٣٩٣ •
(٦٣) رحلة ريج ص ٢٤٣ •
(٦٤) كان مفتشاً ادارياً في أربيل بعد الاحتلال الانكليزي • وقد ألف كتاباً عن مشاهداته في المنطقة سماه (سنتان في كردستان) •
(٦٥) خلاصة تأريخ الكرد ص ٣٩٥ نقلا عن كتاب المستر (هاي) •

١ — عشيرة دزه‌يي وأقسامها الثلاثة (پيران • گوتتولا • مامان) : يبلغون (٦٠٠٠) أسرة • مستقرون في أطراف جبل (قره‌چوق) و(كنديناوة) بقضاء (مخمور) من لواء أربل (أربيل) • أراضيهم خصبة جداً وهم في عيش رغد ورفاه دائم • إمتدوا لغاية دجلة حيث اضطروا العشائر العربية لأجتياز النهر الى الغرب وهم في غاية من النشاط والاجتهاد •

٢ — گردي : يبلغون (٦٠٠) أسرة • وهم نصف سيار بشمال أربل (أربيل • ومنهم فريق في كويسنجق • وفي الصيف يذهبون الى (وزنة)[٦٦] وهم عشيرة كبيرة لهم في شمال أربل (أربيل) خمس عشرة قرية •

٣ — كورا [٦٧] : مستقرة في بضع قرى بغربي بلدة (شقلاوة) •

٤ — خوشناو : يبلغون (٢٠٠٠) أسرة يشتغلون بالزراعة مستقرون ويقطنون في مئة قرية بناحية [٦٨] (شقلاوة) يبلغ تعدادهم عشرة آلاف نسمة• وفروع منها تسكن منطقة (كوي) و (رانية) •

٥ — پيران : يبلغون (٦٠٠) أسرة وهي من عشيرة (رانية) [٦٩] تسكن في شمالي هذه البلدة وهي داخلة في قبيلة (بلباس) • وبالرغم من صغرها فهي عشيرة باسلة وشجاعة [٧٠] •

٦ — آكو : يبلغون (١٠٠٠) أسرة مستقرون ويسكنون شمالي (رانية) وهم عدة فرق وتوجد بين (٤٠ — ٥٠) قرية لهم في جبال (رانية) الشمالية وفي جهة (دزة) •

٧ — زراري : يبلغون (٣٠٠) أسرة مستقرون في شمالي باستورةچاي

---

(٦٦) وزنة : بلدة في الحدود الايرانية شرقي (راوندوز) داخل ايران •
(٦٧) المعروف أن كوره‌يي هم جزء من عشيرة خوشناو •
(٦٨) كانت شقلاوة ناحية ثم اصبحت قضاء في الفترة الاخيرة •
(٦٩) كانت (رانية) قضاءاً تابعاً للواء أربيل ثم ألحق بالسليمانية أخيراً•

في اثنتي عشرة قرية •

٨ — سورچي يبلغون : (٣٠٠٠ ؟) أسرة • مستقرون ومنتشرون فيما بين الشاطيء الشمالي لنهر الزاب و (راوندوز) ولهم خمسون قرية • ومعهم فريق من عشيرة (المامه‌كاني) •

٩ — بالك : يبلغون (١٢٠٠ ؟) أسرة مستقرون في شمال نهر(راوندوز) في ستين قرية •

١٠ — شيروان وبرادوست : يبلغون (١٥٠٠ ؟) أسرة مستقرون في أقصى حدود قضاء (راوندوز) • هذا وان (شيروان) أقوى من (برادوست) الا ان تعدادها معا لا يزيد عن ثمانية آلاف (٧١) •

١١ — هركي : يبلغون (٥٠٠٠ ؟) أسرة • وهي عشيرة قوية جـدا يسكن قسم منها في جبال الحدود ، وقسم آخر أطراف (عقرة) ، وثمانية آلاف منها في منطقة (رواندوز) بباستورة چاي ويبلغ تعدادها العام عشرين ألفا من النسمة • هذا وقسم منها في (أرضروم) وأخر في (وان) (٧٢) •

١٢ — خيلاني : يبلغون (٢٠٠ ؟) أسرة مستقرون في الجبال التي بشمال (بالك) • ومنهم فريق في أطراف أربل (أربيل) يبلغ تعـدادهم ألف نسمة •

١٣ — بولي : يبلغون (١٥٠) أسرة في جنوبي (بالك) وفي الشتاء يذهبون الى قضاء الكوي • تعدادهم أقل من الخيلاني •

(٧٠) يوجد فريق من البلباس بهذا الاسم : دزه‌يي پيش • خلاصة تأريخ الكرد ص ٣٩٥ •

(٧١) يقول السير مارك سايكس : إن تعدادها يبلغ (٣٣٠٠) أسرة • خلاصة تأريخ الكرد ص ٣٩٦ •

(٧٢) خلاصة تأريخ الكرد ص ٣٩٦ نقلا عن السير مارك سايكس في كتاب (مفصل جغرافية العراق) لطه الهاشمي بغداد ١٩٣٠ •

١٤ — برواري بالا : يبلغون (٧٠٠) أسرة مستقرون في شمال نهير (الكاره) [٧٣] يشتغلون بالزراعة والتجارة •

١٥ — بارزان [٧٤] : يبلغون (٢٧٥٠ ؟) أسرة مستقرون شمال الزاب الكبير وفي قضاء (زيبار) سميت منطقتهم باسم عشيرتهم • يشتغلون بالزراعة وغرس الكروم وتربية النحل وهم قوم متعصبون وفي غاية الشجاعة والاقدام •

١٦ — زيباري : يبلغ تعدادها (١٢٠٠ ؟) أسرة وتسكن بين العقرة والزاب الكبير وفي اطراف (پيره‌كبره) تشتغل بالفلاحة وغرس الكرم •

(٤)

عشائر أربيل اليوم [٧٥]

نبين فيما يلي توزيع العشائر المتوطنة (المستقرة) في لواء أربيل ومناطق سكناها وعدد نفوس كل قبيلة حسب الوحدات الادارية التي تسكنها تلك العشائر ، علما بأن بعض العشائر تسكن اكثر من مركز اداري واحد مثل ذلك : عشيرة (دزه‌يي) التي تسكن مركز ناحية أربيل وفي قضاء مخمور ونواحيه •

أ — مركز ناحية أربيل :

---

(٧٣) يصب في الزاب الكبير •

(٧٤) لم يذكر الكاتبين شيئاً عن عشيرتي بارزان وزيباري لأن منطقتهما كانت تابعة للواء الموصل • والمعلومات التالية عن (بارزان وزيباري) منقولة عن مارك سايكس من كتاب (مفصل جغرافية العراق) لطه الهاشمي • أنظر : خلاصة تأريخ الكرد • ص ٣٩٦ •

(٧٥) اعتمدنا في هذا البحث على دليل التعداد العام لسنة ١٩٥٧ و ١٩٦٥ — وزارة الداخلية بغداد •

١ ــ دزه‌يي : يبلغون (١١٠٠٠) نسمة ومركزهم قرية قوشتبة ٠

٢ ــ گردي : تعدادهم (٢٩٦٠) نسمة ومركزهم قرية بحركه ٠

٣ ــ الشيخ بزيني [٧٦] : يبلغــون (٦٠٠) نسمة ومركزهم قريــه كوركوسك ٠

٤ ــ الهركي : عددهم (٥٣٨) نسمة ٠

٥ ــ شمر : من قبيلة (شمر) التي تسكن منطقة الجزيرة في لــواء الموصل ، وعددهم في مركز ناحية أربيل يبلغ (٥٢) شخصا ٠

ب ــ ناحية حرير : عشائر خوشناو وغيرها ٠

١ ــ خوشناو : عددهم (٦٥٠) نسمة ؛ وهي تسكن في جنوب مركز الناحية ، وهي جزء من خوشناو التي تسكن النواحي الثلاث لقضاء شقلاوة ومركز القضاء ٠

٢ ــ الحيدري : يبلغون (٣٠٠) نسمة مركزهم جنوب غربي مركز الناحية ٠

٣ ــ الهروني : تعدادهم (٣٥٠) نسمة مركزهم في مركز الناحيــة ، وفي قرى (خردان وباوان) وهما في غربي الناحية ٠

٤ ــ الزراري : تعدادهم (٣٠٠) نسمة ويسكنون غربي الناحية وفي قرى ناحية صلاح الدين كذلك ٠

٥ ــ الآثوري : تعدادهم (٤٣٥) نسمة ويتركزون في مركز الناحيــه وقرى (باطاس ٠ هنارة ٠ درشبيروك) ٠

جـ ــ ناحية صلاح الدين : عشائر خوشناو وغيرها ٠

١ ــ خوشناو : تعدادهم (٢٠٠٠) نسمة ؛ ويسكن معظمهم في ناحية خوشناو وقسم منهم في ناحيتي صلاح الدين وحرير ٠

---

(٧٦) وهي فرع من عشيرة في لواء كركوك ٠

٢ — گردي : تعدادهم (٢٨) وهم جزء من عشيرة كبيرة تسكن شمالي أربيل والباقي في كويسنجق .

٣ — الزراري : عددهم (١٥٠٠) نسمة وتسكن في ناحيتي حرير صلاح الدين .

٤ — ماوه لوبي : عددهم (١٥٠٠) نسمة وتسكن بالقرى المحيطة بناحية صلاح الدين .

٥ — ميران بكي : عددهم (١٥٠٠) نسمة وتسكن في قرى (إفراز . كردمامك . كورەسور (الواقعة على الزاب الكبير) .

٦ — الهركي : تعدادهم (٢٥٢٦) نسمة : وهي من العشائر الرحل حيث تذهب صيفاً الى الجبال في الحدود العراقية — الايرانية ، وفي الشتاء تنتشر في مناطق السهول في شمالي أربيل وفي حرير وباطاس . والهركي في منطقة أربيل بفرعين هما هركي سرهات وهركي سيدان . حالياً متفرقون ويتركزون في مركز أربيل وناحية صلاح الدين .

د — قضاء مخمور : عشائر (دزدي) وغيرها .

١ — دزه فارس : عددها (٩٥) نسمة ومركزها قرية (باقرطة).

٢ — دزەمامخوله : تعدادها (٤١٨) نسمة ويسكنون قرى (كرەسور . عين أيوب) .

٣ — دزي بايز : تعدادها (١٢٣٤) نسمة وهم ينتشرون في مركز القضاء وقرى (محمل أمرمران . كونه‌تيموره) .

٤ — دزي بنديان : تعدادهم (١٨٠) نسمة ويتركزون في (زريكند)

٥ — دزەي‌مام سبتي : تعدادهم (١٢٨) نسمة ويسكنون قرى (دوسره . زيربن . بير مهيدي . هني‌مروي) .

٦ — دزەي سيان : تعدادهم (٣١٠) نسمة ويسكنون قرى هاوار .

دوسره‌بلا • كرده‌پوره • گردچال) •

٧ ــ دزه‌ي الكوتك : تعدادهم (٢٩٤) نسمة ويسكنون قرى (خ

كرول • كندي باريكه) •

٩ ــ دزه‌ي آرمريل : تعدادها (٣٣٥) نسمة ويسكنون قرى (كرده‌پا

شريلكه • محسناوة) •

١٠ ــ دزه مالاتي : تعدادهم (١٠٤١) نسمة ويقطنون قرى (پالاتي

گردي كرم • حصاروك • حوشتور آلوك) •

١١ ــ دزه بيتماوي : تعدادهم (٧٥) نسمة ومركزهم قرية سيگردكا

١٢ ــ دزه‌ي سارمحي : تعـدادهم (٢٢٢) نسمة • ويسكنون ق

(كيشلين بشار • وادي الغراب) •

١٣ ــ دزه‌ي باجلان : تعدادهم (١٢٠) نسمة • يسكنون في ق

(گردقوشتپه • گلشخان) •

١٤ ــ البو حمدان (٧٧) : تعدادهم (١٤٢) نسمة وهي عشيرة ع

تسكن قرى (سارتك • خازر • عنبر) •

١٥ ــ شليلة : تعدادهم (١١٤٩) نسمة ويسكنون قرى (آوسرا

قره‌پروان • كرديلة • بهانة • سيداوة • كيروك • عين شهاب • خالدية

١٦ ــ نهيب : تعدادهم (٣٧٨) نسمة ويسكنون قرى (جديد

خرابةجار الله) •

١٧ ــ سمبس : تعدادهم (٣٤٨) نسمة ويسكنون قرى (خرياني

رواله • خربة محمود) •

---

(٧٧) في أربيل عدة عشائر عربية تسكن منطقة (شمامك) و (گو
و (مخمور) ففي (شمامك) و (گوير) تسكن جماعات متفرعة من ق
(طي) العربيـة وفي منطقة مخمور جماعات متفرقة من قبيلتي : الج
والعبيد •

هـ — ناحية الگوير : العشائر العربية وعشائر دزه يي وغيرها .

١ — سمبس : تعدادهم (٢٠٦) نسمة ومركزهم مركز ناحية الگوير .

٢ — الحرب : تعدادهم (٣٣٨) نسمة ويسكنون مركز الناحية .

٣ — العلينة : وتعدادهم (١٧٤) نسمة ويسكنون مركز الناحية .

٤ — فقي ملكي : تعدادهم (٤٤٤) نسمة ويتركزون في مركز الناحية .

٥ — الجبور : تعدادهم (٢٠٩) نسمة ويتركزون في مركز الناحية .

٦ — شيخان : تعدادهم (٩٤٥) نسمة وهم جزء من عشيرة دزه يي . ويتركزون في مركز الناحية .

٧ — كاكه يي : عددهم (٤٢٤) نسمة ويتركزون في مركز الناحية .

٨ — مرزان : عددهم (١٤٣) نسمة ومركزهم في مركز الناحية .

٩ — شيخ ماموندي : عددهم (٣٨٢) نسمة مركزها مركز الناحية .

١٠ — سادات البرزنجية : عددهم (١١٥) نسمة ومركزهم مركز الناحية .

١١ — گردي : عددهم (٩٤٧) نسمة . ومركزها مركز الناحية وبينهم أفراد من مختلف العشائر .

١٢ — كپايي : عددهم (٢٨٥) نسمة ومركزهم في مركز الناحية .

١٣ — دزه يي : عددهم (١٥٩٥) نسمة وهم من قبيلة (دزه يي) .

١٤ — أنعيم — سادات : عددهم (٤٤٤) نسمة ويتركزون في مركز الناحية وما يجاورها .

١٥ — الطي : عددهم (٥٧٧) نسمة يسكنون في مركز الناحية وبعض القرى التابعة لها .

و — ناحية كندنياوة : عشائر دزه يي وغيرها .

١ — طائفة باشا : عددهم (١٠٠٥) نسمة ويسكنون قرى (عبد الله گوجلان . چلتوك . ملك آغا) .

٢ — طائفة فارس آغا : عددهم (١٠٠٣) نسمة ويسكنون قرى (شوره زردكه • ميده برازي • خورملة • خزنة • برزدوار) •

٣ — طائفة بايز آغا : عددهم (١٥١٨) نسمة ويسكنون قرى (تل هلاله، شمل قيلان • بلكانه • جاته • كرد گوم • كندال قول) •

٤ — مام خونه : عددهم (١١٩٥) نسمة ويسكنون قرى (ديبگه • كاريتان • شوربجة • صوفي سمايل) •

٥ — سيان شمزين : عددهم (٨٩٠) نسمة ويسكنون قرى (بيره بات • حاستان • قوج دربند كرم) •

٦ — سيان وسومال وعددهم (٩٤٠) نسمة ويسكنون في قرى (سريشاخ • كايلكه • دركه صغير • جرت كيومه • رشيد صارلو) •

٧ — سيان وتك : عددهم (٩١) نسمة ومركزهم قرية (شناغة) •

٨ — مام سيتي : عددهم (٥٠٦) نسمة ويسكنون قرى (سركران • داود گورگه • كندال قطن سليمان) •

٩ — شيرواني : عددهم (٥٨٧) نسمة ويسكنون قرى (داره خورما • حسن بلباس • حقلول) •

١٠ — آل كوتكي : عددهم (٤٣٥) نسمة ويسكنون قرى (كندل يارمجه • ماوره) •

١١ — ابراهيم آغاي : عددهم (٢٩٦) نسمة وهم في (كبورنا ندزة • ناصر كوزرلو) •

١٢ — صالة يي : عددهم (٧٥٧) نسمة هم في قرى (ملا قره • ماجد • شيخلاص • كندي • رش حسن) •

١٣ — لك : عددهم (١١٦) نسمة هم في قرية (دوشيوان) •

١٤ — هرمزيال : عددهم (١٣٥) نسمة وهم في قرى (سمايل آوا :

عليا وسفلى) •

١٥ — برزنجه : عددهم (٢١١) نسمة وهم في قرى (بديقور • حصاروك) •

١٦ — بني تميم : عـددهم (٨٠) نسمة وهم عرب ويسكنون قرية (درگه الكبيرة) •

ز — قضاء كويسنجق :

١ — غفوري : تعدادها (٤٣٠٠) نسمة وهم في قرى (ميرسين • نازنين سماقولى • كلى كروز • سنان آسكي كوي • گومه شيخان • داربر • ياجوان قيصري) ويسكن رؤساؤها قصبة كويسنجق •

٢ — حويزي : (٣٠٠٠) نسمة وهم يسكنون قرى (باره ميش • ضويزاوة •هواداان • كوردان• سناوة) •ويسكن رؤساؤها قصبة كويسنجق•

٣ — خوشناو : (٤٣٠٠) نسمة من قراهم (سكنان • كووله ودنكه• باليسان • شير كاني • بيداوة • سوسة •) ومركز القبيلة باليسان •

٤ — گردي : (١٢٠٠) نسمة ومن قراهم كاني كوان • بلكه رش واليان • أشكفت سقا • تركينه • حاجي يوسف) • وتعتبر قرية أشكفت سقا مركز هذه القبيلة •

٥ — سارات : (١٥٠٠) نسمة ومن قراهم (چلي • قشيرت • آخورة• چناروك) •

٦ — كور كداران (٢٥٠٠) نسمة من قراهم (بانه قلات كردي • كاني سوسكه • رسول بسكول • تكور كوكتپه) والاخيرة مركزها •

ح — ناحية طق طق :

١ — ريندي : (١٤٠٠) نسمة من قراهم (كلتو • ناصر آغا • كرمنك طق طق • طق طق • سيكرد كان) : والاخيرة مركزها •

٢ — غفوري : (١٠٠٠) نسمة ومن قراهم (داوبرود خرابة • كاولاز بيركد • كاريز • كاني سور • سورەله • خرابة) والاخيرة مركزها •

٣ — كلوي (٧٠٠) نسمة من قراهم (شاخه بيسكه • والقرى القريبة والقرية المذكورة هي مركز القبيلة •

٤ — شيخ بزيني : (٢٠٠) نسمة من قراهم (شيطان • سلوتك • كومة شين) • وقرية سلوتك هي مركزها •

٥ — لك : (١٥٠) نسمة في (برەسبى) وهي مركزها •

٦ — سادات : (١٠٠٠) نسمة ومركزهم قرية (فازيكي) •

٧ — طالبان : (٥٠) نسمة ومركزهم قرية (قوزلو) •

٨ — كوران : (٢٠٠) نسمة وتسكن في قرى متعددة •

٩ — شيخان : (١٧٥٠) نسمة ومن قراهم : (نيله كين • بانەمورد • بايز آغا • باني ماران • شوك • گەورە كچكەقنبر • كاني گورە • ملازياد) • وتعتبر قرية (بانه مورد) مركز العشيرة •

١٠ — جافه رشكه : (١٢١) نسمة مركزها قرية كليسة •

ط — ناحية بالك •

١ — شرقي : (١٩٥٠) نسمة مركزها ناحية بالك •

٢ — شيوه زوري سكري : (٤٤٤) نسمة يسكنون الناحية (فرع من بالك) •

٣ — سكري : (٢٩٢) نسمة ويسكنون الناحية •

٤ — بالدي : (١٠٧) نسمة ويسكنون الناحية •

ي — ناحية برادوست : عشائر برادوست وغيرها •

١ — برادوس : (٩٠٠) نسمة ويسكنون منطقة برادوست في مثلث الحدود العراقية الايرانية •

٢ ـ زوه ندوك : (٨٥٠) نسمة •

٣ ـ برش : (٨٠٠) نسمة •

٤ ـ خواكروك : (٥٠٠) نسمة •

٥ ـ مهاجرين : (٣٥٠) نسمة •

٦ ـ كرديو : (٤٢٠) نسمة •

(يسكنون منطقة برادوست ويبلغ عدد قراها (٥٠) قرية وبيوتها (١٠٠٠) بيت • (أنظر : امارة بهدينان ص ٢٠٣)) •

ك ـ ناحية ميرگه سور :

١ ـ شيروان : (٤٢٠٩) نسمة ويسكنون قرى ميرگه سور •

ل ـ ناحية بارزان :

١ ـ بارزان [٧٨] : (٧٧٧) نسمة في قرى بارزان •

٢ ـ السورچية [٧٩] : (٣٠٨) نسمة ينتشرون في قرى بارزان •

م ـ ناحية مزوري بالا :

١ ـ الشيرواني : (٨٠٠) نسمة ومركزها قرية (شيروانة) •

٢ ـ المزوري : (٩٤٠) نسمة ومركزها قرية (شيفي) •

٣ ـ الهركي : (٢٨٨) نسمة ومركزها قرية (هركي) •

٤ ـ البرزنجية : (٥٣٩) نسمة • وهم في قرى الناحية •

(٧٨) من فروعها : (بروش) و (شيروان) و (مزوري بالا) و (دولمر) • أنظر : امارة بهدينان العباسية • ص ٢٠٣ •

(٧٩) ومن هذه القبيلة فرع في قضاء العقر بين العقر والزاب الاعلى وهو مستقر يشتغل بزراعة الحبوب والرز والكروم وعدد قراه (٩٠) قرية وعدد بيوتها (٣٠٠٠) بيت انظر : امارة بهدينان ص ٢٠١ •

(٥)

العشائر الرحالة

أ ـ ناحية قوشتپة :

١ ـ بالكي : (١٢٠٠) نسمة • يتجمعون في اطراف مدينة أربيل ثم يرحلون الى الحدود العراقية الايرانية صيفا •

٢ ـ هركي : (٢٥٠٧) نسمة • يتجمعون في أربيل ويرحلون صيفا الى منطقة الحدود العراقية الايرانية •

ب ـ ناحية صلاح الدين :

١ ـ الهركي : (١٠٠٠) نسمة ترحل صيفا الى مصابوغ الكائنة في الاراضي الايرانية المتاخمة للحدود العراقية وتنزح شتاءً الى منطقة الزراري طلبا للرعي والمأوى ويسكن قسم منهم في قضاء عقرة والقسم الآخـر في الاراضي الايرانية •

٢ ـ الخيلاني : (١٩٧) نسمة • ترحل صيفا الى الاراضي الايرانية وفي الشتاء ترجع الى القرى العائدة الى عشيرة الگردي في صلاح الدين وقسم منهم في ناحية حرير •

جـ ـ ناحية حرير :

١ ـ الهركي : (١٠٠٠) نسمة ترحل صيفا الى مصائفها في الاراضي الايرانية وفي الشتاء تنزح الى القرى الواقعة في غرب ناحية حرير •

٢ ـ الخيلاني : (١٥٠٠) نسمة ، ترحل صيفاً الى مصايفها في الاراضي الأيرانية وتنزح شتاءً الى القرى الواقعة في غرب الناحية •

٣ ـ السورچي : (٣٥٦٦) نسمة ترحل صيفا الى مصائفها في الاراضي الايرانية المتاخمة للحدود العراقية وفي الشتاء تنزل الى مشاتيها الواقعة في ناحية حرير ، وتسكن مركز الناحية وقرية باطاس والقرى المجاورة لها والمنتشرة

في غرب مركز الناحية •

د — قضاء كويسنجق :

١ — مام سال يورجي : (١٥٠) نسمة ان هذه العشيرة رحالة وهي فخذ عشيرة سورجي • تحل في منطقة كويسنجق شتاء طلبا للكلأ وترحل صيفا الى الحدود العراقية الايرانية •

٢ — منتك سورچي : (٧٠٠) نسمة وكذلك هي فرع من (سورچي) تحل شتاءاً في منطقة كويسنجق وفي الصيف ترحل الى منطقة الحدود العراقية الايرانية •

٣ — بابولي : (٢٠٠) نسمة تسكن شتاءا في قضاء (رانية) وقسم منها في قصبة كويسنجق في منطقة عشيرة (گردي) وترحل صيفا الى المصايف الواقعة في (حاجي عمران) في منطقة (راوندوز) •

هـ — ناحية بالك :

١ — بولي : (١٠٠٠) نسمة تصطاف في منطقة (حاجي عمران) وتقضي شتاءها في قضاء رانية •

٢ — بابولي : (٦٠٠) نسمة محل اصطيافها في منطقة (حاجي عمران) وتقضي شتاءها في قضاء رانية •

٣ — آكو : (٥٠٠)نسمة محل اصطيافها في منطقة (حاجي عمران) وتقضي شتاءها في رانية •

٤ — بستتك : (٨٠٠) نسمة • أماكن اصطيافها في منطقة (حاجي عمران) وشتاءها في كويسنجق •

٥ — مام سال : (١٦٧) نسمة • اصطيافها في منطقة (حاجي عمران) وتنزح شتاءا الى عقرة •

الفصل الثاني

اهم المعالم والمواقع القديمة في اربيل

قلعة أربيـــل :

لعل من أبرز المعالم التأريخية في أربيل القلعة التي احتفظت بشكلها وبكونها آهلة بالسكان الى هذا اليوم ، وليس غريبا أن يسمي الاثريون أربيل من أنها من أقدم المدن الحية في العالم • يقع اليوم قسم من مدينة أربيل فوق التل (القلعة) الذي يشغل مساحة (٦٠٫٠٠٠) م٢ ويبلغ ارتفاعه حوالي (١٥٠) قدما وقطره (٤٠٠) ياردة (١) •

ويحتمل أن القلعـــة كانت اكثر ارتفاعا فيمـــا مضى وان قاراقلـــلا Caracalla الامبراطور الروماني الذي غزا أربيل بعد عودته من حملته على طيسفون في عام ٢١٦ م هدم ذروتها ونبش فيها القبور التي تعزي الى الملوك الفرثيين (٢) •

ويقـــال أن داريوس بعـــد خسارته الحرب أمام الاســـكندر سنة (٣٣٠ ق•م) اتجه نحو أربيل وترك في قلعتها كنوزه ثم هرب وقتل على يد بعض اتباعه (٣) •

وفي نهاية القرن الثالث الهجري اصطدم الهذبانيون في منطقة أربيل بنفوذ الدولة العباسية وقد احتفظوا بأمارتهم بأربل واتخذوا من قلعتهـــا

(١) رحلة ريج ص ٢٤٥ •
(٢) المرشد الى مواطن الآثار ص ٤ •
(٣) مدن العراق القديمة لدروثي مكاي وترجمة يوسف مسكوني بغداد ١٩٥٢ ص ١٤٧ •

كرسيا لامارتهم طيلة عهـد السيطرة البويهيـة على الطرق (٣٣٤ هـ / ٤٤٧ هـ) (٤) .

وتمتعوا باستقلالهم الى درجات متفاوتة في العصر السلجوقي الذي تلا العهد البويهي في العراق . وقدوصف ياقوت الحموي قلعة أربيل بأنها (قلعة حصينة ومدينة كبيرة في فضاء من الارض وبقلعتها خندق عميق وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية وجامع للصلاة) (٥) . وقد وصف قلعة أربيل كثير من المؤرخين والبلدانيين العرب .

ولا يمكن الصعود الى القلعة الا من درجين قديمين ومن درج ثالث فتح قبى حوالي أربعين عاما ، وكان الباب الرئيسي للقلعة برج عظيم كان منظره يدل على انه كان حصنا للقلعة ، وقد اتخذ هذا الحصن مـدة دار حكومة ومدرسة ومستوصف (٦) في الفترة الاخيرة . والقلعة ليست الا بقايا مدينة آشورية مهمة تعرف باسم (أربا — إيلو) مشيدة على تل أثري أقدم عهدا (٧) . ويروى أن التل كان مدفناً للپارثيين (الفرثيين) (٨) وليس من المستبعد أن يكون التل الذي هجره ساكنوه قد اتخذ مدفنا في العهـد الفرثي جريا على عادة الشرقيين في دفن موتاهم في الربوات ، ولا تزال

(٤) ابن الاثير . حوادث سنة ٢٩٣ هـ و ٤٣٦ هـ . وتأريخ الموصل جـ ١ ص ٩٦ — ٩٧ .

(٥) معجم البلدان جـ ١ ص ١٣٨ .

(٦) العراق قديماً وحديثاً ص ٢٣٨ . لقد هدم هذا الحصن أخيراً خوفا من انهياره .

(٧) مجلة سومر ٥ (١٩٤٩) ص ٣٢١ في مقال لناجي الاصيل .

(٨) الپارثيون : هي العائلة الحاكمة التي اعقبت الأخمنيين (٥٣٩ — ٣٣١ ق . م) وقد احتلوا العراق بين (١٤٠ — ١٣٥ ق . م) بعد طرد السلوقيين منه ، وقد استمر حكمهم الى سنة (٢٢٦ م) حيث قضت عليها العائلة الساسانية في ايران .

هذه العادة جارية الى الآن في المنطقة الشمالية من العراق (٩) •

كانت القلعة مسورة في العهود الاسلامية حيث كانت مركزا للسكنى وحصنا للدفاع عن المدينة التي بنيت فوق التل وعليها الابراج ، لم يظفر بها المغول في هجماتهم المتكررة مع أنهم ما فاتهم شيء من القلاع والحصون. وقد بقيت القلعة طيلة العهود القادمة التي تلت الاحتلال المغولي كحصن قوي للدفاع • وآخر ذكر للقلعة كمركز دفاع نسمعه عند احتلال نادر شاه لاربيل سنة (١٧٣٢) بعد مقاومة باسلة • وكذلك عند حملة نادر شاه الثانية لأربيل (ضمن حملة لاحتلال العراق) سنة (١٧٤٣) حيث حاصرها مدة ستين يوما ثم فتحها ، ثم تقدم نحو الموصل • وبعد ذلك بقليل مر سائح أجنبي من أربيل في سنة (١٧٦٦) فلم ير شيئا من استحكامات القلعة ولا حتى سور المدينة حيث قال : (انما اجتمعت عليها البيوت ولاسيما حول حافة التل بصورة متماسكة فلا يستطيع احد ان ينفذ خلالها الى داخل المدينة (القلعة) الا من داخل باب المدانة الحالي) (١٠) • وهناك سؤال هام وهو : كيف ؟ ومتى ؟ بنيت هذه القلعة ؟ ويجيب على هذا السؤال العلامة (أدوارد كيبرا) (١١) فيقول : « يوجد اليوم في العراق عدد من

---

(٩) لقد ذكر ما قام به الامبراطور (قارا قللا) في عام ٢١٦ م من نبش القبور التي تعزى الى الملوك الفرثيين • ويذكر المستر ريج أثناء زيارته لأربيل سنة (١٨٢٠) هذه الحادثة (بينما كان الحاج عبد الله بك يشيد بناية فوق الطنف ، أن اكتشف العمال لحداً فيه جثة لم تغير الايام معالمها ، ولكن الجثة لم تلبث أن تفتتت بعد أن تعرضت للهواء قليلاً •• أليس من المحتمل أن تكون تلك الجثة لأحد ملوك الفرثيين ؟) رحلة ريج ص ٢٤٥ •

(١٠) رحلة نيبور ص ٨٩ • لقد ذكرنا بأن هذا المدخل هدم أخيراً ويطلق محمد مهدي خان على أربيل اسم القلعة • راجع
Geschichte Nadir Schah , S . 364 .

(١١) كان (أدوارد كيبرا) استاذ علم الآشوريات في جامعة شيكاغو منذ سنة ١٩٢٧ حتى وفاته سنة ١٩٣٣ • وقد نقب كيبرا في مدينة (نوزي) (يورغان تپه) في الجنوب الغربي من كركوك بمسافة (١٣) كم •

المدن لا تزال آهلة بالسكان قد بنيت فوق مستوطنات قديمة ومنها مدينة أربيل ومدينة أربيل ومدينة كركوك ، أما الاولى : فيصعد المرء منحدرا طويلاً قبل أن يصل الى سطح التل الذي تقع عليه ، ولقد منعت الاسوار المرتفعة الارض الرخوة من الانهيار من الحاق الضرر بالمدينة القائمة في السهل ، ولذلك بقي التل في حالة جيدة وسلم من عوامل الانهيار مئات كثيرة من السنين ، ثم يستطرد فيقول : ان من يسير فوق قمة تل أثري يجد شواهد لآخر دور حضاري من تأريخ ذلك التل ، فان كان تأريخ قمة التل يعود الى الدور الفارسي (مثلا) فان هذا لا يعني ان كل شيء يحويه هو من ذلك الدور . فكلما نقب المرء في عمق اكثر ظهر له قدم المدينة . وفي الشرق حيث يحترس الناس من السكنى في الاراضي المستوية خوفا من مياه الفيضان ، لذلك كانوا يبنون (احتياطا) تلا صغيرا من الطين كي يرفعوا فوقه أسس البيت حتى تعلو بعض العلو فوق مستوى الارض ... فكانت البيوت تبنى باللبن وتطلى بالطين وتسقف بالقش وتغطى بطبقة سميكة من الطين الذي يمنع تسرب المطر خلاله ، وفي كل سنة عند انتهاء موسم الامطار يجدد طلي جدران البيوت بالملاط من الخارج ويغطى السقوف بطبقة ثانية من الطين ، وان جميع الطين المزاح من الجدران والسقوف بفعل الامطار تستقر في الشوارع والازقة ، فمن الطبيعي ان يرتفع مستواها عاليا بالتدريج . يضاف الى ذلك ان عمر البيوت المبنية باللبن قصير فبعد فترة قصيرة تحدث تجويفات في الجدران وتصبح نفقات ترميها اكثر من نفقات هدمها واعادة بنائها في نفس الموقع ، ولذلك يكون البيت الجديد الذي يبني على انقاض البيت القديم مرتفعا قليلا ، وفي خلال مدة من التطورات الطبيعية يرتفع مستوى الشارع تدرجيا . ويحدث أن حريقا ينشب في حي من المدينة فيدمره ويحدث كذلك ان يدمر عدو المكان كله ثم يهجره أو

يعيد بناءه في السنة التالية أو بعد مرور سنوات أو يسكنه قوم آخرون من جنس السكان الاصليين • وان مستوى ارتفاع المدينــة سيعلو بالبناء الذي يشيده المستوطنون الجدد على كل حال ، ويظل مستوى ارتفاع المدينة يعلو بهذه الطريقة باستمرار • ويصادف أحيانا ان تضيق المدينة القائمــة فوق التل بالسكان فتبدأ عندئذ عملية نزوح العدد المتزايد من السكان الذين يبدأون بانشاء مستوطن جديد في السهل : أسفل التل » (١٢) •

ولم تجر أية تحريات أو حفريات منتظمة في قلعة أربيل الى الآن • ومع ذلك فقد وجدت بعض الآثار المكتوبة فيها منها : لوح مكتوب لآشور بانيبال ، وتمثال برونزي مكتوب بذكر الآلهة عشتار والملك الآشــوري (آشوردان الثــالث ٧٧٢ ــ ٧٥٤ ق • م) (١٣) • ولا شك ان الحفريات العلمية في المستقبل في قلعة أربيل ستكشف لنا (وفق ما يذكره الاثريون) عن آثار تروى قصة الحضارات المتعاقبة التي شهدتها المنطقة •

منارة اربيل أو المنارة المظفرية :

وهي تقع الآن في الجهة الغربية الجنوبية من المدينــة ، وقد عرفت بالمنارة المظفرية نسبة الى مظفر الدين كوكبري الذي حكم أربيل وتوفي عام (٦٣٠ هـ / ١١٣٢ م) ويرتفع القسم الباقي من المنارة (٣٧) م وكانت تعلو جامعا في الاصل (١٤) • لقد لفتت المنارة ــ شأنها شأن قلعة أربيل ــ أنظار الجوابين والرحالة من العرب والاجانب • وقد ذكر نيبور في رحلته الى أربيل سنة ١٧٦٦ عن المنارة ما يأتي « وليس في أربيل آثار شاخصــة ما خلا بقايا جامع كبير يقع بعيدا عن القلعة وسط الحقول وهو من آثار

(١٢) كتبوا على الطين ص ٤٧ ــ ٥٠ •
(١٣) المرشد الى مواطن الآثار ص ٣ •
(١٤) نفس المصدر ص ٦ •

السلطان المظفر ، والمنارة القائمة بجانب الجامع قوية البناء وهي مبنية من الآجر والكلس •• ولها مدخلان ومرقاتان ويمكن الصعود الى قمتها الآن بسهولة أيضاً — ومدخلا المنارة متقابلان وباستطاعة شخصين الصعود اليها في آن واحد بدون أن يرى أحدهما الآخر حتى يصل برجها » (١٥) •

أما المستر ريج الذي زار المنارة سنة (١٨٢٠) قال عن جامعها (بأنه منهدم خرب) وقد نبشت أسسه كلها وأخرجت انقاضها وآجرها • وارتفاع المنارة (١٣١) قدماً ومحيط قطرها (٣١) قدماً وهي قائمة على قاعدة مثمنة طول كل ضلع منها تسعة أقدام وإحدى عشرة عقدة ويتراوح ارتفاعها بين الثلاثين والاربعين قدماً • وفي داخل قطرها درجان لولبيان لا اتصال بينهما حتى الشرفة (١٦) أو الصحن ، والصحن متهدم مع ما يعلوه من قمة المنارة التي لم يسلم منها الا بعض ما تبقى من الساق الذي يعلو الصحن عادة • والمنارة مشيدة على طراز منارة (طاووق) ويظهر أنها تعود الى عهد الخلفاء أو بالاحرى الى عهد أمراء اربيل • وكانت الخرائب تحيط بها • وهي اكوام من الانقاض كأنقاض بغداد القديمة » (١٧) •

إن بقايا الجامع التي شهدها نيبور ، والخرائب المحيطة بالمنارة التي شاهدها ريج لم يبق منها شيء ، وان الجامع زالت معالمه الآن وأصبحت أثراً بعد عين • إن المئذنة مشيدة بالجص والآجر وهي تشبه منارة سنجار ومنارة الجامع النوري في الموصل ومنارة (داقوقا) في كركوك التي يعود تأريخها الى ما بين (٥٤٣ هـ — ٥٨٦ هـ) كما أشار الى ذلك (سارة وهرتسفيلد)

---

(١٥) رحلة نيبور ص ٩٠ •

(١٦) لقد زالت هذه الشرفة والساق الذي يعلوها بفصل العوامل الطبيعية •

(١٧) رحلة ريج ص ٢٤٤ •

في رحلهما الاثرية (١٨) .

وصف المنارة :

يبلغ محيط قطر المنارة (٢١) قدماً وهي قائمة على قاعدة مثمنة مشيدة بالأحجار المهندمة ، طول ضلع كل منها تسعة أقدام وإحدى عشرة عقدة ويتراوح ارتفاعها بين (٣٠ — ٤٠) قدماً . وضلعان من المنارة باتجاه جدار المسجد بشكل مثلث خالٍ من الشرفات العمياء ، وفي داخل قطرها درجان لولبيان لا إتصال بينهما ، وكان يمكن الصعود الى قمة المنارة بسهولة سابقاً . ومدخلا المنارة متقابلان باستطاعة شخصين الصعود اليهما في آن واحد دون أن يرى أحدهما الآخر حتى يصل الى قمتها . ولكن هذين الدرجين قد إندرسا تقريباً ، وقد أُغلق البابان بصورة مؤقتة ، وقد أحدثت في قاعدة المنارة فتحة من عبث المارين بها . وقد سدت هذه الفتحة بعد الترميمات التي أجرت عليها مديرية الآثار القديمة في أوائل سنة ١٩٦٠ (١٩) .

ولعل خير من وصف النارة هو العلامة المؤرخ الالماني هرتسفيلد في أوائل القرن العشرين وانمخططه للمنارة الذي رسمه هو من أحسن المخططات الأثرية الخاصة بها وسوف نعتمد على هذا المخطط فيوصف الزخارف والنقوش الموجودة على المنارة .

ان كافة نقوش المئذنة من الآجر ، وتزين أوجه قاعدتها المثمنة شرف عمياء ذات عقد مدبب تزينها النقوش ، ويعلوها بالتوازي شرف أخرى مماثلة لها ، وقد تخربت اكثر زخارفها ، كما ان هناك شريطين : أحدهما في رأس المثمن عليه زخارف بشكل (Z) يقطعه في الوسط خط متواز وخطوط عمودية صغيرة (وهي المؤشرة في مخطط هرتسفيلد بالحر (E)) ويعلوه

(١٨) يراجع كتاب هرتسفيلد بالألمانية :

Sarre Und Herzfeld . Euphanat Und Tigris Gebiet . 1920 . P . 318 — 319 .

(١٩) سومر ١٦ (جزءان ١٩٦٠) ص ١٢٧ — ١٢٨ .

شريط آخر عليه زخارف بشكل حرف (X) (والمؤشرة بالحرف (A) في مخطط هرتسفيلد أيضا) [٢٠] .

البدن والشمعة : يقسم الجزء الباقي من شمعة النارة الى اربعة أقسام يفصل كل جزء من أجزائها شريط مزين بالزخارف ، أما الاقسام الاربعة فعليها زخرفة بخطوط هندسية منكسرة متداخلة على بعضها ، وعلى ما نظن ان كافة هذه الزخارف متغايرة الشكل ، وقد حدث بعض التخريب منها ، كما أن قطب المنارة قد تعرض للتلف . وان مديرية الآثار العامة سبق ان سيجتها وقامت بصيانتها ورمها كما ذكرنا في أوائل سنة ١٩٦٠ . ولعل التنقيب حول المنارة في المستقبل سيكشف عن أسس الجامع الذي تعود اليه هذه المنارة الرائعة . وأخيرا نقول ان بعض البلدانين العرب ومنهم القزويني سمى الجامع بـ (مسجد الكف) وقال : (ان به حجرا عليه طابع كف انسان) [٢١] . ومن الواضح انه يشير الى مسجد به طابع كف وتوجد أمثال هذه المساجد في العراق والجزيرة وفارس .

كاكزو ــ سعداوة :

لعل كاكزو (تل سعداوة) الواقعة في الطريق غير المعبد بمسافة (٢٥)كم الى الغرب الجنوبي لمدينة أربيل بلدة آشورية كان لها احترامها لدى الآشوريين. إذ كان ملوكهم يأتون اليها في مواكب ضخمة قاصدين معبدها وقد تحللوا من حلهم وزينتهم ومنها يقصدون أربيل للمثول امام معبدها التأريخي [٢٢] . وقد نقبت بعثة ايطالية برئاسة (المستشرق G . fuwanie)لموسم قصير في

---

(٢٠) أنظر : كتاب هرتسفيلد بالالمانية ص ٣١٨ ــ ٣١٩ .

(٢١) من المحتمل أن القزويني يقصد جامعاً غير جامع مظفر الدين . وإن كان جامع الأخير أشهر جامع في أربيل في عهد القزويني . أنظر : آثار البلاد وأخبار العباد ــ بيروت ١٩٦٠ ص ٢٩٠ .

(٢٢) العراق قديماً وحديثاً . ص ٢٣٩ .

عام (١٩٣٣) فوجدت فيها بقايا أبنية آشورية ومقبرة من العهد الفرثي ، وآجر (طابوق) مختوم باسم الملك سنحاريب واسم الموضع القديم (كاكزو) الذي بنى فيه هذا الملك حصنا له [٢٣] . والمعروف ان الطريق الذاهب الى ناحية الكوير تكثر على جانبيه التلول الأثرية من مختلف الادوار التأريخية حيث ينتشر على بعضها الفخار المعروف (باسم فخار نينوى) الطبقة الخامسة من بداية الألف الثالث ق.م . وكانت كاكزو مدينة آشورية هامة في زمن آشور ناصر بال الثاني [٢٤] لا تقل أهمية عن المدن الآشورية الاخرى .

منحوتة جبل حرير :

يمر الطريق من شقلاوة الى القرية المعروفة باسم حرير بين السهول والمرتفعات ثم في سهل خصب كثير الزروع والمياه هو سهل حرير باطاس الذي يطل عليه من الشرق سلسلة جبال حرير ، ويشاهد من هذا السهل عدة تلول أثرية من مختلف العصور وبعد مسافة أقل من (٤٠) كم يصل الطريق الى مركز ناحية حرير ، ويوجد عند حرير طريق جبلي قديم يرتقى له الى قمة جبل حرير ولعله كان الطريق الرئيسي لعبور هذا الجبل الى راوندوز . وبعد مسافة (٢) كم من حرير يشاهد المسافر على يمينه في الجبل منحوتة منقوشة في الصخر على ارتفاع نحو ٥٠ م وطول هذه المنحوتة (٥ر٢ م) فيها صورة شخص واقف يرتدي في رأسه قبعاً مخروطي الشكل ويلبس ثوبا على هيئة سروال وبجانبه رمح طويل ، وقد مد ذراعه اليمنى الى الامام . ولا يعلم زمن هذه المنحوتة بالضبط ولكن يحتمل كثيراً انها من العصر الفرثي بالاستناد الى طراز النحت والزي فيها [٢٥] .

---

(٢٣) المرشد الى مواطن الآثار . ص ٧ .

(٢٤) نفس المصدر ص ٢٧ في (٨٨٢ ق . م) جمع هذا الملك عساكره في كاكز لمهاجمة أودية الزاب الاصغر كلدو — (١ / ٦٢) .

(٢٥) نفس المصدر ص ١٢ — ١٣ .

كهف شانيدر :

تدل التحريات الاثرية التي قام بها العلماء المختصون في الآثار ان المنطقة الجبلية من أربيل قد سكنها الانسان الاول منذ زمن سحيق ، ولعل كهف شانيدر الواقع في جبل برادوست أقدم كهف في العراق من العصور الحجرية القديمة ٠ يرتفع الكهف (٢١٠٠) قدم عن سطح البحر ويبعد حوالي (٤٥) كم من خليفان [٢٦] ، ويبعد نصف ميل من الضفة اليسرى للزاب الأعلى ٠ ويمكن الوصول الى الكهف مشياً أو على الحيوانات من مخفر شرطة شانيدر (الواقع في قرية شانيدر) بمسيرة ميل ونصف الميل الى الجهة الشمالية الغربية بتسلق سفح الجبل لمدة (٤٠) دقيقة ٠ ثم نصل الى الكهف بارتفاع (٩٠٠) قدم عن الطريق ، وتتجه فتحة الكهف الى الجنوب فتدخل فيه أشعة الشمس ساعات كثيرة في كل يوم ولا سيما في الشتاء مما جعل الكهف أحسن ملجأ للانسان منذ العصر الحجري القديم الى يومنا هذا ٠ ويمتاز هذا الكهف بوقوعه بالقرب من موارد المياه الدائمة ٠ ان كهف شانيدر من أوسع الكهوف في شمالي العراق وهو على شكل مثلث يبلغ عرض فتحته (٨٢) قدماً وارتفاعها (٢٦) قدماً ويتسع عرضه في الداخل فيصل الى (١٧٥) قدماً [٢٧] ويرتفع سقف الكهف في الوسط بنحو (٤٥) قدماً من الارضية الحالية ويتلاشى سقفه في نهاية الكهف الواقعة بمسافة (١٣٠) قدماً من الفتحة وهذا هو عمقه ٠ لقد ظهر من التحريات (١٩٦٠) انه توجد فتحة مسدودة في نهاية الكهف تؤدي الى كهف آخر لم يجر فيه التحري لحد الآن ٠ بدأ التنقيب في هذا الكهف من قبل مديرية الآثار العراقية سنة ١٩٥١ ثم تولى

(٢٦) خليفان : قرية تبعد (٢١) كم من بلدة حرير ويمر فيها أحد فروع الزاب الأعلى وهي بمسافة (٢ كم) عن مدخل المضيق الشهير باسم (گلي علي بك) ٠

(٢٧) المرشد الى مواطن الآثار ص ١٣ — ١٤ ٠

المعهد السمشوني الاميركي برئاسة (رالف سوليكي) في مواسم متقطعة آخرها عام (١٩٦٠) ، وتنتيجة التحريات ظهرت : ان هناك طبقات للسكن في أرضية الكهف من أحدث العهود الى أقدم استيطان يرقى الى أحد أدوار العصر الحجري القديم المعروف باسم (الدور المستيري) حيث تنتهي بقايا السكنى الى الارضية الاصلية الصخرية بعمق (٤٣) قدماً •

وقد عرفت منه الادوار الكبرى الآتية :

١ ـ الدور المستيري : وهو أقدم دور فيه وبدايته (٥٠ ـ ٧٠) ألف سنة •

٢ ـ الدور الأورغنشي : وأطلق عليه هذا اسم الدور البراد وستي وتؤرخ بدايته بنحو ما قبل (٣٠) ألف عام •

٣ ـ دور من العصر الحجري القديم يتميز بدقة آلاته الصواتية المعروفة باسم (المايكروليثي) ويعرف باسم (الدور الحجري الوسيط) وهذا يضاهي ما وجد في كهف (زرزي) قرب مركز ناحية (سورداش) حيث أطلق عليه اسم (الدور الزرزي) ، ويرجع تأريخه الى ما قبل نحو اثني عشر ألف عام •

٤ ـ وفي الطبقة العليا من الكهف وجدت أدوات من الصوان وأثار حجرية أخرى تؤرخ من بداية العصر الحجري الحديث قبل نحو عشرة آلاف عام • ويماثل آثار هذا الدور ما عثر عليه في موضع « زاوي جمي » الذي سيأتي الكلام عليه • ووجدت أثار من العهود المتأخرة في الاجزاء العليا من هذه الطبقة •

ووجدت في طبقات هذا الكهف هياكل عظمية على غاية من الاهمية منها ما وجد في طبقات الدور المستيري حيث عثر على نحو سبعة هياكل من انسان (نياندرتال) ، وهو وهو نوع من الانسان البائد الذي يختلف عن

وع الانسان المسمى (هوموسابيان) أي الانسان العاقل بينها هيكل طفل
ن النوع ذاته • وتعد هذه الهياكل أقدم ما وجد من أنواع الانسان في العراق
حد الآن ولكن عثر في (برده بلكه) [٢٨] مثلاً على أدوات حجرية صنعها
نسان بائد آخر (من الدور المعروف باسم « الآشولي » عاش قبل نحو مائة
لف عام ولما يعثر على نماذج من هياكله •

وعثر أيضاً في الطبقات العليا على مجموعة من الهياكل العظيمة من أوائل
الدور الحجري الحديث وهي تختلف اختلافا كبيراً عن هياكل انسان النياندرتال
لمذكورة اذ أنها نوع من الانسان العاقل (الحديث) • ودلت الدراسات
لمختلفة في التأريخ الجيولوجي للكهف وبنتيجة فحوص تربته على أن مناخ
العراق في هذا القسم منه كان يختلف كما هو عليه الآن • فقد مرت فترة
جيولوجية عمت فيها الرطوبة والحرارة بحيث أن أنواعاً من النخيل كانت
عيش في المنطقة كما دل على ذلك ما وجد من غبار الطلع للنخيل في تربة
لكهف [٢٩] •

زاوي جمي :

يوجد في ضفة الزاب الأعلى بالقرب من مخفر شانيدر موضع أثري
يعرف باسم « زاوي جمي » • دلت التحريات الاثرية التي أجرتها بعثة شانيدر
فيه على وجود أقدم أطوار العصر الحجري الحديث ، وانه بذلك يمثل لنا
أقدم قرية فلاحية من الزمن الذي تعلم فيه الانسان الزراعة وتدجين الحيوان،
ولعل هذه القرية تمثل لنا أول أطوار هذا الانقلاب العظيم الذي حدث في

(٢٨) على بعد (٤) كم من جمجمال يشاهد الزائر على يمينه صخرة قائمة تعرف بهذا الاسم وتقع على نحو (٣٠٠) م من الطريق في الشمال الشرقي • وقد وجدت حول هذه الصخرة أدوات حجرية بهيئة فؤوس من العصر الحجري القديم قبل نحو مئة ألف عام •

(٢٩) المرشد الى مواطن الآثار • ص ١٩ و ٢٠ •

حياة الانسان وهو إنتقاله من طور جمع القوت وسكنى الكهوف الى طور اتناج القوت بزرع الحقول وتربية الماشية • ولم يعثر في طبقات هذا الموضع على فخار مما يدل على قدمه وعلى انه سبق طور تعلم الانسان لصنع الفخار والجدير بالذكر انه عثر في طبقات هذا الموضع على مجموعات كبيرة من عظم الحيوانات المختلفة وكان قسم كبير منها لحيوانات دجنها الانسان • ودلت هذه التحريات على أن الماعز كان أول حيوان دجنه العراقيون القدماء بعد الكلب ثم أعقب ذلك الغنم والبقر • وقد سبق ذكره انه وجد في كهف شانيدر ما يضاهي آثار هذا الموضع • كما وجدت مجموعة من الهياكل العظمية في الطبقات العليا في كهف شانيدر تعود الى أهل (آزوي) جمي • وتقتصر آثار هذا الموضع على ذلك الطور القديم من العصر الحجري الحديث باستثناء بقايا قليلة في سطح التل من العهود العربية الاسلامية المتأخرة (٣٠) •

كهوف (هوديان وديان وبيستون وبيخال) :

١ — هوديان : بمسافة (١٣) كم من خليفان وبعد عبور مضيق كلي علي بك يوجد طريق فرعي الى اليسار عند قرية بافستيان يتجه في الاتجاه الشمالي الغربي الى مركه سور مركز ناحية بارزان فيمر من بعد بافستين بمسافة يسيرة بقرية اسمها (هنديان) وعندها كهف كبير يعرف باسمها • وهو ملجأ للرعاة شتاءً ويشاهد من مسافات بعيدة من الطريق الرئيسي • وقد وجدت فيه آلات صوانية من العصور الحجرية خاصة من العصر الحجري الوسيط المعروف بآلاته الصوانية الدقيقة •

٢ — ديان : ويوجد في جبال برادوست في موضع على مسيرة أربع ساعات على الحيوانات كهفان أحدهما يسمى « ديان » والآخر « بيستون » يقعان في وسط الجبل • وقد عثر فيهما على بقايا سكن من العصر الحجري

(٣٠) المرشد الى مواطن الآثار ص ٢٠ •

الحديث والأدوار التالية له من عصور ما قبل التأريخ بنتيجة التحريات التي أجراها فيهما « هنري فيلد » في عام ١٩٥١ • ويوجد في قاع كل منهما شق عميق الغور تنساب فيه المياه الى أعماق غير معروفة كما توجد فيهما بكثرة الظاهرة الطبيعية المألوفة في الكهوف وهي الترسبات الكلسية المعروفة بالاستلكتايت والاستلكمايت •

٣ — كهف بيخال : ويوجد كهف آخر شمالي قرية هفديان يعرف باسم بيخال أجرت فيه التحري في عام ١٩٥٥ بعثة من جامعة شيكاغو فوجدت في أضية بقايا سكن من طبقتين أقدمهما من الدور المستيري (ما قبل ٥٠ ألف سنة) وفوقها طبقة من الدور الزرزي (ما قبل اثني عشر ألف سنة) •

٤ — يتفرع الطريق قبيل جنديان طريق الى اليسار يتجه شمالاً فيصل بعد مسافة ٥ كم الى قرية (ديانا) الواقعة في نهاية السهل المعروف باسمها ، ويمر منها أحد فروع الزاب الكبير وينتهي طريق السيارات عندها • والى الجنوب الغربي من ديانة بمسافة نحو كيلو متر واحد تل أثري اسمه (گرد بناهلك) ارتفاعه نحو خمسة أمتار وهو بيضوي الشكل (١٥٩ × ١٠٠م) ولقد تحرته بعثة من جامعة شيكاغو عام ١٩٥٤ فوجدت فيه مجموعات من الفخار يقتصر دورها على عهد حلف (نحو ٥٠٠٠ ق • م) • ويوجد أيضاً في سهل ديانا تل كبير يشاهد من الطريق الرئيسي اسمه گردمزن (أي التل الكبير) فتيسر عليه فخار العهد الآشوري والمرجح أن يكون مركزاً لادارة هذا السهل •

مسلتا طوبزاوة وكيله شين :

تقع هاتان المسلتان في الزاوية الشمالية الشرقية من المنطقة الجبلية (منطقة برادوست) وعليهما كتابة بالخط المسماري وبلغتين أولاهما الآشورية

وثانيتهما الارارتية أو الخلدية وهي اللغة المحلية لا عالي بلاد (نائيري) (١)
ومنطقة بحيرة (وان) وان بلاد أرارتو التي هي قسم منها بلاد أرمينيا الحالية

والمسلتان إقيمتا على طريق القوافل المؤدي الى بحيرتي (أرمياووان
التي تدعى اليوم بآذربيجان ومن ثم الى بلاد أرارتو أو خلديا الواقعة شما
بحيرة وان وغربها • وكانت بلاد آشور تتصل بهذا الطريق غير طرق أخر
غير التي ذكرناها وهي طرق (الداودية والعمادية ودهوك فمدينة نينوى
وكانت القوافل التجارية تحمل عن هذا الطريق الى آشور المعادن الخ
كالنحاس والحديد والقصدير الضرورية لصناعة الاسلحة وكذلك المو
الغذائية والفرو والجلود والاقمشة والاخشاب • فلتأمين هذه الحاجيات كا
الآشوريون يعملون على تأمين هذا الطريق والاحتفاظ بهذه المناطق ولكنه
لم ينجحوا في ذلك طويلاً • حيث بزغت دولة جديدة من وراء بلاد (نائيري
ومن بين جبال أرارات وهي الدولة الخلدية التي دوخت الآشوريين
واستنفذت قواها العسكرية زهاء قرن كامل لدرجة لم تعد معها قادرة عل
صد الهجوم الخارجي في أواخر القرن السادس ق • م • فانهارت أما
الميديين والبابليين •

وقد حكم هذه الدولة الجديدة اكثر من عشرة ملوك وكان (سردو
الثالث) آخر ملوكها حيث سكت التأريخ بعده عن ذكر هذه الدولة الت
ظهرت في أواسط القرن التاسع ق • م واختفت فجأة في أواسط القرن السا
ق • م • ومن المحتمل أنها زالت على يد الميديين الذين ظهروا حوالي القر

(٣١) كان شعب (نائيري) يعيش في شمالي كردستان وبعد ظهو
الارارتيين إضطروا الى الهجرة من جنوب (وان) إلى الجهات الغربية
والجنوبية ، مما أدى الى تشكيل بعض امارات عرفت في عهد الآشوريين باسـ
(نايري) وهذه الامارات كانت خاضعة على العموم لسلطان (أرارتو) أ
الخلديين • تأريخ الكرد ص ٥٧ •

السابع ق • م في منطقة آذربيجان الشرقية واتسع سلطانهم فشمل بلاداً واسعة وعملوا يداً بيد مع البابليين للقضاء على الدولة الآشورية •

مسلة طوبزاوة :

تقع مسلة طوبزاوة على مسيرة (٢٠) دقيقة من قرية (سيده كان) على يمين الطريق المؤدي الى ممر كيله شين ولولان • وقد نصبت المسلة في فجوة من الارض منبسطة تطل على وادي عريض كثيف بالاشجار • ويروي الرحالة وجود قرية تدعى بنفس الاسم قرب المسلة خلال القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين • والقرية لا يوجد لها ذكر اليوم •

والمسلة قطعة من البازلت مستطيلة ركبت على قاعدة من مادة الحجر مستطيلة الشكل يبلغ طولها (٣٣ سم) وطول قاعدتها (١١٦ سم) وعرضها (٩٢ سم) وسمكها (٣٣ سم) ويسميها أهالي المنطقة بـ (كيله گاور) أي نصب الكفار • وضعت المسلة في الطريق العام الذي يصل سيده كـان بممر كيله شين وهو نفس الطريق الذي سلكه الخلديون للاتصال بين بلادهم وبلاد مصاصر (راوندوز) • والمسلة قسمها الأعلى مستقيم خال من التحدب وفي حافته تهشمات • ويعتقد الأثري (ليمان هاوبت) : ان قسمها الاعلى قد تعرض للكسر أثر احتلال سرجون الآشوري للمنطقة لانه يحتوي عبارات إهانة لكرامة الآشوريين • أول من اكتشف المسلة هو الجنرال (رولنسون) في سنة ١٨٤١ • وزارها بعد ذلك (آكزيميني) • ثم الدكتور (پلاو) في سنة زيارته لمسلة كيله شين ثم العلامة (دي‌مورجان ـــ Demorgan) في سنة ١٨٩٤ • ثم زارها العلامة (ليمان) ونشر نصوصها حيث أجرى عليها علماء اللغات القديمة دراسات أصبحت مفتاحاً لمعرفة اللغة الخلدية • وأحسن دراسة عن المسلة نشرها العلامة الفلولوجي (دي تسير تيلي) • تكسو وجهي المسلة وجانبيها كتابة بالخط المسماري بلغتين الآشورية والخلدية ، وقد

أصابها بعض التشويه ولكن علماء اللغات استطاعوا قراءة ما كتب ومعرفة تاريخ نصبها وسبب نصبها . وهذا هو ملخص الترجمة الآشورية للنص الخلدي وقد جاء بسبعة وثلاثين سطراً : « ان أرزانا ملك بلدة ومقاطعة مصاصر طلب نجدة (روسا) أرسا بن الملك الخلدي (سردور) للمحافظة على حياته والتخلص من سلطة الآشوريين وتحالف معه ... وقد قيل روسا تحالف (أرزانا) فثبته ملكاً على مصاصر وعزز مركزه فيها . وفي هذه السنة عندما كان روسا في مصاصر توجه مع ملكها الى معبد الآلهة ، الذي حلف يمين الولاء للملك الخلدي .. ثم أقام روسا معبداً للآله خلديا في مصاصر ووقف أرزانا ومعه جيوشه وسلم جميع ما عنده من القوات للملك روسا .. ولما خاطبه الاله خلديا وأمر بالهجوم سار روسا عبر جبال بلاد آشور ولما إنتهى من مهمة طرد الحامية الآشورية من جبال مصاصر أقام الافراح في بلدة مصاصر (١٥) يوماً ثم عاد روسا الى بلاده » . وتنتهي الكتابة بالعبارة التالية : « أنا روسا خادم الآله خلديا .. أحرزت النصر بمساعدة الآلة خلديا وقوات جيوشه التي لا تعرف الخوف ضد المقاومين .. حيث أعطاني القوة والسيادة وجعل سنوات حكمي أفراحاً فحكمت بلاد أرارتو وجزءاً من بلاد العدو .. ان كل من يزيل أو يحطم فان الآله خلديا والآله أداد والآله شماش تقطع نسله وتبيد اسمه » .

ومما يذكر ان روسا ورد اسمه في حملة سرجون الثامنة الى بلاده في حدود سنة (٧١٧ ق . م) حيث انتصر سرجون عليه ودمر مدينة (تشبا) وان عاصمته وكذلك دمر بلاد مصاصر . وان أرزانا هرب وروسا انتحر بخنجره بعد أن بلغه تدمير مصاصر وأسر الهة خلديا [٣٢] .

(٣٢) سومر ٨ (جـ ١ ١٩٥٢) في مقال للدكتور محمود الأمين . وبالنسبة الى حملات الآشوريين للمنطقة أنظر : Luckenbill !

Ancient records of Assyria

جـ ١ ص ٥٦٨ — ٥٨٨ .

مسلة كيله شين :

وهذه المسلة تقع في الفجوة الواقعة في نهاية الوادي المنحصر بين سفوح جبال سيكاو (١١٧٢٥ قدم فوق مستوى سطح البحر) والمرتفعات الايرانية والممتدة تجاه الشمال الغربي ، فوق مرتفع من الارض قليل ووسط ميدان فسيح عند مدخل جبلي يبعد عنها بمقدار (٣٠٠) ياردة . والمسلة من البازلت رمادية اللون . وقد نحتت في بلاد خالديا ودونت عليها الكتابة ثم نقلت الى هذا المكان ونصبت عند مدخل المضيق . تحمل المسلة على وجهيها كتابة مسمارية بلغتين الارارتية وتتكون من (٤١) سطراً والآشورية وتتكون من (٤٢) سطراً . طول المسلة حوالي المترين وعرضها (٦٠) سم وسمكها (٣٠ سم) . وقد ارتكزت على قاعدة مربعة الشكل ، ونحت قسم المسلة الاسفل بشكل نهاية أبواب البيوت القديمة المرتكزة على صنارة ثم أدخلت في شق مستطيل قطع من القاعدة وباتجاه الشمالي الغربي أي باتجاه بلاد مصاصر وآشور .

ان أول من اكتشف المسلة هو الراهب الالماني (شولتز) في سنة ١٧٨٠ فاستنسخ الكتابة ولكنه ذبح من قبل سكان المنطقة وفقدت بذلك تقاريره . وفي سنة ١٨٤١ زارها الجنرال (رولنسون) ونشر أوصافها في لندن في نفس السنة . وفي سنة ١٨٥٨ زارها الدكتور (بلاو) وأخذ لها قالباً حين تمكن العالم الفلولوجي (سايس) المختص بدراسة اللغات القديمة من دراسته ونشر نصوصها . وفي سنة ١٨٩٠ زارها الدكتور [دي مورجان] مع زوجته وبصحبة الاب (فازلن) Vaselin فاستنسخ الكتابة وصورها حيث قرأها العلامة (شيل) ونشرها . ثم زارها الاثري (ليمان هاوبث) مع (بلك) وذلك ضمن الرحلة لبلاد أرمينيا ونشر عنها دراسة منفصلة . وظهرت نتيجة الدراسات أن المسلة تعود للملك الخالدي إشبوئيني

(من القرن الثامن ق • م) فكانت مفتاحاً لمعرفة اللغة الخلدية عن طريق الترجمة الآشورية للنص الخلدي •

تأريخ المسلة ومضمون النص :

كان الآشوريون يعتبرون بلاد (نائيري) ومصاصر (راوندوز) منطقة نفوذ لهم • ولكن بعد ظهور الدولة الخلدية كقوة سياسية اصطدموا بهم وبعد ضعف الآشوريين استطاع الخلديون انتزاع هذه المناطق منهم • ففي زمن اشبوئيني زحف الخلديون نحو الجنوب ودخلوا مصاصر • وقد أقام هذا الملك وابنه (منوا) مسلة لتخليد انتصاراتهم • وقد عاصر الملكان الملك الآشوري شمشي أداد الخامس (حكم نمرودبين ٨٢٨ — ٨١٠ ق • م) • ولكن نجهل تأريخ احتلال المنطقة وتأريخ نصب المسلة : لان المسلة بنصيه لم يذكر اسم الملك الآشوري الذي في عهده نصبت المسلة وتم هذا الانتصار، ولكننا نعرف أن الملك الآشوري المذكور جهز في السنة الثامنة من حكمه حملة عسكرية على بلاد (نائيري) وبلاد (آرامي) وانه دمر وأحرق (٥٠٠) مدينة (قرية) في المنطقة • إن مضمون النص الآشوري ترجمة للنص الخلدي وهو كما يلي « ان الملك اشبوئيني بن سردور الملك العظيم وسيد مدينة تشبا (وان) امتثل هو وابنه أمام الاله خلديا في مدينة مصاصر •• فشيدا اله معبداً ثم أقاما هذه المسلة التي تشهد كتابتها على قيامهما لتشييد المعبد •• وقدموا الهدايا الثمينة من الاسلحة والأواني أمام مدخل معبد الآله خلديا ، الرب لكي يطيل أيام حياتهما ثم قربا له (١١١٢) عجلاً و (٩١٢٠) خروفاً و (١٢٤٨٠) غنمة• ولما حضروا فيمدينة مصاصر ذهب اشبوئيني ابن سردور الملك العظيم ملك العالم ملك بلاد نائيري وسيد مدينة تشبا (وان) الى معبد الآله خلديا ووضع القرابين له بأسمه للسكان على قارعة الطريق وعند أبواب المعبد • وذلك للانتصارات التي توجه بها وادامة نسله في الحياة الدنيا •••

إن كل من يخرب هذه الكتابة أو يلحق بها الاذى فان الآله خلديا والآله أداد والآله شماش آلهة مدينة مصاصر تمحى نسله من الارض » (٣٣) .

تلول مخمور :

في منطقة مخمور وفي سهلها الزراعي توجد تلول أثرية ، وقد قامت مديرية الآثار القديمة في عام ١٩٤٩ باستكشاف بعضها منها تل (إبراهيم بايز) و (كاولي كندال) حيث وجدت مستوطنات آشورية على بقايا من عصور ما قبل التأريخ (٣٤) .

صاتو قلعة :

وجد في أثري واسمه (صاتو قلعة) على الزاب شمال طقطق آجرات مختومة بخط مسماري تذكر اسم موضع قديم بصيغة (آري) واسم ملك شيد فيه قصراً واسم اقليم هذه المملكة . ولعل كويسنجق كانت تابعة الى الاقليم المذكور في الآجرات المكتوبة (٣٥) .

تل قالينج آغا : يقع هذا التل الى الجنوب من مدينة أربيل في جوار ملعب الأدارة المحلية الرياضي ، ويعلو الشارع بما يزيد عن سبعة أمتار . وقد كشفت التنقيبات التي قامت بها مديرية الآثار القديمة منذ سنة ١٩٦٥ عن جملة آثار هامة دلت على أن هذا التل سكن خلال الالفين الخامس والرابع قبل الميلاد (حلف والعبيد والوركاء) من عصور ما قبل التأريخ ، وربما هجر المكان نهائياً في أوائل الالف الثالث قبل الميلاد . وقد كشفت عن ست طبقات متعاقبة من دور الدركاء . ووجدت لقى كثيرة من الفخار والأختام المنبسطة والحلي والخرز المستعملة للزينة ، ومنها الاحجار الكريمة مثل اللازورد

---

(٣٣) سومر ٨ (ج ١ ١٩٥٢) .
(٣٤) المرشد الى مواطن الآثار ص ٨ .
(٣٥) نفس المصدر . الرحلة الرابعة ص ٣٧ .

والعقيق والشذر • وقد ضمت القبور المحفورة تحت الارض قلائد وحلي وتماثيل صغيرة من الطين بهيئة نساء حوامل وبوضعية الجلوس • وظهر ان ساكني التل كانوا يدفنون الاطفال بجرار كروية الشكل ذات فوهات واسعة حيث يوضع فيها الطفل المتوفي • ومن بين الآثار المكتشفة في التل عشرات من الصور الحيوانية المجسمة ومئات من المغازل الطينية باشكال مخروطية ، وملابس نساء وأطفال مطرزة بخيوط عديدة ومنقشة بأحجار ثمينة وخرز وصدف في أطرافها واكمامها أو في وسطها • ووجدت رؤوس عجول مصنوعة من الطين بقرنين صغيرين ، ويعتقد ان السكان كانوا يقدسون العجول او الثيران •

ولعل أهم ما تم الكشف عنه هو البقايا المعمارية السكنية • وكانت المنطقة السكنية منقسمة الى حيين سكنيين واسعين شرقي وغربي ويخترقهما شارع رئيسي طوله اكثر من ستين متراً وعرضه (٢ — ٣) متراً ، وينتهي بحارة واسعة تتناثر في طرفها التنانير وأفران الخبز ، كما يتفرع في منتصف هذا الشارع طريقان أقل منه طولاً يتجهان شرقاً وغرباً ، وكانت الطرق مرصوفة بالحصى الناعم •

ويعتبر المعبد من أجمل وأبرز أمنية المنطقة الشرقية • وكان عبارة عن غرفة طويلة تحف بها في الجانبين غرف أصغر منها حجماً ، اثنتان في كل جانب وتؤدي أبوابها جميعا الى الغرفة الوسطية الكبيرة والتي تعتبر المصلى • وكانت أضلاع المعبد وزواياه من الخارج مزينة بدعامات من نفس مادة البناء لتكسبه طابعاً هندسياً جميلاً اضافة الى زيادة متانة البناء • ومما يزيد في جمال المعبد هو صبغهم لجدرانه الداخلية بطلاء أبيض ، وكان هناك أفريز منقوش في أسفل الجدران باللونين الاحمر والاسود (٣٦) •

(٣٦) سومر ٢٥ (١٩٦٩) •

الفصل الثالث

اربيل في العصور التأريخية القديمة

من العهد الاكدي حتى سقوط نينوى ٦١٢ ق ٠ م

الأسم :

إسم أربيل قديم ورد بكثرة في الكتابات التأريخية من مختلف العهود ولعل أربيل المدينة الآشورية الوحيدة التي ظلت مستوطنة ومحتفظة بأسمها القديم الى يومنا هـذا ، والمرجح ان أقدم ذكر لها كان في كتابات الملك السومري شولكي (نحو ٢٠٠٠ ق ٠ م) بصيغة (اوربيلم urbilum) ووردت أيضا بهيئة (أربيلم) بالفتح وانها كانت ضمن أمبراطورية سلالة أور الثالثة ٠ وجاء ذكرها أيضا في الكتابات البابلية والآشورية بصيغة « أربا — إيلو » التي تعني أربعة آلهة ٠ واشتهرت بكونها من مراكز عبادة الآلهة الشهيرة عشتار التي نسبت إليها فعرفت باسم « عشتار أربلا » وورد اسم معبدها في أربيل في الكتابات المسمارية بصيغة (أي — كشان — كلاما E -- kashankalamma) ومعناها بيت سيدة الأقليم وكان مركزا للفأل بطريقة فحص الكبد كما كان فيها معبد للاله آشور [١] ٠

ومدينة أربيل التي تقع بعد متساوٍ تقريبا من النهرين اللذين يعرف كل منهما باسم الزاب هي منذ القدم قصبة هذا الاقليم الذي يحده من الشمال والجنوب هذا النهران ٠ وقديما كان هذا الاقليم يسمى باسم العاصمة فكان

(١) المرشد الى مواطن الآثار ٠ الرحلة الخامسة ص ٣ ٠

يقال له (أربليتس Arbeletis) أو باسم الزابين فكان يقال له (أديابين — Adiaben) وحدياب [٢] عند أهل الشام ولعله مشتق من كلمة (زابين) فان الزاب في الآرامية يلفظ بشكل (ذب) فيكون معنى (حدياب وأديابينا) أقليم الزابين • واقليم حدياب يكاد يطابق من الناحية الجغرافية الجزء الاكبر من بلاد آشور القديمة حتى سمى أحياناً باسم مرادف هو (آشوريا) أي بلاد آشور [٣] •

أما النقوش الفارسية المكتوبة بالخط المسماري فسمتها باسم (أربيرا) [٤] • Arbera) وسمتها المصادر اليونانية القديمة باسم (أربيلا) [٥] • أما المصادر العربية والبلدانيون العرب فقد سموها باسم اربل أو (حزة) التي لعلها مصحفة مع إختزال عن حدياب ، ويسمى الاكراد مدينتهم (هولير) • ويقال : ان الكلمة اشتقت هكذا (أربيلا — أربيل — أرويل — أوربل — هوربيل — هولير) • ويسمى الناس أربيل اليوم (أربيل — أرويل — أولير — هولير) والصيغ الثلاثة الأخيرة هي حسب نطق الافراد لاسمها [٦]•

تأريخها القديم :

لعل أول ذكر لأربيل يردنا هو من العهد الاكدي (٢٣٥٠ — ٢١٥٠ ق • م) وكانت الدولة الاكدية قامت على أنقاض دويلات المدن السومرية (٣٠٠٠ — ق • م) التي إزدهرت في عهد فجر السلالات • وكان العهد الاخير قد إنتهى بقيام أحد الملوك السومريين المشهورين وهو (لو كال زاكيزي) الذي نجح بعد قضائه على سلالة مدينة (لجش) المجاورة لمدينة (أوما)

---

(٢) عرفت بهذ الاسم في العهد الفرثي (١٤٨ ق • م — ٢٢٦ ق م) •
(٣) المرشد ص ٤ •
(٤) العراق قديماً وحديثاً ص ٢٣٧ •
(٥) المعارك الفاصلة لحنا خباز — بغداد ص ٣١ •
(٦) سومر ٨ (١٩٥٢) بشير فرنسيس وگوركيس عواد •

في توحيد دويلات المدن في مملكة واحدة ، ولكن ذلك لم يدم زمناً طويلاً حيث ظهر في البلاد زعيم من الساميين هو سرجون الآكدي الذي كون من العراق مملكة موحدة بعد أن قضى على (لو كال زاگيزي) وسمي نفسه بملك سومر وآكد . ولم يقتصر أمر هذه المملكة على العراق بل انها شملت معظم أجزاء الشرق الأدنى نتيجة فتوحات سرجون وخلفائه الخارجية (٧) .

ويظهر أن فتوحات سرجون الأكدي وصلت أربيل لغرض الاستيلاء على طرق الموارد التي كانت تأتي عن طريق الشمال الى الوسط والجنوب (٨) . وقد سار حفيده (نرام سين) على طريقته في التوسع والفتح ، حيث ترك لنا ما يعرف بـ (نصب النصر) وقد مثل فيه الملك نرام سين وهو على رأس جيشه المنتصر في منطقة جبلية في الشمال الشرقي من العراق (٩) . وكانت الفتوح الأكدية تهدف بالدرجة الاولى الى السيطرة على البقاع الغنية بالموارد الأولية . كالمعادن والأحجار والخشب اذ كان الحصول على هذه الموارد الضرورية لحضارة العراق غير مضمون دائماً بالتجارة والتبادل كما في العصر السابق أي عهد دول المدن السومرية التي كانت في نزاع دائم فيما بينها . وبهذا يكون الفتح الآكدي عامة أول نظام للامبراطورية في تأريخ البشر السياسي وطلائع الاستعمار الاقتصادي ، وقد درت هذه الفتوحات على الملوك الأكديين خيرات كثيرة ، ظهرت آثارها في تجميل المعابد والقصور في مدن العراق القديم ونتج عن إستغلال هذه الخيرات إتساع الانتاج ورقي الصناعة (١٠) .

---

(٧) مقدمة في تأريخ الحضارات لطه باقر بغداد ١٩٥١ ص ١٠٠ .
(٨) مدن العراق القديمة . ص ١٤٩ .
(٩) في دربندي كاور الواقع في جبال قره داغ منحوتات في الجبل تمثل ملكاً أكدياً منتصراً على أعدائه ويرجح أن يكون هذا الملك « نرام سين » الذين حارب الكوتيين في بلادهم .
(١٠) مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة ــ القسم الاول ص ١٠٢ .

العهد الگوتي (٢١٥٠ — ٢٠٥٠ ق ٠ م) ٠

لقد عم الاضطراب في أحوال المملكة في نهاية العهد الاكدي وقد استغلت بعض القبائل الجبلية من شمال العراق وشرقه [١١] ضعف الملوك الاكديين المتأخرين فغزت البلاد وحطمت وحدتها السياسية واستحوذت على أقسام كبيرة منها ٠ وقد سمى أهل البلاد هؤلاء « كوتيين » أو ثعابين الجبال (كما وصفهم بذلك السومريون) (الذين سلبوا المرأة من زوجها والابناء من آبائهم والملكية من بلاد سومر وأخذوها بعيداً الى الجبال) [١٢] ٠ وكانت أربيل وكركوك من قواعدهم الرئيسية ٠

دام حكم الكوتيين للعراق زهاء القرن الواحد ، وقد ذكرت اثبات الملوك لهؤلاء واحداً وعشرين ملكاً لا نعرف عنهم سوى اسمائهم مثل (لاسيراب) الذي قدم لآلهين من آلهة الكوتيين وهما عشتار وسين صولجان حربي كتب عليه إسمه ٠ والمرجح انهم لم يبسطوا سلطانهم بصورة قوية إلا على جزء من البلاد ولا سيما القسم الشمالي منها ، ولعلهم إتخذوا كركوك (أربخا القديمة) مركزاً لهم [١٣] ٠ وعلى ذلك كان حكمهم عهداً مظلماً وضع فيه رجال الدين السومريون مراثي دينية فيما آلت اليه البلاد في عهدهم ٠

أخذ الكوتيون أعداء الآلهة (كما سمتهم النصوص المسمارية القديمة) يضطهدون المدن العراقية في أواخر أيامهم فثارت عليهم مدينة الوركاء بقيادة أميرها السومري « أوتو — حيكال » وبدأ ثورته على آخر ملك من الكوتيين واسمه (تريقان) فقضى على جموعه الكبيرة ٠ فأسس (أوتوحيكال) سلالة في الوركاء هي سلالتها الخامسة ولقب نفسه بملك (سومر وأكد) وحكم زهاء سبع سنوات ٠ ولكن حكمه لم يدم زمناً طويلاً بسبب ثورة

(١١) جاؤا من جبال زاگروس ولورستان ٠
(١٢) من محاضرات للدكتور محمود الامين كلية الآداب سنة ١٩٥٧ ٠
(١٣) مقدمة في تأريخ الحضارات ٠ القسم الاول ص ١٠٥ ٠

قام بها حاكم مدينة (أور) التابع له وانتهت الثورة بانتقال الحكم الى هذه المدينة وتكونت منها سلالة تعرف بسلالة (أور الثالثة) يعد عهدها من العهود المجيدة وآخر عهد في حياة السومريين السياسية •

سلالة أور الثالثة (٢٠٥٠ — ١٩٥٠ ق • م) •

إستطاع ملوك هذه السلالة الخمسة (أورنامو — شولكي — أمارسن — شوسين (جميلسين) — آبي سين) أن يعيدوا انشاء امبراطور واسعة على طراز الامبراطورية الاكدية شملت جزءاً كبيراً من الشرق الادنى من ذلك عيلام وبلاد آشور وآجزاء مهمة من بلاد الشام الى حمص ودمشق ووادي الخابور والباليخ والبحرين والى آسيا الصغرى (١٤) •

وقد جردت هذه الدولة حملات عسكرية على بعض الاقسام الصغيرة (من كردستان) الواقعة في شرق دجلة مثل منطقة (سيمورو) التي يظهر انها منطقة (آلتون كوبري) الحالية ومنطقتي (للبو) أعني حلوان و (سامرو) وكذا منطقة أور بيللوم) أعني (أربل) • ويظهر انه لم تكن هناك وحدة تجمع بين سكان هذه المناطق بالرغم من أنهم كانوا من أبناء أمة واحدة (١٥) •

والمعروف ان (باتيسي لكش — ملك لكش) في عهد الملك (جميلسين Gimilsin) عيّن حاكماً على أوربيللوم urbillum) وهي (منطقة أربيلا) من مقاطعة سوربارتو واسم هذا الباتيسي هو (آراد — نانار Ared – Nanna) وقد لقي هذا صعوبة السيطرة على هذه المنطقة الواقعة شرقي دجلة وهو مقيم في مدينة لكاش الكائنة في قلب مملكة سومر

(١٤) مقدمة في تأريخ الحضارات ص ١٠٧ •
(١٥) تأريخ الكرد ص ٥٦ نقلاً عن سدني سمث •

في الجنوب ، ففشل وكان ذلك الفشل في السنة الثالثة من حكم جميلسين [١٦] ٠

ويعد عهد سلالة أور الثالثة نهاية حياة السومريين السياسية اذ أنهم بصفتهم طبقة حاكمة لم تنشأ منهم سلالات حاكمة بعد ملوك سلالة أور الثالثة السومريين ولكنهم اندمجوا بالساميين ٠ ولكن على الرغم من موت السومريين السياسي ظلت لغتهم وآدابهم تؤثر في العراق القديم ٠ وخلف دولة السومريين دول جديدة تمثل حضارات جديدة فرعية وهي الحضارة البابلية والحضارة الآشورية ٠ وبدأت هذه الحضارات بالنشوء منذ العهد الاكدي حيث كانت الاقوام التي تمثل هاتين الحضارتين تتعلم من السومريين وتتحين الفرص للسيطرة على سلطة الحضارة (الام) ٠

العهد البابلي القديم (١٩٩٨ — ١٥٨٠ ق ٠ م تقريباً) ٠

إنتهت سلالة أور الثالثة بالغزو المزدوج الذي قام به الآموريون من الفرات الاوسط والعيلاميون من شرقي العراق ٠ فتكونت نتيجة ذلك سلالتان متعاصرتان في جنوبي العراق وهما سلالة (إيسن) (جنوب عفك بنحو ١٤ ميل) والثانية (لارسا) (شمال غربي الناصرية بنحو ٧٠ كم) وكانت الاخيرة خاضعة الى نفوذ العيلاميين ٠ وبذلك عادت البلاد من بعد نهاية (أور) الى نظام دويلات المدن ٠ وبالاضافة الى هاتين السلالتين والدولة الآشورية إستقل في هذا العهد ملوك حكموا في مملكة أشنونا في منطقة ديالى ٠ وقد تكونت في بابل بعد مدة سلالة ثالثة عرفت باسم سلالة بابل الاولى ٠ حكمت زهاء ثلاثة قرون ، وفي عهد سادس ملوك هذه السلالة وهو حمورابي صاحب الحضارة الفذة تمكنت سلالة بابل التخلص من العيلاميين ثم توحيد البلاد بعد القضاء على السلالات الاخرى ومد فتوحه الى شمالي العراق والى جهات

(١٦) مدن العراق القديمة لدروثي مكاي وترجمة يوسف مسكوني — بغداد ١٩٥٢ ص ١٤٩ ٠

الهلال الخصيب الاخرى ولا سيما في ديار الشام ، فأخضع بلاد الآشوريين وكذلك المناطق الجبلية الى الشرق والى الشمال [١٧] .

خلف حمورابي خمسة ملوك ورثوا عنه امبراطورية واسعة ولكن الامور إضطربت في عهد المتأخرين منهم ، وقد غزا العراق في عهد آخر هم الحثيون[١٨] ونهبوا بابل ودمروها ولكن هؤلاء لم يمكثوا في البلاد زمناً طويلاً بل إنسحبوا بعد أخذ الغنائم ومنها تمثال الآله (مردوخ) . ولعل الكاشيون الذين جاؤا إلى العراق في حدود هذا الزمن هم الذين طردوا الحثيين وأسسوا سلالة جديدة عرفت باسم سلالة بابل الثالثة . والمقصود بسلالة بابل الاولى : سلالة حمورابي . والثانية تكونت من جملة ملوك يرجح أن يكون أصلهم من السومريين ثاروا في زمن ابن حمورابي وخليفته واستقلوا في الاراضي المحيطة بالخليج ولذلك عرفوا بملوك (القطر البحري) [١٩] .

الكاشيون (١٦٠٠ (أو ١٥٨٠) — ١١٦٠ ق . م) :

لقد اختلف في اصل الكاشيين والشائع انهم من القبائل الجبلية في المنطقة الكائنة الى شرق دجلة وشمال شرقها ، وإنهم فرع من الاقوام الهندية الاوربية واسم (الكشيين) مشتقة من اسمهم القومي على ما يرجح . ولم يخلف لنا الكاشيون وثائق وسجلات تأريخية مدونة بلغتهم القومية وانما استعملوا لغة البلاد الاصلية أي اللغة البابلية وكذلك استعملوا اللغة السومرية . ومع

(١٧) مقدمة في تأريخ الحضارات ص ١١٣ — ١١٩ .

(١٨) هذا الشعب الذي يسمى بالحثيين ظهروا بين القرن التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد وإستولوا على شمال سورية ثم اتخذوا عاصمتهم في شرق آسيا الصغرى ونافسوا المصريين في السيطرة على الشرق الادنى . وقد إحتلوا بابل في عهد ملكهم (مرشلي الاول — ١٥٣٠ — ١٥٠٨) في السنة الاولى من حكمه .

(١٩) مقدمة في تأريخ الحضارات ص ١٢١ .

ذلك فسيتدل من بعض المفردات التي جاءت بها المعاجم البابلية وكذلك من اسماء ملوكهم وأسماء الأعلام التي جاءتنا من هذا العهد على أن لغة الكشيين تعود الى عائلة اللغات الهندية الأوربية ولا يستبعد كثيراً انهم من القبائل الكردية القديمة (٣٠) .

إن مؤسس السلطة الكاشية هو الملك كنداش . وفي منتصف عهدهم الذي استمر خمسة قرون انتقلوا من العاصمة بابل الم مدينة جديدة ضخمة لتكون عاصمة لهم سميت باسم مشيدها الملك (كوريكالزو) فصارت تدعى (دور كوريكالزو) أي مدينة أو حصن (كوريكالزو) (٣١) . ولقد صادف قيام السلالة الكاشية نحو المملكة الآشورية في القسم الشمالي من العراق ، قد نشأت بين المملكتين علاقات حربية وسلمية وكانت اليد العليا في بادىء الامر للكشيين ولا سيما في النزاع على الحدود بين الدولتين حتى انهم فرضوا سيطرتهم على المملكة الآشورية في أول الأمر ، وكانت الدولة الآشورية تعاني الأمرين من الأزمات ولا سيما ضغط الحثيين والميتانيين ، وأصبح لهؤلاء الميتنيـين دور مهم في تأريخ المنطقة الشماليـة من العراق . ونشأت بين المصريين (٣٢) والكاشيين والآشوريين والحثيين والميتانيين علاقات دولية تعد الاولى من نوعها في تأريخ البشر . وقد جاءتنا أخبار تلك العلاقات كالرسائل المتبادلة بين ملوك ذلك الزمان والمعاهدات السياسية والمصاهرات السياسية بين السلالات الحاكمة .

إنتهى العهد الكاشي في حدود القرن الحادي عشر ق . م على أثر غزوة قام بها العيلاميون في شرق العراق فقضوا على السلالة الكاشية وبعد طرد العيلاميين بالحرب من العراق تأسست في بابل سلالات أخرى أولها سلالة

(٣٠) نفس المصدر ص ١٢٩ — ١٣٠ .
(٣١) الآن خرائبها تقع قريباً عن بغداد .
(٣٢) في زمن السلالتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة المصريتين .

عقبت نهاية الكاشيين وكان أوائل ملوكها هم الذين طردوا العيلاميين من البلاد وحاربهم أحد ملوكها المسمى (نبوخذ نصر) الاول في عيلام نفسها • ومما يذكر أن العيلاميين قد أخذوا من العراق بعد غزوهم اياه غنائم كثيرة كان من بينها وثائق تأريخية مهمة مثل مسلة قانون حمورابي ومسلة الملك الاكدي (نرام — سين) وغيرها وقد وجد تلك الآثار المنقبون الفرنسيون في عاصمة عيلام (السوس) [٢٣] •

العهد الميتاني : (القرن ١٥ — ١٤ ق • م) :

ومع إستمرار الحكم الكاشي لبابل برزت قوة جديدة في شمالي العراق أخذت تنافس كلاً من الآشوريين والكاشيين في السيطرة على هذه المنطقة وهذه القوة الجديدة هي الدولة الميتانية •

ففي القرنين التاسع عشر والثامن ق • م • ظهرت آثار بعض الحركات والنهضات القومية بين شعوب وأقوام آسيا الصغرى فأثرت في جميع الامم الشرقية • ويظهر أيضاً ان هذه الحركات والنهضات العامة قد أثرت تأثيراً واضحاً في جميع الشعوب والاقوام الهندية الاوربية (الآريون) فأستولى الحثيون وهم الذين في المؤكد أن لغتهم من شعبة (سنتيوم) أو من شعبة (لاتين) على بلاد سورية ثم أغادروا على بابل في زمن ملكهم (مرشلي الاول) كما أسلفنا ونهبوها • كما أن شعباً يدعى (اوممان ماندا) — وهم الذين إفترقوا أخيراً على الميديين والسيثيين وكانوا يقطنون في الساحل الشرقي للبحر الاسود — قد اصطحبوا طائفة صغيرة من العنصر الهند وأوربي فجاءوا معاً الى غربي كردستان واستوطنوا به حتى أن أسرة مالكة من هؤلاء

(٢٣) مقدمة في تأريخ الحضارات ص ١٣٣ — ١٣٤ •

تدعى (ميتاني) أسست حكومة باسمها كان مركزها على نهر الخابور [٢٤] .

وإبتداء من هذا التأريخ انفصل القسم الغربي من بلاد سوباري [٢٥] عن القسم الشرقي منها واطلق عليه اسم (خوري) وعرفت اللغة السائدة فيه بهذا الاسم أيضاً وفي أثناء ذلك حدثت بعض التطورات بين الكاشيين في منتهى الحدود الشرقية أفضت الى نهضة هذا الشعب الذي أقدم على اجتياح بلاد الحثيين وتمكن بعض من رجاله من تأسيس حكومة مستقلة في بلاد (بابل) .

وقد أطلق اسم الميتانيين على البلاد الواسعة التي تقع بين جبال زاكروس والبحر المتوسط وبين بحيرة وان حتى مدينة آشور وأربخة (كركوك) . وفي القرن السادس عشر ق . م حكمت الاسرة الميتانية فترة من الزمن جميع بلاد كردستان وكانت آشور وسهول أربيل ضمن ممتلكات هذه الدولة . وقد بلغت هذه الدولة من البأس مبلغاً تمكنت من السيطرة على البلاد الآشورية في القرن الخامس عشر ق . م وظلت كذلك زهاء القرن الواحد . ثم تخلصت بلاد آشور من السيطرة الميتانية من بعد ذلك . وأفاد الآشوريون من توازن القوى الدولية في ذلك العهد اذ كان الحثيون يرمون القضاء على المملكة الميتانية وادخالها ضمن امبراطوريتهم في منافستهم للمصريين . وقد بدأ الحثيون يتدخلون في شؤون هذه المملكة في زمن الملك الاشوري (آشور - أو بالط الاول ١٣٦٢ — ١٣٣٧ ق . م) الذي انتهز الفرصة فحارب الميتانيين في عهد ملكهم (آرتاتاما الثاني ١٣٦٦ — ١٣٥٩ ق . م) واستطاع أن يخلص البلاد الآشورية بالمرة ويؤسس عهداً انتعشت فيه المملكة الاشورية . ولعل

(٢٤) تأريخ الكرد وكردستان ص ٥٥ .

(٢٥) بلاد سوباري هي المنطقة التي حدودها الشمالية بحيرة وان وغربها وادي الخابور وشرقيها (كركوك) وجنوبها بلاد بابل وكان يسكنها قوم يدعى (شوباري) وهذه الاوصاف تنطبق على (كردستان) .

هذا الملك الآشوري تعاون مع الحثيين في ازالة الدولة الميتانية اذ انه حصل على جزء من تلك المملكة (المقدمة ص ١٤٥) .

العهد الآشوري :

قلنا : انه في أوائل القرن الرابع عشر ق . م قامت الحروب بين الدولتين الميتانيــة والحثية حول الاستيلاء على سورية مما أدى الى إزدياد نفوذ الآشوريين وتفوقهم على منافسيهم الميتانيين وتمكنهم من الاستيلاء على قسم من كردستان (أي المنطقة الجنوبية الشرقية التي كان ملوك بابل الكاشيون يدعون تملكها وخضوعها لسلطانهم) (٣٦) .

كان موطن الآشوريين يتألف من الاراضي الواقعة على جانبي نهر دجلة تقريباً من خط العرض السابع والثلاثين شمالاً الى مصب نهر العظيم جنوباً ويحد بلاد الآشوريين من الشمال والشرق سفوح الجبال الشاهقة . ولم يكن لبلادهم تخوم طبيعية في الجنوب وانما كانت الحدود تتغير تبعاً لقوة الآشوريين السياسية وكذلك الحال في الغرب حيث لا توجد عوارض طبيعية الى الفرات والخابور (٣٧) . ولقد عاش الآشوريون في هذه المنطقة منذ أقدم العصور التاريخية وإشتقوا حضارتهم من السومريين وكونوا منذ الالف الثاني ق . م دولة عسكرية أخذت تتدرج في القوة مع حدوث فترات من الضعف وآل أمرها الى أن أصبحت امبراطورية معظمة فرضت سلطانها على جميع الشرق الادنى . واسم الآشوريين مشتق من كلمة (آشور) وهو إله الآشوريين القومي وأطلقت هذه الكلمة على أقدم مدنهم وهي (آشور) التي تقوم خرائبها الآن في (قلعة الشرقاط) .

والآشوريون فرع من الاقوام السامية التي هاجرت من جزيرة العرب

(٣٦) تأريخ الكرد ص ٥٦ نقلاً عن سدني سمث .
(٣٧) مقدمة في تأريخ الحضارات ص ١٣٥ .

على ما يقول به جمهور من الباحثين أو أنهم جاؤا من الجنوب من أرض بابل وحلوا في شمال العراق في زمن لعله في العهد الاكدي [٢٨] • ولغتهم مثل البابلية منحدرة من عائلة اللغات السامية •

ومن الوجهة السياسية والحضارية ، لم يتكون للآشوريين كيان سياسي قوي وينفصل عن الجنوب إلا منذ منتصف الالف الثاني ق • م • أما قبل هـذا الزمن قامت للآشوريين دويلات مدن في فترات سياسية مرتبكة مثل العهد الكوتي وعهد سلالتي (إيسن) و (لارسا) • ولقد أثرت في الآشوريين وهم في موطنهم مؤثرات خارجية بالاضافة الى ضغط دول الجنوب من الاقوام الأشداء من سكان الجبال المجاورة وجاء بعضها بهيئة هجرات عنيفة وكان الأرمن في جوار الآشوريـين في منطقة آرارات ووان • ونشأت في جوارهم دول قوية كـادت تقضي عليهم كالحثيين والميتـانيين • وتعرض الآشوريون من بعد الميتانيين منذ القرن الثاني عشر ق • م الى ضغط القبائل الارامية •

العهد الآشوري الحديث :

يعتبر عهد الملك الآشوري (أدد — نراري) الثاني (٩١١ — ٨٩٠ ق•م) ابن الملك الآشوري (آشور — دان) نهاية العهد الوسيط وبداية عهد جديد في تأريخ الآشوريين وقد دام هذا العهد حتى نهاية الآشورية السياسية في العام ٦١٢ ق • م وهو العام الذي سقطت فيه نينوى أي انه دام زهاء ثلاثة قرون • وقد بلغ الآشوريون من القوة العسكرية درجة مكنتهم من السيطرة على حياة الشرق طوال هذه القرون •

فقد قضوا على الممالك الآرامية وضموها الى مملكتهم وفي القرن التاسع ق • م سيطروا على الأقوام والأراضي التي كانت تهددهم في الشمال والشرق•

(٢٨) مقدمة في تأريخ الحضارات ص ١٣٦ •

وقد خلف (أدد — نراري الثاني) ابنه (توكلتي — ننورتا الثاني) (٨٨٩ — ٨٨٤ ق • م) ونجح في فرض السيادة الآشورية الدائمة على ممالك الشرق وأخضع القبائل الجبلية في الشمال والشرق ضماناً لسلامة الامبراطورية فأقيمت حصون وحاميات عسكرية في النقط السوقية المهمة في الحدود [٢٩] • ثم خلفه (آشور ناصر بال) الثاني (٨٨٤ — ٨٥٩) ق • م) وهو ابنه على العرش الآشوري • وقد نالت أربيل مكانة كبيرة في عهد هذا الملك ، حيث كانت من المدن الآشورية الهامة • وقد سار هـذا الملك من عاصمته (كلخو) نمرود الى بلاد خلديا للقضاء عليها وقد عبر الزاب الكبير ودخل أربيل ثم عبر الزاب الصغير مخترقاً ممر جبل قرة داغ الذي سماه بممر (بابيت) (بازيان) ثم سار في طريق السليمانية الى (شيوه كل) ثم اجتاز ممر (بانه) فالى (صاقز) ومنها الى (ساو جبلاق فبحيرة أرمية [٣٠] • وكان هذا الملك يؤثر أربيل إيثاراً عظيماً ويسميها مدينته [٣١] • والدولة الخلدية (الآرارتية) نشأت حوالي القرن التاسع ق • م وكان أول ملوكها (سردور الاول) الذي عاصر الملك الآشوري (آشور ناصر بال) واتخذمن مدينة تشبا (وان) عاصمة له • وقد استقلت هذه الدولة تماماً أيام ضعف الآشوريين وأحياناً وقعت تحت نفوذهم أيام قوة الآشوريين • وقد سقطت الدولة الخلدية سنة ٦٢٥ ق • م حيث وقعت تحت حكم الميديين • وقد عبرت الجيوش الآشورية مراراً أربيل في طريقها لقمع الثورات في بلاد عيلام ، فأربيل

---

(٢٩) مقدمة في تأريخ الحضارات ص ١٥٢ •

(٣٠) مجلة سومر ٨ (ج ١ ١٩٥٢) — الحملات الآشورية على بلاد خلديا • وقد حارب هذا الملك بلاد كيرخي (منابع دجلة شمال غربي بلاد آشور) وأسر ملكها وأرسله الى أربيل وهناك أمر بسلخ جلده وتعليقه على الأسوار • (كلدوو آشور (١ / ٦٠) •

(٣١) (رحلة متنكر لسون ص ١٤٦) •

كانت تعتبر كمركز سوقي للآشوريين بالاضافة الى كونها مركزاً لعبادة الآلهة عشتار آلهة الحرب والنصر •

لقد خلف الملك (شمش آداد) الخامس ابنه الصغير (أداد — نراري) الثالث فصارت أمه الملكة وصية على العرش (٨١١ — ٨٠٨ ق • م) واشتهرت هذه الملكة في النصوص الاغريقية باسم (سمير أميس) المحرف عن اسمها الآشوري (سمو — رمات) أو (شمير ام) • وخلف الملك (أداد — نراري) الثالث (شليمنصر الرابع (٧٨٢ — ٧٧٣ ق • م) الذي إزداد في عهده تدهور المملكة الآشورية واستطاعت بابل أن تستقل وتجرأت القبائل الآرامية وبدأت تضغط على المملكة الآشورية من حدودها الشمالية فأتخذ الملك الآشوري موقف الدفاع • وتعاقم ضعف المملكة في زمن الملك الذي خلفه وهو (آشور — دان) الثالث (٧٧٢ — ٧٥٤ ق • م) • ومما زاد في اضطراب الامور أن تفشي الطاعون في زمنه ففتك بسكان المملكة • ووفد وجد في قلعة أربيل تمثال برونزي مكتوب يذكر الآلهـــة عشتار والملك الآشوري آشور دان الثالث •

جاء سرجون الى الحـــكم بعـــد شلمانصر الخامس وهو مؤسس السلالة السرجونية ولا نعرف عنه شيئاً ولعله كان غاصباً للعرش بعد وفاة الملك المذكور وقد حكم ثمانية عشر عاماً تكاد تكون كلها حروب وحملات عسكرية خارجية • وكانت بابل — بعد أن أصبحت مركزاً للثوار بعد ضعف الآشوريين في أواخر أيام شلمانصر الخامس — إحدى الاهداف التي وجه سرجون همه اليها ، اذا استطاع أحد الطامعين في العرش البابلي وهو (مردوخ بلادان) الكلداني بعد حصوله على مساعدة العيلاميين أن يتوج نفسه ملكاً سرجون همه اليها ، اذ استطاع أحد الطامعين في العرش البابلي وهو (مردوخ على بابل في عام ٧٢١ ق • م وهي السنة التي توج فيها سرجون ملكاً • فقاد

سرجون حملة بنفسه وسار لمنازلة العيلاميين الذان جاؤا لمساعدة الثائر ولكن نتيجة الحرب لم تكن حاسمة حيث أن سرجون انسحب لمشاغل أخرى طرأت .

وبعد ذلك بعشر سنين إستطاع سرجون قهر (مردوخ بلادان) الذي حاز على مساعـدة العيلاميين كذلك ثم عفا عنه وعينه حاكماً على احدى المقاطعات . ثم توج سرجون نفسه ملكاً على بابل .

علاقته بالدولة الخلدية :

وقد عني سرجون بشؤون الاقاليم الشرقية والشمالية الشرقية . وكان يحكم في أرمينية (أرارتو) في زمنه ملك قوي الشكيمة اسمه (روسا) ولكي يأمن هذا شر تدخل الآشوريين أخذ يثير الاقوام المتاخمة الى الآشوريين على الثورة ونقصد بهم الاقوام التي كانت تحكم بلاد (نائيري) . ويظهر أن سرجون تمكن من اخضاع هذه الاقاليم وحارب الأرمن وأوقع الهزيمة في جموعهم ، حتى إنه سلخ جلود بعضهم (من أمرائهم) وهم أحياء [٣٢] . وعلى الرغم من هذه الضربة القاضية لم تخضع بلاد الارمن (أرارتو) خضوعاً دائماً مما جعل الحرب بينها وبين الآشوريين سجالاً زهاء خمس سنين إنتهت بالقضاء على ملكهم (روسا) . ثم أخضع سرجون القبائل الفرنجية في تخوم (كليكية الغربية) ويحتمل انه ملك جزيرة (قبرص) . وفي سنة (٧٢١ ق . م) فتح سرجون مدينة (السامرة) المارة الذكر وقضى بعد ذلك على الدويلات الغربية في بلاد الشام التي كانت تنال تشجيع المصريين وانتصر على الجيش الذي أرسله ملك مصر لمساعدة ملك (غزة) ثم أخضع القبائل العربية في بادية الشام . وتنقل سرجون في عدة عواصم آشورية ضمن (آشور) انتقل الى كالح (نمرود) وفي منتصف حكمه إتخذ نينوى عاصمة له وفي السنة التاسعة من حكمه أي عام ٧١٣ ق . م بدأ تأسيس عاصمة جديدة

(٣٢) مقدمة في تأريخ الحضارات ص ١٦١ .

سماها (دور شروكين) أي مدينة سرجون في الشمال الشرقي من نينوى وهي خرسياد الحالية التي تبعد حوالي (١٦) كم شمال نينوى •

وكانت أربيل أهم مدينة في صقع آشور الحقيقية بمدنه الثلاث : كالح ونينوى وأربيلا • وفي خلال جميع عهود الممالك الآشورية اتخذت أربيل عاصمة الملك الحاكم ، لقد كانت أربيل العاصمة الدينية دوماً • ففي بلاد آشور كان الملك بالنسبة لدين آشور ، هو الكاهن الاعظم ، غير منازع • ومن المحتمل أن (عشتار) قد نقلت معبدها شمالاً عندما قامت بلاد آشور منفردة ، وإختيرت لذلك أربيل (أربا إيلو) ، ويحتمل انها كانت مزاراً لمعبود كان قائماً يومذاك لذلك عرفت باربا إيلو : الآلهة الأربعة • وبذلك فاز أربيل كانت الكرسي الثاني للآلهة عشتار • التي عرفت بـ (عشتار أربيلا) وكانت مصدر الظفر في المعركة ، تشد من ساعد المقاتل • ويذكر ان عشتار لعبت درساً مهماً في تأريخ آسيا الغربية ، وشيدت لها المعابد من قبل الشعوب جميعاً ، وإحتفظت بالهيمنة على (الزهرة) السيارة ، التي كانت رمزها دوماً • وكانت عند الآشوريين تحمل طبيعة ثنائية ، اذ كان لها معبد في نينوى وآخر في أربيل • وعشتار نينوى كانت أصلاً ، إلهة الحب والترف ، تحكم كوكب الزهرة ، ولكن عشتار أربيلا كانت مصدر الظفر في المعركة [٣٣] كما ذكرنا •

وخلف سرجون في العرش ابنه سنحاريب (٧٠٥ — ٦٨١ ق • م) فرجع هذا الى نينوى وجدد أبنيتها وجعلها قبلة الشرق القديم ، وجلب لها ماءً عذباً من موضع قريب من منبع نهر (الكومل) من مجاز جبلي في (بافيان) وبنى لذلك قناة مبلطة بالحجر طولها خمسون ميلاً لتمر فيها المياه الى نينوى• وقد بحثنا مفصلاً قناة سنحاريب ، وهي القناة التي جلب بها هذا الملك الماء الى مدينة أربيل ، ثم أعاد فتح بلاد الشام التي أبدت بوادر العصيان • وقد

(٣٣) رحلة متنكر لسون ترجمة فؤاد جميل بغداد ١٩٧٠ ص ١٤٦ و ٥٥

حج سنحاريب الى مدينة أربيل في سنة ٦٩٢ ق • م ليصلي فيها الى الآلهة عشتار فيصيب ظفراً في حملة قابسة يشنها بازاء البابليين • وكان أن أوتي سؤله (٣٤) •

والجدير بالذكر أن بابل ثارت ضده بقيادة الثائر البابلي (مردوخ بلادان) الذي عفا عنه والده سرجون ، وإتفق مع العيلاميين والقبائل العربية ضده ، ولكن الثائر هرب لما رأى تصميم سنحاريب على محاربته ، ومع ذلك لم ترضخ بابل ، الأمر الذي دفع بسنحاريب لحصارها سنة كاملة ثم فتحها عنوة في سنة ٦٨٩ ق • م ودمرها ودك حصونها وسلط ماء الفرات على أنقاضها • وقد إغتيل سنحاريب على يد أحد أبنائه ، وقد سبب اغتياله شبه ثورة داخلية، ولكن ابنه الذي خلفه وهو أسرحدون لم يجد صعوبة في إخمادها • وإستتب الامر في الاقليم الشرقي للآشوريين وخضع لهم اكثر ملوك خراسان على أثر حملات عسكرية ، وإستعمل المصالحة مع البابليين ، فأعاد بناء مدينة بابل ، فرضي البابليون •

وقد ذكر أسرحدون وهو في الجبال الشمالية — في حروبه — انه اتصل بالآلهة عشتار فتسلم من معبدها في أربيل رسائل تشجيع وتطمين بالنصر المبين (٣٥) • ثم احتل مصر بأكملها تقريباً وحطم قواها العسكرية ، ولما ثارت ثانية جهز اليها حملة ثالثة ، رجعت قبل أن يجتاز الدلتا بسبب مرض الملك الفجائي (٣٦) • وخلفه في الحكم آشور بانيبال الابن الثالث له (٣٧) (٦٦٩ — ٦٢٦ ق • م) • وكان مغرماً بالادب والمعرفة وجمع الآثار الادبية وكتب المعرفة من أنحاء البلاد وخزنها من دار كتب شيدها في قصره • لقد بدأ آشور

---

(٣٤) رحلة متنكر ص ١٤٦ •
(٣٥) نفس المصدر ص ١٤٦ نقلاً •
(٣٦) مقدمة في تأريخ الحضارات ص ١٧١
(٣٧) أما ابنه الاول فأصبح ولياً للعهد وحاكماً على العرش البابلي •

بانيبال حكمه بحملة تأديبية صغيرة الى منطقة (الكاشيين) في شرقي دجلة وقد نجح في ذلك ، واحتل مصر ثانية سنة ٦٦٧ ق • م ثم ثار عليه أخوه في بابل (شمشو — شوم — أوكن) الذي حاز على ثقة البابليين والزعماء الكلدانيين والمصريين بعد فراغه من حروب له في عيلام • وكان (تي أمان) العيلامي [٣٨] قد هاجم جنوبي بلاد وادي الرافدين ، واستولى عليه ، واصبح مهدداً لكيان الآشوريين بعد أن اتفق مع البابليين • فتقدم آشور بانيبال لمحاربته ووصل أربيل وبات في معبد الآلهة عشتار ، اذ ظهرت عليه في المنام وأخبرته [٣٩] بأن يتقدم لمحاربة عدوه ، وانها ستكون أمامه تحارب الاعداء بقوسها وسهامها • وكان أن انتصر الملك الآشوري على الثائر العيلامي ، ولكنه فوجيء بثورة أخيه المذكور في بابل ، فحاصره مــدة سنتين فعمت المجاعة والحصار الشديد فعلهما في سقوط المدينة بيد الجيش الآشــوري المتفوق ، وقضى (شمشوكين) نحبه وســط النيران التي شبت في قصره ، وهكذا ختمت حوادث النزاع بين الاخوين في سنة ٦٤٨ ق•م • وتلا ذلك ان وجه آشوربانيبال همه للقضاء على المدن العيلامية فنجح في ذلك ودمر عاصمة البلاد العيلامية (سوسة) ونبشت قبور الموتى فيها وارسلت عظام ملوك عيلام وأمرائها الى نينوى • اما (تي — أمان) فقد علق رأسه بأمر الملك الآشوري في أربيل [٤٠] وجيء بكثير من الاسرى الى أربيل ، فسلخت جلودهم وهم أحياء [٤١] • وقد حضر آشوربانيبال وزوجته الملكة الى مشاهدة

---

(٣٨) عيلام : عربستان الحديثة الكائنة في الجنوب الغربي من فارس (ايران) •

(٣٩) كتبوا على الطين لكييرا — بغداد ١٩٦٢ حاشية ص ٥٠ •

(٤٠) كلدو وآشور (١ / ١٢٧) لأدي شير •

(٤١) رحلة متنكر ص ١٤٧ •

هذه الاعمال في أربيل وهم يعيدون عيد الالهة عشتار [٤٢] • ويذكر أن تي قان توسط لدى الملك الآشوري لايجاد الصلح ولكن الملك رفض ذلك • وبهذا انتهت حياة مملكة عيلام [٤٣] •

حكم آشوربانيبال حتى سنة ٦٣٦ ق٠م ، ولكن أخبـاره الرسمية انقطعت عنا قبل ذلك بعشر سنوات ، و كانت ظواهر الامور جميعهـا تدل على أن الامبراطورية كانت وطيدة الاركان ، ومع ذلك اخبرنا آشور نفسه (ان أياما سود حلت في أرجاء مملكته ، وانه كان يقاسي آلاما جسمية وروحية سلبت راحته) [٤٤] •

سقوط الدولة الآشورية :

بعد وفاة آشوربانيبال خلفه ابنه (آشور — اطل — ايلاني) وكان عليه ان يحارب أحد الطامعين في العرش ، فانتهزت بابل هذه الفرصة وانفصلت عن الامبراطورية الآشورية تحت قيادة زعيم الكلدانين (بنو بولاسر) سنة ٦٢٥ ق٠م وقد حذت فلسطين حذو بابل وكذلك فعلت معظم المدن السورية• وقد اتحد الماديون فقويت شوكتهم تحت قيادة ملكهم (كي أخسار) وتحالفوا مع الملك الكلداني واتفقوا على تقويض المملكة الآشورية واقتسام أراضيها• وانحاز ملك مصر (بسماتيك) الى جانب الآشوريين ، كما ان الملك الآشوري حصل على صداقة القبائل المعروفة بالسيثيين أو الاسكيثيون (Scythian) (وهم القبائل البربرية التي كانت تتكلم لغة (هندية — أوربية) وكانت تقطن في جنوبي روسيا وفي الاقليم شرقي (عبر الاورال) ومن المؤرخين من يعين السيثيين بياجوج وماجوج المذكورين في التوراة وفي القرآن) ، ولـــكن ذلك لم يجده نفعا تجاه الهجمات التي قام بها أعداؤه • ومما زاد في الطين بلة انحياز

(٤٢) كلدوو وآشور (١ / ١٢٧) •
(٤٣) مقدمة في تأريخ الحضارات ص ١٧٣ •
(٤٤) نفس المصدر السابق ١٧٤ •

السيثيين الى جانب الماديين والكلدانيين في هجومهم الاخير على نينوى عام ٦١٢ ق٠م حيث سقطت المدينة الآشورية ، ودمرت ومات الملك وسط النيران التي شبت في قصره والتهمت المدينة • ولكن بقايا الآشوريين هربت تحت قيادة (آشور أوبالط) الى مدينة حران حيث نصبت ملكا على هؤلاء ولكن الاعداء لاحقوه في سنة ٦١٠ ق٠م فجرت هناك حروب انتهت بالقضاء على آخر محاولة لاعادة المجد الآشوري الآفل •

بعض جوانب حضارة الميتانيين

لقد أشبع الباحثون والمتتبعون لتأريخ الطرق القديم حضارة وادي الرافدين في شماله وجنوبه درسا مستفيضا ، حتى وضحت جوانب هامة من هذه الحضارة في أدوارها المختلفة ، منذ عهد السومريين حتى نهاية الاشوريين السياسية وقيام دولة الكلدان في بابل • ان حضارة وادي الرافدين تجمعها أسس مشتركة في المعتقدات الدينية والشرائع والقوانين والافكار والآداب والفنون مع وجود تأثيرات في هذه الحقول جليتها شعوب حكمت المنطقة في بعض الفترات وتركت بصماتها من نواحي مختلفة من الحياة اليومية في العراق القديم •

ولقد كان الشعب الميتاني الذي حكم منطقة واسعة ما بين القرن (١٥ — ١٤ ق٠م) تمتد من البحر المتوسط حتى جبال زاكروس ، وكانت أربيل ضمن نطاق حكم هذا الشعب • لذا نرى لزاما أن نتعرف على بعض تقاليد هذا الشعب الذي حكم جميع أنحاء كردستان في التأريخ المذكور • ان كان ما نعرفه عن حضارة هذا الشعب جاءنا عن طريق الحفريات الأثرية التي أجريت في أطراف الدولة الميتانية • وقد وصلتنا مجموعة من الفخار الملون التي انتشرت في جميع المناطق التي كان يسودها سلطان الميتانيين ويتميز هذا الفخار باحتوائه على مادة الطين لونها أصفر كاشف ملونة

بخطوط سوداء عريضة خالية من اللمعان • وقد نقش على هـذه الخطوط العريضة السوداء نقوش تقرب من الاشكال النباتية الملونة بالابيض • وهذا النوع نجده بكثرة في مدينة (نوزي) (تركلان الحالية قرب كركوك) وفي (آشور) و (نينوى) وفي (تل حلف) على نهر الخابور وفي (آلالاخ) القريبة من مدينة أنطاكية الحالية • واستعمل الميتانيون الفخار المزجج ، وذلك للاستعاضة به عن المادة المتمنية للحجر اللازورد • وقد استعملوا هذا الترجيج لغرض الزينة والحلي وفي الاختام الاسطوانية •

أما في فن البناء ونماذجه جاءتنا من مدينة (نوزي وآلالاخ) • ففي نوزي نقبت بعثة مشتركة من المتحف العراقي والمدرسة الامريكية للابحاث الشرقية سنة (١٩٢٥ — ١٩٢٦) فوجدت فيها نحو (٥٥٠) لوحةمن الطين • ثم استؤنف التنقيب في (١٩٢٧ — ١٩٣١) من جانب جامعة (هارفارد) امريكية فعثرت على بقايا سكنى خارج التل (يورغانتپه القريب من تركلان) وقصر ومعابد في نفس التل [٤٥] ، اضافة الى رقم الطين العديدة التي كتبت بالخط المسماري وباللغة الميتانية الشبيهة باللغة الآشورية • ووجدت بين هذه الرقم المراسلات الخطية بين أمراء الميتانيين وملوك الكاميين والحثيين والمصريين والآشوريين • وعثر فيها كذلك على عدد كبير من الوثائق تتعلق بملكية الاراضي وتقسيم المقاطعات وتسجيل خرائطها على ألواح من الطين • وتحمل هذه الخرائط اسماء عدد من المقاطعات الميتانية • وفن البناء (كما ظهر من الدراسات التي قامت على الابنية الموجودة في نوزي) يشبه كثيرا مباني المنطقة الشمالية من بلاد وادي الرافدين وفيها تأثير من فن البناء عند الحثيين وبلاد أرارتو •

فلدينا مثال ذلك قصرين أحدهما من (نوزي) وهو دار الامارة والثاني

(٤٥) المرشد الى مواطن الآثار • الرحلة الرابعة ص ١١ بغداد ١٩٦٥ •

من (آلالاخ) يعود لامير المدينة ، وهندسة البناء للقصرين كما يلي : غرفة طويلة مستطيلة الشكل في أحد جوانبها الضيقة موقد نار وتلاصق بجانبي هذه الغرفة الطويلة غرف أخرى لها نفس عرض الغرفة المستطيلة • والمدخل لهذه الرئيسية المستطيلة هو في جانبها الضيق يتصل بممر يؤدي الى المدخل الرئيسي للقصر • وقد عرف العلماء هذا النوع من فن البناء بالفن الهيلاني.

أما من ناحية النحت فهناك منحوتتان في كهف يعرف بكهف (كندك) يقع بين بلدة عقرة شوش في شمالي شرقي الموصل احداهما يقع في مدخل الكهف في الجهة اليسرى وقد كان مستتر — لا يارد — قد اكتشفها قبل نحو قرن والثانية في داخله على الجدار الايسر من الكهف بالنسبة للداخل وقد اكتشفها الدكتور محمود الامين في تشرين اول سنة ١٩٤٧ والمنحوتة الخارجية تمثل (صيادا يصيد وعلا جبليا وحفلة للاكل والشرب) والثانية (تمثل عرضا دينيا) ويحتمل ان تكون هاتان المنحوتتان من نتاج الفن الميتاني — الخوري[٤٦].

أما من ناحية الديانة والمعتقدات فقد كانت الديانة عند الميتانيين فصلاً هاما من فصول حضارتهم • وديانتهم ليست خالصة ذلك لانهم عاشوا الى جوار أقوام أعرق منهم في الحضارة لذلك أخذوا من هذه الاقوام كثيرا من معتقداتهم الدينية (معتقدات السومريين والاكديين والبابليين وحتى الحثيين) وكانت دياناتهم اضافة لذلك مستحدثة من البيت الخوري — الميتاني المالك الذي انحدر من عنصر هند وجرماني • وقد ترجم الميتانيون نصوص تعاويذ دينية ورقى بابلية الى لغتهم وترجموا كذلك اسطورة جلجامش الدينية[٤٧].

أما الآلهة الميتانية فقد عرفنا منها الهان رئيسيان : الالــه (تيشوب Tisup) وهو اله الرعد والصواعق والامطار) والآلهه (خيبات Hepat)

(٤٦) مجلة سومر ٤ (ج ٢ ١٩٤٨) ص ٢٠٤ •
(٤٧) من محاضرات للدكتور محمود الامين ١٩٥٧ •

زوجته . وقد غرس الميتانيون الاعتقاد بهذين الالهين في ديانة سكان شمال سورية ومعتقداتهم الحثية . كذلك أثروا على معتقدات شمالي وادي الرافدين وشمال العراق وخاصة المعتقدات الاشورية . وقد صورت معتقدات الميتانيين على اختامهم الاسطوانية التي وجدت في نوزي مثل اعتقادهم بالحياة الثانية وبوجود قوة أخرى الهية تتحكم في مصير الانسان .

وتصور لنا هذه الأختام الهة الدولة في مشاهد الصلاة والاحتفالات الدينية ومشاهد للشرب التي تشل حفلات الزواج عند الالهة ، ومما يدل على انحدار البيت المالك الميتاني والخوري من أصل هندي هو وجود عدد من الالهة الهندية التي كانت امراء البيت المالك الميتاني يقسمون بها ومنها الالهة (ميترا) و (اندرا) و (فارونا) و (نساتيا) ، وهذه الالهة هي نفسها موجودة في معتقدات الهند وبعض الاقوام الهندية الاوربية في بلاد الشرق الادنى (٤٨) .

---

(٤٨) من محاضرات للدكتور محمود الامين في سنة ١٩٥٧ .

الفصل الرابع

أربيل في العصور التأريخية القديمة

من العهد الميدي حتى الفتح الاسلامي

العهد الميدي :

يرد إسم الايرانيين لأول مرة في نصوص الملك الآشوري (شلمانصر الثالث) وذلك عند إعتراضهم لطريق الحملة الآشورية التي وجهت على مناطق جبال زاگروس سنة (٨٤٤ ق • م) • كما ذكر الآشوريون في هذه الحملة اسم (الفرس) ونسبوهم الى عاصمتهم پرسوا كذلك ورد إسم ميديا في الحملة الآشورية التي وجهت على بلاد ميديا سنة (٨٣٦ ق •) • وذكرها الآشوريون باسم (ماداي Mada). وقد حدد الآشوريون المواقع الجغرافية للفرس وقالوا : إن بلادهم تقع (في الغرب والجنوب الغربي من بحيرة أرميا) وأن بلاد الميديين تقع في (الجنوب الشرقي) منها أي في المناطق المجاورة لمدينة (همذان) الحالية • وكانت هذه القبائل قد سكنت في هذه المناطق في القرن التاسع ق • م قادمة من أماكن بعيدة •

والموجة الأخرى الايرانية هي القبائل المعروفة باسم (زكرتو Zikirtu) التي إستوطنت في الشرق من إيران وانتشرت حتى تبريز وحدود مملكة (أرارتو Urartu) ؛ ثم البارثيون الذين استوطنوا جنوب بحر قزوين• وقد ذكر الملك الآشوري (شمش — أداد) الخامس (٨٢٣ — ٨١٠ ق•م) إنه هزم أحد زعماء الايرانيين من المناطق الواقعة شمال بحيرة أرميا وإستولى

على ألف ومائتين مدينة (قرية) من مدنهم . إن الفرس لم يمكثوا مدة طويلة في شمالي غربي إيران بسبب العمليات الحربية الآشورية والضغط الأرارتي فاضطرتهم هذه العمليات في القرنين (٨ — ٧ ق . م) أن يسكنوا في المناطق القريبة من جبال بختياري في منطقة تدعى (پرسوا) وهي تقع شرقي مدينة شوشتر الحالية . وقد تعاون الأرارتيون مع ملوك (نائيري) الذي كان ملوك الآشوريين يحاربونهم منذ القرن (١٢ ق . م) مستغلين فرصة ضعف الآشوريين فأمتدت بلادهم من منابع نهر الفرات ومنطقة وان حتى نهر خالص في أواسط آسيا الصغرى [1] .

وقد إستوطن الفرس على حدود هذه الدولة الفتية (أرارتو) ، وقد دخل هؤلاء وسكان (شمال غربي ايران) تحت نفوذ الأرارتيين أيام توسعهم في فترة الضعف الذي أصاب الآشوريين في نهاية القرن التاسع والنصف الاول من القرن الثامن ق . م . وقد تحدثنا عن الصراع المرير بين الأرارتيين والآشوريين عند كلامنا على مسلتي كيله شين وطوبزاوة [2] . ولا نعرف بالضبط مقدار المدة التي بقي فيها الفرس تحت نفوذ الأرارتيين . وقد إمتد توسع الارارتيين الى الجنوب والى الشمال واستطاع كل من (إشبوئيني ومنيواس) أن يشيدا مملكة لاتقل سعة عن الدولة الآشورية .

ولكن الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث استطاع بهجوم خاطف على المناطق القريبة من بلاد آشور إستعادة جميع البلاد الواقعة بين الفرات والبحر المتوسط وأنزل بقوات الملك الأرارتي (سردور الثاني) خسائر فادحة وحاصر عاصمتهم (وان) . ثم قام الملك الآشوري نفسه بحملات أخرى على المقاطعات الواقعة في جبال زاگروس . ويظهر إنه نجح في إضعاف الماديين وأسر الكثير

(١) من محاضرات للدكتور محمود الامين في سنة ١٩٥٧ .
(٢) سومر (جزآن ١٩٤٩) .

منهم وجلبهم الى العراق حيث أسكنهم في منطقة ديالى • وكان سرجون الثاني الملك الآشوري يتميز عصره بسلسلة من الفتوحات ضد بلاد الشام وعيلام حيث كافح في جميع الجهات وجعل بلاد (ميديا) هدفه الرئيسي • فشن حملة عسكرية على مدينة (پرسوا) التي كانت تعتبر أهم معاقل الميديين وعمل فيها الخراب واكره (٢٨) رئيساً منهم على الخضوع له •

وفي سنة ٧١٥ ق • م هاجم الملك الأرارتي المنطقة الواقعة جنوب بحيرة وان [٣] وإحتلها مخافة أن تخضع للآشوريين • ولكن سرجون شن حملات عسكرية سنة (٧١٦ الى ٧١٣ ق • م) أخضع خلالها (٤٢) رئيساً من رؤساء الميديين واحتل البلاد الواقعة وراء همذان •

وهكذا فشل الميديون في بناء دولة إيرانية ولكن هذا الحلم تحقق في زمن (خشتاريتا khshatrita) الذي يسميه هيرودوت (فرا أورتيس) وقد ورد ذكره في كتابات داريوس في منحوتات (بهستون) • ولكن سرجون لم ينقطع في محاربة الميديين فجرد عليهم اشهر حملاته وهي الثامنة [٤] • ولم تتنفس بلاد ميديا إلا في حكم ابنه سنحاريب (٧٠٥ — ٦٨١ ق • م) وذلك لانشغاله في بابل وعيلام ومملكة يهودا ومصر • فاتحد الميديون حول بيت (ديوكو) المادي وجعلوا (خشتاريتا) [٥] زعيماً عليهم واستطاع هذا توحيد القبائل الايرانية ، حتى أن اسرحدون خليفة سنحاريب إضطر الى كسب وده • وقد عقدت معاهدة [٦] بين الآشوريين والميديين وتبين هذه المعاهدة ضعف

(٣) عند مجاري الزاب الكبير ودجلة وكانت هذه المنطقة يحكمها (ديوكو) الذي سمي بملك (مناي) وهي المنطقة المذكورة •

(٤) سومر (جزآن ١٩٤٩) •

(٥) ويعرف كذلك (كي قباذ) •

(٦) وجدت هذه المعاهدة مسجلة على رقم طينية اكتشفها البروفسور (ملوان) في نمرود سنة ١٩٥٥ ونشرت في مجلة IRAQ التي يصدرها الاستاذ المذكور •

الآشوريين . والواقع أن خشتاتريتا لم يكتف بجمع كلمة الميديين بل وحد جميع الايرانيين ، والاسكيثيين الذين إنحدروا من أعالي القفقاس الى السهول الايرانية وأخذوا يناهضون الآشوريين والاراريتيين . إن تركز الاسكيثيين في آذربيجان وحول بحيرة أرمية لم يحل دون قيام الدولة الميدية فقد بنى (خشتاتريتا) دولة إمتدت رقعتها (من همذان الى شرق نهاوند حتى جنوب يران) ، وإستولى على فارس كذلك . وبعد ما تم له ذلك قرر الهجوم على نينوى ولكن هذا كان قراراً خطيراً إذ خانه الاسكيثيون فأنقضوا على قواته في المؤخرة بقيادة ملكهم (بارتطوا ابن ماديس) حليف الأشوريين فأندحر الملك المادي وقتل سنة ٦٥٣ ق . م وإستولى الاسكيثيون على بلاد ميديا وبقيت تحت حكمهم حتى ٦٢٥ ق . م .

وقد خلف خشتاتريتا ابنه كي أخسار (كي خسرو) ويذكر هيرودوت : ان السنين التي قضاها الميديون تحت حكم الاسكيثيين وإعتراف الملك المادي بحكم كانت في مصلحتهم فساعدتهم على تكوين قوتهم العسكرية . فقد نظم (كي أخسار) جيشه وسلحه بقوات من المشاة والرماة وأدخل الى جيشه أساليب القتال الاسكيثية وخاصة الفروسية . وقد إستطاع ضم بعض المقاطعات المحيطة ببحيرة أرميا الى بلاده ، ثم خاض معركة حاسمة مع الأسكيثين وقهر ملكهم (ماديس) وإضطره الى التخلي عن بلاد ميديا وفارس . وأصبحت مدينة (أكبتانا) همدان الحالية عاصمة للملكة المتحدة الجديدة . ثم بدأ يتحرش بالآشوريين فهاجم مدينة (خرخر) الواقعة على نهر ديالى وإستولى عليها وبذا فتح له الطريق الى نينوى . ولكنه لم يستطع الهجوم على بلاد الآشورين بمفرده لوجود حلف بين الآشورين ومصر ولوجود قوات من الاسكيثين الموالين للآشورين والمنتشرين في الجبال من المناطق الشمالية الشرقية من بلاد آشور ؛ لذا فقد سعى الى جذب البابليين وأخذ يحرض

(بنو بلاسر) نائب الملك في بابل على الثورة والخروج على الآشوريين وقد تم له ما أراد . وهاجم بنو بولاسر مدينة آشور ولكنه تدخل المصريين أكرهه على التراجع . وفي سنة ٦١٥ ق . م قام كي أخسار بالهجوم على نينوى فأندحر أمام أسوارها ولكنه نجح في إحتلال مدينة آشور حيث أسرع بنو بولاسر لنجدته . وقد عقد الميديون والبابليون اتفاقاً قويت أواصره بتزويج حفيدة كي أخسار وهي Amytis على ولي العهد نبوخذ نصر . ويظهر إن الاسكيثين هاجموا مؤخرة الجيش الميدي لذلك إرتدوا أمام أسوار نينوى ولكن لمدة قصيرة . ففي سنة ٦١٢ ق . م قام الميديون والبابليون بهجوم آخر قوي على العاصمة نينوى بعد كسر شوكة الأسكيثين فسقطت أمامهم العاصمة الآشورية ولم يفد دفاع الاشوريين المستميت في إنقاذها . ودمرت نينوى وأحرقت مبانيها ، إلا أن أحد أمراء العائلة الحاكمة واسمه (آشور أبلط الثاني) تمكن من جمع فلول القوات الآشورية المندحرة وهرب الى شمال سوريا وإتخذ من مدينة حران عاصمة له وفكر في إستعادة العاصمة نينوى معتمداً على مساعدة المصريين ، ولكن الآشوريين خاضوا وحدهم المعركة الحاسمة ضد المتحالفين حيث اختفت الدولة الآشورية سنة ٦٠٦ ق . م . وكانت أربيل قد سقطت بأيدي المادين ولكنها سلمت من التدمير (٧) .

إندفع كي أخسار الى الغرب فهاجم مملكة ليديا التي أصبحت يومذاك مركزاً مهماً للتجارة العالمية ودخل معها في حرب استغرقت خمس سنوات دون جدوى ثم عقد الصلح بين الطرفين حيث تزوج (أستياكيس Astyages) ابن كي أخسار ابنة ملك ليديا . وفي سنة ٥٨٤ ق . م تسلم الحكم الميدي (إستياكيس) واتفقت الدولتان الميدية والليدية على أن يكون نهر الخالص

---

(٧) لابد من أن قدسية المدينة ضمنت لها بعض الصيانة من الاجتياح والتدمير . أنظر : رحلة متنكر لسون . ص ١٤٧ .

هو الحدود بينهما • وباستثناء ليديا فقد قسمت آسيا الصغرى والامبراطورية الآشورية بين الميديين والبابليين فأخذ الميديون القسم الشمالي بما فيه بلاد آشور وأخذ البابليون سورية وفلسطين وجنوب بلاد وادي الرافدين وبلاد عيلام • وأصبحت ميديا دولة قوية بحيث خاضها البابليون فبنى نبوخذ نصر سداً ضخماً وتحصينات كبيرة على طول الحدود الشمالية من بلاد بابل من مدينة (أوپيس opis) حتى (سپار) ومن دجلة الى الفرات وقد عرف بالسد المادي وذلك لكي يدرأ أي هجوم يوجه على بابل من قبل الماديين •

وقد رغب (أستياكس) ملك ميديا إحتلال مدينة حران مركز عبادة الآله القمر من البابليين فأصطدم بالملك البابلي (نبو ناهيد) الذي أراد الاحتفاظ بالمدينة لعدة أسباب منها كونها مركزاً تجارياً مهماً تشرف على أهم طرق التجارة الذاهبة الى موانىء البحر المتوسط ولكون أمة رئيسة الكهنة في معبد الآله القمر في حران ، فلهذه الاسباب تحالف نبو ناهيد مع كورش الثاني ملك الفرس الذي كان يحاول إحتلال الطريق الرئيسي الممتد عبر همذان • وبهذا التحالف برزت دولة فتية جديدة على مسرح السياسة العالمية تحت زعامة كورش الثاني الذي أثبت انه من أعظم القواد الفاتحين في تأريخ العالم القديم •

الدولة الأخمينية :

لا نعرف الشيء الكثير عن العيلاميين ولا سيما الفترة الواقعة بين القرن الثاني عشر ومنتصف القرن الثامن ق•م وكل مانعرفه أخبار معارك حربية كانت سجالاً بينهم وبين الاشوريين • والسبب في ذلك يرجع الى قلة المعلومات التي تتعلق بهذه البلاد (عيلام) ، ولا سيما التي لها علاقة بزوالها الفجائي ، ويظهر إن استيطان الفرس والقبائل الآرامية على الجانب الشرقي من نهر دجلة يفسر ضعف العيلاميين ثم إنهيار دولتهم •

وقد بدأت دولة الفرس تتكون حوالي القرن السابع ق • م ثم أخذت جموعهم تنتشر في جبال البختياري والى الشرق من (شوشتر) الواقعة على منعطف نهر الكارون • وقد إعترفت هذه القبائل بسيطرة العيلاميين ولكنهم نجحوا في تأسيس دولة بقيادة الأخمنيين في مدينة (پرسوا) ومع أنها كانت دولة صغيرة ولكنها كانت تملك المقومات الاساسية لأن تكون دولة عظيمة في المستقبل • وفي حدود ٦٩٢ ق • م أخذت الدولة الآشورية تنشغل في محو العيلاميين فأعطت الفرصة لدولة فارس الصغيرة أن تتوسع بقيادة البيت الأخميني بقيادة الملك (تايسپيس Teispes) (٦٧٥ — ٦٤٠ ق • م) • ففي زمن هذا الملك الحقت بالدولة الفارسية جميع المقاطعات الواقعة في الشمال الغربي من (پرسوا) بما فيها مدينة (أنشان) ولقب بملك أنشان بعد تحرره من نفوذ العيلاميين ولكنه إضطر الى الاعتراف بسلطان الميديين في زمن الملك (خشتاتريتا) [٨] • وقد توفى هذا الملك الميدي سنة ٦٥٣ ق • م فغزا الأسكيثيون ميديا وحكموها مدة (٢٨) سنة • وإستغل هـذه الحادثة الأخمينيون فتحرروا من سلطان الميديين وأخذوا يتوسعون وحكموا ما تعرف اليوم (ببلاد فارس) •

وعندما حضرت الوفاة الملك تايسپيس قسم مملكته المشتملة على پرسواوأنشان بين ولديه (آريارمنيس (٦٤٠ — ٥٩٠ ق•م) الذي سمى نفسه بملك الملوك وحكم (پارسا) وبين ولده الثاني كورش الاول (٦٤٠ — ٦٠٠ ق•م) الذي حصل على (پارسوماش) • وقـد جامل الاخمينيون الآشوريين في هذه الفترة •

ولما أخذت قوة الميديين تزداد وتتوسع سلطانها تحت حكم (كي أخسار) كما أسلفنا ، حتى كان سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق•م من قبل الميديين والبابليين

(٨) من محاضرات للدكتور محمود الامين في كلية الآداب ١٩٥٧ •

فوقعت بلا عيلام وعاصمتهم (سوسة) تحت النفوذ البابلي . وقد خلف (آريارمنيس) على العرش (أرزانيس Arsanes) . ويظهر ان أرزانيس حكم بلاد فارس أيام وفاة والده وان قمبيز الاول هو الذي أكرهه على التخلي عن الملك . ويخبرنا هيرودوت ان أبنه (أرزانيس) (هيستاسپيس Hystaspes) كان الحاكم على فارس في بداية حكم كورش .

ان قمبيز الاول ملك (پرسوماس) و (أنشان) تزوج بنت (استياكيس) ملك (ميديا) سيدة فتعاون الملكان وتوحدت بلادهم تحت تاج واحد ومن هذا الاتحاد ولد كورش العظيم الذي أسس عاصمته في (بزار كاده Pasargadeo) .

ولما حاول (استياكس) احتلال (حران) طلب نبو ناهيد الملك البابلي المساعدة من كورش مقابل السماح له بالتوسع على حساب الميديين . وقد أحس بذلك استياكس وحاول القضاء على كورش الذي اعتصم في (اكبتانا) وخرج على طاعته وخاض الطرفان حربا ضارية انتهت بالنزال الشخصي بين الملكين وتغلب كورش عليه في هذا النزال وأسره وأكرم مثواه ، وعند ذلك اتخذ كورش (أكبتانا) عاصمة له وبانتصاره بدأ عصر جديد فقد توحد الايرانيون مع الميديين . وبين القرن (٧ — ٢ ق.م) أحرز الاخمنيون تقدما كبيرا عن طريق القوة العسكرية . ولكن بزوغ هذه الامبراطورية وغروبها كانا بمثابة حلم خاطف . واحتوت دولتهم على ممالك واسعة جدا ومتقدمة في الحضارة (كبلاد وادي الرافدين وسورية ومصر وآسيا الصغرى والمدن اليونانية وجزر بحر ايجه وقسم من الهند) وقد استنزفت هذه البلاد جهودا كبيرة للابقاء على السيطرة الاخمينية فيها .

وقد أحتل كورش ٥٥٩ — ٥٣٠ ق.م) بابل في سنة ٥٣٨ ق.م وقضى على حكم الكلدانيين ولكنه أحسن الى البابليين وعاملهم بلطف . وقد احتل

كورش المناطق الشمالية من العراق قبل هذه الفترة اذ عبر من بلاد آشور دجلة لاحتلال مملكة (ليديا) والمدن اليونانية • وقد قتل كورش سنة (٥٢٩ أو ٥٣٠ ق•م) على أثر اصابته بجروح من حروبه مع القبائل القاطنة في شمالي ايران • فخلفه ابنه قمبيز (٥٢٩ — ٥٢١ ق • م) الذي احتل مصر سنة (٥٢٥ ق•م) ، ثم توفي في رجوعه الى ايران اثر وقوع ثورة دينية أعلن فيها كوماته Qaumata) الساحر نفسه ملكا على بلاد ايران • ولكن داريوس حاكم مدينة (پارتيا — فرثيا) استطاع بمساعدة الاهالي ان يكون ملكا على ايران وقضى على الثورة الدينية التي قادها (كوماته) • وصلب داريوس ملكا صغيرا [٩] في أربيل تمرد عليه •

وكان (داريوس ابن الملك هيستاسپس) الذي قضى على المتآمرين ، أمر برسمه ونحت صورته وصور أعدائه فوق جرف عال جدا من الصخر يقع على الطريق بين (همذان) و (كرمنشاه) • ثم قضى على ثورات بلاد عيدام وبابل • ولكن الثورة كانت على أشدها في بلاد أرمينيا وقد ظهر شخص اسمه (نرادريتس) ادعى بانه من سلالة (كي أخسار) ونصب نفسه ملكا على بلاد ميديا أثناء انشغال داريوس في اخضاع بلاد بابل • وقد نجح داريوس في القضاء على ثورته ولكن ثائرا آخر ظهر في ميديا ولكنه لم يلق الا نفس مصير سابقه • وذكر بان كورش خاض تسعة عشرة معركة ضد تسعة ملوك دحرهم جميعا وقضى عليهم كذلك • اشتهر داريوس باصلاحاته في الادارة والجيش حيث قسم البلاد الاخمنية الى (٢٠) مقاطعة عين عليهم عمالا فرس يطلق عليهم بالمحافظين وكان يرسل الى المقاطعات من يسمع الى شكاوي الناس • ولتقوية الاتصال بين أجزاء الامبراطورية انشأ شبكة واسعة من الطرق لا يزال أثر احداها باقيا الى يومنا هذا ، وهو الطريق الممتد من

(٩) رحلة متنكر ص ١٤٧ •

سوسة عبر نهر دجلة فمدينة أربيل وحران وينتهي عند مدينة (سارديس) عاصمة ليديا ويبلغ طول هذا الطريق (١٦٧٦) ميلاً وكافية (١١١) محطة مزودة بالخيل والماء والعربات والطعام [١٠] • وتوفى داريوس سنة ٤٨٦ ق•م وقد إتصف بالشجاعة والعدل وحب الخير •

خلف داريوس ابنه (اخشايرشا (٤٨٦ — ٤٦٥ ق • م)في الحكم ومن أعماله سيره للقضاء على ثورة مصر • ثم دمر بابل ودكها مع الأرض بسبب ثورة قامت فيها ضد الفرس ثم أراد الانتقام من اليونان الذين إندحر أمامهم والده في معركة (مراثون) فارالى بلادهم فانتصر عليهم في البر بينما كان الاسطول اليوناني سليماً ففضل الانسحاب بعد أن ترك جيشا بقيادة (مردونيوس) الذي نجح في إحتلال بعض المدن اليونانية ولكنه قتل في المعركة •

وخلف هذا الملك ابنه (أرتا آخشايرشا الاول ٤٦٥ — ٤٢٤ ق • م) حارب اليونانيين وإنتصر عليهم ولكنه اضطر لعقد الصلح معهم لأسباب ضرورية • وقد إزدهرت العلاقات الثقافية بين بلاد الفرس واليونان في زمنه • وخلفه (داريوس الثاني ٤٢٤ — ٤٠٤ ق • م) وفي عهده اتفقت إسبارطة وبلاد فارس على محاربة أثينا التي استسلمت له • وفي أواخر أيامه انتشرت الثورة في جهات مختلفة من بلاده • وقد خلفه في الحكم (أرتا اخشايرت الثاني ٤٠٤ — ٣٥٩ ق • م) وهو ابنه الثاني وفي أثناء حفلة التتويج حاول الأخ الاصغر اغتياله ولكنه نجا فعفى عنه بتوسلات أمه • وعينه والياً على آسيا الصغرى • ولكنه شق عليه عصا الطاعة بعد فترة وجيزة وقاد جيشا

(١٠) محاضرات للدكتور محمود الامين في سنة ١٩٥٧ • وفي زمن داريوس هاجرت عشيرة (آساغاريتان) من اقليم سيستان الى حوالي مدينة أربيل ورئيسها حينئذ (چثران تاخما) الذي قتله دارا مع ثمانية آخرين وصورهم منقوشة على صخور بهستون بجانب صورة الملك • وكان هذا الزعيم كرديا • أنظر : تأريخ الكرد ص ٤٩ نقلا عن مينورسكي •

مرتزقاً من اليونان لمحاربة أخيه (أرتا اخشايرشا الثاني) وقد كان في هذا الجيش (زينفون) الشهير وصاحب الحملة المعروفة باسم (العشرة آلاف جندي الأغريقي) والتحم مع أخيه في معركة (كوناكسا) (١١) التي يذكرها زنيفون في كتابه (أنا بازيز Anabaziz) (الصعود) التي وصف به حملة (العشرة آلاف) التي قادها فيما بعد عندما قفل راجعاً الى بلاد اليونان ، وقتل كورش في هذه المعركة بعد أن نازل أخاه (أرتا خشايرشا الثاني) فانهزمت قواته • وقد سمح الملك الفارس بعودة الاغريق الى بلادهم متخذين طريقاً غير الطريق الذي سلكه كورش : فساروا الى دجلة ومروا بعگرگوف واجتازوا (السور المادي) الذي شيده نبوخذ نصر ثم عبروا دجلة وساروا شمالاً حتى وصلوا نهر (العظيم) الذي يسميه زنيفون باسم (فسكوس) وقد قتل قائد الاغريق أثناء الرحلة فأختار اليونانيون زينيفون قائداً عليهم وقد مر هذا من سهل نينوى وبالقرب من آشور ونمرود ولكن لم يذكر خبرها بالرغم من انه لم يمر على سقوطهما قرنان من الزمن ولكنه ذكر بانه عبر الزاب الاكبر ومر بالموصل التي اسماها (ميسبيلا) ولم يذكر نينوى ، وعندما وصل زاخو ذكر قبائل الكردوش ووصفهم بأنهم أشداء وكانوا يغيرون على معسكره وإنهم يعيشون في الجبال ولا يطيعون الملك ومن المحتمل أن يكون هؤلاء الاكراد • ثم سار في آسيا الصغرى حتى وصلوا البحر الأسود وهناك هتفوا من الفرح (١٢) •

ثم توفي هذا الملك بعد حكم دام نصف قرن فخلفه ابنه (أرتا خشايرشا الثالث) الذي كان قاسياً وذو شخصية مرعبة فقد قتل جميع اخوته ثم مات مسموماً وبموته أشرفت الامبراطورية على الهلاك • وكان يعاصره في اليونان

---

(١١) كوناكسا : كانت تقع في وسط الطريق بين بغداد وبابل •

(١٢) من محاضرات للدكتور محمود الامين سنة ١٩٥٧ •

الملك فيليب ملك مقدونيا ووالد الاسكندر • وقد تسلم العرش أحد أقرباء الملك المسموم وهو داريوس الثالث الذي اتصف بالشجاعة وكان بامكانه انقاذ الامبراطورية لو لم تواجهه مملكة مقدونيا بقيادة بطل ماهر وقائد محنك هو الاسكندر والاكبر ابن الملك فيليب •

نهاية الدولة الأخمينية ومعركة أربيلا :

ولد الأسكندر سنة ٣٥٦ ق • م وصار ملكاً بعد أبيه سنة ٣٣٦ ق • م وقاد حملته المشهورة على الشرق سنة ٣٣٤ ق • م • وقد التقى الاسكندر بداريوس الثالث عند نهر (إيسوس Issus في شمال سورية) وهزمه ، حيث ترك الملك الفارسي أهله ونساءه وبناته الذين وقعوا أسرى بيد الاسكندر ولكن الاسكندر أحسن اليهم • ثم احتل الاسكندر سورية ومصر حين خطط بنفسه فيها مكان مدينة الأسكندرية الحالية • وتعتبر مدينة الاسكندرية واحدة من مدن عديدة بناها الاسكندر باسمه في العراق والهند وايران والافغان • ثم توجه نحو العراق فاجتاز الفرات ودجلة ولم يدافع دارا عن هذين النهرين فدخل الاسكندر العراق عند دير الزور واتجه نحو الموصل ماراً بسنجار ثم اجتاز دجلة الى سهل نينوى والتحم مع داريوس في معركة (كوكميله) من المعتقد أن تكون عند نهر الخازر • ويقول العالم الاثري (فيكتور بلاس) ان المكان الذي وقعت بقربه المعركة التأريخية الشهيرة — معركة أربيلا — سنة ٣٣٠ ق • م يقع في السهل الممتد الفسيح ما وراء برطلة •

وحسب إعتقاده بأن هــذا المكان ينطبق على ما رواه المؤرخون بأن داريوس الذي كانت حركة خيالته عقيمة في موقعة إيسوس issus إستخدم جيشه البالغ سبعمائة ألف رجل ليمهد الارض ويرفع العوارض الطبيعية لكي

لا يبقى ما يعرقل سير جيوشه وعرباته) (١٣) • ثم يستطرد فيقول : ان برطلة تشغل اليوم موقع گوگميلة القديمة • وإن داريوس هرب من مكان عند ملتقى نهر الخازر بالزاب على جسر كان موجوداً أنذاك — لوجود حجارة وبناية ضخمة على شكل أطلال شاهدها عند ضفة الزاب اليمنى — الى جهات أربيل التي أعطت اسمها لهذه الحرب • وكانت مدينة مشهورة للآشوريين بدليل ذكرها في النقوش المسمارية وتثبت كذلك الى زمن داريوس الذي جمع فيها كنوزه وذخائره ومؤنة لجيش عظيم اقتضى لعبوره نهر الزاب ان يمشي على جسره خمسة أيام متواصلة) (١٤) •

هرب واريوس الى أربيل حيث ترك فيها كنوزه (١٥) ثم هرب والتجأ الى والي مقاطعة (بكتريا) • وقد عقب الاسكندر (الذي حل لبضعة أيام في أربيل ثم سار الى بابل واحتلها بدون مقاومة ثم سار الى سوسة وبرسيبوليس وأخضع سكان الجبل الأيرانيين) والى بكتريا المذكور الذي أحس بذلك وهرب ومعه الملك داريوس فما كان من هذا الوالي إلا أن أغتال الملك داريوس• فلما شاهد جثته الاسكندر ألقى عليه رداءه وأرسله الى والدته في سوسة (١٦)•

العهد السلوقي :

بعد وفاة الاسكندر في مدينة بابل سنة ٣٢٣ ق • م أصبح العراق مع ايران وسورية من حصة أحد قواده وهو (سلوقس) الذي إبتنى له عاصمة

(١٣) مجلة النجم — العدد الثالث آذار ١٩٥٣ ص ١٣٠ •

(١٤) نص المصدر ص ١٣٣ ، وقد عبر الاسكندر الزاب الى أربيل قرب قرية (گردمامك) حيث يوجد على الزاب بقايا جسر قديم وقد سمي بطليموس هذا المكان بـ (كورخورا) •

(١٥) مدن العراق القديمة ص ١٤٧ •

(١٦) من محاضرات للدكتور محمود الامين في كلية الآداب سنة ١٩٥٧ • وأنظر : المعارك الفاصلة • ص ٣٥ — ٣٦ • والمرشد الى مواطن الآثار ص ٤ •

على دجلة وسماها (سلوقية) نسبه اليه تقع بالقرب من المدائن . ومن المحتمل تعيين مدينة كركوك الوارد اسمها في المصادر الآرامية بصورة « كرخا — د — بيت سلوخ » أي مدينة السلوقيين وبصورة « كرخ سلوخ » بالمعنى ذاته بأنها ازدهرت في العهد السلوقي في العراق (٣١٢ — ١٣٥ ق . م) حيث بني فيها سلوقس مؤسس السلالة السلوقية سوراً وأنشأ فيها عمارات وجعلها مركز اقليم تابع الى مملكته [١٧] .

ولقد كان للسلوقيين هيمنة كافية على اقاليم حدياب مما ألزم الفرثيين على القتال في سبيله فيما بعد .

وقد كان للسلوقيين عاصمتان احداهما في سورية وهي « أنطاكية » وكانت هذه عاصمة القسم الغربي من الامبراطورية ، وثانيتهما في العراق وهي المسماة سلوقية (أطلالها تعرف الآن باسم تل عمر مقابل طاق كسرى) . وقد ازدهرت الحضارة والعمران في ربوع الدولة السلوقية حيث أسس السلوقيون مدناً كثيرة في إيران والعراق وسورية .

وقد ضعف السلوقيون في أواخر أيامهم ولم تدم سلطتهم في إيران . فقد انفصل القسم الشمالي من ايران وهو اقليم خراسان الذي اشتهر بكونه موطن قبائل من الفرس عرفوا بالفرثيين وقد نجح هؤلاء من طرد السلوقيين من العراق حوالي سنة (١٤٠ — ١٣٥ ق . م) وحكموا العراق . وتعرف هذه السلالة الجديدة باسم السلالة الارشاقية نسبة الى مؤسسها (أرشاق) .

العهد الفرثي (١٤٨ ق . م — ٢٢٦ م) :

إستطاع الفرثيون (الاشكانيون) في اقليم پارثا وهم من ايرانيي الشمال مثل الأخمنيين لتربيتهم العسكرية من الاستيلاء على پارثا ، ثم خلقوا بالغزو دولة إيرانية موحدة ، ولكن كان لهذه الدولة لونها الخاص . وقد انتقلت السيادة

(١٧) المرشد : الرحلة الرابعة ص ٨ .

بقيام الأشكانيين من الغرب الى الاقاليم الشمالية التي كانت اكثر الجهات احتفاظا بالطابع الايراني . وهكذا كانت دولة البرثيين رغم ظاهرها الاغريقي اكثر إيرانية من الدولة الأخمنية . وقد اتخذ البرثيون . عاصمتهم الدامغان (هيكاتو مبيلوس) في پارثيا مدة قرنين من الزمان ، وذلك قبل أن يتخذوا المدائن على ضفاف دجلة عاصمة لهم (١٨) . وكانت المنطقة مدار نزاع طويل بين السلوقيين والفرثيين » الى ان تفرد الفرثيون في حكم العراق في عام (١٣٩ ق . م) في عهد ملكهم « متراداتس الاول » (١٩) .

وكانت المملكة الفرثية تنقسم الى مقاطعات أو ممالك صغيرة مستقلة الواحدة عن الاخرى ، ولكل منها ملك يحكم بها ويخضع للأرشاق (الملك الفرثي الكبير) ، وأشهر هذه الممالك هي : (مملكة الرها (أورفا) ومملكة تدمر في بادية الشام وامارة حطارا (الحضر) وكانت قريبـة من تكريت وامارة ميشان وكانت قريبة من البصرة الحالية وامارة سنجار في أرض الموصل وامارة حدياب (أديابين) (٢٠) . وحدياب كما مر ذلك اسم آرامي يقابله في المصادر الكلاسيكية اسم (أديابين) ولعله مشتق من كلمة زابين فيكون معنى حدياب اقليم الزابين الذي إمتد نفوذه في بعض الاوقات الى الفرات غربا ونصيبين شمالاً (٢١) . واقليم حدياب يكاد يطابق من الناحية الجغرافية الجزء الاكبر من بلاد آشور القديمة حتى سمي أحيانا باسم مرادف هو (آشوريا) أي بلاد آشور . وقد كانت هذه الامارات التي ذكرناها قلقة بصورة عامة في تبعيتها للفرس اذ وقعت أحيانا تحت النفوذ الروماني . عاشت هذه الامارات التي تشكلت قبل الميلاد الى الأجيال القليلة التالية بعد الميلاد .

(١٨) ايران على عهد الساسانيين لكريستنسن ص ٥ — ٦ .
(١٩) المرشد . الرحلة الخامسة ص ٤ .
(٢٠) تأريخ الموصل ج ١ ص ١٨ .
(٢١) سومر ٨ (١٩٥٢) بشير فرنسيس وكوركيس عواد .

ان سياسة تقسيم الدولة الى امارات صغيرة كانت معروفة لدى الاغريق منذ زمن الاسكندر الذي حاول بدوره تقسيم بلاد فارس الى ممالك صغيرة ونصب عليها ملوكاً من الفرس ليوقع التنافس فيما بينهم فيأمن اليونانيون خطرهم .

كانت أربيل أهم مدن حدياب ، ولا يعرف أسماء الملوك الذين توارثوا على حكمها ، الا ان يوسيفوس المؤرخ اليهودي ذكر اسم أحد ملوك حدياب وهو (إيزاط) الذي حكم في القرن الاول الميلادي وعلى عهده ضم (أرتبان الثالث) ملك الفرثيين نصيبين الى امارة حدياب وجعلها تحت حكم (إيزاط) [٢٢] .

وكان (ديكران الاول) ملك ارمينيا قد غزا أديابين واربيلا واحتلها فحكمتها المملكة الأرمنية ابتداءً من سنة (٨٣ ق . م) وحتى العشر سنوات التالية . ولكن الملوك الفرثيين طردوا الأرمن بعد أن حالفوا الرومان ، الا ان هذا التحالف لم يدم طويلا اذ أخذ الرومان يطمعون في هذه المنطقة [٢٣] . وفي عام ٦٢ م غزا حدياب (ديكران الخامس) الملك الذي عينه الامبراطور (نيرون) الروماني على مملكة أرمينيا مغتنما فرصة غياب (ولكاسوس) الاول الملك الفرثي (البارثي) وضايق سكانها لدرجة لا تطاق فكتبوا الى (ولكاسوس) يشكون هذه الحالة ويهددون بالانظمام الى الرومان اذ لم ينقذهم من هذا الطاغية فلبى (ولكاسوس) شكواهم فورا وأعلن الحرب على أرمينية والرومان وعين (مانوباز) ملك أديابين قائداً فطرد (ديكران) وغزا بلاده أرمينيا [٢٤] . وفي القرن الاول الميلادي كان (إيزاط) ملك

---

(٢٢) تأريخ الموصل ج ١ ص ١٨ .

(٢٣) من عمان الى العمادية ص ١١٩ .

(٢٤) نفس المصدر ص ١١٩ وانظر رحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين

أديابين من الملوك المميزين في الامارات الفرثية حيث لبس التاج العالي ذا الشرفات وحق النوم في سرير من الذهب ، وهذان الامتيازان كانا من خصائص الملك الفرثي الاكبر وقد منحهما (ارتبان الثالث) استثناء لتابعه الالملك ايزاط الأديابيني جزاءً له على مساعدته اياه في اعتلائه العرش [٢٥] .

ان أطماع الرومان في حدياب لم تتوقف عند حد وكانوا يحركون مملكة أرمينيا لقربها من حدياب لأثارة الفوضى فيها واحتلالها ، ولما فشلت هذه الوسيلة تدخل الرومان بأنفسهم في الموضوع . اذ احتل الملك الروماني (تراجان) في سنة ١١٥ م مملكة حدياب في طريقه الى المدائن (طيسفون) ووقع بيده العرش الذهبي في العاصمة الفرثية [٢٦] ، ولكن خليفته (هدريان) تخلى عن اقليم حدياب . وقد تجدد النزاع بين الرومان والفرثيين ثانية حينما احتل الرومان هذا الاقليم في أواخر القرن الثاني الميلادي في زمن ملكهم (سبتيموس سويرس) .

وقد ورد في(مشيحازخا) (وهوكتاب عن تأريخ أربيل الديني بالسريانية) أسماء بعض ملوك حدياب الآخرين منهم (شهراط ونرساي) . وقد حكم نرساي هذا الى أوائل القرن الثالث بعد الميلاد ، وفي حكمه نشبت حرب بين (ولغاش الرابع) (١٩١ — ٢٠٨) ملك الفرثيين وبين الفرس عند خراسان

— بغداد ١٩٧٠ ص ١٤٨ ويذكر ان حدياب غدت سبباً في النزاع بين الفرث والرومان الى أن نهض الفرس (الساسانيون) وضربوا الاثنين وأسسوا امبراطورية آرية .

(٢٥) يذكر أن (مهردات) وهو أمير فرثي منفي في رومة سنة ٤٩ م دخل في صراع على العرش مع الملك الفرثي . والتقى به قرب أربيل ولكنه اندحر اذ تخلى عنه ايزاط الذي وعده بالمساعدة . رحلة متنكر ص ١٤٨ وراجع ايران على عهد الساسانيين ص ١٥ .

(٢٦) نص المصدر ص ١٥ . والمرشد الرحلة الخامسة ص ٤ .

فانكسر الفرثيون ولاذوا بالهزيمة فعقبهم الفرس ، ثم ان آولغاش الرابع جمع قواه واستأنف الهجوم على أعدائه وهزمهم الى بحيرة قزوين وقتل منهم خلقا كثيرا . وقد تخلف نرساي عن مرافقة الفرثيين في هذه الحرب فأغضبهم ذلك ولما رجعوا منتصرين هجموا على حدياب وخربوا مدنها ونهبوها وأغرقوا نرساي في الزاب الكبير [٢٧] .

لم يتخل الرومان عن احتلال حدياب وحكمها ففي زمن ملكهم (كراكلا) غزوا أربيل بقيادته بعد عودته من حملته على طيسفون في (٢١٦ م) حيث نبش القبور التي تعزى الى الملوك الفرثيين في أربيل [٢٨] . وبعد عشر سنوات على هذه الحادثة قامت السلالة الفارسية الساسانية على يد مؤسسها أردشير (٢٢٦ م) فطرد الرومان من اقليم أربيل .

الدولة الساسانية :

سادت الفوضى اقليم فارس في أول القرن الثالث الميلادي ، وهي تبين مدى الضعف الذي هوت اليه قوة الفرثيين في ذلك الوقت . وكان على أولغاش الرابع أن يخمد ثورة خطيرة في فارس حوالي سنة ١٩٦ م . ويبدو ان كل بلد ذي أهمية قليلة كان له مليكه الخاص . وكان أهم هذه الامارات امارة مدينة اصطخر عاصمة ملوك الفرس القدماء ، وقد كانت في ذلك الوقت في يد جوتچهر Gotchihr) الذي هو من أسرة البارزنجيين . ويحتمل أن يكون من نسل جوتچهر الذي عاش في القرن الاول الميلادي [٢٩] . وقد عين ساسان وهو رجل من عائلة نبيلة ، متزوج من فتاة (رام وفهشت

(٢٧) تأريخ الموصل ج١ ص٢٠ نقلاً عن (مشيحازخا) بالسريانية . وتأريخ كلدو ج ١ ص ١٦٨ .

(٢٨) المرشد . الرحلة الخامسة ص ٤ وأنظر رحلة ريج ص ٢٤٤ وأنظر : رحلة متنكر ص ١٤٩ .

(٢٩) ايران على عهد الساسانيين ص ٧٣ — ٧٤ .

Ramvaaisht كما يقول الطبري) أو من بيت البارزنجيين سادنا لبيت ناأناهيد (أناهيتا) في اصطخر • وقد استفاد ابنه پابگ الذي خلفه في وظيفته من صلته ببيت البارزنجيين فنصب واحدا من اولاده الصغار ، أردشير في الوظيفة العسكرية الكبرى على مدينة (داربجرد) • وابتداء من سنة ٢١٢ أو حوالي هذا التأريخ أصبح أردشير سيدا على كثير من مدن هذا الاقليم وذلك بغلبه أو قتله لحكامها ، بينما ثار پابگ على قريبه الملك جوتچهر ، ودهمه في قصره ثم قتله وولي مكانه •

والظاهر أن أردشير تطلع الى ارتقاء عرش فارس ، ومن المحتمل أن يكون بابك قد كتب الى الملك (ارتبان الخامس) يستأذنه في ان يضع تاج جوتچهر على رأس ولده الاكبر سابور ، لكي يحبط خطط ولده الطموح أردشير • وقد أجاب الملك الكبير بانه يعتبر پابگ ثائرا وكذلك ابنه اردشير • وقد مات پابگ بعد ذلك بقليل فارتقى ولده سابور عرش فارس ، واشتعلت الحرب بينه وبين أخيه أردشير ، ولكن سابور توفي فجأة • وأما أخوة أردشير الآخرون، فقد منحوه التاج فقبله ولكنه قتلهم بعد ذلك خشية ان يخونوه [٣٠] • ويقول المؤرخ اليوناني (سترابون) ان أردشير جمع جنودا وآثار الماديين واجتذب اليه ملوك الطوائف ومنهم (سهراط) ملك حدياب و(دوميطيانا) ملك كرخ سلوخ (كركوك) [٣١] فقاومهم أرتبان الرابع الفرثي ولكنه انكسر أمامهم فأعلن اردشير نفسه ملكا في مجلس انعقد في باخترا (بكتريا) فسمى نفسه بملك الملوك في سنة ٢٢٤ م •

دخل أردشير المدائن دخول الظافر معتبرا نفسه وارث الفرثيين وأخضع

---

(٣٠) ايران على عهد الساسانيين ص ٧٥ •

(٣١) كلدو وآشور ج١ ص ١٦٩ وان شهراط هو ابن نرساي الذي قتل على يد الفرثيين في زمن أولغاش الرابع — (١٩١ — ٢٠٨ م) الفرثي لانه لم يساعدهم في حربهم ضد الفرس •

بابل لطاعته وكان ملكها (ونجاش الخامس) قد عزله أخوه ارتبان قبل بضع سنوات فأعيد الى ملكه بعد موت أخيه • وتشير الروايات بأن أردشير تزوج سيدة من الفرثيين هي بنت أرتبان وابنة عمه او ابنة اخت (فروخان) ابن أرتبان [٣٢] •

وفي السنين التالية أخضع أردشير (ميديا) ومعها همــدان ثم حاصر (الحضر) التي امتنعت عليه لذلك اضطر الى مهاجمة آذربيجان وأرمينية ولقي فيها صعوبات بالغة ، وقد مد سلطانه على الاقاليم الشرقية • وقد وسع ملكه ايران الحالية وأفغانستان وبلوخستان واقليم (مرو) و (خيــوه) حتى جيحون شمالا وبابل والعراق غربا • وأصبحت مدينة اصطخر المدينة المدينة المقدسة لدى الساسانيين • وكان الملك العظيم يقيم أحيانا في مدينة كور (فيروزآباد) التي تقع ناحية الجنوب • وكانت المدنية الساسانيــة استمرار لمدنية الفرثيين وفي الوقت نفسه تجــديدا لها • ان اقليم فارس وعاصمته اصطخر لم يعودا صالحين لاقامة ملك الملوك فقد صارت بلاد ما بين النهرين المركز الرئيسي للامبراطورية الشرقية تبعا لضرورة التطور التأريخي، وانتقل دور بابل السياسي الى سلوقية — طيــفون •

وقد احتفظ الساسانيون بالتقسيم القديم للدولة الذي يجعلها أربع أيالات ، ومنذ القرن الخامس سمي حكام الايالات بالمرازبة (جمع مرزبا) وكانوا من طبقة أسرة (شهرداران) وكانت هذه من الطبقة الاولى في الدولة الساسانية ويحملون لقب (ملك) وهذا سوغ أن يكون لقب ملك ايران (ملك الملوك) (شاهنشاه) • وتشمل هذه الطبقة الامراء التابعين وحكام الامارات التي كانت خاضعة لايران والذين ضمن لهم ملك ايران نظــير خضوعهم الامارة لهم ولذويهم من بعدهم ، ومع التزام وضع قواتهم الحربية

(٣٢) ايران على عهد الساسانيين ص ٧٦ •

تصرفه ، وقد يؤدون له جزية معينة [٣٣] .

وقد ولي كرمان وكوشان أخوان لسابور الاول هما أردشير وفيروز. وكان بهرام الثالث حاكما (لسيستان) ولقبه (صغانشاه) ، وكان سابور الاول وهرمزد الاول وبهرام الاول والثاني حكاما على خراسان وملوكا لكوشان قبل ان يرقوا عرش ايران . وولي أردشير الثاني امارة آديابين (حدياب) [٣٤] .

جاء في تاريخ أربيل [٣٥] أن (سابور في السنة الاولى من حكمه ، حارب الخوارزميين ثم الميديين الجبليين (من آذربيجان) وهزمهم في معركة حامية ومن هناك ذهب لاخضاع الجبليين والديالمة والهرقانيين وسكان جرجان الذين كانوا يسكنون الجبال البعيدة المجاورة لبحر قزوين) [٣٦] .

ان الاقليم الجبلي الذي يمتد ما بين أقاصي شرق البحر الاسود والمجرى الاوسط لدجلة (بما فيها أربيل) لا تقف حدا طبيعيا فاصلا بين الدولتين العظيمتين ، امبراطورية الشرق وامبراطورية الغرب ، ولو ان أرمينية كانت قوية لدرجة تكفي على حفظ استقلالها من اعتداء الدولتين لاستطاعت ان تكون حائلا بينها ، ولكنها كانت ضعيفة جدا . وكان يحكم في ارمينية ملوك يمتون بصلة النسب البعيد الى الفرثيين . ولكن موضعهم هناك لم يكن ثابتا . فقد كان عظماء أصحاب الاقطاع على استعداد دائم لشق عصا الطاعة لما كان نفوذ الرومان متفوقا على النفوذ الايراني [٣٧] . وكان أردشير قد سيطر على

(٣٣) نفس المصدر ص ٨٨ .
(٣٤) نفس المصدر ص ٨٩ .
(٣٥) نشره الاستاذ منجانا . ليبزج ١٩٠٨ . أنظر ايران في عهد الساسانيين ص ٢٠٩ .
(٣٦) ايران في عهد الساسانيين . ص ٢٠٩ .
(٣٧) نفس المصدر ص ٢٠٨ .

البلاد التي كانت تابعة لكورش الاخميني فدخل في حروب الرومان في زمن ملكهم (سويرس) أسفرت عن انتصاره فاستولى على (كرخسلوخ) كركوك وحدياب وسائر بلاد ما بين النهرين ، ولكن الحضر المملكة العربية الصغيرة في الصحراء جنوب نينوى قاومته بشدة ولم تذعن الا في أيام سابور الاول •

وقد انقلبت الآية فيما بعد ، حيث استطاع الملك الروماني (غوردیان) الذي عاصر ابن أردشير سابور الاول (٢٤١ — ٢٧٢ م) احتلال كل بلاد بين النهرين • وقد رد اليه هذه البلاد الملك الروماني (فيلبس) الذي هادن وحالف سابور الاول وتوصل معه الى معاهدة سلام سنة (٢٤٤ م) وقد نص فيها على ان يترك (فيلبس) أرمينية الى الايرانيين [٣٨] •
لكن الملك الروماني (فالريان) هاجم بلاد ما بين النهرين وانتصر عليه سابور في سنة (٢٦٠ م) وأسر الملك الروماني الذي كان قد قاد بنفسه الحملة ضد الايرانيين • وقد خلد سابور انتصاره على فالريان ، في آثار عدة • ففي نقش كبير ، بنقش رسم يرى سابور وهو يهب الحياة للامبراطور المغلوب ، الذي يشاهد راكعا أمامه [٣٩] •

وفي حكم بهرام الثاني (٢٧٦ — ٢٩٣) ثار حاكم حدياب واسمه (كوپرأشنسب) وخلع طاعة الملك وبنى لنفسه حصنا منيعا في الجبل وتبعه نحو (٥٦٠) رجلا وصاروا ينهبون القوافل ويقطعون الطريق وخربوا قرى كثيرة فأرسل بهرام جنودا ليقضي عليهم لكنهم رجعوا خائبين ، ثم بعث الملك جنودا آخرين تحت قيادة (زرهسب) فاحتال هذا القائد على الحاكم وقبض

(٣٨) نفس المصدر ص ٢٠٩ •
(٣٩) ايران في عهد الساسانيين ص ٢١١ •

عليه وذهب به الى المدائن حيث سلخ جلده [٤٠] .

ان حكم بهرام الثاني انتهى بانتصار عمه نرسي بن سابور الاول عليه وقد دخل هذا في حرب مع روما ولكنه لم يوفق في هذه الحرب . فلقد طرد ملك أرمينية (يزدات) الذي كان يدين بعرشه لحماية الامبراطور، ولكن (جاليريوس) قاد الجيش الروماني وغلب نرسي ووقعت زوجته الملكة (أرسان) أسيرة في أيدي الرومان ، واضطر نرسي ان يتنازل للرومان عن مقاطعات من أرمينية الصغرى . وقد هدأت الاحوال واستمر السلم بين ايران وروما ما يقرب من أربعين سنة . ثم جاء هرمزد الثاني ابن نرسي (٣٠٢ - ٣٠٩ م) الى الحكم واشتهر بعدله ، ثم أعقبه (آذر — نرسي) أحد أبناء هرمزد الثاني من زوجته الاولى ، ولكنه لم يكن محبوبا من العظماء فعزل بعد أشهر من حكمه ، وسملت عينا أحد اخوانه ، وسجن آخر اسمه هرمزد ، ولكنه هرب ملتجئا الى الرومان . ولكن العظماء نصبوا على العرش أحد أبناء هرمزد الثاني من زوجة أخرى ، الامير سابور وكان طفلا آنذاك [٤١].

وقد حكم سابور الثاني (٣٠٩ — ٣٧٩ م) سبعين سنة متواصلة ، وقد شن حربا انتقامية ضد رومة ولقب بـ (ذي الاكتاف) ، لان الروايات تقول انه في حربه الشديدة مع العرب كان ينقب اكتاف أسراهم [٤٢] . وبعد أن وطد سابور سلطانه بدأ بقتال رومة وكانت حوادث هامة قد وقعت داخل السلطة الرومانية اذ دخل قسطنطين الاكبر الدين المسيحي ، وكان من نتيجة ادخال الدين المسيحي في ارمينية توثق العلاقات بين روما وأرمينية . واذا كان الامبراطور (جوليان) المرتد من المسيحية قد حارب المسيحية فيما بعد

(٤٠) كلدو وآشور لأدي شير — بيروت ١٩١٣ جـ ٢ ص ١٣ .
(٤١) ايران على عهد الساسانيين ص ٢٢٣ .
(٤٢) نفس المصدر ص ٢٢٥ .

فان أثره لم يدم .

وكانت أرمينيا دائمة التمزق بما بين كبار النبلاء من تطاحن ، وكان هذا يؤدي الى تدخل روما أو ايران في ارمينيا . وقد ظلت هـذه البلاد ميدانا لحرب بين ايران وروما . وقد اصطدم شابور بالرومان في الجزيرة بعـد اجتياحه أرمينيا واراد بهذه الحرب استرجاع البلاد التي فقدت بهزائم (نرسي) وقد تبتت نصيبين لهجمات الفرس وظفر الرومان بمعركة سنجار . وكان الملك الروماني قسطنطين الاكبر قد توفي وهو يستعد لمواجهة شابور سنة ٣٣٧ م فأشرف خلفه قسطنطيوس الثاني على سير الحرب (٤٣) . ولكـن انتصار الرومان في سنجار تلته هزائم عديدة ، وبعد ذلك توقفت الحروب على حدود الرومان عدة سنين في أثنائها بدأ سابور الثاني باضطهاد عام في بلاد ضـد المسيحية واتباعها . بدأت عملية الاضطهاد منذ سنة ٣٣٩ م حتى عام ٣٧٩ م وهو سنة وفاته واستمرت بذلك اربعين سنة .

وقد قام خلال هذه الفترة رجال الدين المجوس باضطهاد واسع النطاق في البلاد اذ بيدهم السلطة العليا في المسائل الدينية ، والموبذ هو الذي يفتي في المسائل الروحية ويشترك في هيئات محاكم التفتيش وخاصة في الاقاليم التي يشتد فيها العداء للدين (المجوسي) . وكان الموبد ان موبذ (رئيس كهنة المجوس) مستشارا للملك الفارسي في جميع الاحوال التي تمس الدين وكان لرجال الدين المجوس حق القضاء الذي خولتهم الدولة (٤٤) .

وفي سنة ٣٤٣ بدأ الاضطهاد في ولايتي كرماي (كركوك) وحدياب . فان شابور وجد هنا لمحاربة الروم وكان أخوه أردشير ملك حدياب متوليـا

(٤٣) ايران ص ٢٢٥ .
(٤٤) نفس المصدر ص ١٠٤ — ١٠٦ .

على الجنود في المنطقة فقتل في هاتين الولايتين عددا كبيرا من المسيحيين(٤٥)،

وكان من جملة المقتولين (كوشتزاد) حاجبه • وفي السنة التالية (٣٤٤ م) قتل أسقف أربيل (ماريوحنا) وأحد الكهنة على يد بيروزطمشابور رجل الدين المجوسي • وفي عهد الموبد (آذورپره) الذي خلف الموبد (بيروزطمشابور) قتل أبراهام أسقف أربيل في سنة ٣٤٥ م • وفي السنة التالية قتل مار (جنيا) وكان علمانيا من مدينة أربيل على يد الموبد (آذورشاغ) • ولدينا اسماء كثير من رجال الدين المجوس الذين قادوا الاضطهاد في حدياب ومنهم (نرساطمشابور) (٣٤٧ م) • وشابور طمشابور (٣٥٥ م) • وكوركشيد (٣٥٥ — ٣٧٨) • وزرادشت (٣٧٨ م) وهو غير زرادشت نبي الديانة الزرادشتية المعروف •

وفي سنة ٣٥٦ م لم ينجح مشروع صلح بين فارس وروما • وفي حدود هذه الفترة ٣٥٩ م عين قردغ حاكما على حدياب وامتد نفوذه من نهر ديالى الى مدينة نصيبين واستأصل جميع معابد النار في حدياب وعمر مكانها كنائس • فأخبر بذلك شابور ، وكان قرداغ قد اتخذ حصن (ملقى) Milga القريب من أربيل مقرا له فكتب شابور الى (كوشنا زداد) و (دينكو شناسب) وكانا حاكمين في البلاد المسيطرة عليها قرداغ كي يرجعانه الى ديانة المجوس فتحصن قرداغ في حصنه وحمل عليه (بورزمهير) القائد وحاصره دون جدوى • أخيرا خرج قرداغ من تلقاء نفسه وقتل رميا بالحجارة سنة ٣٥٩ م (٤٦) •

واشتعلت الحرب بين رومة وايران مرة أخرى في هذه الفترة • وقد

(٤٥) كلدو وآثور ج ٢ ص ٧٩ •

(٤٦) كلدو وآثور ج٢ ص ٨٧ — ٨٨ • ودائرة المعارف الاسلامية ، مادة أربل •

بدأ سابور بهجوم على قلعة آمد (دياربكر الحديثة) واستولى عليها بعد دفاع مجيد في سنة ٣٥٩ م . وبعد سنين توفي الملك الروماني قسطنطينوس فصار جوليان امبراطورا واحدا على الرومان . فقاد بنفسه الجيوش الرومانية وسار لمحاربة الايرانيين .

ولكن جيوشه أوقفت وقتل جوليان سنة ٣٦٣ م في المعارك التي تلاحقت . وخلفه (جوفيان) الذي سحب الجيوش الرومانية الى ما وراء الحدود وكسب بذلك الايرانيون في الصلح الذي تم عاجلا لمدى ثلاثين سنة نصيبين وسنجار ومقاطعات في أرمينيا .

وفي حكم بهرام الرابع (٣٨٨ — ٣٩٩ م) وفي السنوات الاولى من حكمه اقتسمت ايران وروما ملك أرمينيا فدخل قسمها الشرقي تحت حماية ايران وخضع القسم الغربي لحماية الرومان . وفي سنة ٥٨١ م تجددت الحرب في زمن هرمزد الرابع ولكن القواد الايرانيين لم يكونوا مظفرين [٤٧] . ورفع (بهرام جوبين) علم الثورة ضده ثم قتل هرمزد الرابع ونصب ابنه كسرى الثاني الملقب برويز (المظفر) الذي لم يعترف به بهرام . وفي أثناء صراعهما انتصر بهرام الذي نصب ملكا تحت اسم بهرام السادس . وهرب كسرى ملتجأ الى الامبراطور الروماني (موريق) حيث أمده الامبراطور بعون حربي على ان ينزل له كسرى عن مدينتي (دارا وميافارقين) وكان الروم قد استولوا عليها في الحرب . وقد مر الجيش الروماني من أربل الى راوندوز في سنة ٥٨٩ م لمعاونة كسرى ، وزحف الملك كسرى مع هذا الجيش نحو همدان وكان الجيش الروماني يقوده القائد (نرسس)[٤٨] . واخيرا هزمت قوات بهرام في آذربيجان وهرب ثم قتل . فعاد بذلك كسرى الى عرشه .

(٤٧) ايران على عهد الساسانيين ص ٤٢٧ .
(٤٢) تأريخ الكرد ص ١٢٥ — ١٤٦ .

وقد أدت وفاة الامبراطور (موريق) الى تجدد الحرب بين ايران وبيزنطة وغزا قواد الفرس جهات في آسيا الصغرى واستولوا على الرها وانطاكية ودمشق والقدس والاسكندرية وانحاء أخرى من مصر ، وفي ذلك الوقت (٦١٥ م) بلغت قوة كسرى أوجها [٤٩] . وقد أوقف هرقل آخر الامر الزحف الايراني فاستعاد آسيا الصغرى وطارد جيوش كسرى في أرمينية وآذربيجان متخذا طريق (شنو — راوندوز) فاحتل أربيل ونينوى وكركوك وما يجاورها [٥٠] . وفي سنة ٦٢٥ م / ٤ هـ توطد الحكم الروماني في هذه الجهات ، ولكن الفرس لم يرضوا بهذا الاحتلال فتعرضت المنطقة من جراء الحروب الطاحنة سنة ٦٢٨ م لتخريبات كبيرة . وقد استولى هرقل على مقر الملك الفارسي في (دست گرد) واستعد لحصار المدائن . وبعد حكم دام سبعا وثلاثين سنة لقى كسرى الثاني المصير الذي أعده لابيه من قبل. فانه بعد ان هرب من (دست گرد) رافضا عروض الصلح التي قدمها هرقل عاد الى مقره في المدائن . ثم تمرض كسرى ونصب ابنه (شيرويه) ملكا وقد فاوضه هرقل وأبدى استعداده للصلح مع الفرس ، ثم قتل كسرى بعد سجن لقى خلاله الجوع لمدة خمسة أيام حيث رموه بالسهم . ولم يحكم قباذ الثاني(شيرويه) الا ستة أشهر ومات مسموما فولي على العرش ابنه (أردشير الثالث) وكان طفلا . فاتفق القائد الاعلى مع هرقل ملك الروم وزحف نحو المدائن فقتل الملك الصغير الذي لم يحكم غير سنة ونصف السنة . فنصب القائد نفسه ملكا على الفرس وبعد مقتله بويع كسرى الثالث ، ابن الامير قباذ أخي كسرى الثاني ملكا على القسم الشرقي . وفي المدائن وضعوا التاج

(٤٩) ايران ص ٤٣١ .
(٥٠) تأريخ الكرد ص ١٢٧ في سنوات (٦٢٣ — ٦٢٤ م) .
تأريخ الموصل ج١ ص ٣٨ .

لى رأس السيدة بوران بنت كسرى پرويز [٥١] .

وكانت شهرزور قد بقيت تحت الحكم الروماني ، لان هرقل الذي تعقب أبرويز) عن طريق هذا الاقليم قضى في بلدة شهرزور شهر شباط من سنة ٦٣٨ م [٥٢] .

وفي هذه الاثناء كان المسلمون يتقدمون لفتح العراق تدريجيا بعد نتصارهم الحاسم على الساسانيين في واقعة القادسية (نهاية ١٦ هـ) ثم فتحت لمدائن حيث هرب الملك يزدگرد الثالث وذهب الى حلوان [٥٣] . وحاول لملك الفارسي محاولة أخيرة ، فجمع جيشا من جميع أجزاء المملكة ووضع لى رأسه قائدا مسنا اسمه (پيروزان) فاشتبك مع المسلمين سنة ٦٤٢م/٢٢هـ ي موقعة نهاوند ، وكانت معركة حامية الوطيس انتهت بهزيمة الفرس ولم بق بعد ذلك جيش للملك وترك الدفاع عن الاقاليم للمرازبة أو الى ولاة حليين . ثم فتحت همدان والري ثم آذربيجان وأرمينية . وتراجع يزدگرد لى اصفهان ، فلما دخل العرب هذه المدينة هرب الملك ولم يبق له من الملك ير اللقب ثم قتل قريبا عن (مرو) . ويقال انه كان معه حين دخل مرو اربعة لاف فارس لا يصلحون للقتال ، من الكتاب والطباخين والفراشين وسيدات لحرم وغيرهم من النساء الاطفال والشيوخ من الاسرة الملكية ، ولكن لم يكن معه محارب واحد . كما انه لم يبق معه من الموارد ما يمكنه ان يعول مثل هذه الاسرة العديدة ، وذلك لما وقع فيه نظام جباية الضرائب من الاضطراب لعام . وقتله طحان (كان قد التجأ الى طاحونته الملك) طمعا فيما يملك[٥٤] .

---

(٥١) ايران ص ٤٧٩ .

(٥٢) تأريخ الكرد ص ١٢٧ .

(٥٣) كانت تقع بين قصر (شيرين) و (كرند) في المحل المسمى الآن (سرپل) رأس الجسر ومنها ينحدر ماء (الوند) المار بخانقين .

(٥٤) ايران ص ٤٨٨ .

الديانة الفارســــــية :

يتضح من كتابات داريوس التي سجلها على منحوتات بهستون وفي سوسة وفي نقش رستم ان الاله (أهورمزدا) كان في نظر الاخمينيين أعظم الالهة وانه هو الذي خلق السما والارض والانسان ومنحه الخير ليعيش سعيدا على هذه الارض وهو الذي منح الملك داريوس ملكا عظيما ومملكة واسعة . وقد عبد الفرس الى جانب أهورمزدا آلهة أخرى مثل الاله (الشمس Mitra) والالــه (ماه Mah) الالــه القمر والاله (زام Zam الاله الارض والاله (أتار Atar) الاله النار . عبد الفرس آلهتهم عن طريق تقديم القرابين والضحايا ترافقها صلوات وأدعية يقوم بها الكهنة الذين عرفوا بالمجوس (Magi) (ومنها كلمة Magic (السحر) . ومن المعتقد ان هذه المراسيم الدينية التي قام بها المجوس ترجع في أصولها الى الميديين . وكانت هذه الطقوس الدينية واجبات هؤلاء المجوس في زمن الاخمينيين الذين أخذوا عن الميديين مرتبة الكهنة وكان الجيش يرافق المجوس أثناء قيامهم بالطقوس الدينية وتقديم القرابين . وكان من جملة واجبات المجوس تفسير الاحلام والاشتراك في احتفالات التتويج للملوك الجدد .

ويقول هيرودوت : ان الفرس ليست لهم معابد او تماثيل الالهة وقد كان محقا في ذلك لما تعود عليه في بلاد اليونان من رؤية المعابد والتماثيل . فالفرس لم يكن لهم معابد فيها اضرحة ولا تماثيل يعبدها الناس اذ كان لهم معابد ثلاثة فقط تعود الى الدور الاخميني واحــد منها في مدينة (بزاركده) . والثانية في (نقش رستم) امام قبر الملك داريوس والثالث في (سوسه) . وهذه المعابد الثلاثة عبارة عن برج مكعب يحتوي على غرفة واحدة يوصل لها بالدرج وعندها يقف المجوس لايقاد النار والمحافظة على استدامة لهيبها . اما الاحتفالات الدينية فقد كانت تقام في العراء .

وفي خلال الحكم الاخميني ظهرت الديانة الزرادشتية التي جاء بها (زرادشت) وأخذ ينشر بها في جميع انحاء الامبراطورية الاخمينية • أما الزمن الذي ظهر فيه زرادشت فمجهول (٥٥) ويعتقد انه ولد في ميديا ولكنه اضطر الى مغادرة بلاده فرحل الى شرقي ايران حيث أخذ هناك يبشر بالدين الجديد فتبعه خلق كثير وآمن به الأمير (هيستاسپيس) حاكم بلاد فرثيا وهركانيا والمعتقد انه والد داريوس • وتعتقد الديانة الزرادشتية بان العالم تحكمه قوتان رئيسيتان وهما الخير والشر فقوة الخير تتمثل في (آهورمزدا) وقوة الشر في (آهرمان) وللإله آهورمزدا حاشية من الالهة تساعده في واجباته •

واستنادا الى هذه الفكرة فان هناك بشر نقي يدعو للخير وبشر موجه للشر ، لان في طبيعته تكمن قوة الشر ، لذلك فان البشر الصالح يؤمن بالاله آهورمزدا ويسير تحت هدايته أما البشر الشرير فانه يتبع الاله أهرمان اله الشر •

وكان في اعتقاد الزرادشتية (ان الافراد يدانون على أعمالهم بعد الموت فالصالح يذهب الى الجنة ، أما الشرير فانه يقضي حياته في الآخرة بعذاب وعقاب لا نهاية لهما) •

وكانت العبادة والصلاة تجري وفق تعاليم ثابتة وقواعد لا تقبل التبديل وقد حرمت الديانة الزرادشتية القرابين وذبح المواشي من أجل الضحية لان ذلك حسب اعتقادها غير جائز لان هذه الحيوانات يستفيد منها الانسان في حياته اليومية فلا يجوز قتلها • وكذلك حرمت الديانة الزرادشتية (دفن الموتى) وتحنيطها وحرقها وذلك تجنبا من أن تدنس العناصر الضرورية الثلاثة (التراب ــ النار ــ الماء) ، لذلك أمرت (بعرض جثث الموتى فوق الجبل أو على الابراج العالية لكي تتفسخ من تلقائها وتأكلها الطيور الكاسرة ثم

(٥٥) يحتمل انه ظهر في حدود القرن الثامن والسادس ق•م •

ثم تجمع العظام بعد حين فتوضع في اجراب وتدفن في قبور تبنى لهذا الغرض أو حفر تقطع من صخر) • ولم تعش الديانة الزرادشتية مدة طويلة لانها كانت ديانة الطبقة الارستقراطية [٥٦] •

وكان يرمز لاله الخير (أهومزدا) بالنور ولاله الشر أهرمان بالظلام، ولذلك كان الفرس يوقدون النار في معابدهم بصورة دائمة لانها رمز لاله الخير • وقد انتقلت الينا تعاليم زرادشت في كتاب (زند أفستا) الذي يعتبر بمثابة الكتاب المقدس لهذه الديانة • وجدير بالذكر ان أربيل كانت تحتفل بعيد النار في شهر آيار من كل سنة [٥٧] • وقد استقرت القاعدة في الدين الزردشتي على انه لا يجوز ان تصل الشمس الى النار المقدسة • وعلى هذا الاساس وجد الشكل الجديد في بيوت النار الذي في وسطه غرفة مظلمة كل الاظلام يوضع منها هيكل النار [٥٨] • وفي زمن الساسانيين كانت هذه النار رمزا للوحدة الملكية والدينية ، رمز الملكية الساسانية التي قويت بتحالفها مع رجال الدين [٥٩] • ولقد كان للساسانيين أيام أعياد منها عيد (آذرچشن الاول) (عيد النار) ، يعيد في السابع من شهر بور (أيار) وهو يوم عيد النيران التي في دور الناس وفيه يوقدون النيران العظيمة في بيوتهم ويجتمعون على الاكل والفرح [٦٠] • ولكن يظهر ان هذا اليوم لم يكن عيدا الا في بعض ولايات ايران • وكان النوروز اكبر الاعياد الشعبية وهو يوم رأس السنة وهو عيد ربيعي ، كانت الضرائب المحببة تقدم للملك في نوروز وفيه يعين أو

(٥٦) من محاضرات للدكتور محمود الأمين سنة ١٩٥٧ •

(٥٧) مدارس العراق قبل الاسلام • لرفائيل بابو اسحق • بغداد ١٩٥٥ ص ٣١ •

(٥٨) ايران ص ١٥١ •

(٥٩) نفس المصدر ص ١٥٧ •

(٦٠) ايران ص ١٦٣ •

بستبدل حكام الاقاليم وتضرب النقود الجديدة وتظهر بيوت النار •

ويستمر العيد ستة أيام متتالية• وفي هذه الايام يجلس ملوك الساسانيين للعامة ويقابلون العظماء ، وفي اليوم السادس كان الملك يحتفل هو نفسه بالعيد مع خاصته •

وكان اليوم الاول واليوم الاخير من النوروز (اليوم السادس) كان يحتفل بهما احتفالا يحوي كل المظاهر الشعبية [٦١] •

المسيحية وانتشارها :

ما نعرفه عن بدء المسيحية دولة البرت ضئيل للغاية ، ففي القرن الاول الميلادي انتشرت المسيحية عن طريق الشام وآسيا الصغرى ؛ وحوالي سنة (١٠٠) ميلادية كانت هناك جماعات مسيحية فيما وراء دجلة في أربيل ؛ ولكن ليس لدينا معلومات صريحة فيما يختص بالتبشير بهذا الدين في بلاد الشرق [٦٢] • ويظهر ان كرخا بيت سلوخ (كركوك) كانت بعد أربيل من أولى القلاع القوية للمسيحية الشرقية • ولم يكن للنصارى أي دور سياسي أيام الفرثيين • وازدهرت المسيحية زمن الساسانيين مع ان بعض ملوكهم حاربوا هذا الدين بتأثير رجال الدين المجوس الذين كان لهم دور كبير وهام في سياسة الدولة• وقد عاش في أربيل جماعة من الكتاب النصارى ، وهناك تاريخ لاحدهم اسمه(مسيحازخا) يعرف بتأريخ أربيل يرجع الى منتصف القرن السادس الميلادي وهو يتناول التأريخ الديني لولاية أربيل هذه ابتداء من القرن الثاني الى حوالي سنة ٥٥٠ م ويشك في قيمة هذا المصدر كما يقول الاب (پول بيترس) [٦٣] • يذكر مؤلف هذا الكتاب المطران (بقيدا)

---

(٦١) ايران ص ١٦٣ •

(٦٢) ايران ص ٥ • وانظر كتاب Dir Chronikvon Arbela . لساخاو • المانيا ١٩١٠ •

(٦٣) ايران ص ٦٨ •

الذي صار مترو بوليت أربيل من سنة ٩٦ ــ ١١٤ م • وقد أعطانا المؤلف اسماء جميع الاساقفة ومدة جلوسهم في كرسي المطرانية، وأشار الى ان أدى (مار أدي) تلميذ السيد المسيح بشر بالانجيل في حدياب وضواحيها (١) • والجدير بالذكر ان ماري تلميذ (أدي) الذي أرسل من سلوقيـة (المركز الرئيسي للنصارى في العراق) الى (أديسا ــ الرها ــ أورفا) المركز الهام الثاني؛ اعترضته مشاكل كثيرة في المنطقة فكتب الى من أرسله يقول : « ان السكان هنا هم من عبدة الاوثان ، لا جدوى منهم وسوف أعود اليكم أو أذهب الى مكان آخر » • فأمر بأن يدأب على حراثة وزراعة هذه التلال حتى تثمر للرب • فثابر حتى أجاد متوسعا الى حدياب وتكللت جهوده بالنجاح وتنصر كثيرون على يده سيما في مدينة أربيل عاصمة حدياب التي تشاطر (أديسا) الفضل في نشر الانجيل في بلاد فارس وخارجها » (٦٥) • واصبحت الاكثرية لسكان حدياب نصارى وقسم كبير من هؤلاء يرجعون الى اصـل فارسي بالاضافة الى الآراميين •

وقد بنى النصارى في القرون الثلاثة الاولى كنائس عديدة في حدياب وكرخ سلوخ وفرات ميشان (قرب البصرة الحالية) وغيرها ، كما بنوا في جوارها مدارس • ونعرف من رؤساء المسيحية في أربيل في منتصف القرن الثالث (٢٥٣ م) اسقف أربيل (شحلوفا) وكان أصله من أنحـاء بيت (أرمايي) (٦٦) • وقد درس وبنى عدة مدارس في أطراف البلاد ولم يصلنا

(٦٤) الآشوريون في التأريخ ص ٧٠ ومدارس العراق قبل الاسلام ص ١١٤ •

(٦٥) الآشوريون في التأريخ ص ١٠٤ •

(٦٦) عرفت مع اراضي البصرة بعد الفتح الاسلامي بالعراق العربي • أنظر : تأريخ نصارى العراق • رفائيل بابو اسحق ــ بغـداد ١٩٤٨ ص ٧ •

من مؤلفاته شيء • وفي سنة (٣٠٠ م) رفع (حسبما ذكر) أربيل الى المقام المطراني الجاثليق (فافا) • وكانت الموصل اذ ذاك اسقفية تابعة لها[٦٧] • وقد عمت الاضطهادات في بلاد فارس للمسيحية بعد ان تنصر الملك الروماني قسطنطين وجعل المسيحية دين الدولة الرسمي في عهد شابور الثاني (٣٠٩ — ٣٧٩ م) ، ولما بين الدولتين من عداء تقليدي فقد اعتبر الساسانيون المسيحيين في بلاد فارس عامة مؤيدين للرومان وجواسيس لهم ، اذن الغرض من هــذا الاضطهاد كان سياسيا بالدرجة الاولى ثم يأتي السبب الديني • وجــرت سلسلة من الاضطهادات قاد بعضها أردشير حاكم حدياب التي أعطت القسم الاكبر من الشهداء في تلك الفترة • حيث قتل تسع راهبات ومئة وأحد عشر كاهنا دفعة واحدة بعد ان أودعوا جبا (بئرا) مظلما وكانت سيدة أربيلية تدعى (يزدان دوخت) قد مدت لهم يد العون دون جدوى وسعت صباح موتهم الى القيام بدفنهم [٦٨] • ولم يكن أردشير الثاني (٣٧٩ — ٣٨٣ م) خليفة شابور محبا للنصارى ، وقد أشرنا الى أعماله قبل ان يصبح حاكما اذ كان حاكما لحدياب كما ذكر • وقد اتهم اردشير الحاكم (قبل ان يصبح ملكا) الاسقف (عبد يشوع) أيام شــابور الثاني بتحريك من ابن أخ الاسقف — وكان شماسا عزل من قبل الاسقف — اتهمه بانه يراسل الامبراطور الروماني ويفشي أسرار الملك ، وقد ترأس أردشير محاكمته [٦٩] باديء الامر ثم رأس المحاكمة (الموبدان موبذ) رئيس الكهنة المجوس •

(٦٧) مدارس العراق قبل الاسلام ص ١١٥ • وذكر بأن هذا الجاثليق كان اسمه (پاپا) وقد خلع بواسطة مجمع مسيحي • ايران ص ٢٥٣ •

(٦٨) الآشوريون في التأريخ ص ١١٠ • وكتاب يزدان دوخت لسليمان الصائغ ص ١٩٣ •

(٦٩) ايران في عهد الساسانيين ص ٢٩٧ •

اما الملوك الذين جاءوا بعد ذلك وهم سابور الثالث (٣٨٣ — ٣٨٨ م) وبهرام الرابع (٣٨٨ — ٣٩٩ م) فقد جروا على سياسة التقارب في علاقاتهم مع الامبراطور الروماني • وفي أثناء حكم يزدگرد الاول (٣٩٩ — ٤٢١ م) دخلت المسيحية مرحلة جديدة حيث يشير اليه مصدر سرياني معاصر بانه: (الملك الطيب الرحيم يزدجرد المسيحي المبارك بين الملوك وانه كل يوم يشمل الفقراء والتعساء بفضله) [٧٠] • وقد اصبحت أربيل مركز مطرانية يخضع لسلوقية التي يجلس فيها الاسقف الكبير ، ومما يذكر ان المركز الرئيسي للكنيسة الشرقية كان في أديسا (الرها) وهي المدينة التي بناها سلوقس اليوناني عاصمة للمناطق الشمالية الغربية لبلاد ما وراء النهرين • وبعد اضمحلال الرها بسبب الحروب الدامية بين الرومان والساسانيين انتقل مركز المطرانية الى حدياب • وقد بلغت مطرانية حدياب أوجها في هذه الفترة اذ كانت تشمل أذربيجان وأرض نينوى فتمتد من الزاب الصغير الى الخابور ومن حدود ولاية وان وأطراف أرمينية الى نحلة وقاعدتها مدينة أربيل وتحت ولايتها تسعة عشر كرسيا اسقفيا ، ومن الاسقفيات التابعه لحدياب أسقفية أذربيجان وكان لغتها آثورية بدليل ان نصارى راوندوز وأطرافها وأرمينية يتكلمون لحد اليوم بهذه اللغة [٧١] •

ولما اكتسبت الموصل أهمية كبرى قسمت مطرانية حدياب الى قسمين وهما مطرانية أربيل ومطرانية الموصل واتحدتا فقيل لها مطرانية حدياب وآشور •

وقد نبغ بعد هذه الفترة جملة من العلماء النصارى في حدياب ومنهم (ابراهيم النتفري) [٧٢] الذي عاش في أواسط القرن السادس ، وبنى عدة

(٧٠) ايران ص ٢٥٦ •
(٧١) الآشوريون في التأريخ ص ٩٧ — ٩٨ •
(٧٢) نسبة الى (نتفر) احدى قرى حدياب في جوار أربيل آنذاك •

مدارس ووضع رسائل عديدة • ثم (بولس المدرس) الذي أسس مدارس في حدياب وعلم في مدرسة اربيل اكثر من ثلاثين سنة ثم سار الى بزنطية سنة (٥٣٢ م) بدعوة من الملك الروماني (يوستنيانوس) ليلقي محاضرات فلسفية في الكتاب المقدس على بعض وزرائه ، نشرها في كتاب هام [٧٣].

وممن درس في مدارس أربل غريغور الكسكري (كسكر كانت قرب واسط على دجلة المندرس بين بغداد والبصرة) مطران نصيبين المتوفي سنة ٦١٢ م • فقد تهذب في مدارس المدائن وعلم في حزة (أربيل) احدى عشرة سنة وألف في مواضيع دينية تاريخية • وأنشأ فقبل أن يكون مطرانا (سنة ٥٩٦ م) مدرسة واسعة الاطراف في بلدته كسكر) [٧٤] • وتقدمت مدارس أربيل بمدرسيها المشهورين وخرج منها تلاميذ عديدون منهم : مارداد يشوع المتوفي ٦٠٤ م • ولد في بيت (أرمايي) نحو سنة ٥٢٩ م ودرس في مدرسة نصيبين ثم انتقل الى حدياب ودخل الى سلك الرهبنة لما بلغه خبر الراهب ابراهيم الكسكري مجدد الرهبانية في المشرق [٧٥] •

وقد وضع داد يشوع قوانين للرهبان حيث ترأس ديرا بعد وفاة معلمه الكسكري وهو الدير الذي كان يرأسه معلمه •

وفي أواخر عهد الساسانيين ولغزوات الامبراطور هرقل في أراضي ايران حدث رد فعل في حال النصارى « اذ ان كسرى قد أقسم حين انتصر في هذه الحرب ليأتين على جميع الكنائس في الدولة ولا يترك ناقوسا منها » ومهما يكن (فقد اضطهد النصارى جميعا ، نساطرة ويعاقبة • وقتل بعض رجال النصارى المقربين من الملك وصودرت أموالهم وممتلكاتهم) [٧٦] •

(٧٣) مدارس العراق قبل الاسلام ص ١١٥ •
(٧٤) مدارس العراق ،ص ١١٦ •
(٧٥) نفس المصدر ص ١١٦ •
(٧٦) ايران ص ٢٧٣ — ٢٧٤ •

أما من ناحية السكان فيعتقد ان قسما كبيرا من سكنة حدياب كان من الآراميين وكانت اللغة الارامية اللغة الدارجة في قسم كبير من آسيا أي في بلاد الشام والجزيرة والعراق وآشور وما يجاور هذه البلاد ، فقد استعملت في دواوين الاخمينيين ، ولما كانت الكتابة المسمارية غير عملية فيما عدا الاستعمال الكتابي ، فقد استعملت الكتابة الآرامية ، حتى في الوثائق المكتوبة باللغة الفارسية • وكان هذا أصل الكتابة البهلوية وعادة استعمال الالفاظ الآرامية في النصوص البهلوية (٧٧) •

وفي العهد الساساني كانت اللغة الادبية للمسيحيين الذين هم من أصل سامي ، والذين يقيمون في الممتلكات الايرانية ، هي اللغة السريانية التي أصلها من مدينة (أديسا) •

وانتشرت الحروف الهجائية مع انتشار اللغة الآرامية وأخذت تحل محل الخط المسماري الثقيل ، حيث اقتبست أقوام كثيرة خطوطها من الخط الآرامي • ومن هؤلاء العبرانيون والعرب الشماليون ، وكذلك اقتبس الارمن كتابتهم من الآراميين والفرس والهنود (الخط البهلوي والسنسكريتي) ونقل الكتبة البوذيون الخط السنسكريتي من الهند الى الصين والى كوريا، وهكذا فان أصل الخطوط و الكتابة الهجائية لنصف الكرة الشرقي يرجع الى الخط الآرامي • وقد ظلت اللغة الآرامية هي السائدة حتى بعد استيلاء الفرس على مصر وآسيا الصغرى وسوريا وانتشرت كذلك في شمالي جزيرة العرب الى حدود الحجاز وذلك في القرن الاول الميلادي • وكان اللسان الآرامي شائعا في سواحل المتوسط الى جبال طوروس فالخليج العربي فحدياب، وكان العرب يسمون الآراميين (النبط) (٧٨)• وقد ألفت اللغة العربية منذ

(٧٧) ايران ص ٣٥ ومقدمة في تأريخ الحضارات ج ٢ لطه باقر •
(٧٨) طالع المسعودي في مروج الذهب ج١ ص ٩٠ — ١٠٠ •

القرن السابع الميلادي اللغـــة الارامية وقضت عليها تقريبا في القرن الخامس عشر الميلادي ٠

ومع ذلك فلم تمت هذه اللغة بل ما زالت باقية الى اليوم عنـــد بعض الشعوب النصرانية الموجودة في العراق وكردستان وسوريا وفارس ، والذين يتكلمون بها اليوم نصارى كردستان أربيل والسليمانية وكويسنجق وفي سنة وأرمينية وفي قرى النصارى في شمال الموصل ٠ ويقول الدكتور منجانا : (ان الاكثرية الساحقة لسكان حدياب كانت من النصارى وغالبيتهم من أصل فارسي وليس من أصل آرامي) ٠ (الآشوريون ص ١٠٤) ٠

الفصل الخامس

أربيل من الفتح الاسلامي حتى قيام الأتابكيات

لم يتفق المؤرخون فيمن افتتح جهات الموصل واربيل . لذا جاءت رواياتهم مختلفة في الاسماء والتواريخ . ويكاد يتفق البلاذري مع ابن الاثير في ذلك حيث يقول : « ان عزرة بن قيس حاول فتح شهرزور سنة (٢١ هـ) وهو وال على حلوان (١) في خلافة عمر فلم يقدر عليها ، فغزاها عتبة بن فرقد السلمي ففتحها في السنة التالية (٢٢ هـ) بعد قتال على مثل صلح حلوان ، على ان يكف عنهم وأمنهم على دمائهم واموالهم وجعل لمن أحب منهم الهرب ان لا يعرض لهم ، وكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت » (٢) . ولما تسلم عتبة بن فرقد امارة الموصل شرع في فتح مناطقها المجاورة وهي : (شهرزور) (٣) و (الصامغان) (٤) و (دراباذ) (٥) حيث صالح أهل المدينتين الاخيرتين على الجزية والخراج على ان (لا يقتلوا ولا

(١) حلوان : آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد . وكانت مدينة عامرة . أنظر : آثار البلاد للقزويني ص ٣٥٧ ومعجم البلدان (٣/٣٢٢) .

(٢) فتوح البلدان . مصر ١٩٥٩ — مطبعة السعادة ص ٣٢٩ .

(٣) شهرزور : كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمدان . آثار البلاد ص ٣٩٧ .

(٤) كورة من كور الجبل في حدود طبرستان . معجم البلدان (٥/٣٤٤) .

(٥) قلعة حصينة في جبال طبرستان .. معجم البلدان (٤/٦) .

بوا ولا يمنعوا طريقا يسلكونه) [٦] • وقد قاتل (عتبة) الاكراد فقتل
بم خلقا وذلك سنة اثنتين وعشرين للهجرة • فلما أتم ذلك كتب الى عمر
الخطاب : « اني قد بلغت بفتوحي (آذربيجان) [٧] فولاه اياها وولى
ثمة بن عرفجة الموصل ، ولم تزل شهرزور وأعمالها مضمومة الى الموصل
تى فرقت في آخر خلافة الرشيد فولى شهرزور ودراباذ والصامغان رجل
رد » [٨] • وكان راتب كل عامل على كورة من كور الموصل مأيتي درهم
ف لهذه الكور (شهرزور • الصامغان • دراباذ) ستمائة درهم • وكان
بة بن فرقد السلمي قد سار لفتح آذربيجان مارا من شهرزور في سنة
٢٢ ﻫ) وهي مجاورة لمنطقة آذربيجان ، ففتح من آذربيجان الجهة المتاخمه
هرزور باتجاه تقدمه العسكري [٩] • ويقول صاحب كتاب (قادة فتح
عراق) ان : « عتبة بعد ان اصبح واليا على الموصل استطاع ان يفتح
ماني العراق كله بالتدريج ، ففتح شرقي دجلة من شمال الموصل حتى
حدود العراقية — التركية — الايرانية وهي مناطق زاخو والعمادية ودهوك
عقرة من لواء الموصل بالاضافة الى لوائي أربل والسليمانية ، كما فتح
عظم آذربيجان الواقعة في ايران والمتاخمة للحدود العراقية — التركيـة
- الروسية » [١٠]

ويبدو ان المنطقة التي تدخل ضمن هذه الدراسة خضعت للمسلمين في

(٦) البلاذري ص ٣٢٩ •
(٧) كلمة في الفارسية معناها أرض النار او معابد النار وقد أطلق
عليها هذا الاسم لكثرة معابد النار التي كانت موجودة آنذاك •
واشهر مدنها : تبريز وهي قصبتها • معجم البلدان (١٥٩/١) •
(٨) البلاذري ص ٣٢٩ ، ابن الاثير ج ٣ / ١٩ •
(٩) قادة فتح العراق والجزيرة ص ٤١٧ •
(١٠) نفس المصدر ص ٤٢٢ •

فترة متأخرة نسبيا ، لان هرقل ملك الروم زحف في سنة ٦٢٥ م / ٤ هـ على بلاد الفرس واستولى على أربيل وكركوك وشهرزور [١١] . وقد بقيت هذه البقاع بأيدي الرومان حتى سنة ١٨هـ / ٦٣٩ م وبعد هذا التاريخ بقليل، وكان المسلمون قد اصطدموا بالرومان قبل هذه الفترة في سواحل دجلة حيث وقعت الموصل في ايديهم سنة ست عشرة للهجرة ، وقد قاد المسلمين في هذه الحرب (عبد الله بن المعتم) و (ربعي بن الافكل) و (عرفجة بن هرثمة (هرثمة بن عرفجة في رواية اخرى) [١٢] . وقد اصبح العراق جزءا من الدولة الاموية في الشام التي تأسست على يد والي الشام معاوية بن ابي سفيان سنة (٤٠ هـ) . ولم تشهد أربيل أحداثا هامة في حكم هذه الدولة عدا ما جرى من احداث في حكم الخليفة الاموي الاخير مروان بن محمد وكان هذا أمه كردية يقال لها (لبابة) كانت لابرهيم بن الاشتر فأخذها يوم قتل ابراهيم محمد بن مروان بن الحكم والد مروان فولدت له مروان هذا سنة ٧٠ هـ . وقد بويع مروان للخلافة سنة ١٢٧هـ / ٧٤٤ م . وحكم خمس سنين وعشرة أشهر (١٢٧ ـ ١٣٢ هـ) . ولقب بالحمار لصبره وعناده في الحروب وبالجعدي لانه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر [١٣] .

وكان مروان قد تولى قبل ذلك آذربيجان وأرمينيا والجزيرة سنة (١١٤ هـ) حيث حارب الترك والخزر ، ولم يحكم مروان طويلا لانه صادف اشتداد الدعوة العباسية ، حيث وجد البلاد تتمخض بالفتن والثورات وبخاصة

(١١) شهرزور : اسم اقليم ذكرنا موقعه . واسم مدينة صغيرة غلب عليها الاكراد وعلى ما قاربها ودنا من العراق (صورة الارض) ص ٣١٤ .
(١٢) ابن الاثير (١٢/٢٠٢) .
(١٣) ابن الاثير حوادث سنة ١٣٢ هـ .

في الجانب الشرقي من دولته . ففي خراسان عداء بين القبائل العربية ، بسبب سوء الادارة وفي شمال العراق واذربيجان يقوم الخوارج باضطرابات واسعة (١٤) . وقد أحرز العباسيون انتصارات كبيرة في وسط العراق وجنوبه وبقي شمال العراق في يد مروان ولكن لمدة وجيزة ذلك لان العباسيين استمروا في توسيع سيطرتهم على البلاد ، ففي سنة ١٣١ هـ احتل قحطبة بن شبيب الطائي قائد العباسيين الشهير نهاوند (١٥) . وقد وجه ابا عون عبد الملك الخراساني ومالك بن طريف الخراساني في السنة نفسها في اربعة آلاف الى شهرزور وكان عليها عثمان بن سفيان (من قبل الامويين) وقاتلوه فانهزم أصحابه وأقام أبو عون في بلاد الموصل (١٦). ثم سير قحطبة الى أبي عون فاجتمع معه ثلاثون الف رجل ، ولما بلغ مروان ذلك وهو في حران (من مدن الجزيرة) سار منها ومعه جنود أهل الشام والجزيرة والموصل ، وحشر معه بنو أمية أبناءهم ، وأقبل نحو أبي عون حتى نزل الزاب الاكبر ومعه (١٢٠) ألف رجل ، وحفر خندقا فسار اليه أبو العون ، حيث أمر أبو العباس بجند آخرين وقادة وعلى رأسهم عبد الله بن علي يلتحقون بجند أبي العون وتكون القيادة لعبد الله بن علي ، انكسر العباسيون في أول المعركة بعد عبورهم الزاب لمقاتلة مروان مما شجع الاخير على العبور الى ضفة النهر الشرقية لمقابلة العباسيين ، ولكنه حدث صباح اليوم التالي — وقد صادف مروان انتصارات أولية — أن بلغ ذلك عبد الله وهو في الجيش الرئيس فخرج ومعه

---

(١٤) هرون الرشيد . للدكتور عبد الجبار الجومرد — بيروت ١٩٥٦ ج١ ص ٢٤ .

(١٥) مدينة قديمة في بلاد الجبل في ايران. معجم البلدان(٨/٣٢٨).

(١٦) ابن الاثير حوادث سنة ١٣١ هـ . ويقصد ببلاد الموصل ما كان يتبع الموصل اداريا من شهرزور (ما بين اربل وهمدان) .

قادة آخرون ، ثم طلب مروان الصلح فلم يقبل بذلك عبد الله فجرت حرب شديدة لمدة تسعة أيام انهزم في آخرها مروان ، وقد قطع العباسيون الجسر (المقام على الزاب) فغرق كثير من جند الامويين • وأمر السفاح لمن شهد المعركة بخمسمائة دينار ورفع رواتبهم ، وكان هزيمة مروان في الزاب يوم (١١) جمادى الآخرة سنة ١٣٢ هـ [١٧] •

ثم طارد العباسيون مروان حتى قتل في قرية بوصير المصرية في (٢٧) ذي الحجة من عام (١٣٢ هـ / ٧٥٠ م) وبمقتله زالت الخلافة الاموية. وأعلن قيام الخلافة العباسية •

وجه السفاح (أول خلفاء بني العباس) أخاه المنصور واليا على الجزيرة [١٨] ، وآذربيجان وأرمينية [١٩] ، وعلى الموصل (يحيى بن محمد بن علي) ، وعلى خراسان (والجبال) [٢٠] أبو مسلم الخراساني • وقد قضى أبو جعفر المنصور بعد توليه الخلافة على أتباعه [٢١] •

وقد ثار أهل الجبال بعد مقتل ابي مسلم الخراساني وقادهم (سنباذ) بخراسان يطلب دمه ، وكان مجوسيا من قرية في نيسابور يقال لها (أهروانة) ، ولم تستقر منطقة الجبال في أيام أبي جعفر المنصور • ففي سنة (١٤٧هـ / ٧٧٤ م) أغار (أسترخان) الخوارزمي بجيش جرار على شمالي (كردستان) و (أرمينية) وأطلق فيها يد التخريب والتدمير فقاومه (حرب بن عبد الله)

---

(١٧) ابن الاثير حوادث سنة ١٣٢ هـ •

(١٨) الجزيرة : هي التي بين دجلة والفرات سميت : الجزيرة لانها بين دجلة والفرات • معجم البلدان (٣ / ٩٦) •

(١٩) أرمينية : بلاد واسعة بين آذربيجان وبلاد الروم • آثار البلاد ص ٤٩٥ •

(٢٠) الجبال : منطقة راسعة تشمل المنطقة الجبلية في غربي ايران والتي تتصل بجبال العراق ، صورة الارض ص ٣٠٨ •

(٢١) ابن الاثير حوادث سنة ١٣٧ هـ •

رئيس العشيرة الراوندية حتى قتل في المعركة [٢٢] .

أما منطقة شمالي العراق فهي كذلك لم تهدأ للعباسيين ، ففي خلافة المعتصم (٢١٨ — ٢٢٧ هـ) عصى بأعمال الموصل امير من الأكراد اسمه (جعفر بن نرجس) وتبعه خلق كثير من الاكراد ، فاستعمل الخليفة عبد الله ابن السيد بن أنس الازدي على الموصل وأمره بقتال جعفر ولكن الاخير انتصر عليه حيث انهزم القائد العباسي واكثر من معه . ثم سير الخليفة المعتصم قائده الشهير (آيتاخ) لقتاله حيث سار الى الموصل سنة (٢٢٥ هـ) وقصد جبل (داسن) [٢٣] وقتل جعفرا في الحرب وفي رواية أخرى شرب جعفر سما كان معه فمات، وأوقع آيتاخ بالاكراد فاكثر القتل فيهم واستباح أموالهم[٢٤].

وقد دخلت أربيل ضمن تقسيمات العراق العربي التي كانت تمتد من (حديثة الموصل) [٢٥] الى عبادان طولا ومن حلوان الى القادسية [٢٦] عرضا . وقد ذكر صاحب المسالك والممالك [٢٧] عند ما تحدث عن تقسيم العراق العربي (السواد) فقال : « السواد اثنتا عشرة كورة ، كل كورة أستان [٢٨] وطساسيجه ستون طسوجا ... وكورة أستان فيروز وهي

---

(٢٢) تاريخ الكرد . ص ١٣٢ .

(٢٣) جبل داسن : في شمالي الموصل من جانب دجلة الشرقي وفيه من طوائف الاكراد الداسنية تأريخ الموصل ج١ ص ٧٨ .

(٢٤) ابن الاثير حوادث سنة ٢٢٤ هـ .

(٢٥) بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الاعلى . معجم البلدان (٣ / ٢٣٤) .

(٢٦) القادسية : موضع بينه وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا آثار البلاد ص ٢٣٩ .

(٢٧) ابن خرداذبة المتوفي سنة ٣٠٠ .

(٢٨) استان : كلمة فارسية معناها (حازة) وكذلك (طسوج)

حلوان خمسة طساسيج : طسوج فيروز قباذ وطسوج الجبل وطسوج تامرا وطسوج اربل وطسوج خانقين » (٢٩) • و « كانت كورة حلوان مضافة الى أعمال العراق ثم أضيفت الى أعمال الجبل » (٣٠) فأصبح « السواد عشر كور وطساسيجها ثمانية وأربعون » • أما كورة حلوان وطساسيجها (فهي خمسة طساسيج منها طسوج شاذ فيروز قباد وطسوج الجبل وطسوج اربل وطسوج تامرا وطسوج خانقين) (٣١) •

يظهر مما تقدم ان اربيل كانت تقع ضمن منطقة الجبال من الناحية الجغرافية وان خضعت من الناحية الادارية للعراق العربي • وقد وقعت ضمن اقليم الجزيرة اداريا ومثلها شهرزور والصامغان ودراباذ الى ان أفردت هذه الجهات فيما بعد في أواخر خلافة الرشيد عن أعمال الموصل ، وقد بلغت واردات شهرزور والصامغان ودراباذ (٢٫٧٥٠٫٠٠٠) درهما (٣٢) • وفي عصر المأمون أصبحت أربل ضمن اقليم الجزيرة ومن اقليم الموصل بنوع خاص (٣٣) • وقد أيد ذلك صاحب المسالك والممالك في معرض كلامه عن ارتفاع (خراج) ما استقرت عليه أعمال الموصل « وهي من الجانب الغربي كورة الجزيرة وكورة نينوى وكورة المرج واقليم باعذرى ، ومن الجانب الشرقي : الحديثة وحزة (٣٤) وبهدرا والمغلثة وحبتون والحناية وآلس والديبور وداسن » قال : « أوسط ارتفاع هذه الاعمال (٦٫٣٠٠٫٠٠٠)

ومعناها : ناحية •

(٢٩) المسالك والممالك لابن خرداذبة ص ٥ — ٦ •
(٣٠) نفس المصدر ص ٢٤٦ •
(٣١) نفس المصدر ص ٢٣٥ ومعنى كورة أستان : مديرية : لواء •
(٣٢) المسالك والممالك ص ٢٤٥ •
(٣٣) دائرة المعارف الاسلامية • مادة اربل •
(٣٤) حزة : هو الاسم الذي أطلقه البلدانيون العرب على حدياب وتعتبر أربيل قصبة هذا الاقليم •

درهم » (٣٥) .

أما خراج الموصل فبلغ (٤٫٠٠٠٫٠٠٠) درهما (٣٦) . وقد اعتمد صاحب المسالك في تقديراته للجباية على الحساب الموجود في الدواوين في بغداد سنة(٢٠٤هـ) لان الدواوين أحرقت في الفتن أيام الامين(٣٧) . وقد أيد ابن قدامة (القرن العاشر الميلادي) وابن حوقل النصيبي من وقوع أربيل ضمن اقليم الجزيرة أو الموصل حيث قال الاخير « وللموصل نواح عريضة ورساتيق (مفردها رستاق وهو مقاطعة أو وحدة ادارية ويشبه الرستاق ما تسماه العرب بالكورة) عظيمة وكور كثيرة عزيزة الاهل والقرى والمواشي ، فمن ذلك رستاق نينوى ... ويجاور هذا الرستاق رستاق المرج ويجاوره أرض حزة ورساتيقها وهو اقليم بينه وبين اعمال المرج الزاب الكبير وفيه مدينة (كفرعزي) يسكنها قوم من الشهارجة نصارى ذوو يسار ، وهي مدينة قصدة فيها أسواق وضياع » .

ويظهر من صورة الجزيرة الملحقة بكتاب ابن حوقل ان : (الراجة) و (حبتون) و (كفرعزي) واربل من المدن الواقعة بين الزابين . وقد وصف الكاتب المنطقة بين الزابين فقال : « وبين ذين النهرين مراع كثيرة وبلاد كانت الضياع بها ظاهرة والسكان بها (٣٩) عن قريب صالحة وافرة فتكاثرت عليهم البوادي واعتورتهم الفتن فصارت قفارا من السكن يبابا بعد العمران وهي في الشتاء مشاتي للاكراد الهذبانية ومصايف لبني شيبان » (٤٠) .

(٣٥) المسالك والممالك ص ٢٤٥ .
(٣٦) نفس المصدر ص ٩٤ .
(٣٧) نفس المصدر ص ٢٤٦ .
(٣٨) قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي المتوفي سنة (٣٢٠ هـ) .
(٣٩) صورة الارض .
(٤٠) نفس المصدر ص ٢٠٥ .

ويفهم من هذا القول : ان اربل واقليمها تعرضت في الفترة بين أواخر العهد الساساني وبين الفتح الاسلامي الى هزات سياسية وحروب دامية ومنها تلك التي قادها هرقل ملك الروم ضد الساسانيين حينما توغل في بلادهم ، وكانت أربيل وكركوك وشهرزور مسرحا لبعض هذه الحروب (٤١) .

امارة الهذبانيين :

كان الكرد — الى جانب المسيحيين — في العصور الوسطى اكثر سكان أربيل عددا ، وكان الكرد الهذبانية والحكمية بصفة خاصة يسكنون أربيل وما جاورها منذ القرن الحادي عشر الميلادي ، وكثيرا ما كان يتنازع السيادة على هذه المدينة زعماء هاتين القبيلتين الكرديتين ، الذين كانوا يملكون في اقليم اربل عددا وافرا من الحصون .

وقد تحدث ابن خلدون عن هذه المنازعات . لقد كان الاكراد الهذبانية يسكنون (مراغة) (٤٣) وما جاورها حيث ينتجعون من مراعيها وقد كونوا فيها امارة قوية لهم استطاعت رد الغز (قوم من الترك) الذين أخذوا يهاجمون آذربيجان . وسكنوا كذلك أرمية (٤٤) وشنو وكانتا أسواقا لهم وبها كانت تجارة رابحة وارباح وافرة ، وكانت الموصل تستورد من هذه المدن الاغنام والعسل واللوز والجوز والشمع (٤٥) .

وقد اتخذ الهذبانيون هذه الجهات مصائف لهم وفي الشتاء ينزلون الى

---

(٤١) تأريخ الموصل ج ١ ص ٣٨ . وتاريخ الكرد ص ١٢٧ .

(٤٢) دائرة المعارف الاسلامية م ١ (مادة اربل) ص ٥٧٤ . هذا النزاع بدأ منذ منتصف القرن العاشر ثم استمر بعد ذلك .

(٤٣) مراغة : من أهم مدن آذربيجان .

(٤٤) مدينة كبيرة بآذربيجان قرب البحيرة المسماة باسمها . معجم البلدان (١ / ٢٠٢) .

(٤٥) صورة الارض ص ٢٨٩ .

مشانيهم بين الزابين الاعلى والاسفل وجبالهما ويصطدمون بنفوذ الدولة العباسية فيها .

ففي سنة (٢٩٣ هـ) ثار الاكراد الهذبانية على حكم العباسيون في زمن الخليفة المكتفي بالله وكان الخليفة قد عين في تلك السنة بالموصل واعمالها أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي العدوي وهو الذي ثار عليه الاكراد الهذبانية وأغاروا بقيادة رئيسهم محمد بن بلال (هلال) على نينوى ، فسار حمدان وعبر الجسر (جسر الموصل) والتقى بهم . قرب الخازر ولكنه عاد الى الموصل لكثرة عددهم بعد أن قتل رجل واحد من أصحابه اسمه (سيما الحمداني) . ثم كتب حمدان الى الخليفة يطلب النجدة. وفي السنة التالية سار الامير الحمداني الى الاكراد الهذبانية وكانوا قد اجتمعوا في خمسة آلاف بيت فلما رأوا جدّه في طلبهم ساروا الى البادية التي في جبل السلق (الجبال المشرفة على الزاب في شهرزور) وهو مضيق عال مشرف على شهرزور فامتنعوا فيها وتحصنوا بجبل قنديل فقتل حمدان منهم جماعة ثم رجع الى الموصل بعد مراسلات جرت بينه وبين رئيسهم محمد ابن بلال حيث تم الصلح بين الطرفين (٤٦) .

وقد بدأت الحرب من جديد بين الطرفين حيث هاجم الهذبانيون آذربيجان ولم يكن قصدهم من الصلح الا اشغال أبي الهيجاء بالامل والتقى بهم من جديد عند جبال القنديل فانكر الهذبانيون وهرب بعضهم الى آذربيجان . ثم بلغ حمدان أن زعيمهم لا يزال مقيما في شهرزور عند الجبال المشرفة على الزاب الاسفل فحاصره ابو الهيجاء الحمداني عشرة أيام حيث استسلم في الاخير مع اتباعه ثم طلب محمد بن بلال زعيم الهذبانيين الاقامة في الموصل فأجيب طلبه. أما جماعته فقد رجعوا الى حزة (أربل) مع أموالهم وأهلهم . ولم يقتل أبو

(٤٦) تأريخ الموصل ج ١ ص ٩٦ وابن الاثير حوادث سنة ٢٩٣ .

الهيجاء منهم غير رجل واحد وهو الذي قتل صاحبه سيما الحمداني [٤٧] .

وبعد مقتل الخليفة المقتدر سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م استبد بالامور مؤنس الخادم الملقب بالمظفر أمير الجيوش ، حيث أجلس الظاهر خليفة ثم سجن هذا فولي الخلافة الراضي (٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م) وفي عهده لم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها والحكم جميعه لابن رائق أما باقي الاطراف : فكانت البصرة في يد ابن رائق . وفارس في يد عماد الدولة بني بويه و (الري) [٤٨] و (اصفهان) [٤٩] والجبل في يد ركن الدولة بني بويه . والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان . ومصر والشام في يد محمد بن طغج . وهكذا بالنسبة لبقية الاقاليم [٥٠] .

وفي سنة ٢٩٥ هـ وضع ديسم بن ابراهيم الكردي أساس حكومة الهذبانيين في آذربيجان ، وهي الحكومة التي استولى عليها فيما بعد أولاد (محمد الروادي) وحولوها الى الحكومة الروادية التي دامت القرن السابع الهجري . ومع قيام هذه الدولة استطاع الهذبانيون أن يحتفظوا ببعض المدن في منطقة آذربيجان . واشترك الهذبانيون مع (حسين الحمداني) في غزوته لآذربيجان ووصوله حتى مدينة (سلمساس) سنة ٣٣٧هـ / ٩٤٨ م [٥١] . ص (٩٦ — ٩٧) .

وفي حوالي هذه الفترة ، دخل الهذبانيون في نزاعات محلية مع القبائل الكردية الاخرى وفي مقدمتها القبيلة (الحكمية) . وفي النصف الاول من الحكم

(٤٧) ابن الاثير . حوادث سنة ٢٩٣ هـ . وتأريخ الموصل ج ١

(٤٨) الري : من مدن الجبال في ايران .

(٤٩) اصفهان : مدينة عظيمة كانت عاصمة اقليم من أقاليم العراق العجمي ، يطلق عليها اسمها . معجم البلدان (١ / ٢٦٩) وصورة الارض ص ٣٠٨ .

(٥٠) انظر : العراق في العصر السلجوقي لحسين أمين ص ١٩

البويهي للعراق (٣٣٤ هـ / ٤٤٧ هـ) ، استطاع الهذبانيون تأسيس امارة لهم في آربيل ، وجعلوا من قلعتها كرسيا لهم • وكانوا قبل ذلك يملكـــون عددا وافرا من الحصون في اقليم اربيل [٥٢] • وقد حدث في أواخر العهد البويهي لأن قتل (عيسى بن موسى الهذباني) صاحب اربل وكان قد خرج الى الصيد فقتله ابنا أخ له وسارا الى قلعة اربل فملكاها • وكان (سلار ابن موسى) أخو المقتول نازلا على (قرواش بن المقلد) صاحب الموصل لنفرة بينه وبين اخيه ، فلما قتل سار قرواش مع السلار الى اربل فملكهـــا وسلمها الى السلار وعاد قرواش الى الموصل) [٥٣] • يظهر مما أورده ابن الاثير في هذا الخصوص ن الهذبانيين كانت تجمعهم علاقات حسنة مـــع الامارة العقيلية التي أعقبت الحمدانيين في حكم الموصل • وقد حاول العقيليون ايجاد علاقات ودية بين الامارتين الكرديتين التي نشأتا في جوارهم وهما : امارة الهذبانيين في اربل وامارة الاكراد الحميدية في عقرة وما جاورهـــا من جهة وبين هاتين الامارتين وبينهم من جهة أخرى •

لقد كانت للأحداث التي تصطرع داخل الحكم البويهي أثرها الواضح في أوضاع الموصل وما جاورها ، فقد توفي (جلال الدولة بن بهاء الدين بن بويه) سنة (٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م) بعد حكم دام (١٧) سنة وترك العرش لابنه الاكبر (الملك العزيز ابو منصور حاكم واسط) [٥٤] ، ولكن حـــاكم فارس (الملك أبي كاليجار البويهي) استطاع اقناع الخليفة فصارت لـــه الخطبة في فارس والعراق ، وقدم بغداد سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م ثم توفي ،

---

(٥١) تأريخ الكرد وكردستان ص ١٣١ •
(٥٢) دائرة المعارف الاسلامية مادة اربل ص ٥٧٤ •
(٥٣) ابن الاثير حوادث سنة ٤٣٦ هـ •
(٥٤) واسط : مدينة تقع جنوبي شرقي بغداد بمسافة (١٠٠) كم

وخلفه في الملك ابنه (الملك الرحيم بن كاليجار) سنة ٤٤٠ هـ .

وكان أمراء بني عقيل في الموصل في أمان حتى السنة التي توفي فيها ، ثم بدأت الفتن في بلاد الموصل ، وبدأت بفتنة ثارت بين (أبي الحسن عيسكان) امير الاكراد الحميدية في عقر وما يجاورها في الجبال وبين (أبي الحسن موسك) أمير الاكراد الهذبانية ، سكان قلعة أربل وأعمالها (٥٥) .

ويقول ابن الاثير في مسألة الخلاف بين (قرواش العقيلي) والاكراد الحميدية والهذبانية ما يلي : « كان للحميدية عدة حصون تجاور الموصل منها العقر وما قاربها ، وللهذبانية قلعة اربل واعمالها . وكان صاحب العقر حينئذ : (أبا الحسن بن عيسكان) الحميدي وصاحب اربل (ابو الحسن بن موسك الهذباني) وله أخ اسمه (أبو علي ابن موسك) فأعانه الحميدي على أخذ اربل من أخيه (أبي الحسن) فملكها منه وأخذ صاحبها (أباالحسن) أسيرا ، وكان (قرواش) وأخوه زعيم الدولة (أبو كامل) بالعراق مشغولين فلما عاد الى الموصل وقد سخطا على هذه الحالة ولم يظهراها ، وأرسل قرواش يطلب من الحميدي والهذباني نجدة له على نصر الدولة بن مروان (٥٦) .

فأما (أبو الحسن) الحميدي فسار اليه بنفسه وأما (أبو علي) الهذباني فأرسل أخاه ، واصطلح قرواش ونصر الدولة وقبض على ابي الحسن الحميدي ثم صانعه على اطلاق (ابي الحسن الهذباني) الذي كان صاحب اربل ، وأخذ اربل من أخيه (أبي علي) وتسليمها اليه . فان امتنع (ابو علي) كان

اسسها الحجاج سنة ٨٣ هـ / ٧٠٢ م وخربها هولاكو بعد قضائه على الخلافة العباسية .

(٥٥) تأريخ الموصل ج ١ ص ١٤١ – ١٤٢ .

(٥٦) نسبة الى دولة بني مروان التي أنشأها (أبو علي بن مروان) على انقاض املاك خاله (باذ) الشهير في ديار بكر .

عونا عليه ، فأجاب الى ذلك ورهن عليه أهله وأولاده وثلاث قلاع من من حصونه الى ان يتسلم اربل ، واطلق الحميدي من الحبس وكان أخ له قد استولى على قلاعه فخرج اليها وأخذها منه وعاد الى قرواش وأخيه زعيم الدولة فوثقا به وأطلقا أهله ثم انه راسل (أبا علي) صاحب اربل في تسليمها فأجاب الى ذلك وحضر بالموصل ليسلم اربل الى أخيه (أبي الحسن) فقال الحميدي لقرواش وأخيه : انني قد وفيت بعهدي فتسلما الي حصوني فسلما اليه قلاعه وسار هو وأبو الحسن وأبو علي الهذباني الى اربل ليسلماها الى (أبي الحسن) فغدرا به في الطريق وكان قد أحس بالشر فتخلف عنهما وسير معهما أصحابه ليتسلموا اربل فقبضا على اصحابه وطلبوه فهرب الى الموصل ، وتأكدت الوحشة حينئذ بين الاكراد وقرداش وأخيه وتقاطعوا واضمر كل منهم الشر لصاحبه » (٥٧) .

كان النزاع الاسري حول السلطة في الامارة الهذبانية يضعف مركزها ويجلب عليها المشاكل التي كانت تغذيها أطماع الامارات المجاورة الاخرى .

وقد لاح في لافق مصدر تهديد جديد للمنطقة بسبب ظهور السلاجقة الذين كانوا قد بدأوا قبل هذه الفترة بمدة قصيرة يمدون نفوذهم في أراضي الدولة البويهية ، صاحبة السيادة الاسمية على الامارات الثلاث في المنطقة وهي الامارة العقيلية في الموصل والامارة الحميدية في العقر وما يجاورها ، والامارة الهذبانية في اربل وما يجاورها .

وفي سنة (٤٢٠ هـ) سار الغز (طائفة من الترك) من اصحاب أرسلان ابن سلجوق الى آذربيجان ومراغة وأحرقوها وقتلوا من عوامها مقتلة كثيرة ومن الاكراد الهذبانية ثم صالحهم الاكراد . ولقد كان لاتحاد كلمة الامراء الاكراد وهم : (أبو الهيجاء بن ربيب الدولة) صاحب مراغة مع (وهسوذان)

(٥٧) انظر التفاصيل : في ابن الاثير حوادث سنة ٤٤٠ هـ .

صاحب أذربيجان ، أثره القوي في انسحاب الغز وصعوبة بقائهم في منطقة آذربيجان (٥٨) .

وقد امتدت غزوات الغز حتى ملكوا الموصل . وفي سـنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م احتل السلاجقة عراق العجم (بلاد الجبال)(٥٩). وبعد جهد يسير استطاعوا القضاء على الدولة البويهية في فارس . وكانوا كلما تقدموا غربا اتخذوا حاضرة جديدة أقرب الى العراق ، ولقـد وقع اختيارهم على الري أولا ، وعلى اصفهان بعد ذلك (٦٠) .

السلاجقة وامارة الهذبانيين :

كانت الخلافة العباسية قـد بدأت تضعف في عصرها الثاني لاسباب مختلفة ، من أهمها : تغلغل العناصر الاجنبية فيها ، واستلامها مراكز هامة في الادارة والجيش ، فضلا عن الثورات الداخلية ، والنزاعات المذهبيـة ، وقد بدأت الاقاليم البعيدة تستقل عن الدولة العباسية وتأسست فيها دول مستقلة أخذ حكامها يحصلون على تفويض تام بتدبير أمور امور اقاليمهم .

ثم أخذ الطامعون يتطلعون الى احتلال حاضرة الخلافة نفسها ، ومن هؤلاء ، البويهيون الفرس الذين اخذوا يهاجمون املاك الخليفة في العراق منذ سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م . حتى تسنى لهم دخول العراق في الحادي عشر من جمادي الآخرة من سنة ٣٣٣ هـ في زمن الخليفة (المستكفي) الذي خلع على أحدهم وهو (أحمد بن بويه) ولقبه بـ (معز الدولة) ، وعلى اخوانه (علي والحسن) (بعمـاد الدولة) و (ركن الدولـة) وأمر بأن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم (٦١) .

---

(٥٨) نفس المصدر حوادث سنة ٤٢٠ .
(٥٩) تأريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٧٢ .
(٦٠) نفس المصدر ص ٢٧٣ .
(٦١) ابن الاثير ج ٦ ص ٣١٤ .

وانتهى عهد السيطرة البويهية على العراق بمجيء السلاجقة الاتراك وهم عشيرة جديدة نجمت بين الدولة الآيلك خانية بتركستان وسلاطين غزنة تعاظمت قوتها حتى انتهت الى السيطرة على الشرق الادنى بكامله . حوالي سنة ٩٧٠ م خرج سلجوق مقدم الغز مع عشيرته من (بابة القيرغيز) الى (جند) حيث يصب نهر سيحون في بحيرة خوارزم وآرال ومن ثم انتقلوا الى بخارى . ويتألف (الغز) ، الذين دعوا (التركمان) بعد دخولهم في الاسلام من مجموعة العشائر الكبرى التي أسست المملكة الشمالية في القرن السادس وما فتئت منذ ذلك الحين تنتقل الى جهة الغرب . حتى اذا اعتنق هؤلاء الاتراك الاسلام انحازوا الى (السنة) التي كان فحوى معتقدها الواضح الرصين يتلاءم وعقولهم البسيطة . ثم أن عشيرة سلجوق شاركت في الحروب الناشبة بين الدولة الأيلك خانية والدولة الغزنوية . وشنوا غزوات مستقلة في اتجاه الغرب حتى آذربيجان والعراق . وفي سنة ١٠٤٠ م انتزع طغرلبك محمد وجغرى بك داود ، حفيدا سلجوق خراسان من مسعود بن محمود الغزنوي بعد أن أخفقت محاولتهما الى الاستيلاء على سمرقند وبخاري ، فخطب لداود في مرو وخطب لطغرلبك في نيسابور . واذ لم يلبث الخلاف أن نشب بين الغزنويين أنفسهم ، فقد وفق السلاجقة الى بسط سلطانهم على حساب غزنة فاحتلوا خوارزم وطبرستان . وفي سنة ١٠٤٣ احتلوا عراق العجم (الجبال) نفسه ، وبعد جهد يسير استطاعوا القضاء على الدولة البويهية بفارس (٦٢) .

وكان طبيعيا أن يرغب الخليفة العباسي « القائم » (٤٢٣ هـ — ٤٦٧هـ) في ان يستبدل حماية هذا السلطان المتغلب حديثا على بلاد الشرق ، بحماية الملك البويهي الذي كان أحد قواده الاتراك واسمه (البساسيري) قد جرده

(٦٢) تأريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٧١ — ٢٧٢ .

من السلطة كلها • فلما كانت سنة ١٠٥٥ م / ٤٤٧ هـ وانتهى طغرلبك الى جلوان ، استنجد به القائم وأمر بأن يخطب له في جوامع العراق • وكان الملك الرحيم آخر ملوك بني بويه قد توفي في سجن بالري سنة ١٠٥٨ • ولكن السلاجقة لم يستطيعوا اخضاع (البساسيري) في سهولة • اذ انه فر الى الشمال فتعقبه طغرلبك حتى الموصل • وهنا انفصل عنه أخوه لامه (ابراهيم ابن ينال) وانقلب الى همدان • فلم يكن من طغرلبك الا ان سعى لاخضاعه بمساعدة (ألب أرسلان) ابن أخيه داود ، وكان حاكما على (سجستان) ، وقد لقي ابراهيم حتفه في آب ١٠٥٩ م • وعرف البساسيري كيف يفيد من هذا النزاع فتحالف مع (قريش بن بدران) أحد أمراء الدولة العقيلية العربية واستولى على بغداد بعد أن خلت ممن يحميها من الجند • واستنجد الخليفة من قريش بن بدران بذمام الله ورسوله فأعطاه ذلك وسار به الى عانة في بلاد الجزيرة ، بينما خطب البساسيري للمستنصر الفاطمي على منابر المدن التي آلت اليه •

ولم يكد طغرلبك يقضي على ابراهيم حتى أعاد الخليفة الى بغداد فخلع عليه الخليفة لقب ملك الشرق والغرب وفر البساسيري الى واسط حيث قتل في معركة خاضها ضد جيوش السلاجقة في أوائل سنة ١٠٦٠ (٦٣) ، ٤٥٣ هجريـــة •

وما ان استقر الوضع للسلاجقة حتى دخلوا في نزاعات حادة للاستئثار بالحكم وخاصة في المقاطعات والاطراف • وقد قــدم الهذبانيون في اربل الخضوع الاسمي للدولة السلجوقية ، ولكن الامارة الهذبانية من ناحية ثانية لم تكن بعيدة عما كانت تصطرع من أحــداث داميــة داخل السلطة السلجوقية ، اذ كانت تتأثر بها بدرجات متفاوتة • وقد لقيت الامارة كذلك

---

(٦٣) نفس المصدر ص ٢٧٢ — ٢٧٣ •

بعض الصعوبات من جارتها الكردية ، الامارة الحميدية في العقر .

في سنة ١٠٦٣ توفي طغرلبك فخلفه ابن أخيه ، (ألب أرسلان) الذي هزم جند الروم في (ملاز كرد) وأسر امبراطورهم (رومانوس ديوجين) في نهاية آب سنة ١٠٧١ م . وانتزع من الفاطميين ما في يدهم من البلاد حتى دمشق ، ثم قتل سنة ١٠٧٢ في مسيره للقضاء على ثورة حدثت في موطن آبائه . وعهد بالحكم الى ابنه ملكشاه على ان يكون الوزير نظام الملك وصيا عليه لصغره .

وفي سنة ١٠٩٢ قتل نظام الملك على يد الحشاشين (٦٤) ثم لحق بـه السلطان بعد شهرين حيث توفي .

وكان على السلطان (بركيارق) الذي سماه ملكشاه لخلافته أن يحامي عن حقوقه ضد عمه (تتش) بن ألب ارسلان صاحب دمشق . وقد التقى (تتش) الملقب بتاج الدولة أخو السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان بقسيم الدوله (أقسنقر) و (بوزان) عند حلب سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م وقـد لحق كربوقا (هو الامير ابو سعيد كربوقا الذي تسلم حكم الموصل سنه ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م بموافقة بركيارق وبقي على الموصل حتى سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م) (٦٥) مددا من عند بركيارق . وقتل اقسنقر في المعركة ووقع كربوقا وبوزان أسيرين لدى تتش . وعند ذلك سار بركيارق من نصيبين وعبر دجلة الى اربل حيث انهزم امام عمه تتش الذي استمر في سيره حتى همذان(٦٦) واستولى عليها وعلى اصفهان ، ولكن المعركة الاخيرة كانت في صالح بركيارق حيث قتل عمه تتش واطلق سراح كربوقا المحبوس في حمص فسار

(٦٤) انظر : تأريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٨٢ .

(٦٥) تأريخ الموصل ج ١ ص ١٥٤ .

(٦٦) مدينة من اكبر مدن ايران وأقدمها . معجم البلدان (٨/٤٧٤).

للاستيلاء على الموصل وكانت (بيد علي بن شرف الدولة مسلم العقيلي) من قبل تتش ومعه بنصيبين (أخو محمد بن مسلم) و (مروان بن وهب) و (أبو الهيجاء الكردي الهذباني) ودخل كربوقا الموصل سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م (٦٧) .

والجدير بالذكر ان تتش كان قبل ذلك قد سيطر على حلب والجزيرة وديار بكر وآذربيجان وهمدان وخطب ببغداد (٦٨) . وكان الصلح قد تم بين بركيارق والسلطان محمد بعد وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ على ان يحكم بركيارق الجبل وطبرستان وخوزستان وفارس وديار بكر والجزيرة والحرمين الشريفين وأما السلطان محمد فكانت الخطبة له في آذربيجان وبلاد الران (٦٩) وأرمينيا وأصفهان والعراق واشترك الاثنان في حكم البطائح والبصرة في العراق . أما خراسان فيخطب فيها لسنجر (أخو السلطان محمد) ومحمد .

وبنتيجة الصلح كذلك سلمت اصبهان لبركيارق (٧٠) . وبعد اقرار الصلح سار السلطان محمد من (تبريز) (٧١) مواغة ومنها الى اربل يريد قصد (جكرمش) صاحب الموصل ليأخذ بلاده ولكن الاخير امتنع عن تسليم المدينة فحاصره السلطان محمد ولما أذيع خبر وفاة بركيارق (١١٠٤ م) أنهى السلطان الحصار وعين جكرمش حاكما على الموصل (٧٢) .

(٦٧) تأريخ ابن خلدون م ٥ ص ٣٢ وما بعدها .
(٦٨) ابن الاثير حوادث سنة ٤٨٧ هـ .
(٦٩) الران : نسميها اليوم جورجيا . صورة الارض ص ٢٨٦ . ويسكنها الكرج واللاز .
(٧٠) ابن الاثير حوادث ٤٩٧ هـ .
(٧١) اعظم مدن آذربيجان وقصبتها . معجم البلدان (١/١٥٩) .
(٧٢) ابن الاثير حوادث سنة ٤٩٨ هـ . وجكرمش هو : شمس الدولة السلجوقي صاحب جزيرة ابن عمر . تأريخ الموصل ج١ ص ١٥٥ .

وفي سنة ٥٠٠ هـ أقطع السلطان محمد الموصل لـ (جاولي سقاوو) وكان هذا قد استولى على البلاد بين خوزستان وفارس وأقام بهـا سنتين ، ثم امره السلطان لمحاربة الفرنج وأقطعه الموصل وديار بكر والجزيرة اذ أن جكرمش امتنع عن دفع المال للسلطان كما وعده بذلك مما اقتضى تنحيته .

حملة جاولي سقاوو والهذبانيون :

« سار جاولي سقاوو وجعل طريقه الى (البوازيج) [٧٣] حيث نهب المدينة لمدة أربعة أيام ثم سار الى اربل ، واما جكرمش لما بلغه ذلك كتب في جمع العساكر من الامارات الكردية المجاورة ، فجاءه كتاب أبي الهيجاء ابن عبد الله بن موسك الكردي الهذباني صاحب اربل يذكر استيلاء جاولي على البوازيج ويقول له : « ان لم تعجل بالمجيء لنجتمع عليه ونمنعه والا اضطررت الى موافقته والمصير معه » [٧٤] . فبادر جكرمش وعبر الى شرقي دجلة في عسكر الموصل وأرسل اليه أبو الهيجاء الهذباني عسكره مع اولاده فاجتمعوا بقرية (باكلبا) من أعمال اربل ووافاهم جاولي وبنتيجة الحـرب أسر جكرمش فتقدم جاولي يريد الموصل التي نصبت زنكي بن جكرمش وهو صغير وخطبوا له ، وقد وقع أولاد أبي الهيجاء كذلك في الأسر . وفي هذا الوقت هرب أبو طالب (من أعيان الموصل) الى اربل بعد الواقعة ، فأرسل جاولي يطلبه من صاحب اربل فاطلقه هذا فأطلق جـاولي بدوره ابن أبي الهيجاء . فلما جاء أبو طالب ضمن لجاولي فتح الموصل ثم اعتقل . وقـد توفي جكرمش في هذه السنة » [٧٥] .

---

(٧٣) واصلها : بيت وازيق ، ثم سماها العرب : البوازيج . وهي بلدة كانت بجوار تكريت على فم الزاب الاسفل حيث يصب في دجلة . تأريـخ الموصل ج١ ص ٧٩ .

(٧٤) ابن الاثير حوادث سنة ٥٠٠ هـ .

(٧٥) ابن الاثير حوادث سنة ٥٠٠ هـ وتأريخ ابن خلدون م ٥ ص٧٩ .

استولى جاولي على الموصل من يد قليج أرسلان وابن جكرمش ، فاستفحل أمره ، وقد أرسل السلطان محمد (مودود بن أبي شتكين) (٧٦) ومعه (آقسنقر البرسقي) و (أبو الهيجاء) صاحب اربل فوصلوا الموصل ووجدوا جاولي قد استعد للحصار . ثم آثر الهرب ومعه أسير بيزنطي هو (القمص) (٧٧) وسار الى نصيبين ثم سلم نفسه الى السلطان محمد في اصبهان ثم توفي سنة ٥١٠ هـ . اما المهاجمون فقد دخلوا الموصل في المحرم من سنة ٥٠٢ هـ .

ثم خرج (مودود) سنة ٥٠٥ هـ الى حرب الافرنج وسار معه الامير أحمد بك أمير مراغة وأبو الهيجاء صاحب اربل ، وبعد مقتل مودود أرسل السلطان محمد (آقسنقر البرسقي) لحكم الموصل سنة ٥٠٨ (٧٨) هـ حيث صار واليا على الموصل وأعمالها . وفي الموصل التقى البرسقي (بزنكي بن آقسنقر) الذي ملك الموصل هو وأولاده فيما بعد .

وفي سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م توفي السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان في اصفهان وجلس ابنه محمود على عرش السلاجقة الذي لاقى من سنجر (٧٩) عمه مقاومة اذ أعلن الاخير نفسه سلطانا على السلاجقة وتوجه نحو العراق ، وبنتيجة الحرب بين الاثنين انتصر سنجر واعترف الخليفة العباسي بسلطته . ولكن سنجر عطف على ابن أخيه فعينه نائبا له في العراق سنة ٥١٣ هـ واعترف به الخليفة المسترشد بالله (٥١٢ هـ — ٥٢٩ هـ).

---

(٧٦) قتل مودود هذا بعد ذلك في سنة ٥٠٧ هـ في قتاله للافرنج ،
(٧٧) كان صاحب الرها وأسيرا آنذاك عند جاولي .
(٧٨) تأريخ ابن خلدون م ٥ ص ٨٧ .
(٧٩) كان امير على خراسان أيام اخيه بركيارق . وفي هذه السنة ٥١١ هـ زلزلت اربل وغيرها من البلاد المجاورة لها زلزلة عظيمة . انظر الباهر في الدولة الاتابكية لابن الاثير ص ٢٠ .

وامتد ملكه من حدود خراسان الى بلاد الشام بما في ذلك : همذان واصفهان بأقليم العراق العجمي وبلاد الجبل وكرمان (٨٠) وفارس وخوزستان والعراق العربي وآذربيجان وارمينية وديار بكر والجزيرة وبلاد الشام وبلاد الروم . ولكن الصليبيين انتزعوا منه معظم بلاد الشام وكونوا منها الامارات وانتزعت منه اغلب هذه البلاد الواسعة كذلك من قبل الاتابكة الذين استقلوا بحكمهـــا .

ولم يستد حكم محمود المباشر الا على العراقين العربي والعجمي بسبب تنافس الطامعين وفي مقدمتهم الملك مسعود بن السلطان محمد الذي ســار من الموصل ومعه قسيم الدولة زنكي بن آقسنقر وأبو الهيجاء صاحب اربل يقصدون العراق العربي فقاتلهم البرسقي شحنكية (٨١) بغداد الــذي كان مشغولا آنذاك بأمر (دبيس) الذي احتل الحلة . فلما رأى الملك مسعود وزنكي وأبو الهيجاء هذه الحالة قصدوا الحلة لمحاربة الثائر دبيس ثم يتفرغون لما يريدون (٨٢) .

وقد تم الصلح بين البرسقي والملك مسعود حينما علما بمقــدم الامير عماد الدين منكبرس الذي استطاع أخذ منصب شحنكية بغداد بعد دخـوله اليها ، فاضطر البرسقي الى ترك بغداد والالتحاق بالملك مسعود .

لقد ظلت الموصل وآذربيجان بيد الملك مسعود أخــي السلطان محمود حتى سنة ٥١٥ هـ حيث أقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها (الجزيرة وسنجار وغيرها) للامير البرسقي . أما الامارة الهذبانية فقد احتفظت طيــلة

(٨٠) كرمان : ولاية مشهورة . ذات قرى واسعة . معجم البلــدان (٧ / ٢٤١) .
(٨١) شحنكية : وظيفة تشبه ما نسميها اليوم بوظيفة مدير الشرطة .
(٨٢) تأريخ ابن خلدون م ٥ ص ٩٥ ـــ ٩٦ .

فترة النزاعات هذه بالعلاقات الحسنة مع السلاجقة وذلك بتقديم الخضوع الاسمي لهم مع تقديم المساعدات العسكرية لهم في نزاعاتهم الداخلية أو في محاربتهم للافرنج الذين اشتدت وطأتهم في هذه الفترة . وقد تحول البرسقي من حكم الموصل الى حكم واسط سنة ٥١٦ هـ مع احتفاظه بشحنكية العراق.

ولكنه عزل سنة ٥١٨ هـ من هذه الوظيفة الاخيرة ورجع الى حكم الموصل بطلب من الخليفة المسترشد . وقد لمع نجم عماد الدين زنكي في هذه الاثناء اذ سار مع البرسقي الى واسط لحمايتها ثم تولى ضبط ولاية البصرة بأمر من البرسقي (٨٣) .

واخيرا قتل البرسقي على يد الباطنية سنة ٥٢٠ هـ وخلفه في حكم الموصل ابنه (عز الدين مسعود) .

اضطربت أحوال بغداد في هذه الاثناء وأصبحت تعج بالمشاكل والنزاعات اذ تنكر الخليفة المسترشد للشحنة (برتقش) فلحق الاخير بالسلطان محمود سنة ٥٢٠ هـ وأثار السلطان على الخليفة وخوفه من غائلته ، فاعتزم السلطان على قصد العراق . ووصل بغداد في العاشر من ذي الحجة من نفس السنة وقد عبر المسترشد الى الجانب الشرقي من بغداد في ثلاثين ألفا من المقاتلين وامر بحفر الخنادق واعتزم على كبس السلطان ، ولكن أبا الهيجاء صاحب اربل أخافهم وركب للقتال ثم لحق بالسلطان الذي وصل اليه كذلك عماد الدين زنكي من البصرة في جيش عظيم . ثم تردد الرسل بين السلطان وبين الخليفة فتم الصلح وعفا السلطان عن أهل بغداد (٨٤) .

تولى عماد الدين زنكي شحنكية العراق سنة ٥٢١ هـ ، وصادف أن توفي في هذه السنة عز الدين مسعود بن البرسقي والي الموصل فتولى زنكي

(٨٣) ابن الاثير حوادث سنة ٥١٨ هـ .
(٨٤) تأريخ ابن خلدون م ٥ ص ١١٤ وما بعدها .

الموصل (٨٥) .

لا شك ان هذه الاحداث الجسام والنزاعات بين الامراء السلاجقة حول الحكم قد أضعفهم وتمزقت دولتهم الواسعة الى دويلات سلجوقية وقد وضع موت سنجر سنة ٥٥٢ هـ نهاية لعصر السلاجقة العظام .

فبدأت صفحة جديدة المدويلات السلجوقية ومن أشهرها : دولة سلاجقة العراق ودولة سلاجقة الروم ودولة سلاجقة كرمان ، وانتشرت الاتابكيات في العالم السلجوقي وكان من أشهرها : أتابكية الموصل وأتابكية الشام وأتابكية سنجار وأتابكية الجزيرة (٨٦) .

---

(٨٥) ابن الاثير حوادث سنة ٥٢١ هـ .

(٨٦) العراق في العصر السلجوقي ص ٨٧ .

الفصل السادس

تأريخ اربيل من قيام الاتابكيات

حتى وفاة مظفر الدين

من مظاهر الحكم السلجوقي في العالم الاسلامي ظهور نظام الاتابكية[1] الذي هو في الحقيقة نتيجة للسياسة التي اتبعها السلاجقة في النظام الاقطاعي وقد انتشرت الاقطاعيات في العالم السلجوقي بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠١٢ م بصورة خاصة ، والاتابكية : امارة يقطعها السلطان لاحد خواصه المقربين . وان اكثر مماليك السلاجقة كان لهم نصيب وافر في الحصول على مناطق النفوذ .

ان الذين شيدوا الاتابكيات كانوا من بلاد (القفجاق) حيث كانوا يجلبون من تلك البلاد ، ويربى بعضهم في قصور السلاطين ويحظى بعضهم كذلك بالوظائف الحكومية . وقد وصل عدد منهم الى مراتب عليا في الجيش

(١) أتابك : معناه الاب الكبير أو المربي الكبير وهو مربي الامير ، وكان يطلق هذا الاسم على مربي أولاد السلاجقة من ملوك الفرس ، ولما عين السلطان محمود السلجوقي الامير زنكي حاكما (شحنكية) على بغداد أدار أمورها ادارة ، حتى أدت به الى الاستقلال وأسس الاسرة المعروفة بالزنكية وكان مقر حكومتها الموصل ، ولقب رجالها بالاتابك : وكلمة أتابك متكونة من لفظين : أتا : بمعنى الاب ، وبك : بمعنى كبير ، لان بك مقصورة من (بيوك) أي الكبير . أنظر : النقود القربية وعلم النميات ص ١٣٤ وما بعدها .

والبلاط [٢] .

ويعود السبب كذلك في نشأة الاتابكيات الى فكرة السلاجقة في تخفيف بعض المتاعب الادارية والحربية عن الحكومة المركزية ، لذلك أصبحت بعض الاقطاعيات والتي عرفت بالاتابكيات مستقلة بتنظيم أحوالها وصد الاعتداء اذا وقع عليها الاعتداء ، وقد سارت الاتابكيات طبقا ووفق مصلحة الدولة السلجوقية وخدمة السلطان الكبير .

أتابكية اربل أو الدولة البكتكينية :

مر بنا أن السلاجقة قد ضعف شأنهم بسبب النزاعات المستمرة بين الامراء والملوك حول السلطة وتملك الاقاليم ، وكان من نتائج هذا الصراع ظهور الاتابكيات في الاطراف ، إذ استأثر الحكام المحليون بأقاليمهم . وكان أشهر هؤلاء عماد الدين زنكي الذي ولي الموصل بعد وفاة عز الدين مسعود بن البرسقي في سنة ٥٢١ هـ . ثم أسس دولة مستقلة في الموصل أخذت تتوسع تدريجيا بفضل فتوحاته المتوالية .

وكان أبو الهيجاء بن عبد الله بن موسك الكردي الهذباني صاحب اربل تجمعه صداقة بعماد الدين زنكي ، لذلك نراه يقضي بقية حياته في الموصل بجانبه .

ونستطيع القول ان ظهور عماد الدين كرجل قوي في المنطقة كان ايذانا بسقوط الامارات الكردية وخضوعها لدولة عماد الدين ومنها امارة أربيل التي اشتد النزاع فيها بعد وفاة أبي الهيجاء بين ورثته على تولي الامارة مما أدى الى انتهاز عماد الدين الفرصة فتدخل في أمر هذه الامارة الكردية . وزحف على مدينة (آشيب) [٣] واستولى عليها وهدم قلعها الحصينة سنة

(٢) تأريخ العراق في العصر السلجوقي . ص ٨٧ و ٢٠٩ .
(٣) آشيب : خرائبها الآن تسمى (آشوا) وهي قريبة من العمادية .

٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م وكان من ممتلكات أبي الهيجاء ، ثم استولى على باقي القلاع الخاضعة لاسرة ابي الهيجاء شيئا فشيئا (٤) بعد ان احتل اربل في رمضان سنة ٥٢٣ هـ (الروضتين ص ٧٧) .

ومن جهة أخرى خضعت المنطقة وجميع العراق وآذربيجان للسلطان مسعود بعد وفاة السلطان طغرل بن السلطان محمد اذ بلغه نبأ وفاة أخيه طغرل وسار الى همذان واستولى عليها وأصبح بذلك سلطان السلاجقة بلا منازع ، وقد آلت اليه المناطق المذكورة (٥) . واعترفت الدولة الزنكية بالسيادة السلجوقية .

زين الدين علي كوچك بن بكتكين بن محمد :

كان زين الدين علي من مماليك قسيم الدولة آقسنقر (من أمراء جلال الدولة ملكشاه) الذي كان واليا على حلب في زمن هذا السلطان (٦). ثم خدم ابنه عماد الدين زنكي (٤٧٧ هـ — ٥٤١ هـ) في صغره ، ولما ملك زنكي الموصل سنة ٥٢١ هـ أصبح زين الدين من أبرز المقربين اليه ، وسار معه في عدة حروب حيث وسع زنكي من رقعة ملكه بسلسلة من الحروب حالفه النجاح فيها . ففي سنة ٥٢٨ هـ ملك زنكي قلاع الحميدية ومنها (العقر) (٧) و (شوش) (٨) وغيرها وأقر الامير عيسى الحميدي صاحب هذه القلاع عليها ، فلما نازل الخليفة المسترشد الموصل نزل عيسى الحميدي الى

امارة بهدينان ص ١٧ .

(٤) تأريخ الكرد ص ١٤٨ .

(٥) ابن الاثير حوادث سنة ٥٢٩ هـ .

(٦) الموصل في العهد الاتابكي ص ١٧ .

(٧) العقر : قلعة حصينة ، أهلها اكراد وهي في شرقي الموصل وتعرف بعقر الحميدية .

(٨) قلعة عظيمة كانت قرب عقر الحميدية .

خدمته وتحشد له الاكراد ، فلما رحل الخليفة أمر عماد الدين زنكي بمنازلة القلاع في هذه السنة (٥٢٨ هـ) انتقاما من الحميدي الذي ظاهر الخليفة .

ثم ملك زنكي قلاع الهكارية و (كواشي) (٩) . وفي سنة ٥٣٥ هـ ملك زنكي شهرزور واعمالها وكانت بيد قبجاق بن ارسلان تاش التركماني، وكانت امارته منيعة الجانب (١٠) . ثم توسع زنكي في بلاد الشام . وقد وقع حدث هام في سنة ٥٣٩ هـ وهو الذي فسح المجال امام زين الدين ليبرز اسمه ويرتفع شأنه .

ففي تلك السنة قتل (نصير الدين جقر) نائب عماد الدين زنكي بالموصل واعمالهـا في شرقي الفرات . وكان زنكي آنذاك مشغولا بحصار قلعـة (البيرة) (١١) ولما سمع ذلك ارسل من هناك زين الدين علي الى قلعةالموصل واليا على ما كان يتولاه نصير الدين يتولاه (١٢) .

وفي سنة ٥٤١ هـ قتل عماد الدين صاحب الموصل والشام وهو يحاصر قلعة (جعبر) (١٣) على يد جماعة من مماليكه غيلة وهربوا الى القلعة المذكورة وأخذ نور الدين ابنه الحكم وتسلم خاتمه وكان حاضرا معه وسار الى حلب

(٩) كواشي قرب زاخو . امارة بهدنيان ص ١١ وابن الاثير حـوادث سنة ٥٢٨ هـ .

(١٠) ابن الاثير حوادث سنة ٥٣٤ هـ . وبنو قبجاق : قوم من الترك سكنوا ما بين جبال (أورال ونهر ولغا) أي شرق جنوبي روسيا ويسمى هذا الصقع : صحراء قفجاق .

(١١) البيرة : كانت للافرنج ، في شرق الفرات ، وهي بلدة ذات سوق وعمـل .

(١٢) ابن الاثير حوادث سنة ٥٣٩ هـ .

(١٣) جعبر : قلعة بين الرقة وبالس على الفرات في بلاد الشام كانت بيد الافرنج .

فملكها • وصارت الموصل وغيرها من حصة سيف الدين غازي • لقد خدم زين الدين سيف الدين غازي بن زنكي الذي لم يدم حكمه طويلا حيث توفي سنة ٥٤٤ هـ ، وبعد وفاته انتفض الوزير جمال الدين وأمير الجيوش زين الدين وملكوا قطب الدين مودود [١٤] •

وقد بذل زين الدين جهودا جبارة في المحافظة على أملاك أتابك زنكي حيث رافقت وفاة الاخير فوضى سياسية وطمع في دولته ألب أرسلان بن السلطان محمود السلجوقي ، ولكن زين الدين وحد جهوده مع سيف الدين غازي بن زنكي صاحب شهرزور آنذاك ، ووقفا ضده وانتصرا عليه حيث تم اسره سنة ٥٤١ هـ [١٥] •

والجدير بالذكر ان زين الدين بعد توليه الحكم في قلعة الموصل اصبحت أكثر البلاد اقطاعا بيده• فقد ملك قلاع الهكارية ومنها العمادية سنة ٥٣٩هـ[١٦] وملك اربل سنة ٥٣٩ هـ حيث أسس فيها الدولة البكتكينية [١٧] • وقد وقعت العقر وشوش تكريت و (سنجار) [١٨] في حوزته [١٩] •

ومما يذكر ان قطب الدين مودود لما ملك الموصل ٥٤٤ هـ وكان أخوه محمود (نور الدين محمود) بالشام وقد كاتبه نائب سنجار فسار اليها وملكها ، وبلغ الخبر قطب الدين وأمير جيوشه زين الدين فسار الى سنجار

(١٤) تأريخ ابن خلدون م ٥ ص ٥٣٥ هـ •

(١٥) ابن الاثير حوادث سنة ٥٤١ هـ •

(١٦) ابن الاثير حوادث سنة ٥٣٩ هـ • والعمادية : قلعة حصينة في شمال الموصل عمرها زنكي سنة ٥٣٧ هـ • معجم البلدان (٦/٢١٤) •

(١٧) معجم الانساب والاسرات الحاكمة • (٢ / ٣٤٤) •

(١٨) سنجار : مدينة في لحف الجبل يقطعها نهر الثرثار وتبعد ١٢٠ كم غربا عن الموصل • وهي بلدة آشورية قديمة •

(١٩) تأريخ ابن خلدون م ٥ ص ٥٥٤ ،

حيث تصالحوا على أن يبقى نور الدين في الشام وانفرد أخوه بالجزيرة [٢٠].

ثم ان نور الدين استولى على حران وملكها ثم سلمها الى زين الدين نائب أخيه قطب الدين بالموصل [٢١].

يظهر مما تقدم ان زين الدين لم يقتصر دوره في توجيه سياسة الدولة الاتابكية في الموصل والدفاع عنها فقط بل كان يتدخل أحيانا في شئون السلاجقة لمصلحة أحد الاطراف المتنازعة . اذ تدخل في الصراع الذي كان دائرا بين السلطان محمد والخليفة المقتفي لامر الله (٥٣٠ هـ — ٥٥٥ هـ) . حيث قاد عسكر الموصل لمساعدة السلطان محمد في حصاره لبغداد سنة ٥٥١ هـ [٢٢] . وقد قاد نفس هذا الجيش بطلب من السلطان محمد بن السلطان محمود ضد عمه (سليمان شاه) المؤيد من قبل الخليفة المقتفي الذي أذن له بالقدوم الى بغداد سنة ٥٥١ هـ .

والتقى زين الدين بسليمان شاه عند شهرزور وانتصر عليه وأسره وأتى به الى الموصل وسجنه في قلعة الموصل الى سنة ٥٥٥ هـ حيث توفي السلطان محمد (بن محمود بن ملكشاه) آخر سنة ٥٥٤ هـ فأرسل أمراء الدولة السلجوقية يطلبون من قطب الدين اطلاق سراحه ليولوه السلطنة فأطلق سراحه [٢٣] . وسليمان شاه هذا كان ولي عهد السلطان سنجر شاه .

وفي سنة ٥٥٨ هـ قاد زين الدين كوچك [٢٤] جيوش الموصل بطلب من

---

(٢٠) نفس المصدر ص ٥٣٧ .
(٢١) نفس المصدر ص ٥٤٤ .
(٢٢) تأريخ ابن خلدون م ٥ ص ١٦١ .
(٢٣) تأريخ الموصل ج ١ ص ١٧٨ . تأريخ ابن خلدون م ٥ ص ١٥٤ .
(٢٤) كوچك ومعناه الصغير لقب بذلك لقصر قامته مع انه كان قويا ولم يغلب في أي حرب .
(٢٥) تأريخ ابن خلدون م ٥ ص ٥٤٧ .

نور الدين محمود في حربه ضد الافرنج وقد انتصر المسلمون في هـذه الحرب (٢٥) .

لم تكن هذه الاحداث الخطيرة لتشغل زين الدين في رعاية امارته التي أنشأها في أربيل ولاولاده من بعده . وقد اتخذ أربيل قصبة وعاصمة لامارته واستناب عنه (أبو منصور سرْ فتكين) في حكم الامارة ، وكان سرفتكين هذا مملوكا له أرمينيا فاعتقه واعتمد عليه في المملكة ، ولما ولي أربيل قام بأعمال مهمة منها انه بنى مساجد كثيرة في أربيل وقراها ، وبنى مدرسة القلعة للفقيه الشافعي أبو العباس الخضر بن نصر بن عقيل الاربلي . بقي سرفتكين يحكم أربيل حتى وفاته سنة ٥٥٩ هـ (٢٦) .

وقد خلفه في حكم اربيل نيابة عن صاحبها ، (مجاهد الدين قايماز) وقد لعب الاخير دورا خطيرا في تأريخ أربيل في هذه الفترة وخاصة بعد وفاة زين الدين ، حيث بقي هو الحاكم الفعلي في أربيل بعد وفاة زين الدين كوچك سنة ٥٦٣ هـ ، لان ابنه الذي اختاره قايماز للحكم لم يكن الا صبيا (٢٧) . وفي سنة ٥٦٣ هـ فارق زين الدين النائب عن قطب الدين بن زنكي صاحب الموصل خدمة صاحبه بالموصل وسار الى أربيل وكان قد نقل أهله وولده وذخائره الى (أربيل) قبل ذلك ، وكان اكثر البلاد بيده بما فيها أربيل وشهرزور وجميع بلاد الحكارية وقلاعها ومنها العمادية وغيرها وبلد الحميدية (العقر وقلاعها) وتكريت وسنجار وحران (٢٨) ، وقلعة الموصل هو فيها وكان قد أصابه الصمم العمى ، فلما عزم المسير الى اربل سلم جميع ما كان بيده الى قطب الدين ما عدا اربل فقط . وقد أقام قطب الدين مكانه

(٢٦) ابن خلكان ج ٣ ص ٢٣٢ .
(٢٧) نفس المصدر ص ٢٧٠ — ٢٧١ . كان قايماز أتابكا لاولاد كوچك .
(٢٨) حران : مدينة عظيمة شهيرة في الجزيرة . معجم البلدان (٣/٢٤١) .

فخر الدين عبد المسيح وهو من موالي جده الأتابك زنكي فنزل بالقلعة في الموصل .

كان زين الدين شجاعا لم ينهزم في حرب قط . وعاقلا حسن السيرة ، كثير العطاء للجند وغيرهم ، وقد حج سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م مع اسد الدين شيركوه . وسمي بـ (كوچك) ومعناه الصغير لانه كان قصيرا . ولم يزل باربل الى ان مات ودفن بتربته في الموصل المجاورة للجامع العتيق داخل البلد ، وكان له في الموصل أوقاف كثيرة ومدارس وربط . وقد اتصف زين الدين بالدهاء والفروسية والقوة المفرطة والشهامة . ولما مات كان قد تجاوز المائة سنة (٢٩) .

زين الدين يوسف أبا المظفر بن زين الدين كوچك :

خلف زين الدين كوچك بعد وفاته سنة ٥٦٣ هـ ابنه مظفر الدين المعروف بأبي سعيد كوكبري بن أبي الحسن علي بن بكتكين بن محمد الملقب بالملك المعظم مظفر الدين ، وكان عمره أربع عشرة سنة ، وكان أتابكه مجاهد الدين قايماز ، فأقام مظفر الدين مدة ثم تعصب عليه قايماز وكتب محضرا : (انه ليس أهلا لذلك) . وشاور الديوان في أمره فاعتقله وأقام مكانه أخاه زين الدين يوسف أبا المظفر (٥٦٣ هـ — ٥٨٦ هـ) . وكان أصغر منه . ثم أخرج مظفر الدين من اربل فتوجه الى بغداد فلم يفلح في مسعاه فانتقل الى الموصل وحاكمها يومئذ سيف الدين غازي الثاني بن مودود (٣٠) ، فخدمه وأقطعه مدينة (حران) فانتقل اليها وأقام بها مدة ، ثم نصبه عز الدين مسعود الاول الاتابكي صاحب حلب مكانه لما ترك حلب وفي طريقه لقي عز الدين أخاه عماد الدين صاحب سنجار فقرر عز الدين مقايضة

(٢٩) وفيات الاعيان ج ٣ ص ٢٧٠ .
(٣٠) وفيات الاعيان ج٣ ص ٢٧٠ — ٢٧١ .

حلب بسنجار •

لقد وقعت اربل تحت استبداد قايماز لان زين الدين كان صغيرا ، بعد، وكان قايماز في عداء مع شهاب الدين محمد بن بدران [٣١] صاحب شهرزور، فلما استناب سيف الدين غازي صاحب الموصل مجاهد الدين قايماز على الموصل خاف شهاب الدين ان يناله أذى من قايماز فأظهر الامتناع من النزول الى الخدمة (اطاعة صاحب الموصل) وذلك في سنة ٥٧٢ هـ ولكن جلال الدين وزير سيف الدين ارسل اليه كتاب تهديد وحذره من العصيان ، فعاود شهاب الدين الطاعة وزال الخلف [٣٢] •

وبهذا كان قايماز قد احتل منصب زين كوچك في قلعة الموصل وتوسع نفوذه فكانت اربل واعمالها بيده وفيها زين الدين يوسف ابن كوچك صبيا تحت استبداده وبيده أيضا جزيرة (ابن عمر) [٣٣] وفيها معز الدين بن سيف الدين غازي وهو صبي كذلك تحت استبداده ، وبيده شهرزور وأعمالها وقلعة العقر [٣٤] • وفي هذه الفترة (سنة ٥٧٤ هـ) « عم الغلاء سائر البلاد الشامية والجزيرة والعراقين والديار البكرية والموصل وبلاد الجبل وخلاط، وكل الناس الميتة ودام الحال الى سنة ٥٧٥ هـ ، ثم لحقه وباء عظيم وكان مرض الناس شيئا واحدا وهو (السرسام) ثم توسط الربيع ولم تجيء قطرة واحدة من المطر ، حيث بدأ المطر بعد ذلك » [٣٥] •

الخلاف بين زين الدين يوسف وصاحب الموصل :

---

(٣١) بدران أو يزان كما جاء في تأريخ ابن خلدون م ٥ ص ٥٧٢ •
(٣٢) ابن الاثير حوادث سنة ٥٧٢ هـ • وتأريخ ابن خلدون م ٥ ص ٥٧٢•
(٣٣) احدى مدن الجزيرة • صورة لابن حوقل ص ٢٠٥ •
(٣٤) تأريخ ابن خلدون م ٥ ص ٥٨٠ •
(٣٥) ابن الاثير حوادث سنة ٥٧٤ هـ •

في سنة ٥٧٩ هـ ألقى عز الدين مسعود صاحب الموصل القبض على نائبه مجاهد الدين قايماز ، واتبع في ذلك هوى من أراد المنفعة لنفسه ، واستولى على خزائنه وولي مكانه في الموصل (محمود زلفندار) • وكانت اربل تحت حكم قايماز وفيها زين الدين يوسف وهو صبي ليس له من الحكم شيء والحكم والعسكر الى مجاهد الدين فلما ألقي القبض على قايماز امتنع صاحب اربل من طاعة عز الدين وامتنع عليه كذلك صاحب جزيرة ابن عمر ، وأرسل الخليفة — مستغلا الفرصة — من يحتل داقوق • ولم يبق لعز الدين مسعود غير شهرزور والعقر •

وقد قدم صاحب اربل وجزيرة ابن عمر طاعتهما الى صلاح الدين الايوبي ثم تدخل الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ — ٦٢٢ هـ) في الخلاف بين عز الدين مسعود وصلاح الدين فأرسل شيخ الشيوخ الى صلاح الدين يرافقه مندوب عز الدين مسعود القاضي محي الدين أبا حامد الشهرزوري فأجاب صلاح الدين وقال (ليس لكم مع الجزيرة واربل حديث) [٣٦] • وحينذاك رأي صاحب الموصل طمع صلاح الدين في الموصل نفسها فالقى القبض على زلفندار وأطلق سراح مجاهد الدين قايماز [٣٧] من الحبس بشفاعة (شمس الدين البهلوان) صاحب همذان وبلاد الجبل وسيره الى صاحب همذان وأخاه يستنجد هما على صلاح الدين •

فسار مجاهد الدين الى قزل (صاحب آذربيجان) أخي صاحب همذان الذي جهزه بثلاثة آلاف فارس ، وسار نحو اربل لمحاصرتها فلما قاربوها أفسدوا في البلاد وخربوا وسبوا النساء قهرا ولم يقدر مجاهد الدين الذي كان مرافقا لهم على منعهم ، فسار اليهم زين الدين يوسف في عسكره فلقيهم

(٣٦) ابن الاثير حوادث سنة ٥٧٩ هـ •
(٣٧) نفس المصدر حوادث سنة ٥٧٩ هـ •

متفرقين في القرى ينهبون ويحرقون فانتهز الفرصة وألقى بنفسه وعسكره على أول من لقيه منهم فهزمهم جميعا . وغنم الاربليون أموالهم ودوابهم وسلاحهم وعاد العجم الى بلادهم منهزمين ، وعاد صاحب اربل الى بلده مظفرا غانما[٣٨] .

صلاح الدين والموصل :

كان مظفر الدين وهو يومئذ من رجال عز الدين مسعود على حران يحرض صلاح الدين على الاستيلاء على أملاك الاتابكة ، لذلك سار صلاح الدين سنة ٥٨١ هـ من دمشق الى الموصل بتحريض منه (من مظفر الدين الذي كان سببا في امتلاك صلاح الدين للديار الجزرية) فلما وصل حران لم يف له مظفر الدين بما بذل من المال حيث وعده سابقا بخمسين ألف دينار اذا جاء واحتل الموصل ، فألقى صلاح الدين القبض عليه ثم أطلقه وأعاد اليه مدينتي (حران) و (الرها) [٣٩] لانه خاف بانحراف الناس عنه بالبلاد الجزرية . وقد حاصر صلاح الدين الموصل ومعه مظفر الدين ، وزين الدين صاحب اربل ، وكان عز الدين مسعود قد شحن مابقي بيده من البلاد استعدادا للدفاع عن املاكه ، واستطاع صلاح الدين ومن معه احتلال الجانب الشرقي من من الموصل [٤٠] . وبعد حصار لمدة شهر للقسم الغربي من المدينة رفع الحصار اذ سار صلاح الدين الى (ميافارقين)[٤١] ففتحها ثم صمم على فتح الموصل ثانية ، وسار اليها سنة ٥٢٨ هـ حيث ترددت الرسل بينه وبين صاحب الموصل فتصالح الطرفان بتسليم شهرزور وولاية (الفراتلي) [٤٢] وما وراء

---

(٣٨) نفس المصدر حوادث سنة ٥٨٠ هـ .

(٣٩) مدينة في الجزيرة . معجم البلدان (٤ / ٣٤٠) .

(٤٠) ابن الاثير حوادث سنة ٥٨١ هـ .

(٤١) بين الجزيرة وأرمينيا وتتبع ديار بكر . تقويم البلدان ص ٢٧٩ .

(٤٢) أوقرابلي في رواية أخرى .

الزاب (التي تشمل كركوك وداقوقا وما يليها الى تكريت) اضافة الى اربل الى صلاح الدين وان يخطب باسمه كذلك على منابرها ويضرب اسمه على السكة (٤٣) .

وبموجب هذه الاتفاقية لم تبق للدولة الاتابكية الا الموصل وصاحبها يومئذ عز الدين بن مودود وابن أخيه سنجر شاه بن سيف الدين على جزيرة ابن عمر وعماد الدين على سنجار وثلاثتهم خضعوا لصلاح الدين (٤٤) .

الغزوات الصليبية :

اشتدت الغزوات الصليبية في هذه الفترة ، ففي سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م . كتب صلاح الدين الى جميع البلاد يستنفر الناس للجهاد وكتب الى الموصل واربل وديار الجزيرة الى مصر والشام أثناء حصاره لمدينة (الكرك) (٤٥) وهي يومئذ (للبرنس أرناط) . وفي نفس السنة سار مظفر الدين صاحب الرها وحران الى (عكا) حيث انتصر المسلمون على الافرنج (٤٦) . وفي سنة ٥٨٦ هـ اشترك جنود اربل بقيادة زين الدين يوسف اميرها في موقعتي (احراق الابراج والاسطول) الى جانب عماد الدين صاحب سنجار وديار الجزيرة وعلاء الدين ابن عز الدين مسعود ، ثم اشترك كذلك في المعارك التالية التي جرت بين المسلمين والصليبيين حول مدينة عكا (٤٧) . وقد قدر لزين الدين يوسف صاحب اربل — وقد شهد معارك حاسمة بجانب صلاح الدين في الدفاع عن الاراضي الاسلامية ضد الغزاة المتدخلين آنذاك — قدر

(٤٣) تأريخ ابن خلدون م ٥ ص ٥٨٢ .
(٤٤) تأريخ الموصل ج١ ص ١٩٢ .
(٤٥) بلد مشهور ويقع على أطراف الشام من جهة الحجاز ، ذو بساتين كثيرة . تقويم البلدان ص ٢٤٧ .
(٤٦) ابن الاثير حوادث سنة ٥٨٣ هـ .

له أن يموت في أرض فلسطين • ففي (١٨) رمضان من سنة ٥٨٦ هـ توفي بالناصرة وكانت قرية قرب عكا •

ويبدو ان مظفر الدين لم يحزن كثيرا على وفاة اخيه اذ كان يطمع في عرش أخيه وفي حكم اربل وما يجاورها ، واثر سماعه بالحادث قبض على جماعة من امراء اخيه واعتقلهم ، ثم ارسل الى صلاح الدين يطلب منه اربل لينزل عن حران والرها • فاقطعه صلاح الدين إياهـا وأضاف اليها شهرزور وأعمالها ودبند قرابلي وبني قفچاق • وكان من على اربل في هذه الفترة كاتبوا مجاهد الدين قايماز ليملكوه اربل ، فلم يجسر هو ولا صاحبه عز الدين أتابك مسعود بن مودود خوفا من صلاح الدين ، ثم جاء مظفر الدين وملكها وبقي ذلك غصة في حلق البيت الاتابكي لا يقدر على اساغتها [٤٨]• وقد استولى مظفر الدين على خزائن أخيه زين الدين يوسف •

أبو سعيد كوكبري :

هو ابو سعيد كوكبري بن ابي الحسن علي بن بكتكين بن محمد الملقب بالملك المعظم مظفر الدين • وقد خلف والده في حكم أربيل ولكن مجاهد الدين قايماز أبعده عن الحكم وولي مكانه أخاه الاصغر زين الدين يوسف ، مما دفع مظفر الدين الى الاستعانة بحكام الدول المجاورة ومنهم الخليفة العباسي وعز الدين مسعود وأخيرا السلطان صلاح الدين لمساعدته على استرجاع ملكه • وقد اتصل مظفر الدين بخدمة صلاح الدين منذ سنة ٥٧٨ هـ/١١٨٢م

(٤٧) نفس المصدر حوادث سنة ٥٨٦ هـ •

(٤٨) انظر : التفاصيل في ابن الاثير حوادث سنة ٥٨٦ هـ • ومما يذكر بهذا الصدد أن قايماز بعد اطلاق سراحه أصبح عز الدين يناقضه في كثير من الاحوال فخاف قايماز ان يفعل مثل ذلك معه في اربل لذلك امتنع عن قبول العرض الذي تقدم به من كان على اربل آنذاك •

ونال حظوة عنده (٤٩) . فأقطعه الرها في نفس السنة بالاضافة الى حران التي كان عليها ثم اقطعه صلاح الدين (سميساط) (٥٠) وزوجه أخته ربيعة خاتون بنت أيوب وكانت متزوجة قبله سعد الدين مسعود بن معين الدين. ولم يبخل مظفر الدين من تقديم خدماته الى صلاح الدين .

ففي سنة ٥٧٦ هـ لما سار السلطان الى خلاط سار معه كذلك ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركو ومظفر الدين ونزلوا قريبا من خلاط ، وقد حدث ذلك بعد وفاة صاحب خلاط وشاه ارمن سكمان حيث كاتب أهلها صلاح الدين يحثونه بالمسير وكان شمس الدين البهلوان يطمع فيها كذلك وأخيرا أقام صلاح الدين مولى والد شاه أرمن على خلاط وهو (مكتمر)(٥١).

وقد اشترك مظفر الدين مع السلطان الايوبي في سنة ٥٧٨ هـ في حصار الموصل بعد استيلاء السلطان على حران والرها والخابور ونصيبين (٥٢) وسنجار . وكان السلطان قد أضاف الرها الى حران (٥٣) والاخيرة كانت

---

(٤٩) وفيات الاعيان ج ٣ ص ٢٧١ .

(٥٠) سميساط : من مدن الشام على الفرات في الغرب عن قلعة الروم. تقويم البلدان ص ٢٦٧ .

(٥١) ابن خلدون م ٥ ص ٣٧٧ .

(٥٢) نصيبين : مدينة كبيرة . عامرة في بلاد الجزيرة . معجم البلدان (٨ / ٢٩٢) .

(٥٣) ابن خلدون م ٥ ص ٦٥٣ . ومما يذكر ان صلاح الدين اقطع نصيبين لابي الهيجاء السمين من أكابر أمرائه ومن أبناء أربيل من الاكراد الحكمية أو الخطية كما يقول ابن خلدون . وقد اشترك أبو الهيجاء هذا مع السلطان في حروبه ضد الافرنج ، وتولى له عدة مناصب منها ولاية بعض المقاطعات . وقد قاد عساكر السلطان في تخريب (عسقلان) . وفي سنة ٥٩١ هـ . اشترك في مساعدة الافضل وفي هزيمة العزيز حينما حاصر دمشق. ابن خلدون م ٥ ص ٦٩٥ و ٧٠٤ .

مظفر الدين يومئذ . ويظهر ان مظفر الدين كان دائم التحريض للسلطان وحثه على احتلال الجزيرة والموصل ليصل هو الى غايته في هدم حكم الاتابكة وانفراده في المنطقة ، بل وعد السلطان بخمسين ألف دينار اذ وصل حران وسار الى الجزيرة والموصل [٥٤] . وقدم مظفر الدين مساعدته للسلطان في حروبه ضد الافرنج وكان أحد القلائل الذين ثبتوا في (حطين) سنة ٥٨٣ هـ . واشترك ايضا في الدفاع عن (عكا) في محاصرة الافرنج . وبعد وفاة أخيه زين الدين التمس من السلطان أن ينزل عن حران والرها وسميساط ويعوضه اربل فأجابه السلطان على ذلك وضم اليه شهرزور [٥٦] وأعمالها ودربندقرابلي وبني قفجاق .

مظفر الدين في أربيل (٥٨٦ — ٦٣٠ هـ / ١١٩٠ — ١٢٣٢ م) :

توجه مظفر الدين الى أربيل ودخلها في ذي الحجة من سنة ٥٨٦ هـ بعد الملابسات التي رافقت وفاة أخيه ، وتسلم امارتها بادارة حازمة مستقرة ، لم يعكر صفوها أي حادث هام يذكر . ولكن وفاة صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م كانت سببا في ظهور صراع في المنطقة تحركه وتقوده أطماع الامراء ، فقد خلف صلاح الدين ابنه (عزيز عماد الدين) وطمع عز الدين أتابك صاحب الموصل في الجزيرة وأعمالها واستشار أصحابه فأشار عليه بعضهم بمهاجمتها وأن يستنفر أصحاب الاطراف وهم يومئذ : مظفر الدين صاحب اربل وسنجرشاه صاحب جزيرة ابن عمر وعماد الدين صاحب سنجار ونصيبين ومن امتنع يعاجله حربا . ولكن هؤلاء الامراء أشاروا عليه انتظار أولاد صلاح الدين ولم يؤيده أحد منهم الا أخاه عماد الدين [٥٧] .

---

(٥٤) ابن الاثير حوادث سنة ٥٨١ هـ .
(٥٥) نفس المصدر حوادث سنة ٥٨٥ هـ .
(٥٦) وفيات الاعيان ج ٣ ص ٢٧٢ .
(٥٧) تأريخ ابن خلدون م ٥ ص ٥٨٥ هـ .

واخيرا انقذت وفاة عز الدين المفاجئة الحالة من الانفجار ، اذ خلفه ابنه نور الدين ارسلان شاه واتابكه مجاهد الدين قايماز [٥٨] •

مرت فترة هدوء نسبيه دامت عشر سنوات توفي في خلالها قايماز سنة ٥٩٥ هـ [٥٩] وكانت وفاته ضربة قوية للبيت الاتابكي الدي فقد شخصية قوية كان فقدانها سببا في تجدد الصراع في سنة ٦٠٠ هـ بعد ان ساءت العلاقة بين الايوبيين (أصحاب الملك العادل أبو بكر بن أيوب صاحب مصر ودمشق وبلاد الجزيرة) وبين نور الدين الاتابكي بسبب استمالة العادل لقطب بن عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين الدي خطب له • وقد تدخل نور الدين في الموضوع فقام بمحاصرة نصيبين ، وفي نفس الوقت قدم كوكبري ونهب نينوى واحرق غلاتها ، ولما سمع بذلك نور الدين رجع عازما العبور الى اربل لتخريبها جزاءً بما فعل صاحبها بالموصل •

ولما وصل عاد مظفر الدين الى اربل وتحقق نور الدين ان في الامر مبالغة فعدل عن خطته فسار بعد ذلك الى تلعفر التابعة لصاحب سنجار وحاصرها [٦٠] •

والجدير بالذكر ان الملك الاشرف موسى بن الملك العادل بن أيوب قد سار من (حران) الى (رأس عين) [٦١] نجدة لقطب الدين صاحب سنجار ونصيبين ، وقد اتفق هو وصاحب آمد [٦٢] وصاحب (جزيرة ابن عمر) على مع

---

(٥٨) تأريخ الموصل ج١ ص ١٩٤ •

(٥٩) كان مبدأ ولايته في قلعة الموصل سنة ٥٧١ هـ وولي اربل سنة ٥٥٩ هـ فلما مات زين الدين كوچك سنة ٥٦٣ هـ بقي هو الحاكم فيها ومعه من يختاره من أولاد زين الدين كوچك •

(٦٠) ابن الاثير حوادث سنة ٦٠٠ هـ •

(٦١) مدينة كبيرة في الجزيرة بين حران ونصيبين • معجم البلدان (٤ / ٤٠٦) •

(٦٢) احدى مدن الجزيرة • صورة الارض ص ٢٠٥ •

نور الدين من أخذ شيء من بلاد قطب الدين . ولما وقعت الحرب هزم نور الدين صاحب الموصل من العساكر العادلية (٦٣) وهرب مع أربعة من رجاله ودخلوا الموصل . اما المتحالفون فقد استولوا على تلعفر ، ثم طلب نور الدين الصلح — مقدرا الظروف الحرجة المحيطة به — فصالحه الاشرف وتركه(٦٤).

وقد شهدت السنوات التالية على هذا الصلح علاقات ودية بين الطرفين اذ تزوج صاحب الموصل سنة ٦٠٥ هـ ابنة العادل صاحب مصر والشام ، ولكن العادل عكر صفو هذه العلاقات الحسنة وطمع في الاستيلاء على جزيرة ابن عمر مما دفع قطب الدين صاحب سنجار ونصيبين والخابور بطلب نجدة من صاحب اربل — وكان قطب الدين قد أرسل ابنه الى صاحب اربل حينما هدده العادل سنة ٦٠٦ هـ — الذي توسط في الامر ولكن العادل رفض ذلك ، فغضب مظفر الدين وأرسل الى نور الدين في المساعدة على دفاع العدو وكتبا الى الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب بدعوة الهجوم على بلاد العادل ان لم يرحل عن سنجار ، ثم تدخل الخليفة الناصر في الامر فتم الصلح (٦٥) .

ويبدو ان الحادثة المار ذكرها كانت في صالح نور الدين صاحب الموصل الذي فطن الى خطورة مظفر الدين كزعيم سياسي بارز في المنطقة فأخذ يتحالف معه ضد أطماع العادل مستغلا كره مظفر الدين للعادل لكثرة طمعه . فقد تزوج ابنا نور الدين من ابنتي مظفر الدين وهما عز الدين مسعود ومنصور عماد الدين زنكي ، وبذلك توحدت جهود صاحب الموصل وصاحب اربل ضد أطماع الملك العادل (٦٦) .

(٦٣) ابن الاثير حوادث سنة ٦٠٠ هـ .
(٦٤) تأريخ الموصل ج ١ ص ١٩٤ .
(٦٥) تأريخ ابن خلدون م ٥ ص ٥٩٣ .
(٦٦) تأريخ الموصل (١/ ٢٠١) .

موقف الخليفة من الاحداث :

يظهر ان الخليفة الناصر قد تذمر من مظفر الدين ــ ربما بسبب بروزه في المنطقة ــ بسبب الاحداث الجارية الاخيرة ، ففي جمادي الآخرة من سنة ٦٠٦ هـ وصل رسول من الملك العادل زعيم مصر والشام يدعى (يونس بن بدران المصري) رئيس الشافعية بدمشق وصحبه ابن آخي مظفر الدين زعيم اربل ، وتلقاه موكب الديوان وفي مقدمته صاحب الحجاب (عمر التبريزي) • وقد دخل الرسول ومعه ابن اخي كوكبري وعلى يده سيف مسلول نيابة واعتذارا عن عمه المذكور وقبل العتبة الشريفة بباب النوبي ، وحضر عندئذ مؤيد الدين نائب الوزارة حيث قدم رسول العادل رسالته وكانت تتضمن (اعتذارا عن مظفر الدين وسؤال في حقه) ، فقبل عذره وأجيب فيه ووقع الرضا عنه (٦٧) •

مظفر الدين والممالك الشرقية :

لم تكن علاقات مظفر الدين حسنة مع جاراته في الشرق • ففي سنة ٦٠٢ هـ حدثت فتنة بينه وبين أزبك بن البهلوان صاحب آذربيجان حملت كوكبري على قصده فسار الى (مراغة) (٦٨) واستنجد صاحبها علاء الدين ابن قره‌سنقر الاحمديلي فسار معه الى حصار تبريز ، ولكن أزبك استنجد بـ (ايدغمش) في (زنجان) (٦٩) فسار اليه ولكن مظفر الدين هدده فانسحب وقد انسحب علاء الدين كذلك الى مراغة مما أعطى فرصة لازبك وأيدغمش حيث حاصرا علاء الدين بمراغة حتى سلم قلعة من قلاعه ورجعوا عنه (٧٠) •

---

(٦٧) انظر : الجامع المختصر ص ٢٨٧ ــ ٢٨٨ •
(٦٨) مراغة : احدى اهم مدن اذربيجان • صورة الارض ص ٢٨٦•
(٦٩) زنجان : من مدن الجبال • المصدر السابق ص ٣٠٨ •
(٧٠) تأريخ ابن خلدون (٥ / ١٨٣) •

وفي نفس السنة حدث أن دخل عسكر خوارزم وهم عشرة آلاف فارس مع أهليهم الى زنجان (بلاد ايدغمش) في غيابه وبعد عودة مظفر الدين الى بلده ، سار ايدغمش نحو الخوارزمية فقاتلهم حتى هزمهم (٧١) .

والجدير بالذكر ان ايدغمش تمكن في بلاد الجبل بهمذان وأصفهان والري وعظم شأنه وسار لحصار آزبك وكان بآذربيجان فخرج عليه (منكلي) من موالي البهلوان واستولى على البلاد . أما ايدغمش فقد ذهب الى بغداد سنة ٦٠٨ هـ وولاه الخليفة على ما كانت بيده ولكنه قتل على يد سليمان بن مرحم (ترجم في رواية ثانية) أمير الايوانية من التركمان ، وسار اصحابه الى (منكلي) . ولزم الخليفة جانب آزبك بن البهلوان ضد منكلي الثائر في ملكه (ملك آزبك) والمسيطر على آذربيجان وحرض ضده كذلك جلال الدين الاسماعيلي صاحب قلعة (آلموت) ثم أرسل عساكره مع مولاه الملقب (بوجه السبع) وأمره بطاعة كوكبري صاحب اربل وشهرزور حيث يقود العساكر . أما آزبك فقد استطاع ان يدخل آذربيجان وآران ودخلنا في طاعته (٧٢) .

تجدد النزاع بين مظفر الدين والاتابكة في الموصل :

في سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م . توفي الملك القاهر الاتابكي فأقيم ابنه الصغير مكانه ثم قتل ، فتشتت شمل البيت الاتابكي وتغلب لؤلؤ غلام أبيه القاهر . فلم يرض بهذا الامر عماد الدين صاحب العقر وشوش وأيده في ذلك مظفر الدين صاحب اربل وخاصة بعد ان علما ان نور الدين بن القاهر مريض وان المتسلط هو بدر الدين لؤلؤ . وقد جهز عماد الدين حملة بتأييد من مظفر الدين واستولى على العمادية سنة ٦١٥ هـ ، بعد ان قبض على نائب لؤلؤ عليها . ولم يصبر لؤلؤ على هذا العمل المعادي فجهز

---

(٧١) ابن الاثير حوادث سنة ٦٠٢ هـ .

(٧٢) تأريخ ابن خلدون (٥ / ١٨٥) .

بدوره حملة حاصر بها العمادية ولكن الشتاء أحال دون قتال عماد الدين فانتهت الحرب باستيلاء عماد الدين على العمادية (والزوزان) (٧٣) ، فخاف لؤلؤ غائلته فبعث بطاعته الى الاشرف موسى بن العادل أمير ديار بكر وخلاط على أن يساعده ضد عماد الدين ومظفر الدين فقبل الاشرف بذلك ، وبعد عودة العسكر البدري من حصار العمادية خرج عماد الدين الى العقر ليتمكن من أعمال الموصل (السهلة) وامده مظفر الدين بالعساكر ولكن لؤلؤ بعد الحصول على مساعدة الاشرف هاجم العقر وهزم عماد الدين الذي سار الى اربل بعد انكساره (٧٤) .

وكانت أخبار هذه الحوادث قد بلغت الخليفة الناصر لدين الله فأرسل وفدا للتوسط في الصلح بين الاطراف المتنازعة، حيث أقسم الجميع بحضور الوفد مراعاة شروط الصلح المقررة سابقا بينهم : (بأن لا يتعدى أحدهم على بلاد الآخر) (٧٥) .

وبعد مقتل نور الدين ابن القاهر سنة ٦١٦ هـ قام في الحكم بعده أخوه الملك ناصر الدين محمود وله من العمر ثلاث سنوات مما أثار طمع المجاورين في أملاكه وخاصة كوكبري وعماد الدين ، حيث قصد جندهم أطراف الموصل وعاثوا فيها . وكان لؤلؤ قد أرسل ابنه الاكبر لمساعدة الاشرف بحلب نجدة له بسبب اجتماع الافرنج بالسواحل ، فطلب لؤلؤ بدوره مساعدة من الاشرف وجاءته هذه المساعدة بقيادة مملوك الاشرف

---

(٧٣) الزوزان : جبل في كردستان يمتد مشي ثلاثة أيام تقريبا في شمالي جزيرة ابن عمر ، وهو شهير باعتدال مناخه وخصوبته يأوي اليه الاكراد بأغنامهم لكثرة منتجعاته تأريخ الموصل (١ / ٢٠١) .

(٧٤) تأريخ ابن خلدون (٥/٥٩٦) . الموصل في العهد الاتابكي ص ٣٦٠ .

(٧٥) تأريخ الموصل (٢٠١/١) .

(آيبك) .

وصل آيبك الموصل والح على العبور الى اربل لمهاجمتها ـ انتقاما من مظفر الدين الذي كان يتدخل في النزاع بين البيت الاتابكي ـ فمنعه لؤلؤ ، فلما أصر آيبك عبر لؤلؤ معه دجلة ونزلوا على فرسخين من الموصل شرقي دجلة فألتقوا بمظفر الدين الذي عبر الزاب اليهم وفي ميسرته عماد الدين . وأثناء القتال هزم عمـاد الدين ، وفي نفس الوقت هزمت ميسرة لؤلؤ كذلك ، ويظهر ان هذه الهزيمة اضعفت جند لؤلؤ الى درجة كبيرة فبقي لؤلؤ في نفر قليل فتقدم اليه كوكبرى وهزمه ثم حاصر نينوى ثلاثة أيام ، فلما رأى اجتماع العسكر البدري بالموصل ثانية تركها وعبر الزاب الى اربل . ثم تقررت قواعد الصلح بينهم على نفس الشروط السابقة وهي (أن لا يتعدى أحدهم على بلاد الآخر) [٧٦] .

عودة الصراع بين عماد الدين ولؤلؤ :

كان عماد الدين مثيرا للفتن والحروب في المنطقة لاطماعه الواسعة ، اذ لم تستقر قواعد الصلح بين المتنازعين الا لمدة ايام وبدأ يثـير الاضطراب والقلاقل من جديد . فهاجم املاك لؤلؤ في جوار (زاخو) . مستندا الى مساعدة مظفر الدين حسـما يظهر ـ فأحتل قلعة (كواشي) بمساعدة جندها الذين أخرجوا نواب لؤلؤ منها وتمسكوا بالطاعة له على البعـد خوفا على رهائنهم بالموصل ثم استدعوا عماد الدين الذي تسلم القلعة منهم . فكتب لؤلؤ الى كوكبري معاتبا وفي نفس الوقت طلب مساعدة الاشرف بحلب . فسار الاشرف الى حران يطلب الموصل وقد أدى مسيره الى تكتل الامراء في المنطقة ضده حيث عقد مظفر الدين صلحا مع (عز الدين كيكاوس) بن كيخسرو بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم ومع صاحب (آمـد) وصاحب

(٧٦) ابن الاثير حوادث سنة ٦١٦ هـ . تأريخ ابن خلدون (٥/٥٩٩) .

(حصن كيفا) وصاحب (ماردين) ، واتفقوا جميعا على طاعة كيكاوس والخطبة له في سائر بلادهم . أما كيكاوس فقد سار الى (ملطية) [٧٧] يشغل الاشرف عن الموصل حتى ينالها صاحب اربل ولكنه تمرض في الطريق فرجع حيث توفي سنة ٦١٦ هـ ولكن أخاه كيقباذ صالح الاشرف [٧٨] .

وهكذا فشلت محاولة مظفر الدين ضد الاشرف ، ولكنه لم ييأس اذ عاود استمالة بعض امراء الاشرف اليه ولكن هؤلاء تركوه بعد ان أيده بعضهم في اول الامر [٧٩] .

الصلح من جديد :

وفي السنة التالية (٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) عاد الجميع الى مصالحة الاشرف الذي قدم الموصل بعد ان ملك سنجار . وجاءته وفود الخليفة ومظفر الدين للمصالحة فاستقر الرأي على ان : (يعيد مظفر الدين جميع القلاع المأخوذة من لؤلؤ الا قلعة العمادية وشوش) [٨٠] . ولكن المفاوضات النهائية طالت لمدة شهرين فضجر الاشرف لذلك وخرج يريد مظفر الدين فوصل الى قرية (السلامية) بالقرب من الزاب وكان كوكبري نازلا عليه من جانب اربل فترددت الرسل من جديد ثم اصطلحوا حسب الصلح المذكور ، ورضي الاشرف بذلك حسما للنزاع في وقت أخذت فيه تشتد الحملات الصليبية . وأخذ عماد الدين رهينا لحين تسليم القلاع الواردة في شروط الصلح [٨١] . ولكن عماد

(٧٧) بلدة ذات اشجار وفواكه وأنهار وهي قاعدة الثغور في الجنوب من سيواس . تقويم البلدان ص ٣٨٥ .

(٧٨) تأريخ ابن خلدون (٥/٣٥٨) . وابن الاثير حوادث سنة ٦١٦هـ .

(٧٩) تأريخ الموصل (١/٢٠٥) .

(٨٠) شوش : قلعة في غربي العقر بمسافة ١٥ كم .

(٨١) ابن الاثير حوادث سنة ٦١٧ هـ . وقد لعب صاحب (حصن كيفا) دورا مهما لدى الاشرف وتشفع لديه فتم الصلح المذكور . أنظر : ابن خلدون (٥ / ٦٠١) .

الدين قدم رهينة عنه قلعتي العمادية وشوش فأطلق الاشرف سراحه ، ثم نكث عماد الدين بالعهد فسيطر على جميع أعمال الجبل في الموصل . كان حكم عماد الدين في هذه المناطق سيئا فمال أهلها الى لؤلؤ فاضطر الى ترك المنطقة حيث قصد آذربيجان سنة ٦١٩ هـ ودخل في خدمة ملكها أزبك بن البهلوان وأقام عنده (٨٢) .

ويقول ابن خلكان : « ان عماد الدين انتقل الى اربل عند حمية مظفر الدين وكنا بجواره ثم قبض عليه كوكبري وسيره الى سنجار الى الملك الأشرف حيث أفرج عنه فعاد الى اربل وقايضه مظفر الدين عن القلاع شهرزور واعمالها وأقام بها الى ان توفي سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م » (٨٣) .

والظاهر من اختلاف الآراء ان أهل القلاع عصوا على لؤلؤ وايدوا كوكبري وبذلك ترك عماد الدين خدمة أزبك في آذربيجان وطلب مساعدة كوكبري على استعادة سلطانه ولما كان كوكبري نفسه طامعا في تلك الجهات (العمادية وشوش وغيرها) فلم يساعده فيما يريد بل سلمه الى الاشرف ، ولما أطلق سراحه رجع الى كوكبري يطالبه باملاكه فأعطاه شهرزور حتى يترك له الامر بينه وبين لؤلؤ (٨٤) .

اما بدر الدين لؤلؤ فقد سيطر سنة ٦١٩ هـ على قلاع الجبل الا قلعة شوش المجاورة للعقر حيث قصدها في نفس السنة واحتلها بالرغم من معارضة كوكبري الذي عزم على تهديد الموصل نفسها واحتلالها . وقد تريث كوكبري قبل ان يحقق ما يريد خوفا من مباغتة الاشرف له . فعمل على كسب بعض الامراء الى جانبه ، واتفق سنة ٦٢١ هـ مع شهاب الدين غازي صاحب

(٨٢) تاريخ الموصل (١ / ٢٠٦) .
(٨٣) وفيات الاعيان (٢ / ١٣٦) .
(٨٤) تاريخ الموصل (١ / ٢٢٦) .

خلاط واخوه المعظم عيسى صاحب دمشق ضد الاشرف وطلب الاشرف من اخيه الملك العادل في مصر نجدة حينما سار صاحب دمشق الى الجزيرة ولكن الاخير توقف حينما وصله تهديد أخيه العادل : (ان ترك دمشق سار اليها) •

وفي هذا الجو المتوتر بين بني ايوب آقبل مظفر الدين الى الموصل وحاصرها علما منه انه اذا فعل ذلك فيترك الاشرف خلاط (اذ اقترب منها فتفرق اتباع أخيه غازي في البلاد ليحصونها) ويخرج غازي في طلبه • وكان أكثر جند الموصل قد ذهب الى خلاط لمساعدة الاشرف ، ودام حصار كوكبري للموصل عشرة أيام ثم تركها الى اربل لما بلغه انكسار مؤازريه امام جند الملك الأشرف في خلاط ولما لاقى من صعوبة في فتح المدينة التي امتنعت عليه (٨٥) •

مظفر الدين والمغول :

لقد دخلت الدولة البكتكينية في نزاعات حادة مع الدول المجاورة وخاصة مع الاتابكة في الموصل والايوبيين في الجزيرة الى ان استقرت الاوضاع في المنطقة على قواعد الصلح المقررة بين الاطراف المتنازعة • وفي هذا الوقت العصيب الذي بدأت فيه الحملات الصليبية تتوالى على العالم الاسلامي الذي يمزقه الخلافات القائمة على الاطماع وحب التملك ، لاح في الافق مبعث خطر جديد لم يعرف في بدايته بانه سيقلب ميزان القوى لصالح أقوام بعيدة عن التمدن كتبت لها ان تكون أقوى القوى العسكرية في آسيا ، هذا الخطر هو ظهور المغول •

وهم من الاقوام التي سكنت الاقطار الشمالية من آسيا أي في تركستان ومنغوليا وقسما من سيبريا ، والتتر اسم مرادف للمغول واسم لا حدى القبائل المغولية ولكنه استعمل في الكتب العربية للدلالة على مجموعة قبائل

---

(٨٥) ابن الاثير حوادث سنة ٦٢١ هـ ، وتأريخ الموصل (١ / ٢٠٨)• وابن خلدون (٥ / ٦٠٤) •

المغول التي اندفعت غربا في هذه الفترة لاجتياح البلاد الاسلامية بل وحاضرة الخلافة العباسية نفسها .

وقد لاقت اربل الامرين من المغول في حكم مظفر الدين وبعد وفاته خاصة : ففي سنة ٦١٧ هـ[٨٦] ملك التتر مراغة ومنها ساروا الى اربل ووصل خبرهم الى الموصل . فطلب مظفر الدين مساعدة لؤلؤ . ثم وصلت كتب الخليفة العباسي ورسله الى الموصل والى اربل يأمر الجميع (بالأجتماع مع عساكره في داقوقا ليمنعوا التتر فانهم ربما عدلوا عن جبال اربل لصعوبتها الى هذه الناحية ويطرقون العراق) . فسار كوكبري من اربل وتبعه عسكر الموصل ، فلما اجتمع مظفر الدين والعساكر بداقوقا سير اليه الخليفة مملوكه (قشتمر) وهو من أكابر أمرائه ومعه ألف وثمانمائة فارس ولما رأى كوكبري قلة العسكر لم يقدم على مواجهة المغول . أما المغول فقد رجعوا القهقرى ظنا منهم ان العسكر يتبعهم فعاد الجميع الى بلادهم .

ويظهر مما أورده ابن خلدون ان صاحب مراغة كان يصانع المغول لذا وجد هؤلاء الطريق أمامهم مفتوحا نحو اربل والعراق عامة [٨٧] .

وفي السنة التالية (٦١٨ هـ) ملك التتر بلاد ما وراء النهر وخراسان وعراق العجم بقيادة (جنكيز خان) حيث دخل (أزبك) صاحب مراغة في طاعته بعد ذلك في سنة ٦٢١ هـ . وكان ملكه آنذاك على وشك الزوال ذلك : لان جلال الدين بن محمد بن تكش خوارزم جاء من الهند سنة ٦٢٢هـ فاستولى على عراق العجم وفارس وسار الى آذربيجان وملكها وملك (آران) وانقرض بذلك أمر بني البهلوان [٨٨] .

وقد اتفق صاحب اربل مع جلال الدين خوارزم سنة ٦٢٢ هـ حينما ملك الاخير المناطق المذكورة وجاور الاشرف بن العادل في ملكه بخلاط

(٨٦) ابن الاثير حوادث سنة ٦١٧ هـ .
(٨٧) ابن خلدون (٥ / ٢٤٤) .
(٨٨) نفس المصدر (٥ / ١٨٥) .

والجزيرة ٠ واتفق مع جلال الدين كذلك مسعود صاحب (آمد) وأخو الاشرف صاحب دمشق ، اتفق هؤلاء جميعا على معارضة الاشرف ، فسار مظفر الدين سنة ٦٢٣ هـ الى الموصل وانتهى الى الزاب ينتظر الخبر عن جـلال الدين ، ومن جهة ثانية سار المعظم — حسب الاتفاق — الى حمص وحماة ، وبقي لؤلؤ صاحب الموصل يستنجد الاشرف وهو يومئذ (بالرقه) فسار الى حران وقرب ماردين ولكن أخاه المعظم طلب منه الرحيل عن ماردين وحلب لكي ينسحب هو بدوره عن حمص وحماة وطلب من مظفـر الدين أيضا الانسحاب ٠

وكان عدم ظهور جلال الدين في المنطقة يعود سببه لحدوث فتنة في كرمان ضده فاستوجبت رجوعه بعد ان دخل خلاط وعاث في اعمالها وفت رجوعه في أعضاد الآخرين (المتفقين معه) فانسحب مظفر الـدين وكذلك المعظم (٨٩) حينما يئسوا من مساعدة جلال الدين ورجعـوا الى طاعـة الاشرف (٩٠) ٠

وبعد ان قضى جلال الدين على فتنة أخيه (غياث الدين) سـار الى خوزستان وحاصر قاعدتها وبها يومئذ (وجه السبع) مولى الخليفة ، ثم قصد الخوارزميون البصرة وبها الامير (ملتكين) (٩١) نائب البصرة فاوقع بهم ملتكين ، ومن جهة ثانية توغل الخوارزميون في اعمال بغـداد حتى وصلوا بعقوبة ، وقسم منهم دخل داقوقا وتكريت ٠ وقد ملك الخوارزميون داقوقا عنوة وقاتلوا في تكريت٠ جرت مراسلات بين جلال الدين ومظفر الدين

(٨٩) ابن خلدون (٥ / ٦٠٦) ٠ وابن الاثير حوادث سنة ٦٢٣هـ٠
(٩٠) نفس المصدر (٥ / ٧٦٢) ٠
(٩١) هو الامير (باتكين) الرومي الذي تولى حكم اربل بعد وفاة مظفر الدين ٠

فاصطلحا حيث انسحب الخوارزمي الى أذربيجان . وكانت الاضطرابات قد عمت خوزستان والعراق أثناء مقام جلال الدين . ووقع اعتداء على قافلتين كانتا في طريقهما الى الموصل (٩٢) .

يستنتج مما مر ذكره ان مظفر الدين لزم جانب الخليفة الناصر الذي راسله واستماله قبل ذلك لعلمه بان مظفر الدين يبغض الاشرف . واتفق الخليفة معه كذلك على مراسلة المعظم صاحب دمشق ضد الاشرف (٩٣) .

وقد اشتدت حوادث قطع الطرق بين اربل وهمدان في السنوات التالية الامر الذي دفع مظفر الدين الى المسير سنة ٦٢٧ هـ لمحاربة القائمين به وهم قبيلة (قشيالوا) التركمانية وزعيمها (صونج) ولقبه شمس الدين وكان الاخير قد قوي أمره وكثر جمعه حتى تجاوز على قلعة منيعة لمظفر الدين اسمها (سارو) وقتل أميرها عز الدين الحميدي . ثم حاول مظفر الدين استرجاع القلعة المذكورة فلم يستطع لحصانتها ولكثرة الجموع التي مع التركماني فاصطلحا على ترك القلعة (٩٤) .

وفي سنة ٦٢٨ هـ انهزم جلال الدين خوارزم امام التتر في آذربيجان فوصل خلاط ثم الى آمد حيث طارده التتر ، وفي آمد تفرق شمل الخوارزميين فدخل بعضهم نصيبين وحران والآخرون الى الموصل وسنجار واربل فتخطفهم الملوك والناس ، اما التتر فقد طاردوهم ودخلوا آمد و(أرزن)(٩٥) و (ميافارقين) (٩٦) والجزيرة ونصيبين ونهبوا سنجار ودخلوا الخابور كذلك ، وسارت طائفة منهم الى الموصل فاستباحوا اعمالها . ووصلت طائفة

---

(٩٢) ابن الاثير حوادث سنة ٦٢٢ هـ . وابن خلدون (٥/٢٦٤) .

(٩٣) ابن الاثير حوادث سنة ٦٢٢ هـ .

(٩٤) ابن الاثير حوادث سنة ٦٢٧ هـ .

(٩٥) أرزن : احدى مدن ارمينيا . صورة الارض ص ٢٨٦ .

(٩٦) ميافارقين : كذلك احدى مدن ارمينيا . نفس المصدر ص ٢٨٦ .

اخرى منهم من آذربيجان الى اعمال اربل فقتلوا من على طريقهم من التركمان والاكراد ثم دخلوا بلد اربل فنهبوا القرى فبرز مظفر الدين في عساكره واستمد عساكر الموصل فلما بلغه عودة التتر الى آذربيجان اقام في بلاده ولم يتبعهم فوصل المغول الى بلد (الكرخيني) [٩٧] وبلد (داقوقا) وعادوا لم يذعرهم احد [٩٨] .

ويقول ابن الاثير وهو معاصر للأحداث (ان جلال الدين خوارزم اختفى ولا يعلم هل قتل أم لم يظهر نفسه خوفا من التتر او فارق البلاد الى غيرها) و « لم يظهر خبر له الى نهاية سنة ٦٢٨ هـ » ويضيف الى القول : « ان دخول التتر الى اربل وديار بكر والجزيرة وخلاط ونصيبين ودقوقا كان قصدهم اختبار اهلها ومدى قوتهم حيث رجعوا ليخبروا ملكهم بخلو البلاد من مانع ومدافع » [٩٩] .

توحيد العلاقة بين مظفر الدين والخليفة :

ان ظهور المغول في المنطقة وازدياد خطرهم دفع بالخليفة العباسي لتوحيد جهوده مع مظفر الدين لدفع خطر المغول ورسم سياسة جديدة موحدة للمستقبل . ففي المحرم من سنة ٦٢٨ هـ وصل بغداد مظفر الدين ولم يكن قد زارها سابقا ــ وكان الخليفة قد أرسل في السنة الماضية كلا من محي الدين يوسف بن الجوزي وسعد الدين ابن الحاجب علي لمرافقته في هذه الزيارة ــ فخرج الى استقباله فخر الدين احمد بن مؤيد الدين القمي نائب الوزارة والامراء كافة والقضاة والمدرسون وجميع أرباب

---

(٩٧) الكرخيني : قلعة على تل عال بالقرب من اربل (كركوك الحالية) .

(٩٨) ابن الاثير حوادث سنة ٦٢٨ هـ .

(٩٩) نفس المصدر حوادث سنة ٦٢٨ هـ . قتله كردي في نفس السنة . دائرة المعارف الاسلامية .

المناصب فلقوه على نحو من فرسخ ، ولقيه ابن القمي بظاهر السور ، وقد قابل مظفر الدين الخليفة المستنصر (٦٢٣ — ٦٤٠ هـ) وسلم عليه قائلا : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي » • فرد عليه الخليفة بالسلام ، ثم خلع عليه وقلده سيفين وقدم له فرس بمركب ذهبا ومشدة (مما تزين به الفرس في عنقها) • ونزل مظفر الدين في دار شمس الدين علي بن سنقر وأنزل جماعة من أمرائه في دور اخرى ، وباقي عسكره في المخيم ظاهر البلد • واثناء وجوده في بغداد اقيمت له ولاصحابه الاقامات الوافرة • وقد اعطاه الخليفة خمسين الف دينار برسم نفقة الطريق وبرسم حاشيته وأصحابه عشرة آلاف دينار • وقد مكث مظفر الدين في بغداد عشرين يوما ، فلما غادرها سار معه محي الدين بن الجوزي وسعد الدين بن الحاجب علي حيث عادا في ربيع الاول الى بغداد وآخبرا بأن مظفر الدين حلف امراءه وأعيان أهل بلده على طاعة الخليفة وتسليم البلد اليه عند وفاته (١٠٠) •

عودة المغــول :

كان لسقوط دولة خوارزم الاسلامية التي وقفت كالسد امام تقدم المغول نحو الغرب في السابق أن اصبح الطريق امامهم مفتوحا للتوغل غربا نحــو املاك الخلافة العباسية • ففي سنة ٦٢٩ هـ أي بعد سقوط دولة خوارزم بسنة واحــدة وردت الاخبار الى بغداد : بانتشار عساكر المغــول في بلاد آذربيجان ومسيرهم نحو شهرزور ، فأخرج الخليفة المستنصر الاموال وجهز العساكر وأرسل الى سائر البلاد للجمع والاحتشاد ، فورد كتاب مظفر الدين الى الخليفة يسأل انجاده بالعساكر • فسار جيش الخليفة بقيادة جمال الدين قشتمر الناصــري والتقى بمظفــر الدين في موضع قريب من الكرخيني (كركوك الحالية) • فأقاموا هناك بقية شهر رجب وشعبان ، ثم حــدثت

(١٠٠) انظر التفاصيل في الحوادث الجامعــة لابن الفوطي ص ١٩ وما بعدها •

خصومة بين ممانيك الخليفة وبين بيضار من أصحاب مظفر الدين فانتشبت فتنة أدت الى قتل وجرح ، وكادت الحرب تقع بين الطرفين لولا تدخل جمال الدين الذي لاطف مظفر الدين وخجله وقبح له ذلك ، ثم اتفقوا على الرحيل الى مدينة شهرزور [١٠١] لانهم بلغهم أن المغول قد وصلوا الى (ساميان)[١٠٢] . واحضر في تاسع رمضان عند قشتمر ثلاثة نفر وامرأة من المغول فسألهم عن اخبارهم فذكروا انهم فارقوهم راجعين من (مراغة) [١٠٣] . وقد تعلل مظفر الدين بالمرض والرجوع الى بلده وطلب من قشتمر ولده شرف الدين علي وقال : « يكون معي اذا مت يتسلم البلد » . وطلب أيضا الامير سعد الدين حسن بن الحاجب علي ليسلم اليها (خفتيان) [١٠٤] فأجابه . فتوجه مظفر الدين قاصدا أربيل فوصلها وأقام عنده شرف الدين وسعد الدين المذكورين أياما ثم سرحهما ، فرجعا وأخبرا الامير جمال الدين : « ان مظفر الدين في أتم عافية وان ذلك كان حيلة منه » [١٠٥] . ولكن أيام مظفر الدين الحافلة بالأعمال الجسام ، والتي جعلت من اربل مدينة كبرى وعاصمة لدولة مهيبة الجانب منيعة طيلة حكمه البالغ (٤٤ سنة) ، كانت على وشك الانتهاء ، ففي السنة التالية وفي شهر رمضان توفي الملك المعظم مظفر الدين دون ان يخلف أولادا ذكورا ، فوقعت امارته في حوزة الخليفة المستنصر بالله العباسي سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م .

---

(١٠١) شهرزور : بلدة كبيرة كانت من أعمال اربيل ، قال ابن خلكان: ان بانيها هو (روز الضحاك) . وهي لفظة أعجمية معناها (بلد روز) أو مدينة روز .

(١٠٢) ساميان : من قرى همدان .

(١٠٣) مراغة : مدينة هامة في آذربيجان. أنظر صورة الارض ص٢٨٦.

(١٠٤) خفتيان أو خفتيد : قلعة حصينة في اربل . وفيات الاعيان (١ / ٣٤٦) . وانظر أ: معجم البلدان (٣ / ٤٥١) اذ جاء فيه : انها من أعمال اربيل .

(١٠٥) الحوادث الجامعة ص ٢٧ وما بعدها .

الفصل السابع

الاحوال العامة والادارة في الدولة

البكتكينية

ازدهرت اربيل في زمن الدولة البكتكينية الى درجة كبيرة اذ اصبحت قصبة لهذه الدولة طيلة ما يقارب القرن الواحد (٥٣٩ هـ — ٦٣٠ هـ) .

ولعل أزهى العهود التي شاهدتها المدينة تلك التي كانت في حياة مظفر الدين كوكبري الذي اسس الجزء الاسفل من اربل الواقع في سفح الجبل الذي يقوم عليه الحصن (القلعة) [1] . وأسس كذلك مدرسة هامة سماها « المدرسة المظفرية » تعلم بها والد المؤرخ الشهير ابن خلكان .

ولم تكن هذه المدرسة الوحيدة في أربيل في تلك الفترة فالى جانبها كانت تقوم مدارس اخرى بنيت في زمن علي كوچك وابنه زين الدين يوسف.

ويقول ابن خلكان وهو معاصر للأحداث : « ان مظفر الدين بنى في اربل مدارس رتب فيها الفقهاء من المذهبين الشافعي والحنفي وكان كثير التردد عليها . وبنى في اربل كذلك أربع خانقاهات [2] (ربط) للعجزة والعميان وخصص لها ما يحتاجون اليه كل يوم . وبنى دارا للنساء الارامل ودارا للأيتام ودارا للملاقط (جمع لقيط) حيث رتب عليهم مراضع (جمع مرضعة). كما بنى مستشفى وكثيرا ما كان يزوره ويتفقد فيه المرضى ويوزع عليهم

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية . مادة اربل .

(٢) خانقاهات : مفردها : خانقاه . ومعناها : زاوية أو تكية .

الهدايا ، وكان لمظفر الدين في اربل مضيف (دار ضيافة) يدخل اليه كل قادم على البلد من فقيه وفقير ... وقد تخلصت اربيل في زمانـه من الرذائل الاجتماعية ، وبنى خانقاها (٣) للصوفية في اربل .

وكان يشتري في كل سنة مرتين حرية أسرى المسلمين من الروم ، وكان مظفر الدين متدينا اذ كان يحج كل سنة ومعه جماعـة ، وينفق في الحرمين مبلغا يصل الى خمسة أو ستة آلاف دينار على الفقراء والمحتاجين، وقد أجرى الماء الى جبل عرفات في مكة » (٤) .

ولعل أعظم المناسبات الدينية والاجتماعية التي كان أهل اربيل يحتفلون به هو الاحتفال بالمولد النبوي كل سنة ، وكان له مكانة خاصة في حيـاة اربل وملكها مظفر الدين ، حيث كان يصل اليه من البلاد القريبة من اربل مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وايران كثير من الفقهـاء والشعراء والقراء ويمكثون في اربل من المحرم الى أوائل ربيع الأول حتى إذا كان صبيحة يوم المولد انزل الخلع من القلعة الى خانقاه على أيدي الصوفية ثم ينزل مظفر الدين الى الخانقاه ويجتمع بالناس ، ويخلع على العلمـاء والفقهاء فردا فردا ، ثم يوزع السماط (الحلويات) على الحضور (٥) .

وعن حياة مظفر الدين الشخصية يذكر ابن خلكان في كتابه وفيـات الاعيان : « بانه كان كريم الاخلاق ، متواضعا ، سالم البطانة ، يميل الى أهل السنة والجماعة ، ولد في أواخر المحرم من سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م بقلعـة الموصل وتوفي ظهرا في (١٨) من رمضان ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م بداره في البلد

---

(٣) لا يزال في اربيل مسجد يعرف بخانقاه دون مساجد أربيل الاخرى ولعله نفس الخانقاه التي بناها مظفر الدين وجرت عليها بعده ترميمات ثم تجديد لبنائها أخيرا .

(٤) ابن خلكان (٣ / ٢٧٣) .

(٥) وفيات الاعيان (٣ / ٢٧٤) وما بعدها . وآثار البلاد ص ٢٩٠.

ثم نقل الى قلعة اربيل ودفن فيها • فلما توجه رجاله الى الحجاز سنة ٦٣١هـ فصادف ان رجع الحجاج تلك السنة قبل وصولهم مكة بعد ان وصلوا منزلة في طريق الحجاز من جهة العراق لعدم وجود الماء وقاسوا مشقة عظيمة ودفن بالكوفة قرب مشهد علي (رض) اما زوجته (ربيعة خاتون)بنت أيوب فقد توفيت سنة ٦٤٣ هـ • وقد جاوزت الثمانين ، ودفنت في مدرستها الموقوفة على الحنابلة بسفح (قاسيون) [٦] في دمشق •

قام مظفر الدين بكثير من الاعمال العمرانية في أربيل [٧] وغيرها من المدن التابعة لامارته فبالاضافة الى الاعمال العمرانية التي مر ذكرها • بنى مظفر الدين جامعا كبيرا في جنوبي غربي أربيل لم يبق منه غير منارته القائمة الى اليوم •

وقد بنى مظفر الدين جامعا في داقوق لا تزال منارته القائمة[٨] تدل على طراز هندسي في البناء يشبه طراز منارة اربيل ومنارة الجامع النوري في الموصل وهي مشيدة بالجص والآجر • وهذه المنائر الثلاث تعود الى عصر واحد •

الادارة :

كانت طبيعة الأنظمة الادارية في الدولة البكتكينية مشابهة لما كانت عليها ادارة الدولة السلجوقية والعباسية في عصرها الاخير • وكان يساعد أمير اربل

---

(٦) جبل في دمشق •

(٧) كان يحيط بمدينة اربيل سور ، ظلت بقاياه الى فترة متأخرة وكانت تدل على سعة المدينة في عصورها الزاهية •

(٨) المرشد الى مواطن الآثار • الرحلة الرابعة • بغداد ١٩٦٥ ص ٥٠ ولكن هرتسفيلد يقول ان منارة داقوقا يعود تأريخها الى ما بين (٥٤٣هـ ــ ٥٨٦ هـ) أي الى عهد زين الدين يوسف الذي حكم أربيل قبل مظفر الدين بين سنة ٥٦٣ ــ ٥٨٦ هـ • انظر : مجلة سومر ص ١٢٧ ــ ١٢٨، ١٦ (١٩٦٠) •

صاحبها نخبة من الموظفين الكبار اضافة الى مجموعة من الكتبة الذين
انوا يشتغلون في الدواوين المختلفة . وكان أبرز الوظائف في أربيل في
ن مظفر الدين هي ما يلي :

وزير :

لا شك ان وظيفة الوزير كانت تأتي بعد منصب الامير مباشرة في خطورتها
. كان الوزير ينظر في أمر الاموال وأمر الجيش ويشرف على جميع الدواوين
يستعرض حساباتهم وأعمالهم ويقوم اخطاءها . وكان الوزير ينتخب من بين
لشخصيات الوجيهة والمثقفة . ومن عرف بالعلم والاخلاق والاتزان . وممن
ولى الوزارة للملك مظفر الدين في سنة ٦٢٩ هـ ابن المستوفي الاربلي (٩) .

الحاجب :

وهو الموظف الذي يتصل بالامير (الحاكم) ويكون صلة الوصل بينه
بين الوزير وهو وحده يتلقى أوامر الحاكم الشفهية ويوصلها الى الوزير
يقوم بتنفيذها ، وكذلك على موظفي الدولة الاخرين تنفيذ أقواله ، لان
كلامه هو كلام الامير . ويخرج الحاجب احيانا مع الامير في حروبه . وممن
ولى الحجابة للملك المعظم مظفر الدين صلاح الدين احمد بن عبد السيد
الاربلي (١٠) .

المستوفي :

هناك مقام ثان في الدولة بعد مقام الوزير هو مقام المستوفي . والاستيفاء
صفة سامية لصاحبها النظر في الامور الماليـــة ، وهو اشبه ما يكون بمقام
وزير المالية في أيامنا هذه ، وكان من واجباته . الاشراف على حسابات الدولة
وتدقيقها ، وكثيرا ما يقوم بجولات تفتيشية لاجل ذلك .

(٩) وفيات الاعيان (٣ / ٢٩٤) .
(١٠) نفس المصدر (١ / ١٦٦ — ١٦٧) .

وكان لكل مدينة مستوف مرتبط بالمستوفي الاكبر الذي يجلس في قصبة الدولة • وكان تعيين المستوفي مثل الوزير يصدر بحقه امر من ديوان الملك • وممن تولى وظيفة الاستيفاء في اربل للملك مظفر الدين ابن المستوفي الشهير (١١) •

القضاء والقاضي : والقاضي يقوم بالاوامر الشرعية والفصل بين الخصوم • ممن تولى القضاء لمظفر الدين : أبو محمد جعفر بن محمد بن محمود بن هبة الله بن احمد بن يوسف الكفرعزي (١٢) الاربلي • وكان اضافة الى وظيفته التي تولاها من سنة ٥٨٩ هـ الى حين وفاته سنة ٦٠٤ هـ عالما لعدة علوم منها الفقه الشافعي والفرائض والحساب والهندسة والأدب والنحو ومعرفة علوم القرآن • ولد الكفرعزي الاربلي سنة ٥٣٧ هـ وتوفي اول محرم من سنة ٦٠٤ هـ في اربل (١٣) •

وكان هناك في اربل وظائف أخرى منها وظيفة المشرف التي تشبه ما نسميها اليوم بوظيفة المفتش المالي • وكان المشرف يراقب رئيس الديوان (١٤) • أما ناظر الجيش فكان المسؤول عن كل ما يلزم الجيش من أرزاق وتجهيزات وخدمات •

وبالاضافة الى هذه الوظائف التي ذكرناها كانت تقوم وظائف أخرى تتطلبها ادارة الدولة ومنها وظيفة الكتبة • وكان يلحق بكل ديوان موظفون يعرفون بالكتبة أو الكتاب مثل كاتب الرسائل وكاتب الجند وكاتب الاستيفاء

---

(١١) وفيات الاعيان (٣ / ٢٩٤) •

(١٢) كفرعزا : مدينة كانت باقليم اربل قريبا من الزاب الاصغر من جهة اربل • انظر معجم البلدان (٤ / ٢٩٠) •

(١٣) الجامع المختصر لابن الساعي ج ٩ ص ٢٤٣ — ٢٤٥ •

(١٤) رئيس الديوان أو الوزير ، اذ كان المشرف يراقب أعماله من الناحية المالية •

وكاتب الاشراف ، ويختار لهذه الوظائف أشخاص معروفين بالطيبة والتدين .
وممن اشغل منصب رئيس الكتاب لمتولي اربل بهاء الدين ابن عيسى من أحفاد فخر الدين ابي الفتح الاربلي . ثم خدم ببغداد من ديوان الانشاء ايام علاء الدين صاحب الديوان بعد استيلاء هولاكو على بغداد وتوفي سنة ٦٩٢ هـ وله مؤلفات كثيرة منها (رسالة الطيف) (١٥) .

التعـليم :

لقد بدأ التعليم بصورة منظمة في هذا العهد ، فأول مدرسة هي تلك التي أنشأها ابو منصور سرفتكين نائب زين الدين علي في أربيل . ثم ازداد عدد المدارس فيها في حكم مظفـر الدين حيث أصبحت اربيل مدينة عـلم وسياسة وتخرج فيها عدد من العلماء المشاهير .

وكان التعليم الديني هو الغالب في المدارس في هذه الفترة شأن مدارس العراق الاخرى ، فقد غلبت الدراسات الدينية المختلفة من فقه وتفسير وعلم الفرائض والنحو والعروض والادب والشعر . والمدارس بعـد ذلك كانت ملحقة بالمساجد عامة ومع ذلك لم تخلو اربل من مدارس مستقلة قائمة بذاتها . والعلوم الدينية كانت تدرس على المذهبين الشافعي والحنفي . ونذكر الآن بعض اهم المدارس التي كانت في اربل في عصر الدولة البكتكيـة (٥٣٩ ـ ٦٣٠ هـ) .

١ ـ مدرسة القلعة : وقد أنشأها الامير ابو منصور سرفتكين الزيني الذي ناب عن زين الدين كوچك في حكم اربل . وكان كوچك آنذاك في الموصل وهو متوليها . وممن درس في هذه المدرسة الفقيه الشافعي أبو العباس الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر الاربلي الذي ولد سنة ٤٧٨ هـ

(١٥) مشاهير الكرد (٢ / ٧٢) .

وتوفي سنة ٥٦٧ هـ وبعد وفاته تولى التدريس فيها ابن أخيه عز الدين ابو القاسم نصر بن عقيل بن نصر الذي ولد سنة ٥٣٤ هـ • ثم غضب عليه مظفر الدين فأخرجه منها فانتقل الى الموصل [١٦] • وكان ابو العباس قد درس في بغداد ثم أتى اربل فبنى له سرفنكين حاكم اربل المدرسة المذكورة في القلعة سنة ٥٣٣ هـ • وقد ألف في الفقه والتفسير وقد سكن مدة في الشام ثم رجع الى اربل وتوفي ليلة الجمعة (١٤) جمادى الاخر سنة ٥٦٧ هـ ودفن في مدرسته في القلعة [١٧] •

٢ ــ مدرسة الملك مظفر الدين : بناها هذا الملك ورتب فيها الفقهاء على المذهبين الشافعي والحنفي • واشهر من تولى التدريس فيها : الشيخ أبي جعفر محمد بن هبة الله بن المكرم بن عبد الله الصوفي ، وكذلك والد ابن خلكان : محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان ، واحمد بن موسى الاربلي الشافعي الملقب شرف الدين الذي ولد سنة ٥٧٥ هـ وتوفي سنة ٦٢٢ هـ [١٨] • واشتهر شرف الدين في العلوم الدينية واختصر كتاب (احياء علوم الدين) للامام الغزالي مرتين [١٩] •

وقد بنى حاكم اربل زين الدين كوچك والد مظفر الدين عدة مدارس وأربطة في الموصل أيام توليه حكمها ومنها : المدرسة الكمالية ومكانها اليوم في الموصل مكان جامع الشط [٢٠]• والمدرسة الزينية وأشهر من تولى التدريس في المدرسة الاخيرة ، يونس بن منعة المتوفي سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م ولا يعرف مكان هذه المدرسة اليوم بسبب ضياع الكثير من

(١٦) وفيات الاعيان (٣ / ٢٣٢) •
(١٧) مشاهير الكرد (١ / ٢٠٠) •
(١٨) وفيات الاعيان (١ / ٩٠ ــ ٩١) •
(١٩) مشاهير الكرد (١ / ٨٢) •
(٢٠) الطرق في العصر السلجوقي ص ٣٨٣ •

الآثار وأخبارها .

الاربطة :

وكان التعـليم والتأليف والتصنيف يجري في الاربطـة كذلك . والرباط هي دار سكنى للمتصوفة موقوفة عليهم للاقامة والعبادة والزهد والطعام واللباس . وقد انتشرت كلمة الرباط في العراق ، بينما انتشرت كلمة (خانقاه) التي هي اللفظ الفارسي لكلمة (رباط) العربية في بلاد فرس والشام والعراق والجزيرة . وأصبحت الربط اضافة الى ما سبق من وظائفها مواضع للتأليف والاجازة والمحاضرات . وأدت خدمات جليلة في نشر الثقافة العربية والاسلامية . وكان في كل رباط مكتبة عامرة . وقد انقطع كثير من المرابطين الى المطالعة والدرس .

وقد أنشأ زين الدين كوچك رباطا في الموصل يعرف بالرباط الزيني (٢١). بينما أنشأ ابنه مظفر الدين خانقاها في اربل يعرف باسمه وكان كثير التردد اليه حيث تقام فيه بصورة خاصة الاحتفالات الدينية بمناسبة المولد النبوي الشريف كل سنة (٢٢) .

---

(٢١) العراق في العصر السلجوقي ص ٣٩٠ .

(٢٢) وفيات الاعيان (٣ / ٢٧٤) .

الفصل الثامن

تأريخ أربيل من وفاة مظفر الدين حتى الفتح المغولي

في السابع عشر [١] من رمضان سنة ٦٣٠ هـ ورد الخبر الى بغداد بوفاة مظفر الدين . فأمر الخليفة بتعيين جماعة من الامراء يكون مقدمهم الامير (أرغش الناصري الرومي) و (علاء الدين الدكز) للتوجه الى اربل. وأمر كذلك ظهير الدين أبي علي الحسن بن عبد الله عارض الجيش بالتوجه اليها أيضا . وفي ثالث عشر شوال توجه (شرف الدين ابو الفضائل اقبال الشرابي) بالعسكر ... وكان في قلعة اربل خادمان أحدهما اسمه (برتقش) والثاني اسمه (خالص) حيث كاتبا الى الخليفة والى عماد الدين زنكي صاحب شهرزور وصهر مظفر الدين والى بني أيوب حيث ثقل كوكبري في المرض يعرفانهم ذلك وقالا : « من سبق الينا كانت منتنا عليه » . وكتبا الى الملك الصالح أيوب بن الكامل بنفس الخبر ويحثانه على المجيء . فلما شاهدا عساكر الخليفة سقط في أيديهما وعلما انه قد انتهى الى الخليفة ما فعلا فأمتنا من فتح البلد . وقد وقف الناس بالطبول على السور . فقسم الامير جمال (أحد أمراء الجيش العباسي) أبواب البلد وضرب خيمة مقابل باب (عمكا) لكونه أعظم الابواب واكثر المقاتلة هناك . ونصب البيت الخشب مقابل الباب بالقرب منه بحيث يسمع كلامهم ويسمعون كلامه ويصل

(١) في الحوادث الجامعة : ان وفاة مظفر الدين كانت يوم (١٤) رمضان . الحوادث الجامعة ص ٤٤ . ويقول ابن خلكان (٣ / ٢٧٤) : انه توفي في (١٨) رمضان .

نشاب الچرخ اليه .

واستمر الشرابي يراسل الخادمين ويخوفهما عاقبة العصيان فسألا : ان يؤخرا يومين فأجيبا ، وكان غرضهما ان يصل الملك الصالح أيوب فلما انقضى الأمد نفذ جمال الدين قشتمر الى أحد زعمائهم وقال له : « اخلفتم الوعد » ... ثم وقع الزحف على البلد وقت العصر واشتد الرمي من فوق السور بالنار وأنواع السلاح وكثر من الفريقين القتل والجراح وسار قشتمر حتى وقف على الخندق (٢) فاشتد القتال وفتحت المدينة ونهب أوباش العسكر بعض دورها واستولى العسكر على البلد عنوة (٣) . وكتب الشرابي الى الخليفة بهذا الفتح الذي إستبشر به البغداديون حيث ضرب الطبول وأفرج عن المعتقلين في السجون وأحضر الى الديوان في بغداد الشعراء وقدموا قصائد في المناسبة تتضمن التهنئة ، وقد قال القاضي أبو المعالي القاسم بن ابي الحديد المدائني قصيدة مطلعها :

ما فتح اربل بخت لذي دعة ولا اتفاقا كبعض النصر والظفر

وهكذا دخلت دولة مظفر الدين في يد الخليفة المستنصر الذي كانت دولته قد اضمحلت كثيرا ، فأتسعت رقعتها من جديد بعد حصار اربل مدة لان سكانها كما رأينا رفضوا الاعتراف بسلطان الدولة العباسية (٤) .

ولاية الامير شمس الدين باتكين الرومي :

عين الخليفة الامير شمس الدين باتكين أمير البصرة اميرا على اربل . وكان ابو المظفر باتكين بن عبد الله الرومي هذا مملوكا لعائشة ابنة الخليفة

(٢) لم يبق أثر لهذا الخندق الذي كان يحيط بالقلعة ولكن لايزال القسم الشرقي من سفح القلعة يسمى بالخندق الى اليوم .

(٣) الحوادث الجامعة ص ٤٤ .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة اربل .

المستنجد وأم الخليفة الناصر لدين الله . اشتغل بالعلم وحفظ القرآن وخدم جنديا . وأقام بتكريت مدة ثم سلمت اليه البصرة بحربها وخراجها فأقام ثلاثا وعشرين سنة فيها فعمرها وجدد مدارس بها وأنشأ مدرسة للحنابلة ومدرسة للطب وعمر مارستانا وأعاد بناء جامع البصرة بعد ان أحرق سنة ٦٢٤ هـ. وانتشر العلم في عهده في البصرة وكان العلماء يقصدونه [٥] . فلما وصل اربل وكان نفذ واليا اليها حربا وخراجا حضر عند شرف الدين اقبال الشرابي فخلع عليه وقلده سيفا وأعطاه فرسا وأعلاما ، فركب في جمع كثير من الامراء والاجناد ودخل الجامع فقرئ عهده بمحضر من أهل البلد وغيرهم وتولى قراءته ظهير الدين الحسن بن عبد الله ، وكان قد عين لوزارته ، وركب الى القلعة ونزل في دار الامارة التي كان يسكنها مظفر الدين ، ثم خلع الشرابي على ظهير الدين الحسن بن عبد الله ثم على ظهير الدين الحسن بن المصطنع وجعله مشرفا عليه رتب معهما كاتبا (الاجل ابن عبدان النصراني) ، ثم رتب جمال الدين (ابن عسكر الانباري) عارضا للجيش في اربل وجعله عليه مشرفا عز الدين محمد بن صدقة وخلع عليهما ، فلما قرر القواعد وفرغ مما يريده رحل (الشرابي) الى بغداد والامراء والعساكر في خدمته [٦] . وهكذا تسلم الامير شمس الدين باتكين وظيفته الجديدة وبدأ حكمه باطلاق معظم الضمانات وأزال المكوس والضرائب ، واسرع في اصلاح السور وحفر الخندق . وعرف عنه الاخلاص والتدين وكان كثير التلاوة للقرآن الكريم والمذاكرة في العلوم والسير والتأريخ والاخبار والاشعار وكان له نظم حسن [٧] .

(٥) الجامع المختصر لابن الساعي (٩ / ٧٥) .
(٦) الحوادث الجامعة ص ٤٤ وما بعدها .
(٧) الجامع المختصر (٩/٧٥) .

المغـــول :

ذكرنا سابقا ان اربل واعمالها خاصة تعرضت لهجمات المغول لعدة مرات في حياة مظفر الدين الذي وقف ضدهم بمساعدة الخليفةالعباسي وبدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل ، وقد نشط المغول قبل وفاة مظفر الدين وقاموا بتحركات واسعة تجاه دولة خوارزم الاسلامية (التي كانت في الأصل أجزاء من دولة السلاجقة وحاولت ان تحل محل السلاجقة في العراق حينما ضعف هؤلاء ودب في صفوفهم الضعف) فسقطت أمامهم بخارى وسمرقند ثم تقدموا نحو خوارزم باتجاهين :

الاول : ضد جـلال الدين حاكم خوارزم • والثاني : على شـمال خراسان (٨) • حيث دخلت طلائع جنگيز خان شمال العراق ودخـلوا اربل نفسها كما مر بنا ذلك •

وكان جلال الدين خوارزم يطمع في الخلافة العباسية في الوقت الذي يتعرض هو نفسه لغزوات المغول ، فأحتل خوزستان وتقدم في العراق العربي حتى وصل بعقوبة •

وقد جلب الخطر المغولي اهتمام الخليفة العباسي فعقد حلفا من المدن التابعة لحاكم اربل وحاكم الموصل وحاكم الجزيرة لدفع هذا الخطر، ومرت فترة هدوء دامت عشر سنوات توفي خلالها جنگيز خان سنة ٦٢٤ هـ /١٢٢٧م، وبعد وفاته انشغل المغول بمشكلاتهم الداخلية حتى انتخبوا (أقتاي) ابنه حاكما عليهم واتجهوا مرة أخرى صوب بلاد خوارزم التي كانت تقف أمام تقدمهم نحو املاك الخلافة العباسية وقضوا عليها فهرب جلال الدين خوارزم من مدينة الى أخرى يطارده المغول حتى التجأ الى جبال الاكراد سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١ م مع نفر من اتباعه المخلصين ، وظل اعداؤه يتعقبونه اينما حـل الى

(٨) العرب والتتار ص ٦ •

ان أسره آخر الامر أحد الاكراد وظل في بيته الى ان قتله كردي آخر عام ٦٢٨ هـ [٩] . ومما يذكر ان الاكراد لقوا ظلما واضطهادا من الخوارزميين لذلك انقضوا عليهم أثناء مطاردتهم من قبل المغول وقضوا على عدد كبير جدا منهم ومن نجا منهم التجأ الى سلاجقة الروم [١٠] . وبعد زوال دولة خوارزم انفتح طريق غربي آسيا أمام المغول فدخلوا بعد توغلهم غربا (ماردين ونصيبين وسنجار واعمال الموصل وأعمال اربل) حيث عاثوا في هذه الجهات فسادا ودمارا .

وفي سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م . انتشروا في آذربيجان حتى وصلوا بالقرب من شهرزور وكانت يومذاك من اعمال اربل فتوحدت جهود الخليفة مع مظفر الدين لردهم [١١] .

وفي سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م . هدد المغول اربل في حكم الامير باتكين حيث يقول صاحب الحوادث الجامعة : « وفيها وصلت الاخبار من اربل ان عساكر المغول اجتازوا بها قاصدين الموصل فحاربهم عسكر اربل وقتل من الفريقين وجرح جماعة، ثم انفصلوا قاصدين اعمال الموصل فعاثوا فيها »[١٢].

وفي « ١٧ شوال من نفس السنة وصل الخبر من اربل على جناح طائر بنزول عساكر المغول على اربل والاحاطة بها وتحصن أهل البلد بغلق الابواب وصعود القلعة ، وأمر الامير شمس الدين الناصري المعروف بـ (اصلان تكين) بالتوجه من بغداد الى اربل ومعه ثلاثة آلاف فارس وتبعه الامير مجاهد الدين آيبك الدويدار في جماعة من مماليكه ومعه (ابن كر الاربلي) ثم خرج

(٩) دائرة المعارف الاسلامية . مادة جلال الدين .
(١٠) أنظر : تأريخ الكرد لأمين زكي . ودائرة المعارف الاسلامية .
(١١) الحوادث الجامعة ص ٢٧ .
(١٢) نفس المصدر ص ٨٤ .

اقبال الشرابي ومعه جماعة من الأمراء والمماليك وتوجه ايضا نحوهم ، وأفتى بالجهاد وأبطل الحج في هذه السنة وأمر المدرسون والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية برمي النشاب والاستعداد للجهاد . ونصبت المناجيق على سور بغداد . أما المغول فانهم نزلوا اربل وحاصروها ونصبوا المناجيق عليها وقصدوا جهة في السور فهدموا منه قطعة كبيرة ودخلوا البلد عنوة ، فتحصن أهله ومعظم العسكر بالقلعة وقاتلوهم أشد قتال ، وأمد المغول بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بما يحتاجونه من ميرة وآلة . وأعوز أهل قلعة اربل الماء فمات منهم ألوف بالعطش ولم يمكن دفنهم لضيقة الموضع ولا القاؤهم لئلا يسدوا الخندق فأحرقوا بالنار . ثم عاثوا بالبلد نهبا وأسرا وحرقا وتخريبا ، ثم اهتموا بالقلعة وجدوا في نصب المناجيق عليها فبلغهم وصول عساكر الخليفة فرحلوا راجعين الى بلادهم في سادس ذي الحجة فورد الخبر بذلك الى الشرابي فرجع العساكر (المتوجهة من بغداد الى اربل والامراء الى بغداد) [١٣] .

وفي صفر عام ٦٣٥ هـ « وصلت الاخبار الى أهل اربل ان عساكر المغول عادوا الى قصدهم في جمع كثير فانتزح منها من كان بها وبالقلعة ايضا فلما رأى زعيمها شمس الدين باتكين خلو البلد أمر بخروج العسكر للمقيم ظاهر البلد ثم الاستعداد للحراسة فعدل المغول حينئذ عن اربل وقصدوا داقوقا وانبثوا في أعمال بغداد وعاثوا بها أشد العبث . فوصل الخبر الى بغداد فخرج الشرابي الى ظاهر البلد وقد حرض الناس على الجهاد ، وقدم اهل السواد من داقوقا وغيرها الى بغداد معتصمين بها حيث تضاعفت اجرة المساكن في بغداد » [١٤] .

يبدو ان حاكم اربل أراد مصالحة المغول في هجومهم الاول على اربل

(١٣) الحوادث الجامعة ص ٨٤ .
(١٤) نفس المصدر ص ١٠٩ .

سنة ٦٣٣ هـ بمال يؤديه فاظهر المغول استجابة ولكنهم اخذوا المال وغدروا به فلما بلغهم مقدم عساكر الخليفة رحلوا عن اربل دون أخذ قلعتها وتوجهوا نحو تبريز وقد عجزوا عن حمل ما اخذوا من الاموال والغنائم (١٥) .

اما في المرة الاخيرة (سنة ٦٣٥ هـ) فان المغول انسحبوا دون مهاجمة اربل لما رأوا استعداد المدينة لمقابلتهم ومع ذلك فقد ترك الامير شمس الدين باتكين اربل سنة ٦٣٥ هـ وقصد بغداد ولزم داره معزولا الى ان توفي سنة ٦٤٠ هـ وقد بلغ الثمانين (١٦) .

وقد أمر تاج الدين بن الصلايا العلوي بالتوجه الى اربل في سنة ٦٣٥هـ لتجديد سورها وعمارة ما ضرب من دورها ، ونفذ معه (كركر الناصري) ليكون مستحفظا بقلقها وعين الامير (أيدمر الاشقر الناصري) زعيما بها (١٧).

عـودة المغول :

لقد تجددت هجمات المغول للمنطقة ، ففي سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م، قصد المغول شهرزور ودخلوها فجاة فانهزم حاكمها ناجيا بنفسه . وفي السنة التالية (٦٤٣ هـ) وفي المحرم منها (وصل الخبر الى بغداد من اربل بأن المغول خرجوا من همذان في ستة عشر ألفا وقصدوا الجبل (يقصد بـه جبل حمرين) فأمر الخليفة بالاستعداد بتبريز العسكر الى ظاهر السور ؛ ووصل خبر آخر بأن طائفة منهم قصدوا خانقين واقتربت أخرى من بعقوبا وخرج اقبال الشرابي الى مخيمه بظاهر السور » (١٨) .

---

(١٥) وفيات الاعيان (١ / ٤٣٦) . وانظر ابن ابي الحديد في شرحه (٢ / ٣٦٩) .
(١٦) الجامع المختصر (٤ / ٧٥) . وفيات الاعيان (٣/١٦٩) .
(١٧) الحوادث الجامعة ص ١١٠ .
(١٨) الحوادث الجامعة ص ١٩٩ .

ولم تكن مشكلة المغول وحدها تشغل بال السكان في العراق في هذه السنوات فقد شاركت الطبيعة كذلك في تردي أحوال السكان الاقتصاديه.

(ففي شوال سنة ٦٤٦ هـ تواترت الغيوث حتى امتلأت البواليع واستجد عوضها وامتلأت أيضا ، وتعطل الناس معظم أشغالهم ، وكان ذلك عما ببغداد وتستر واربل والموصل وغير ذلك من البلاد . ودام حتى منع الناس عن الزرع وغرقت القرى وهدمت الدور وتشتتت قلعة اربل وانهدمت قلعة (الكرخين) كركوك بالمرة. وامتلأت الزابات (الزاب الاعلى والاسفل)[19].

وفي سنة ٦٤٧ هـ كبس المغول ابواب خانقين واقتربوا من بغداد ، وبعد ثلاث سنوات (٦٥٠ هـ) وصلت عساكر المغول الى أهل الجبال واوقعوا بالاكراد وقتلوا ونهبوا وسارت طائفة منهم الى ان بلغوا حران والرها فأغاروا على ما هناك ، ثم عادوا فصادفوا قافلة واصلة من الروم نحو بغداد فقتلوا من بها ونهبوا الاموال . فكتب ابن سلايا العلوي والي اربل الى بغداد بذلك فخاف أهلها خوفا شديدا . اما المغول فقد عادوا الى منازلهم بأذربيجان وغيرها [20] .

ويظهر من سير الحوادث وتطورها اللاحق ان كل هذه الهجمات المغوليه على اربل واملاك الخلافة العباسية كان مبعثها اختبار هذه المناطق ومدى قدرتها على الدفاع والحرب ، ثم التعرف على نفسية الاهالي بواسطة الجواسيس الذين بثهم المغول في مناطق مختلفة قبل القيام بغزوها ، وحينما تأكد لديهم خلو البلاد من مدافع ومانع شجعهم ذلك للقيام بمغامرات اكبر وأشمل ، وبعد أن تم لهم ما أرادوا أقدموا على خطوة اخرى عظيمة اذ قضوا فيها على الخلافة العباسية .

---

(١٩) نفس المصدر ص ٢٢٩ .
(٢٠) نفس المصدر ص ٢٦٠ .

ففي ذي الحجة من سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ عسكر هولاكو على شاطي حلوان بعد أن ترك همذان متوجها الى العراق ومخترقا الجبال المكللة بالثلوج الفاصلة بين العراقين العربي والعجمي (٢١) ، فلما اتصل ذلك بالخليفة المستعصم شاور وزيره مؤيد الدين بن العلقمي فيما ينبغي عمله فأشار عليه العلقمي : « ببذل الاموال وحملها اليه » ولكنه لما شرع الخليفة في ذلك ثناه الدويدار وغيره وقالوا : « ان غرض الوزير تدبير حاله مع السلطان » فوافقهم الخليفة واقتصر على ارسال شيء يسير من المال مع شرف الدين عبد الله بن الجوزي ، فلما وصل ذلك الى هولاكو انكر ذلك وطلب : اما الدويدار الصغير أو ولد الدويدار الكبير أو سليمان شاه ، فلم يفعل الخليفة وأرسل شرف الدين بن الجوزي يعتذر عن ذلك • فسار هولاكو حينئذ نحو بغداد وامر الامـير (سوغونجاق) ان يسير بقطعة من الجيوش على اربل ويعبر دجلة ويجتمع بالامير (بايجونوين) و (جرماغون) ـ اللذين كانت قواعدهما في بـلاد الروم ـ ويتحركون عن طريق اربل الى الموصل ويقصدان بغداد من غربي دجـلة •

وسار هولاكو في باقي الجيوش نحو بغداد واستصحب معـه آلات الحصار وادخل الرعب في اهل السواد الذين آجفلوا من بين يديه إلى بغداد حتى امتلأت شوارعها ، وأخيرا وصل هولاكو الى ظاهر بغداد في ثاني عشر من المحرم سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م • في جيش لا يحصى عدده • وقد اغلقت ابواب السور (٢٢) • فنزل بالجانب الشرقي من بغداد واحاط بها من كل جهة، وفي الخامس من صفر سنة ٦٥٦ هـ وضع هولاكو السيف في أهل بغداد (٢٣) •

(٢١) العراق في عهد الآيلخانيين ص ٥٠ •
(٢٢) الحوادث الجامعة ص ٣١٩ وما بعدها •
(٢٣) العراق في عهد الآيلخانيين ص ٥٢ •

هذا بعض ما جرى في بغداد . أما في اربل فقد وصل (ارقيو نويان) جيشه اليها لامتناع قلعتها فحاصرها ولكن سكانها الاكراد قاوموه مقاومة شديدة . وفي هذه الاثناء انفرد تاج الدين صلايا حاكم اربل باظهار الطاعة ووصل الى القائد (أرقيو) الذي قال له : « انما يصح اظهار الطاعة بتسليم القلعة » فرجع تاج الدين الى باب القلعة وبذل جهودا لاقناع الاكراد فلم ينل مطلوبه فأخذ يبالغ في الالحاح فلم يفده فاضطر للذهاب الى ارقيو الذي أرسله الى هولاكو خان فلم ينل قبولا منه وأمر بقتله (٢٤) .

ثم ان القائد (ارقيو) حاصر قلعة اربل مدة فلم ينقادوا له بل بقوا في الحصار . فاستعان عليهم بدر الدين لؤلؤ ليرسل له جيشا فأرسل له ذلك .

ثم ان سكان أهل القلعة نزلوا ليلا وباغتوا المغول وقتلوا منهم خلقا كثيرا، واحرقوا منجنيقاتهم ثم رجعوا الى المدينة (القلعة) حيث مقرهم . ثم عجز القائد المغولي من مقاومتهم ودعا لؤلؤ واستشاره (٢٥) . وقد أشار لؤلؤ على القائد المغولي بالاستمرار في الحصار حتى الصيف حيث يلجأ سكان المدينة الى الجبال هربا من الحر . فعمل القائد المغولي بذلك ودام حصاره للقلعة ستة أشهر (٢٦) .

ولما نفذ صبر المغول وقائدهم سلموا المدينة الى بدر الدين لؤلؤ فهدم الاخير أسوارها واستولى عليها (٢٧) .

الادارة العباسية في اربل :

بقيت التنظيمات الادارة التي كانت موجودة في زمن مظفر الدين مستمرة

(٢٤) العراق بين الاحتلالين (١ / ٢١٣) .
(٢٥) العراق بين الاحتلالين (١ / ٢١٤) .
(٢٦) تأريخ ابن خلدون (٥ / ٧٩١) .
(٢٧) جامع التواريخ م ٢ (١ / ٢٩٨) والعراق في عهد الايلخانيين ص ٥٨ .

بعد وقوع اربل في دولة الخلافة العباسية ، ولكن الوضع الجديد استوجب تبديل بعض الموظفين بآخرين جدد في أهم الوظائف الكبيرة • فقد عين شمس الدين باتكين زعيما على اربل وبيده قيادة الجيش والخراج وقد تولى له الوزارة ظهير الدين الحسن بن عبد الله ، وكان المشرف على الوزير ظهير الدين الحسن بن المصطنع ومعهما كاتب وهو الاجل بن عبدان النصراني • أما ناظرية الجيش في اربل فقد تولاها جمال الدين ابن عسكر الانباري ، وكان المشرف عليه عز الدين محمد بن صدقة (٢٨) •

وفي سنة ٦٣٢ هـ نقـل تاج الدين علي بن الدوامي من ديوان عرض عرض الجيش في بغداد الى صدرية (رئاسة) ديوان اربل (٢٩) •

وفي سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م • وبعد غز المغـول لاربل ترك الامير شمس الدين باتكين وظيفته وقصد بغداد ، فعين الخليفة مكانه الامير ايدمر الاشقر الناصري زعيما ويعاونه كركز الناصري في قيادة القلعة (٣٠) •

وفي شهر رمضان من سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٤٠ م • استدعي الامير بهاء الدين ايدمر الاشقر زعيم اربل الى دار الوزارة في بغداد لاجل ألفطور فحضر إليها حيث قبض عليه بعد الافطار وعلى جميع اصحابه واحتيط على داره وحبس في الديوان ، ثم قبض على (ابن غزالة) مشرف اربل (المفتش المالي) وعلى فراس الواسطي كاتبها • ثم عين الامير الحلي (مكلبا) زعيمـا في اربل (٣١) •

ويبدو من الحوادث والملابسات المارة ان سوء استعمال للسلطات الادارية

---

(٢٨) الحوادث الجامعة ص ٤٤ وما بعدها •

(٢٩) نفس المصدر ص ٧١ • عارض الجيش : من يعرف العسكر ويحقق ارزاقهم ويوصلها اليهم ويعرضهم على الملك الى طلب ذلك •

(٣٠) نفس المصدر ص ١١٠ •

(٣١) نفس المصدر ص ١٣١ •

والمالية قد وقع في اربل في هذه الفترة مما استوجب تبديل الاداريين في الولاية . وقد عزل (مكلبا) من اربل سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤١ م حيث اتهم بضعف رأيه وسوء تصرفاته ، وعين بدله اقسنقر الناصري واليا على اربل وكان صدر الديوان فيها آنئذ تاج الدين محمد بن نصر بن الصلايا العلوي المدائني الذي خلف تاج الدين علي بن الدوامي (٣٢) .

وفي سنة ٦٤١ هـ تولي وظيفة المشرف في اربل رضي الدين علي بن المخرمي الذي كان نائبا لصاحب الديوان في بغداد قبل ذلك (٣٣) .

أما آخر من تولى حكم اربل قبل الاحتلال المغولي لها فهو تاج الدين أبو المعالي محمد بن صلايا العلوي ، وقد قتل هذا بجبل (سياه كوه) حيث قصد هولاكو مع من قصده بعد واقعة بغداد ليقرر حاله فأمر بقتله وكان رجلا كريما جوادا متدينا يبالغ في معاقبة من يفسد (٣٤) وينتمي الى بني الصلايا (العلويون) وهم من المشاهير في تاريخ الاسلام . وكان ابن صلايا قد تولى صدرية اربل للخليفة المستنصر بالله ثم أصبح واليا عليها في زمن المستعصم (٣٥) أيضا .

حوادث مختلفة :

في سنة ٦٤٨ هـ طلب عالي بن زخريا اليهودي الاربلي ان يرتب على رئاسة اليهود (حاخام) فأجيب الى ذلك من قبل وزير بغداد الذي نفذه الى أقضى القضاة فأجلسه الاخير بين يديه وقال له : « قد وليتك الزعامة على أهل شريعتك المنسوخة التي نسختها شريعة الاسلام أدامها الله . . .

(٣٢) الحوادث الجامعة ص ١٤١ .
(٣٣) نفس المصدر حوادث سنة ٦٤١ هـ .
(٣٤) نفس المصدر ص ٢٣٧ . وجبل (سياه‌كوه) قرب تبريز .
(٣٥) الجامع المختصر (٩ / حاشية ص ٩٠) .

على ان تحكم بين المترافعين اليك منهم فتأمرهم بما أمروا به في دينهم وتنهاهم عما نهو عنه في دينهم » ثم نهض (الحاخام) وخرج ومعه جمع من اليهود ومعه تقليده الذي كتب له الديوان (٣٦) .

وفي سنة ٦٥٦ هـ توفي حسين الاربلي : وهو ابو عبد الله الحسين بن ابراهيم الهذباني الشافعي اللغوي الذي ولد سنة ٥٨٦ هـ ونبغ واصبح من العلماء البارزين (٣٧) .

وفي سنة ٦٥٧ هـ وصل بهاء الدين الاربلي الى بغداد ورتب بوظيفة كاتب الانشاء بديوان بغداد وأقام بها الى ان توفي سنة ٦٩٣ هـ (٣٨) .

---

(٣٦) الحوادث الجامعة حوادث ص سنة ٦٤٨ هـ .
(٣٧) مشاهير الكرد (١ / ١٨٦) .
(٣٨) الحوادث الجامعة ص ٢٧٨ .

الفصل التاسع

أربيل فى حكم المغول

نبذة عن المغول :

كانت الاقوام المغولية تسكن الاقطار الشمالية من آسيا (تركستان ، مغولستان ، منغوليا ، وقسما من سيبريا) • والتتر اسم لاحدى هذهالقبائل المغولية ، ثم تعمم لما ملك جنگيزخان فأصبح اسم التتر مرادفا لاسم المغول، حتى صار يطلق على عموم الاقوام الطورانية وذلك منذ القرون الوسطى[1] •

وقد اطلق أهل الصين على النازلين من المغول في منغوليا الحالية وفي جنوبي سيبريا اسم التتار [2] • وكان جنگيز خان مغوليا وحكم والده بعض القبائل التترية على شواطيء نهر (سلنكا) ، وبعد وفاة ابيه سنة ١١٦٤ م أظهر رعاياه العصيان فحاربهم جنگيز (تموجين) وتغلب عليهم تدرجيا واحرز شهرة واسعة ثم نادى نفسه (خانا) أي ملكا على التتر قاطبة • وكان جنكيز تابعا الى (أونك خان) ملك الاتراك المشارقة ثم أغاروا صدر الملك عليه فما كان من جنگيز الا واحتل بلاده فسمى نفسه جنگيز خان سنة ١٢٠٦ م •

وفي سنة ١٢١٥ م تم لجنگيز فتح بكين والقضاء على امبراطورية (كن) في شمال الصين • وبعد هذا وجه ابنه (جوجي) نحو الغرب ليقاتل قبائل المركيت فاصطدم هذا بجيش خوارزمشاه محمد • وقد قاد جنگيز جيشه بنفسه يرافقه أولاده الى خوارزم فسقطت بيده بخارى [3] فهرب خوارزمشاه

(١) تأريخ الموصل (١ / ٢٣١) •
(٢) تأريخ الشعوب الاسلامية • ص ٣٨١ •
(٣) سنة ٦١٦ هـ • انظر المصدر السابق ص ٣٨١ — ٣٨٢ •

أمام المغول ثم توفي سنة ١٢٢١ فخلفه ابنه الاكبر جلال الدين منكبرتي . أما جنكيز خان فسار يدوخ البلاد المجاورة فأمتدت غزواته من ولايات العجم الغربية الى سواحل نهر الفولغا واقصى سواحل بحر الخزر .

وتوفي جنكيز خان عن اربعة أولاد هم (جوجي . جغتاي . أقتاي . تولاي) في سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م ، فخلفه ابنه (أوقتاي) الذي دعي (قاآن خان) [٤] وقصد هذا بلاد تركستان وبلاد ما وراء النهر وخراسان والري [٥] وهمذان وبلد الجبل الى حد العراق وآذربيجان ، وما يجاورها، ثم افغانستان وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان فملكها قاطبة ، بعد ان أفسد فيها المغول قتلا ونهبا وتخريبا .

وقد أحرز المغول نصرا لم يطرق الاسماع مثله في مدة قليلة [٦] . وفي سنة ١٢٤٢ م توفي (أوقتاي) فخلفه اخوه (جغتاي) وشجر الخلاف بين وارثيهما مدة شعرت خلالها ديار الاسلام بشيء من الراحة والامان . ثم نودي (منگو) أكبر أولاد (تولاي) خانا اعظم وقد قتل على يديه ابناء جغتاي واوكتاي . ثم انشطرت امبراطورية المغول شطرين تفصل ما بينهما البادية القائمة بين نهر (طراز) ونهر (تشوي) ، وفي حين تحكم أعقاب (باتو) ثاني أولاد (جوجي) في مصائر اوربا الشرقية ووفق هولاكو أخو منگو الى ان يركز لواءه في الشرق الادنى [٧] .

وقد سبق ذكره : ان المغول هاجموا اربل والعراق عامة بعد وفاة

---

(٤) ملك الملوك .

(٥) الري : في شمالي عراق العجم وخرائبها في جنوبي طهران على مسافة ٥ كم .

(٦) تأريخ الموصل (١ / ٢٣٢) . حكمت الدولة العباسية (٥٢٤) سنة قام خلالها (٣٧) خليفة .

(٧) تأريخ الشعوب الاسلامية ص ٣٨٨ — ٣٨٩ .

جنكيز خان وكانوا يأخذون الاتاوات من المناطق المحتلة : فكان الغني يزن في السنة عشرة دنانير والفقير دينارا واحدا أو من الاغنام والمواشي ، فكانوا يأخذون رأسا واحدا من كل مئة رأس .

مسير هولاكو :

ان مسير هولاكو واسقاطه للخلافة العباسية [٨] ، انما تم بناء على أوامر عليا أصدرها امبراطور المغول (منكو خان) سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م بفتح البلاد التي في ضمنها العراق وسورية ومصر . ويظهر ان ما اتهم بـه ابن العلقمي من خيانة وتواطؤ مع المغول في فتح بغداد وانما بولغ فيه كثيرا . ويستند المؤرخون في ذلك الى حادثة الكرخ التي وقعت في سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٤٦ م . ويذكر ان ابن العلقمي كان رافضيا هو وأهل محلته بالكرخ وتعصب عليه اهل السنة واعتقد هؤلاء بأن الخليفة وكبار رجاله يؤيدونهم في معارضتهم للعلقمي فاوقعوا في أهل الكرخ ، وقد غضب ابن العلقمي لهذه الحادثة وكتب الى ابن الصلايا في اربل — وكان صديقا له — ودس اليه بأن يستحث التتر لاحتلال بغداد [٩] .

وكان من جملة ما كتب اليه قوله : « نهب الكرخ المكرم والعترة النبوية » .

ويقال : ان هولاكو لما رجع الى بلاد الاسماعيلية وقصد قلعة (آلموت)[١٠] بلغه في طريقه وصية ابن العلقمي وزير المستعصم في كتاب صلايا صاحب اربل يستحثه بالمسير الى بغداد ويسهل عليه امرها [١١] . وهناك بعض الضعف

(٨) تأريخ الموصل (١/٢٣٢) .
(٩) العراق في عهد الايلخانيين ص ٣٢ .
(١٠) قلعة آلموت : قلعة حصينة بين قزوين وبحر الخزر .
(١١) العراق في عهد الايلخانيين ص ٣٢ .

في هذا الرأي ذلك لان قرار المغول باحتلال العراق كان قبل حادثة الكرخ بثلاث سنوات ، ومن جهة ثانية ان هولاكو بعد اسقاطه الخلافة العباسية توارد عليه حكام الاقاليم ومنهم ابو المعالي محمد بن الصلايا العلوي حاكم اربل فأمر بقتله وهو الذي اتهم انه كان صلة الوصل بين وزير بغداد وهولاكو . اما بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل الذي قدم الى هولاكو أيضا فأبقاه الاخير في منصبه حيث رجع الى الموصل .

والجدير بالذكر أن لؤلؤ من الذين تعاونوا مع المغول في هجومين على اربل : الاول سنة ٦٣٤ هـ والثاني سنة ٦٥٦ هـ ، حيث زود المغول بآلات الحرب والجند [١٢] .

ويقول (بروكلمان) : (ان هولاكو ما كان في حاجة الى ان يحرضه الشيعة من الفرس كالطوسي (نصير الدين) — الرياضي الفلكي المشهور الذي أنشأ لهولاكو المرصد الفلكي الكبير في مدينة مراغة بآذربيجان — على قصد بغداد والاستيلاء على هذه الغنيمة الباردة) [١٣] .

يظهر مما تقدم ان غزو العراق كان أمر تتضمنه طبيعة الغزو المغولي الذي كان يستهدف السيطرة على العالم ، وطمح هولاكو منذ البدء الى ان ينشيء لنفسه ، بوصفه تابعا من أتباع اخيه ، امبراطورية خاصة في الغرب واذا انطرحت فارس على قدميه ، فقد انتهى الى ان يكون قاب قوسين أو أدنى من اراضي الخلافة العباسية في العراق [١٤] .

ومن جهة ثانية لا تبرأ ساحة ابن العلقمي كلية : لانه حبب الى الخليفة جمع المال ، والتقليل من العساكر وكان يكره ابن الخليفة (ابي بكر)

(١٢) الحوادث الجامعة ص ٨٤ . تأريخ ابن خلدون (٥/٧٩١) .
(١٣) تأريخ الشعوب الاسلامية ص ٣٨٩ — ٣٩٠ .
(١٤) نفس المصدر ص ٣٩٠ .

والدويدار قائد الخليفة لانهما نهبا الكرخ (١٥) .

لقد خضعت اغلب بقية المدن العراقية — عدا بغداد — بدون مقاومة تذكر للغزو والاحتلال المغولي . ولكن المغول شهدوا مقاومة شديدة من مدينة واسط واربل التي قاومت قلعتها على نحو ما ذكرناه سابقا . أما الموصل التي دخل اميرها لؤلؤ في ساعة المغول وامدهم بالسلاح ثارت في وقت لاحق على المغول (١٦) . وقد امر هولاكو بعد عمليات الاستباحة باصلاح ما خرب من بغداد وترميم اسواقها ؛ اما بالنسبة للمدن الاخرى فيبدو ان عمليات الفتح لها لم تؤد الى تخريبات خطيرة باستثناء ما جرى لاربل وواسط والموصل لانها قاومت الفتح او ثارت على الفاتحين فيما بعد . وقد ذكر صاحب مراصد الاطلاع وهو معاصر عن اربل قوله : « انها مدينة كبيرة ذات قلعة حصينة » ولا يشير الى خرابها (١٧) ؛ اما المؤرخون الآخرون فيشيرون الى خراب اكثرها مع انها كانت مدينة كبيرة (١٨) .

الدولة الأيلخانية :

اسس هولاكو دولة عرفت (بالدولة الايلخانية) في عهد مانكوخان (الخان الاكبر) نسبة الى لقب هولاكو (ايلخان) بمعنى سيد القبيلة أو الملك المعطى له من الخان العظيم (١٩) .

وكانت الامبراطورية المغولية تتكون من الولايات التالية : « الجزيرة

---

(١٥) العراق في عهد الايلخانيين ص ٣١ .

(١٦) العراق في عهد الايلخانيين ص ٥٧ .

(١٧) مراصد الاطلاع (٥١/١) .

(١٨) العراق في عهد الايلخانيين ص ٦٤ و ١٦١ .

(١٩) تأريخ الموصل (٢٣٤/١) . ويذكر ان الخان العظيم كان يجلس في منغوليا .

الفراتية ، العراق العربي ، خوزستان ، الاهواز ، فارس ، كرمان ، سجستان، ارمينيا ، طبرستان ، مازندران ، قومس ، خراسان ، زابلستان ، الغور»[٢٠].

وقد خضع أمراء سورية الصغار لهولاكو بعد سقوط بغداد مباشرة.

اما مماليك مصر فكانوا اول من وقف في وجه الغزاة وقفة موفقة . وكان المغول قد طلبوا اليهم الاستسلام ، فرد عليهم المماليك بهجوم شنوه على فلسطين . وفي ٣ أيلول سنة ١٢٦٠ انزلوا بالمغول هزيمة حاسمة عند (عين جالوت) قرب الناصرة في حين كان هولاكو نفسه منهمكا في حرب مع (القبائل الذهبية) بعد ان استشعر (بركة خان) ابن جوجي ابن جنگيز خان وابن عم هولاكو الخطر يتهدده من جانب هولاكو وقوته الجديدة الطامحة .

وقد استطاع المماليك بزعامة السلطان (بيبرس) ان ينتزع سوريا تدريجيا من ايدي هولاكو وخلفائه الايلخانية . وكان الانحلال قد أصاب في الوقت نفسه ، قوة المغول المركزية عن طريق التجزؤ فلم يبق في ميسورها ان تسعف جناحها الغربي بمساعدة ما [٢١] .

وكانت المناطق التي تؤلف العراق الحالي اجزاء من ولايات كبيرة ثلاث هي :

أولا : الجزيرة الفراتية .

ثانيا : بلاد الجبل او العراق العجمي .

ثالثا : العراق العربي وحدوده (ما بين حديثة الموصل الى عبادان طولا والقادسية الى حلوان عرضا) .

وكان العراق احدى الولايات الايلخانية الهامة ، وكان السلطان يقوم

(٢٠) العراق في عهد الايلخانيين ص ٧٨ .
(٢١) تأريخ الشعوب الاسلامية ص ٣٩٠ — ٣٩١ .

بتعيين حكام هذه الولايات في أول جلوسه على العرش • فقد منح هولاكو العراق العجمي وخراسـان ومازندران لابنه (أباقا) ، وممالك (آران وآذربيجان) لابنه الآخر (يشموت) ، والجزيرة للأمير (تودان) وكرمان (لتركان خاتون) • ولكن العراق العربي كان يخضع لحاكم واحد غالبا كولاية ممتازة من ولايات الامبراطورية وكانت عاصمته بغـداد ويزورها الايلخان كما فعل (أباقا خان) في ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م •

اما اربل فجعلها المغول اقليما مستقلا وجعلوا ادارتها مستقلة أيضا [٢٢] • وكان في عمالة بغداد الوزير ويعاونه مشرف ونائب وصاحب ديوان ونائب الشرطة وخازن ديوان •

الجباية والاقطاع :

كانت الولايات التي تخضع للدولة الايلخانية طول الحـكم المغولي يحكمها العمال والضامنون الذين كانوا يضمنونها من الملك بمبلغ من الذهب، وكان هولاكو اول من بدأ بهذا الدستور ، فباع البلاد الى الافراد الذين خضعوا له بمبلغ معين الى اجل مضروب ، من ذلك مثلا : انه باع اربل لبدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل بمبلغ سبعين ألف دينار ، ثم باعها لشرف الدين الجلاني [٢٣] ، وعلى هذا الاسلوب جرى الملك (كيخاتو) كذلك • ومن الملوك من كان يجعل العمال على البلاد ويجمع الضرائب باسمه كما فعل ارغون فانه كان يرسل كل سنة معتمديه الى البلاد ليجبوا له الاموال [٢٤] •

احوال اربل السياسية :

لم تكن الاوضاع السياسية مستقرة في الولايات العراقية دائما بـل تخللتها اضطرابات ورجات ، منها ثورة جند المغول النصارى الذين كانوا

(٢٢) عصر الانحدار ص ١٦٧ وما بعدها •
(٢٣) تأريخ الموصل ج١ ص ٢٤٧ •
(٢٤) نفس المصدر ص ٢٤٧ •

يسمون (كياجي) في قلعة اربل تحت قيادة (زين الدين بانو) ضد المغول واتحد هؤلاء مع الاكراد والعرب في المنطقة واستمرت ثورتهم عدة سنوات ابتداء من ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م ، الى ان تمكن المغول بعد صعوبات من ابعاد هؤلاء النصارى من قلعة اربل [٢٥] •

وكانت اربل وخاصة المنطقة الواقعة بينها ومراغة مرتعا لجيش المغول وكانت اغلب حركاتهم العسكرية تمر من هذه الطريق ولا سيما ان مناطق آشنو وصابلاغ كانت تابعة لهم • اما الوظائف المهمة فكانت بيد العراقيين في عهد الوزير ابن العلقمي الى سنة ٦٦٥ هـ فلما مات اسندت الوزارة الى علاء الدين الجوني الفارسي فانقطعت هذه الوظائف عن العراقيين وصارت الى المغول والفرس والتركمان ، وحلت الانظمة المغولية محل الانظمة العربيـــة [٢٦] •

اما بالنسبة الى ادارة اربل فقد تولاها في حكم هولاكو وبعده حكام مسيحيون [٢٧] •

وكان هذا بصورة عامة نتيجة سياسة التسامح التي اتبعها المغول تجاه النصارى ، ولكن التنافس السياسي بين المماليك في مصر وبين المغـول في العراق عرض المنطقة الى اخطار واضطهاد بالنسبة للنصارى • وفي سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٧٦ م تولى حكم الموصل واربل رجل نصراني المذهب اربلي المولد يدعى (مسعود برقوطي) [٢٨] وكان هذا ابوه (اعلم الدين يعقوب) التاجر من اخص ثقات (اباقاخان) واعز المقربين اليه وكان يعقوب في السنة

(٢٥) انظر تأريخ الكرد وكردستان لامين زكي ص ١٦٨ •
(٢٦) عصر الانحدار ص ١٦٧ وما بعدها •
(٢٧) الحوادث الجامعة ص ٣٦٧ و ٣٩٧ •
(٢٨) برقوطي او برقوطيا : اسم قرية كانت عند اربل • تأريخ الموصل ج ١ ص ٢٤٠ •

المذكورة قد سار الى الخان لتأدية الاحترام والسلام وفي عودته توفي ، ولما علم بذلك الخان اغتم عليه فولي مكافأة لاخلاصه ابنه الاكبر مسعود المذكور على الموصل واربل وبعد مدة لا بأس بها وشي به لدى الخان المغولي فعزل عن الولاية وعين مكانه الواشي وكان يدعى ففا (وكان هذا قد تولى حكم الموصل من سنة ٦٦٣ هـ الى سنة ٦٦٥ هـ حينما ارسله ابا قاخان لقتل الزكي الاربلي الذي قاد ثورة ضد عامل المغول على الموصل وحكم الموصل من سنة ٦٦١ هـ الى سنة ٦٦٠ هـ اي الى وفاة هولاكو) غير ان مسعود لم يرض بهذا الحكم بل قصد اباقا خان ليبريء ساحته • وقد ارسل الخان من يحقق في الامر من جديد فظهر بطلان دعوة ناصر الدين ففا وحينئذ امر الخان بقتل فافا وتم ذلك سنة ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م : واعيدت ولاية الموصل الى مسعود الاربلي [٢٩] • وكان قد قتل مع فأفا رجل متر فارسي الاصل يدعى جلال الدين وذلك لانه كان مؤازرا لفأفا •

فلما اقبل مسعود الى اربل ثار اهل المقتولين عليه واقسموا ان يثأروا منه فانفذوا من يشي : (انه دخل عنوة بيت جلال الدين الفارسي ونهب ما وجد فيه من ذهب وحجارة كريمة) • فقبلت شكاياتهم لدى الخان ووردت الأوامر بالقاء القبض على مسعود وارساله مقيدا الى الموصل • ولكنه استطاع الهرب بعد ان ارشى الجنود المغول [٣٠] • وكان قد اتهم كذلك بمشايعة امير مغولي وصم بالخيانة من قبل الخان • ثم تم قتل مسعود سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م على يد الامير (بتمش) المغولي الذي خلفه في حكم الموصل وكان مسعود قد افلح قبل مقتله بالعودة الى حكم الموصل بعدما ملك أرغون خان سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م [٣١] •

---

(٢٩) نفس المصدر ص ٢٤١ •
(٣٠) تأريخ الموصل (١ / ٢٤١) •
(٣١) نفس المصدر (١/٢٤٢) •

وقتل مع مسعود كثير من النصارى في اربل والموصل وما يجاور اربل من القرى لانهم اتهموا بمشايعته .

طائفة النصارى :

كانت سياسة العرب المسلمون هي ترك أهل الذمة يمارسون طقوسهم الدينية والاكتفاء بأخذ الجزية منهم مقابل اعفائهم من الخدمة العسكرية ، وقد استفاد هؤلاء من هذه السياسة السمحة فتفرغوا الى العلم والدين والصنائع والطب اضافة الى ممارسة طقوسهم الدينية بحرية . وكانت الاديرة المسيحية منتشرة في العراق قبل الاسلام اذ كان للكلدان النساطرة وحدهم مئة دير قبل الفتح الاسلامي ثم ازداد هذا العدد فيما بعد [٣٢] .

وكانت للكنيسة النسطورية ايام الفتح الاسلامي عدة فروع متحدة ببلاد ما بين النهرين مقسمة الى ستة اقاليم وهي :

١ — اقليم بابل أو ابرشية [٣٣] سلوقية او المدائن .

٢ — اقليم خوزستان او ابرشية جنديسابور .

٣ — اقليم بيت عرباين او ابرشية نصيبين .

٤ — اقليم ميشان (في جوار البصرة) او ابرشية البصرة .

٥ — اقليم حدياب او ابرشية اربل .

٦ — اقليم بيت كرماي او ابرشية كرخ سلوخ (كركوك) [٣٤] .

وكان اقليم حدياب يمتد من الزاب الكبير الى الزاب الصغير ومن دجلة الى آذربيجان وقاعدته اربل او حزة .

ولما كثر سكان الموصل قسمت حدياب الى قسمين هما اربل والموصل .

---

(٣٢) تأريخ كلدو وآشور (٢ / ٢٦٨) .
(٣٣) ابرشية : معناها ولاية الأسقف الكنسية .
(٣٤) مدارس العراق قبل الاسلام ص ٣٦ .

وكان عدد النصارى في العراق كبيرا الى اواسط القرن السادس الهجري بدليل كثرة أسماء المدن التي تقوم فيها مراكز للمطارنة من شمالي بلاد الرافدين الى جنوبها مثل الموصل وبغداد وواسط والبصرة البوازيج وحزة وحلوان وباجرمي (كركوك الحالية) . وكانت اكبر مناطق تجمعهم في الموصل وأعمالها وفي اربل وشقلاوة واكثرهم هنا من الاكراد .

وفي سنة ٦٦٣ هـ توجه الجاثليق الى اربل وبنى بقلعتها بيعة ثم عاد الى بغداد ولما توفي رتب في منصبه (ماردنحا الاربلي) [٣٥] .

وقد برز من بين النصارى رجال دين تضلعوا في العلوم المختلفة اضافة الى الامور الدينية ومن هؤلاء الجاثليق (صليوازخا) [٣٦] المتوفي سنة ٧٢٨م الذي سقف على الانبار [٣٧] واتصل بشمعون مطران الموصل فنصبه مديرا على مدارس حزة (اربل) ثم اقيم مطرانا على حزة والموصل معا [٣٨] . وقد سبق هذا الجاثليق (يشوعياب) الثالث المعروف بالحديابي او الحزي المتوفي سنة (٦٦٠ م) وهو الذي نال حظوة من الامراء العرب وأقيم اسقفا على نينوي ثم رقى الى مطران حزة او اربل ، ومن اهم مآثره ترتيبه الصلوات القانونية التي لا تزال يتلوها الكلدان والنساطرة [٣٩] .

وممن درس في مدارس اربل النصرانية غريغور الكسكري (كانت قرب واسط على دجلة) مطران نصيبين المتوفي سنة ٦١٢ م الذي زاول التدريس

---

(٣٥) الحوادث الجامعة ص ٣٥٤ .

(٣٦) من سكان كرخ فيروز التابع لاقليم الطيرهان (بين تكريت والسن). أنظر : مدارس العراق قبل الاسلام ص ٩٤ .

(٣٧) الأنبار : على ضفة الفرات الشرقية في جنوبي الصقلاوية . ومن المحتمل ان تكون الفلوجة الحالية تمثل الانبار السابقة. مدارس العراق ص ٩٤.

(٣٨) نفس المصدر ص ٩٤ .

(٣٩) نفس المصدر ص ١٢٧ .

احدى عشرة سنة في اربل ثم اقيم مطرانا • وقد تخرج من مدارس اربل جملة من الرجال البارزين ارتقوا مناصب عليه في الكنيسة ومنهم (ماردادیشوع) المتوفي سنة ٦٠٤ م •

وفي العهد العباسي حظي رجال الدين النصارى بمكانة سامية ومن هؤلاء الجاثليق (مار طيمثاوس) المتوفي سنة ٨٢٣ م وكان قد اقيم اسقفا على كرسي (بابغاش) (٤٠) • ثم جاثليقا سنة ٧٨٠ م • وقد عاصر كلا من الخلفاء المهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون حيث شهدوا له بالعلم وفنون الجدال وهو اول من كتب باللغة العربية وألف كتابا في علم الهيئة والنجوم •

اما في عهد المغول الايلخانيين فقد انتعشت احوال النصارى في اغلب الاحيان وكان هولاكو على الرغم من استمساكه بالوثنية اظهر عطفا عليهم ابتغاء مرضاة زوجته النصرانية (دقوز خاتون) (٤١) • وقد تولى حكم اربل رجال من النصارى في حكم هولاكو وبعده • ولما توفي هولاكو سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م وماتت زوجته بعده شمل النصارى حزن شديد •

وقد لقي النصارى في خلال ثورة حاكم الموصل الملك الصالح على هولاكو مصاعب جمة ؛ فقد توفي لؤلؤ سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م وتولى الحكم بعده ابنه الملك الصالح اسماعيل في الموصل بينما تولى ابنه الآخر علاء الدين مدينة سنجار • وفي سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م هرب علاء الدين الى مصر بعد ظهور السلطان الظاهر بيبرس رابع المماليك البحرية في مصر سنة ٦٥٨ هـ

---

(٤٠) او بيت بغاش : على ضفة الزاب الاكبر وقاعدتها (باي) وتسمى اليوم (بياو) وهي في شمالي غربي راوندوز بمسافة خمس ساعات • انظر : مدارس العراق ص ٥٠ •

(٤١) تأريخ الشعوب الاسلامية ص ٣٩٣ •

وكتب من مصر الى اخيه الملك الصالح يطلب اليه الالتحاق به [٤٢] • وكان احد امراء ابيه قد ذهب الى اربل واخبر في طريقه رؤساء النصارى بناحية (برطلة) : « ان الملك الصالح عزم على قتل جميع اكابر النصارى في نينوى ثم السير بعد ذلك الى الشام » • فصدقوه وعبر كل من استطاع العبور منهم الى اربل • وكانت رسالة علاء الدين قد وقعت في يد المغول فهرب الملك الصالح الى الشام ولكن بعض امرائه رجعوا بقيادة علم الدين سنجر للدفاع عن الموصل ضد الهجوم المغولي المرتقب • واثناء ذلك عمت الفوضى مدينة الموصل وهاجم العوام النصارى ونزل الاكراد ونهبوا نينوى وهاجموا (قرقوش وديرمتي) ثم عبروا الى الزاب متوجهين الى اربل ولكن احد امراء الاكراد لاقاهم واجهز عليهم [٤٣] •

اما المغول فقد ارسلوا القائد التتري (سنداغو) لأحتلال الموصل ولم يتسن له ذلك الا بعد رجوع الملك الصالح وتدخله لاقناع المدافعين بفتح الأبواب • وكان الملك الصالح قد حصل من القائد المغولي الوعد بسلامته وامنه [٤٤] •

وقد استسلمت المدينة سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ وكافأ المغول الرجل الذي ابلغهم برسالة علاء الدين الى اخيه الملك الصالح فعينوه حاكما على الموصل وهذا الرجل هو (شمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي) • ولم يتمتع الباعشيقي بالحكم مدة طويلة حيث قتل في السنة التالية لحكمه على يد الاهالي بتحريض من (الزكي الاربلي) احد جنود الموصل وكان الاخير قد كشف عن غدر الباعشيقي وخيانته [٤٥] •

---

(٤٢) العراق في عهد الايلخانيين ص ١٩٠ •
(٤٣) نفس المصدر ص ١٩٠ •
(٤٤) تأريخ الموصل (١ / ٢٣٧) •
(٤٥) تأريخ الموصل (١ / ٢٣٩) •

ثم تولى حكم الموصل الاربلي المذكور الى ان توفي هولاكو واستطاع المغول استرجاع الموصل في سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م • وعينوا ناصر الدين فأفأ (البابا) (٤٦) • احد امرائهم المرسل من قبل اباقاخان ابن هولاكو .

وفي سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ م ، عزل فأفأ وتولى الحكم مكانه رجل نصراني من اربل وهو مسعود برقوطي الذي مر ذكره (٤٧) ، وقد حكم هذا اربل كذلك • وتعرض الى وشاية فأفأ لدى الخان فعزل ، ولكنه استطاع ان يبرئ ساحته ويعود الى حكم الموصل واربل سنة ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م وحكم مدة قصيرة اذ اتهم مرة اخرى بنهب اموال أحد المغوليين مع فأفأ (وكان فأفأ وبعض مؤيديه قد قتلوا بالسيف بأمر السلطان المغولي بعد تبرئة ساحة مسعود في المرة الأولى) فهرب من الجنود المغولية ليلا (٤٨) • وقد دب التوتر في اربل في أوائل حكم مسعود بين المسلمين والنصارى الذين استعانوا بالجند المغول للاحتفال بعيد الشعانين (٤٩) •

وفي بغداد أثير شغب على الجاثليق (مكيخا الثاني) سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م واتهم بأنه حبس عنده نسطوريا كان قد اسلم قبل بضع سنوات ، وقد هاجم الرعاع داره ولكن الحاكم المغولي انقذه فاضطر الجاثليق الى مغادرة بغداد الى اربل (٥٠) ، حيث اقام كرسيه فيها وبنى كنيسة في قلعتها واستقر فيها • وتولى كرسي بغداد في سنة ٦٧٤ هـ مطران اربل (دنحا) • وفي سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م كان العداء بين الايلخانيين والمماليك في سورية

---

(٤٦) الحوادث الجامعة ص ٣٩٧ •
(٤٧) تأريخ الموصل (١/٢٤٠) •
(٤٨) نفس المصدر (١ / ٢٤١) •
(٤٩) الحوادث الجامعة ص ٣٦١ •
(٥٠) تأريخ نصارى العراق ص ١١١ •

ومصر سببا في اغارة جنود الشام على ديار بكر والموصل واربل حيث قتلوا ونهبوا الاموال من التجار في الموصل وغيرها • ويبدو ان النصارى كانوا هدفا رئيسيا للاعتداء خلال فقدان الامن الذي نتج عن الغزو المذكور • فقتل كثير من النصارى (٥١) •

وفي سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م قتل مسعود الاربلي الذي كان قد افلح في الرجوع الى حكم الموصل واربل بعد هروبه ، بموافقة ارغون خان سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م على يد الامير (بتمش) الذي اثار اضطهادا على النصارى الذين لزموا جانب مسعود وقتل منهم عددا كبيرا في الموصل واربل وما جاورها من القرى (٥٢) •

وفي عهد كيخاتو خان (١٢٩١ — ١٢٩٤ م) وهو الذي أعقب ارغون خان في الحكم ، اضطربت الامور في الدولة المغولية بسبب سيرته السيئة وكان يبيع الرتب والمناصب لمن يدفع اوفر ثم قتل في تبريز • وبعد مقتله استولى (بيدو) حفيد هولاكو على المملكة الا انه حكم أياما قليلة لأن غازان خان انتزع منه العرش في سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م وهو سابع ملوك المغول الايلخانيين من سلالة هولاكو •

لقد تغيرت الاحوال بعد جلوسه على العرش اذ عاد الاسلام من جديد دينا رسميا للدولة (وكان (تاكودار) ابن هولاكو الذي سمي نفسه احمد خان قد اسلم ولم يتمتع بالحكم (٦٨١ هـ — ٦٨٣ هـ) بسبب ذلك الا فترة قصيرة) وضيق على النصارى وأمروا بشد الزنار في اوساطهم ، اما اليهود فكانت علامتهم خرقة صفراء في عمائمهم • ثم ألغي هذا الامر بسبب طمع

(٥١) العراق في عهد الايلخانيين ص ٨٨ •
(٥٢) تأريخ الموصل (١/٢٤٣) •

العامة والجهال فيهم [٥٣] .

ومن جهة ثانية زيدت الضرائب على النصارى واهين رؤساؤهم لذلك لذلك صمم (يابالاها) [٥٤] على نقل كرسي المطرنة من بغداد الى مراغة ، ثم توفي سنة ١٣١٧ م وسكن خلفاؤه مراغة تارة واربل تارة اخرى ووقتا في كرمليس واخيرا آلقوش نحو سنة ١٤٢٦ م [٥٥] . وقد قتل محمود غازان قائده (نوروز) المعروف بكراهيته للنصارى فأفزع ذلك اتباع المقتول وصبوا جام غضبهم على نصارى اربل فقبضوا على مطرانهم وهدموا كنائسهم ونهبوا اموالهم ، فعمل يابالاها على التخفيف من حدة هذه الحالة بتقديم الهدايا الى الضحايا [٥٦] . ولم يبد المغول في هذه الفترة رغبة كبيرة في حماية المسيحيين لذلك ظل التوتر الشديد سائدا في الموصل واربل بين المسلمين الاكراد والنصارى [٥٧].

وفي سنة ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م صدرت الاوامر بتقويض الكنائس ومعابد اليهود وبيوت الاصنام وقتل احبار الوثنيين مما اضطر النصارى الى الاختفاء فاخذت نساؤهم تقوم مقامهم بالبيع والشراء لانهن لم يكن يتميزن عن نساء المسلمين في اللباس ثم ارسل غازان قوادا من المغول الى كل مدينة وبلدة

---

(٥٣) الحوادث الجامعة ص ٤٨٣ — ٤٨٤ .

(٥٤) أصله في كوشنك من أعمال بكين ، زار البيت المقدس بطلب من خاقان المغول اذ أرسل معه ثيابا ليعمدها في نهر الاردن ولكن آباقاخان بن هولاكو حذره من اخطار الطريق في عودته الى بكين فتوجه الى ما دنحا للتبرك به ثم العودة الى بلاده ولما توفي (مار دنحا) فضله الآباء على غيره لوظيفة الجاثليق لحب امراء المغول له ومعرفته بلغتهم وعاداتهم .

(٥٥) تأريخ نصارى العراق ص ١١٩ — ١٢٠ .

(٥٦) العراق في عهد الايلخانيين ص ١٩٥ .

(٥٧) نفس المصدر ص ١٩١ .

لهدم الكنائس • ولكن هؤلاء كان يمتنعون عن الهدم اذا ما دفع لهم من المال ما يرضيهم • وقد توجه هؤلاء الى اربل ولبثوا فيها عشرين يوما ينتظرون اعياد النصارى ليهددوهم وينالوا منهم المال ولكن مطران المدينة لم يكترث للامر ففسح المغول المجال للعوام فوثبوا على الكنائس الثلاث الفخمة واخربوها • ولما وصلت هذه الاخبار الى نصارى الموصل خافوا خوفا شديدا فدفعوا اموالا كبيرة للمغول القادمين (٥٨) •

وفي عهد خدا بندة (١٣٠٣ — ١٣١٦ م) خليفة غازان اشتد اضطهاد النصارى فتكررت مذبحة اربل ثمان مرات وامتدت الى تبريز والموصل حوالي عام ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥ م ، واخذت مدينة اربل بالانحطاط منذ ذلك الحين (٥٩) •

وفي عهد ابي سعيد (١٣١٦ — ١٣٣٥ م) خليفة خدابندة قتل عدد كبير من النصارى والزموا بلبس العمائم الزرق (٦٠) •

ولم يقف النصارى مكتوفي الايدي تجاه هذه المظالم فقد اعتصموا بقلعة اربل اكثر من ثلاثة اشهر في سنة ١٣١٠ م ضد المحاصرين من المغول والمسلمين الذين اثيرا من قبل الحكام المغول (٦١) •

طائفة اليهود :

كان اليهود كطائفة دينية لم يتقلدوا الرتب او المناصب العالية في الممالك التي نشأت في المنطقة ، فقد كان منهم الدباغون والصباغون والاساكفة والتجار والصرافون • ولم يظهر بينهم اصحاب المناصب والرتب الرفيعة

(٥٨) نفس المصدر ص ١٩٦ •
(٥٩) ذخيرة الاذهان للقس بطرس نصري ص ١٩ •
(٦٠) العراق في عهد الايلخانيين ص ١٩٦ •
(٦١) دائرة المعارف الاسلامية • مادة اربل ص ٥٧٤ •

الا في عهد المملكة المغولية (٦٢) ، لان بعض ملوكها لم يريدوا ان يعهدوا بالمراتب الادارية للامراء من اهل البلاد وذلك لغرض سياسي بل كانوا يقلدونها لمن يضمنها بمال اكثر بصرف النظر عن اهليته وكفاءته او عدم اهليته وكان كل مرادهم هو جمع المال من الاهالي ، ولهذا تقدم اليهود فقصد الكثير منهم باب الملك في العاصمة تبريز وتقلدوا المراتب العالية .

وقد وصل اليهود في زمن ارغون (٦٣) الذي خلف احمد خان الى مناصب عالية حيث ولي هذا الملك على وزارته سعدا اليهودي وجعله صاحب ديوانه في بلاد العراق وسماه (بسعد الدولة) واعتمد عليه في سائر اموره، وكان لسعد هذا اخوان جعل احدهما حاكما على بغداد والثاني حاكما على الموصل وماردين وديار بكر مع تاج الدين بن مختص (٦٤) ، غير ان هذه الحالة لم تدم مدة طويلة اذ توفي الملك المغولي مسموما سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م وسبب موته انه عدل عن دين الاسلام واحب دين البراهمة من عبدة الاصنام فأستقدم بعض سحرة الهند ركبوا له دواء لحفظ الصحة فأصابه من ذلك الدواء مرض الصرع ومات فيه .

ويقال انه قتل على يد سعد الدولة اليهودي ، لذلك : صدرت الاوامر المشددة من الديوان لقتل اليهود في انحاء المملكة قاطبة . وقد قتل منهم في هذه الغائلة خلق كثير (٦٥) .

بعض مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية :

أ ـ الزراعة والري :

استمر النظام الاقطاعي السائد في العهد العباسي الاخير في العهد المغولي

(٦٢) تأريخ الموصل (١ / ٢٤٤) .
(٦٣) حكم بين (١٢٨٤ ـ ١٢٩١ م) .
(٦٤) تأريخ الموصل (١ / ٢٤٣) .
(٦٥) نفس المصدر (١ / ٢٤٤) .

كذلك . وظل الاقطاع اسلوبا في الادارة يتضمن قيام المقطع (بالفتح) بادارة الاقطاعة وارسال واردات للحكومة بعد قطع جزء منها لنفسه ، أو يقبل الاقطاعة بشكل ضمان يدفعه للحكومة ويحتفظ بما يزيد عن ذلك لنفسه .

وقد اكثر المغول من اقطاع المدن والبلاد من اجل تقديم خدمة عسكرية لهم (٦٦) ، حيث اقطعوا اراض وبلاد لاقاربهم وامرائهم لاجل ذلك . وكان هناك نوعان من الاقطاع : اقطاع تمليك واقطاع استغلال وكان الصنفان قائمين في دولتهم (٦٧) .

لم يهتم المغول بالزراعة والري كثيرا ولم يعملوا باهتمام على ازالة الترسبات عن الانهار والقنوات عدا ما قام به محمود غازان من حفر نهر سمي باسمه في اعلى مدينة الحلة من الفرات وأوصله الى مشهد الحسين حتى اخذ يسقي اراضي كربلاء (٦٨) .

ولم يجر تخريب كبير نظام الري في العراق بعد دخول المغول اذ كان نظام الري العباسي للعهد الاخير قائما ايام الفتوحات المغولية . واستمرت الزراعة ومحاصيلها الاعتيادية في هذا العهد ، فزرع القمح والشعير والرز والنخيل وحبوب اخرى ولكن الزراعة عامة لم تلق نفس الرعاية والعناية التي كانت تسود العهد العباسي ، اذ ان الحكام غرباء بعيدون عن فهم مشاكل العراق الزراعية ، والعراق لم يكن الا ولاية من ولاياتهم التي تكون امبراطوريتهم .

وكان هم الحكام ينصب على جمع المال من الولايات اكثر من اهتمامهم بتشجيع الصناعات او الزراعة (٦٩) .

---

(٦٦) العراق في عهد الايلخانيين ص ١٠٥ .
(٦٧) نفس المصدر ص ١٠٤ .
(٦٨) نفس المصدر ص ٩٢ .
(٦٩) تأريخ الموصل (١ / ٢٤٤) .

وقد اشتهرت بعض المدن العراقية بأنواع من المحاصيل الزراعيـة او الفواكه فقد اشتهرت اربل في هذا العهد بالحنطة والقطن [٧٠] • وشـهد العراق موجات من القحط كانت نتيجتها المجاعات ؛ ففي سنة ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م غلت الاسعار في ديار بكر والموصل وسنجار وبغداد فوقعت مجاعة واكثر الوباء والموت وكان اشد ذلك في الجزيرة ومنها الموصل واربل ؛ واكل الناس الجيف وباعوا اطفالهم ، وصارت الجزرة التي كانت تباع بفلس واحد تباع بدرهم ، وخلت اربل واندثرت القرى فيها ، وبيع الولد بخمسين درهما او اقل ؛ وكانت المرأة تصرخ : بأنها نصرانية ليشتري منها ولدها فتأمن عليه وتجد من يطعمه وتأكل هي بثمنه • ولكن هذا الغلاء كان أخف وطأة في العراق العربي فلم يأكلوا الميتة ولم يبيعوا اولادهم وكان من اسباب المجاعة جفاف وجراد عظيم حل في الجزيرة [٧١] •

ب — الضرائب :

اما ضرائب العهد الايلخاني فانها كانت استمرارا للضرائب العباسية حتى اننا لا نجد ضريبة ايلخانية الا ولها سابقة في عهد من العهود العباسية، ولكن الضرائب الايلخانية كانت اكثر ثقلا وخضوعا لاهواء الحكام • واهم هذه الضرائب : ضريبة الارض او الخراج • وضريبة الرؤوس (على الجميع دون استثناء) • وضريبة العقارات • وضرائب الاسواق • وضريبة المراعي، وحصة الديوان من الاوقاف ، واحيانا مصادرة اموال الموظفين ؛ مثال ماحدث لعز الدين عبد العزيز الاربلي الذي كان ناظرا للكوفة اتهم بالفساد والاختلاس فباع املاكه فلم يقم بما عليه وضرب وهو مريض فمات من تواتر الضـرب

(٧٠) العراق في عهد الايلخانيين ص ٩٤ — ٩٨ •
(٧١) نفس المصدر ص ٢٢٨ •

والعقاب سنة ٦٨٧ هـ (٧٢) .

جـ — نقود اربل :

لقد ضرب المستنصر (٦٢٣ — ٦٤٠ هـ) قسما من دنانيره على شكل دنانير الخليفة الناصر والاخيرة منها ضربها على طراز خاص في مدينة السلام واربل (٧٣) . وقد حاز المتحف العراقي مجموعة من الدنانير المختلفة لحكومات مختلفة وهي نحو من ألف دينار ذهب ، واكثرها عثر عليه في اماكن معروفة من العراق مثل : (تل طوكان في سامراء ، والخرابة في كركوك والحلة ، والحديثة ، وفي واسط ، ودلتاوة ، وبدرة في الكوت ، والكاظمية في بغداد ، وفي اربل ، وتل علي بكركوك ، وفي مركز اربل ، وماراليليب وماحوذيني في الموصل ، والشافي في البصرة) ، والباقي منها اقتنى بواسطة التبرع أو الانتزاع او باعطاء الاكراميات (٧٤) .

وكان الخليفة الناصر (٥٧٥ — ٦٢٢ هـ) قد ضرب قسما من دنانيره في مدينة السلام ووجد في اربل احد هذه الدنانير ومؤرخ بسنة ... ؟ وتسعين وخمسمائة . وآخر ضرب في مدينة السلام سنة ٦٢٠ هـ ومكتوب على الوجه : « الناصر لدين الله امير المؤمنين » وعلى القفا : « عدة الدنيا والدين محمد صلى الله عليه — ابو نصر » (٧٥) .

ووجدت في اربل كذلك ثلاثة دنانير ضربت ببغداد سنة ٦٢١ هـ من عهد الخليفة الناصر وهي مثلومة ، ودينار رابع ضرب في بغداد سنة ... ؟ ٦٠٠ هـ ، ووجد خامس ضرب ببغداد سنة ... ؟ ٦٠٠ هـ وهو مثلوم .

---

(٧٢) الحوادث الجامعة ص ٤٥٤ .
(٧٣) الدينار الاسلامي ص ٥٣ .
(٧٤) نفس المصدر ص ٥٤ .
(٧٥) نفس المصدر ص ١٧٨ .

وفي عهد الخليفة المستنصر وجدت ثلاثة دنانير ضربت في اربل نفسها وكتب على الوجه : « الامام . لا اله الا الله وحده لاشريك . المستنصر بالله امير المؤمنين » وعلى القفا : « لله محمد رسول الله صلى الله عليه » . وأحد هذه الدنانير الثلاثة موجود في متحف برلين والثاني في متحف مجمع باريس والثالث كذلك في متحف مجمع باريس (٧٦) .

أما امراء الدولة البكتكينية فقد ضربوا نقودا في اربل خاصة بها ولكنها باسم الدولة التي كانوا يخضعون لها اسميا . فمثلا النقود التي ضربت في عهد زين الدين يوسف ضربت باسم صلاح الدين الايوبي الى ان توفي الاخير سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م . وبعد وفاته ضربت النقود باسم اخيه الملك العادل الذي تولى بلاد الشام والجزيرة .

وان مظفر الدين حينما لمع نجمه واصبح من اقوى الامراء في المنطقة قد ضرب النقود باسمه في اربل (سومر ١٨ (١٩٦٢) . كما ضرب المغول لهم نقودا في اربل فضية ونحاسية (سومر ٢٥ (١٩٦٩) .

د ــ الصناعات :

لقد استمرت الصناعات العباسية في العهد الايلخاني أيضا ومنها : « صناعة الوشي والنسيج وصناعة الزجاج والورق والبسط والفرش والنسيج الحريري والتحف الذهبية والحلى النسائية . وصناعة الصابون والاقمشة القطنية والصوفية والحريرية » (٧٧) . وقد خسرت بعض المدن العراقية صناعها المهرة نتيجة مقاومة الغزو المغولي مثل بغداد والموصل واربل وواسط (٧٨) .

---

(٧٦) نفس المصدر ص ١٨٥ .
(٧٧) العراق في عهد الايلخانيين ص ١٣٢ .
(٧٨) مراصد الاطلاع (١ / ٢٠٩) .

وكانت كل مدينة تشتهر بصناعة ما فمثلا مدينة حزة وهي بليدة كانت قرب اربل تشتهر بصناعة (النصافي الحزية) وهي أردية [٧٩] . وقد دخلت التأثيرات المغولية على الصناعات المختلفة ولكن أهميتها كانت قليلة جـدا باستثناء النقود التي شهدت تغيرا يتمثل بكثرة صور الحيوان والانسان المنقوشة عليها في العملة النحاسية خاصة ، وكان المسلمون يكرهون التصوير على انواعه وخاصة للحيوان والانسان لذلك مالوا الى الزخرفة النباتيـه وبرزوا في الخط العربي . وكراهية المسلمين للتصوير تتفق مع ما جاء في القرآن الكـريم والاحاديث النبوية ، ولكن بعض الشعوب الاسـلامية كالايرانيين والمغول شذوا عن هذه القاعدة فأكثروا من الصور حتى زينوا بها حواشي الكتب . ولدينا فلس مذهب في الموصل يحمل في احد جانبيه صورة اسد منقوشة في اعلاه الشمس ، وآخر ضرب في سنجار على احد جانبيه صورة ارنب رافع احدى رجليه الى الاعلى وهو داخل مثلث متساوي الاضلاع . وقد ضربت مثل هذه النقود في بغداد والموصل واربل وسنجار والحلة والبصرة [٨٠] .

هـ — السكان :

كان سكان العراق عند الفتح الاسلامي يتكون من العناصر التالية : اكثرية السكان وهم آراميون وينتشرون في مختلف المـدن والقرى من الشمال الى الجنوب ، والعرب واكثرهم يسكنون بـلاد الجزيرة وتسمى بلادهم ديار ربيعة ، والفرس وقاعدتهم المدائن على دجلة الى جبال ايران في الشرق ، والاكراد وينتشرون في الجبال الواقعة في المنطقة الشماليـة

(٧٩) نفس المصدر (١/٤٠٠) .

(٨٠) العراق في عهد الايلخانيين ص ١٣٢ .

الشرقية [٨١] .

ولكن الفتح الاسلامي غير من الوضع السكاني ، حيث بنى العرب المسلمون مدن الكوفة والبصرة والموصل وبغداد ، وصارت هذه المدن مراكز هامة لأجتذاب عناصر عربية وغير عربية اليها . فتغلبت اللغة العربيه والدين الاسلامي في العراق .

ويذكر ابن حوقل (من اهل القرن العاشر الميلادي) [٨٢] : « ان اهل الموصل عرب وان الجزيرة كان تسكنها قبائل من ربيعة ومضر ، والمنطقة بين الزابين الاعلى والاسفل مشاتي للاكراد الهذبانية [٨٣] .

ان الفتح المغولي في ايام هولاكو لم يؤد الى تغيير في تركيب البلاد عنصريا بل اقتصر على وضع حاميات مغولية كان مجموعها في اول حكم هولاكو ثلاثة آلاف فارس [٨٤] . ولكن بلاد الرافدين اصبحت جزءا من الامبراطورية المغولية التي كانت قاعدتها تبريز ثم (السلطانية) وكلاهما في ايران ، لذلك اخذت الثقافة الفارسية تطبع المغول وتذيبهم فيها . ومع ذلك فأن تيار التعريب ظل طاغيا طيلة العهد العباسي والايلخاني .

ربما كان سكان العراق (بحدوده الحالية) لا يزيدون عن الخمسة ملايين نسمة في أواخر العهد العباسي . وفي العهد الايلخاني ، أدت الغزوات المغولية وثقل الضرائب وضعف العناية بنظام الري الى تدهور الاحوال في البلاد وخربت بعض المدن أو تحولت الى قرى . وحسب وصف ياقوت الحموي(٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م) الذي كتب في أواخر العهد العباسي : ان

(٨١) نفس المصدر ص ١٤٩ .

(٨٢) توفي سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م .

(٨٣) صورة الارض لابن حوقل ص ٢٠٥ . والعراق في عهد الايلخانيين صفحة ١٤٩ .

(٨٤) جامع التواريخ م ٢ ص ٧١٤ — ٧١٥ .

بغداد والموصل وواسط واربل وحلة بني مزيد من المدن الكبيرة • واطلق لفظة مدينة على سنجار وداقوق • وسمي تكريت ببلدة ومثلها خانقين ، وسمى حديثة الموصل ببليدة ومثلها المدائن [٨٥] • وقد وصف اربل : « ان في ربض قلعتها مدينة كبيرة عريضة طويلة ••• ومع سعة هذه المدينة فبنيانها وطباعها بالقرى أشبه منها بالمدن » [٨٦] •

وكانت للأزمات الاقتصادية الناتجة عن اهمال مشاريع الري وثقل الضرائب وفساد الحكم واضطراب الاحوال السياسية أثرها الفعال في هلاك عدد كبير من سكان العراق ، وكثيرا ما كانت تعقب هذه الازمات الأوبئة التي اودت بحياة عدد كبير من السكان • ونتيجة للنزاعات الدموية حول السلطة والتملك في زمن البويهيين والسلاجقة ان فقد الامن والاستقرار وازداد نشاط البدو في غزو المدن ونهبها وقتل الآمنين فيها وقد اجتاحت المنطقة الشمالية من العراق موجات من القحط بسبب انقطاع المطر وغزو الجراد ادت الى موت الآلاف من سكانها ، وقد اشرنا آنفا الى بعض هذه الموجات • ويقول ابن الاثير وقد عاصر الحقبة الاخيرة من حياة العباسيين في معرض كلامه عن الضرائب التي فرضها الخليفة الناصر (٥٧٥ — ٦٢٢ هـ) : « ان العراق خرب في عهده وتفرق اهله في البلاد » [٨٧] •

---

(٨٥) العراق في عهد الايلخانيين ص ١٦٣ •
(٨٦) معجم البلدان (١ / ١٣٨) •
(٨٧) انظر : الكامل في التأريخ (٩ / ٣٦١) •

الفصل العاشر

نشأة الدولة الجلائرية : العهد الجلائري

(٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م — ٨١٣ هـ / ١٤١٠ م)

سبب موت غازان خان في سنة ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م اضعاف اسرة هولاكو بصورة قاضية . فدب في تلك السلالة الاضمحلال مع وجود الرخاء القليل الذي كان يسببه توارد التجار والزوار الى بغداد ، واستمرت بعد موت ابي سعيد آخر الملوك الاقوياء ، الذي لم يخلف ولدا ، حرب اهلية ، فقد رشحت كل وحدة من الولايات الكبيرة في ايران مرشحها للعرش اي العوبتها بين الطامعين من رجال الحاشية . وكانت نتيجة عدة شهور من القتال ان انجلى الميدان لاثنين من المتخاصمين . وفي خلال ذلك كان والي بغداد يبعث بالجنود لمساعدة هذا الامير او ذلك او يؤاوي الفارين من وجه المنتصر . وفي الاخير وقعت بغداد ، بانقسام الامبراطورية حصة لحسن الجلائري وهو امير مغولي من ذوي المراتب العالية [1] .

ويسمى حسن الجلائري (حسن بزرك) و (حسن الكبير) ورد نسبه هكذا : (الشيخ حسن بن حسين بن أقبوغا بن ايلكان سبط ارغون خان)[2].

كان حسن واليا على اقليم الاناضول من قبل ابي سعيد آخر ملوك الايلخانيين ، فلما توفي ابو سعيد تنازع دولته الامراء كما ذكرنا ، وقد سار

(١) اربعة قرون ص ٢٧ .
(٢) تأريخ الموصل (١ / ٢٥٠) .

الامير حسن الى آذربيجان وحارب (علي بادشاه) و (موسى خان) و (الشيخ حسن الجوباني) في ديار بكر ، ثم عاد منهم قانعا بملك العراق العربي فتخذ بغداد مقر سلطنته في الشتاء ثم خضعت له مناطق أخرى مثل آذربيجان والجزيرة والجبال اضافة الى العراق (٣) • وكانت تبريز العاصمة الصيفية للدولة الجلائرية التي شملت ممتلكاتها القسم الاكبر من دولة الآيلخان •

وكان حكام هذه السلالة الجديدة الاولون عسكريين طماحين لكنهم كانوا متدينين وغير جانفين عن الانسانية • فاعادوا للعراق شيئا من الاحترام الذاتي ، ووطدت حكومة حسن الكبير وولده اويس السلام والطمأنينة لاكثر من جيل واحد ، كما شجعت شيئا من ممارسة الفنون (٤) • وقد حكم حسن الكبير سبع عشرة سنة ثم توفي سنة ٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م فخلفه (معز الدين اويس) فسار هذا من بغداد الى آذربيجان وحارب صاحبها (آخيجوق) فظفر به وقتله ، ودخل تبريز سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ • وبعد حكم دام تسع عشرة سنة توفي في سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م ، وبعد وفاته استولى (بيرام خوجه) من (آل قرهقوينلو) على الموصل وسنجار وحكمها حتى وفاته سنة ٧٨٢ هـ/١٣٨٠ م ثم خلف السلطان أويس على ملكه (العراق وآذربيجان) ابنه السلطان حسين الذي حكم ثمان سنوات ثم خرج عليه اخوه السلطان احمد الذي استطاع ان يسيطر على الحكم ويقتل اخاه في سنة ٧٨٤ هـ/١٣٨٢ م•

ويذكر ان السلطان حسين ثالث حكام السلالة كان ضعيفا لذلك لاقى مشاكل كبيرة في امبراطورية يهددها اعداء طامعون ، فاذعن لشغب حصل في بلاطه لاغتصاب الملك على يد اخيه علي ولكن الاخير لم يستطع الوقوف في بغداد بوجه السلطان احمد المذكور ، الأخ الباقي • وقد ادمج السلطان

---

(٣) اربعة قرون ص ٢٨ •

(٤) نفس المصدر ص ٢٨ •

احمد بغداد بتبريز في سنة ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ م من جديد فكون حكومة واحدة [٥] .

كانت بداية حكم السلطان احمد كثيرة الاضطرابات والحروب ولكنه ثبت وقضى على كثير من الامراء والحاشية المعادين له . ثم انتفض عليه الامراء سنة ٧٨٦ هـ وسار بعضهم الى تيمورلنك يطلبون منه المساعدةفلبى طلبهم واقبل بعساكره . فلماقارب تبريز اجفل عنها السلطان احمد الى بغداد وسيطر تيمورلنك على تبريز وتستر والسلطانية [٦] .

وفي سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م استولى تيمورلنك على اصفهان وعراق العجم والري وفارس وكرمان وضبطها من (بني المظفر اليزدي) بعد حرب طاحنة هلك فيها ملوكهم وبادت جموعهم [٧] . اما السلطان احمد فقد اخذ يستعد لمنازلة تيمور في بغداد . ولكن تيمور عدل مصانعته ومخادعته ومازال يخادعه حتى فتر عزم السلطان احمد وافترقت جنوده فنهض اليه تيمور على غرة حتى انتهى الى دجلة ففر السلطان ليلا وحمل ما استطاع من الاموال والذخائر وسار الى مصر لاجئا عند سلطانها الشركسي ووصلها سنة ٧٩٥هـ فأستقبله السلطان (الظاهر برقوق) صاحب مصر واكرمه [٨] .

تيمور لنك واستيلاؤه على اربل :

ولد تيمور في سنة ١٣٣٦ م في مدينة (كش) من اعمال ما وراء

(٥) أربعة قرون ص ٢٨ .

(٦) مدينة قديمة في شمالي غربي قزوين بمسافة (١٥٠) كم واتخذت عاصمة للمغول الايلخانيين في زمن خدابنده حيث عمرها . ودفن فيها ابنه ابو سعيد ثم دمرها تيمورلنك .

(٧) تأريخ الموصل (٢٥١/١) .

(٨) تأريخ روضة المناظر : لأبي الوليد محمد بن الشحنة في هامش تأريخ الكامل (٢٠٦/٩) .

النهر . حيث كان عمه واليا عليها في خدمة السلاطين التغلقيين الذين ملكوا في دلهي من اعمال الهند . ولما توفي عمه ناب منابه في الولاية ثم أصبح زعيم قبيلته ، فانظم اليه كثيرون ، واتفق مع امير من أمراء تلك المملكةوهو الأمير حسن فقوض اركان المملكة التغلقية واستولى على بلادها مناديا بنفسه ملكا سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م . ثم قصد خوارزم وضبط بلاد ما وراء النهر وخراسان بعد ان خلع اميرها (وهو ينتسب الى جغتاي ثاني ابناء جنكيز خان) الذي كان مجرد رئيس اسمي لحكومة يسيطر عليهـا الأشراف من الجنود الاتراك . وحول تيمور ممتلكات جغتاي هذا الى امبراطورية جعل عاصمتها سمرقند التي جملها وعهد الى الصناع الفرس في تجميلها بالابنيـة الفخمة، وعرف تيمور بوصفه مسلما صالحا على العلماء ورجال الدين وبخاصـة دراويش الطريقة النقشندية [٩] .

ثم احتل تيمور (شيراز) وانقرضت على يده دولة آل المظفر في زمن آخر ملوكهم (الشاه منصور) ثم سار الى بلاد فارس وملكهـا [١٠] . والحقيقة ان هذا الفاتح لم يقنع بهذه الامبراطورية التي تم انشاؤها بل سعى ان يستعيد كامل التراث الذي خلفه جنگيز خان ، فكان يضرم نيران الحروب سنويا في طول البلاد وعرضها ، من موسكو الى نهر الكنج وحتى سوريا غربا [١١] . وقد رأينا كيف قدم بغداد بعد احتلاله لاذربيجان وتبريز حيث فر امامه السلطان احمد سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ واحتل العراق العربي بأكمله ، وكان من عادته ان يطالب جنوده في نهاية كل معركة برؤوس القتلى من اعدائه ليقيم منها قبة لاكرامه [١٢] . وفي بغداد صنع قبة من تسعين الف

(٩) تأريخ الشعوب الاسلامية ص ٤٢٠ .
(١٠) تأريخ الموصل (١/٢٥٢) .
(١١) تأريخ الشعوب الاسلامية ص ٤٢١ .
(١٢) ابن الشحنة (٩/٢٢٧) .

رأس من رؤوس رجال بغداد ومثل ذلك فعل في حلب ودنهي • وفي سـ ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م احتل تكريت عنوة ونهبها • وملك (اربل والموصل وجزيرة ابن عمر وحصن كيفا وارزن وماردين) صلحا لان المتغلبين على هذ البلاد المذكورة بادروا الى تيمور بتقديم الطاعة والهـدايا والتحف النفيـ وهم : (علي رئيس اربل ، ويار علي التركماني الموصلي ، وعز الدين الكردي الجزري ، وسليمان الحصن كيفاوي ، وسارتا سيوكس الارزي ، وطاهر الدين الماريدني) • ثم زحف تيمور الى بلاد فلسطين وخرب في طريقه آمد والرها (١٣) •

وقد قدم حكام المدن المذكورة سابقا جزية سنوية معينة لتيمور لنك(١٤) وكانوا قد ذهبوا الى معسكره مقدمين له الطاعة والخضوع وبذلك حفظو بلادهم من شره (١٥) •

لما رحل تيمور لنك ترك ابنه (جلال الدين ميرانشاه) على هذه البلا فولى هذا على الموصل رجلا من خاصته يدعى (حسن بك) وبث عماله في بقية البلاد •

والجدير بالذكر ان اربل كانت في النصف الاخـير من القرن الثامن الهجري (ايام الحكم الجلائري) خاضعة للاسرة المغولية تحت حكم امرا اكراد من قبيلة (مازنجاني) (١٦) التي كانت مساكنهم في (مازنجان وبيرو ونجمة (بخمة) والبلاد السهرانية ــ السورانية) وهذه الاماكن كانت من اعمال اربل • والمازنجانية طائفة من الاكراد ينتسبون الى الاكراد الحميدية

(١٣) تأريخ الموصل (١ / ٢٥٣) •
(١٤) عصر الانحدار لمحمد اسعد طلس ص ٣٤ •
(١٥) تأريخ الكرد (١/١٧٠) •
(١٦) دائرة المعارف الاسلامية • مادة اربل •

اصحاب العقر وما يجاورها وكانوا يمتازون بحسن الفروسية [١٧] ، وعدتهم خمسمائة مقاتل وكان رئيسهم (مبارك الدين كاك) الـذي وصف بانه من امراء الخلافة في الدولة العباسية ومن ديوان الخلافة لقب (بمبارز الدين) اما كاك فهو اسمه . وقد ورد ذكره كذلك في سجلات الدولة المصرية المملوكية في جملة من ذكر من الامراء الاكراد الذين صادقوا تلك الدولة وكانت لهم مراسلات معها . عرف مبارز الدين بالصلاح والتقوى ، وتمتع بمكانة خاصة لدى المغول الذين استنابوه في اربل واعمالها واقطعوه عقر شوش بكاملها واضافوا اليه هرار وتل حفتون وقدموه على خمسمائة فارس [١٨] .

وقد تولى (كاك) حكم هذه المناطق حتى جاوز التسعين ثم مات وخلفه ولده (عز الدين) فكان من ابيه نعم الخلف وجرى على نهجه في ترتيب المملكة وقد علت رتبته عند المغول وملوك المماليك في مصر ، وخلفه في الحكم اخوه (نجم الدين خضر) فجرى على منوالهما وجامل الحكومة المملوكية في مصر وراسلهم بلغة عربية بليغة . وكانت دولة المماليك في مصر قد اعترفت بهذه الامارة الكردية وكان اميرها يعرف عندها بصاحب (عقر شوش) . ويظهر ان اسرة مبارز الدين كاك قد حكموا عقر شوش بصورة متصلة واحيانا اربل . ونظرا للعداء الشديد الذي توقد ناره بين المغول وبين المماليك في مصر وسورية فقد تعرضت الموصل واربل واعمالهما الى اعمال سلب ونهب وسفك دماء فكثيرا ما كانت العساكر الشامية المملوكية تغير على تلك الجهات مما اضطر امراء هذه الامارة الكردية إلى مداراة الجانبين المغولي والمملوكي ، ففي الشتاء كانوا يجاملون المغول وفي الصيف يعينون سرايا الشام بالمجاملة [١٩] .

(١٧) تأريخ الكرد (١ / ٣٨٤) .
(١٨) تأريخ الكرد (١ / ٣٨٤) .
(١٩) تأريخ الكرد ص ٣٨٣ نقلا عن مسالك الابصار .

وكان الرعاع يستغلون الفوضى والاضطراب الناتجة عن اغارة جنود الشام على المنطقة فينهبون النصارى • وفي سنة ١٣٧٢ م وقع اضطهاد على النصارى ونهب الاشقياء دير الشيخ متي • وفي عام ١٣٧٥ م خربت بيعة اربل الكبرى [٢٠] •

وقد حكم ملوك من نسل مبارز الدين كالك عقرشوش الى فترة طويلة ولكن اضمحل امرهم وضعف شأنهم لذلك ضم السلطان حسن من امراء البهدينان في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري امارتهم الى ملكه وعين عليها ابنه سليمان بك [٢١] •

عودة السلطان احمد الجلائري الى بغداد :

يظهر من احداث هذه الفترة ان السلطان احمد رجع الى حكم بغداد مستغلا فرصة انشغال تيمور بالفتوحات بمساعدة السلطان برقوق سلطان مصر • ودخل بغداد عام ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م وطرد منها الحاكم المغولي (الخواجه مسعود الخراساني) عامل تيمور على بغداد • ولكن حكم السلطان احمد كان على وشك الزوال حيث عزم على ترك بغداد بعد ان سمع بعزم تيمور لنك على الهجوم على بغداد فاتجه الى بلاد الروم لاجئا الى السلطان العثماني بايزيد ودخل تيمور لنك بغداد سنة ٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م للمرة الثانية فذبح الالوف من الناس وهدمت الجوامع والمدارس والمساكن [٢٢] • ثم دخل اربل والموصل وجزيرة ابن عمر واعمل فيها الخراب والتدمير والقتل الشنيع •

(٢٠) تأريخ نصارى العراق ص ١١٧ •
(٢١) امارة بهدينان ص ٥٢ •
(٢٢) اربعة قرون ص ٢٨ •

ويبدو ان اهل هذه المدن ثاروا ضد الاحتلال التيموري بعد الصلح المذكور لما وقع عليهم من جور وعسف ، ولما بلغ خبر ذلك تيمور غزا شمالي العراق ثانية في نفس السنة المذكورة (٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م) وانتقم من الاهالي ، ولا نبالغ اذا قلنا انه لم يبق احدا حيا في بلاد اربل والموصل والجزيرة (٢٣) .

ترك تيمور العراق الى بلاد الروم بعد ان عين ابا بكر بن ميرانشاه على بغداد . فقضى تيمور لنك شتاء عام (١٤٠١ — ١٤٠٢ م) في (قرهباغ) في ما وراء القوقاز بين نهري كور واراس ، وهناك اعد العدة لمعركة فاصلة يخوضها ضد العثمانيين ، حتى اذا اطل ربيع سنة ١٤٠٢ بدأ تيمور هجومه متقدما نحو سهل أنقرة من طريق ارزنجان وسيواس ، وبدأت المعركة في تموز سنة ١٤٠٢ م انتصر فيها الاتراك أول الامر ولكن المعركة الاخيرة انتهت بهزيمتهم ووقوع السلطان بايزيد وابنه في الاسر .

والواقع ان العثمانيين كان يعوزهم في حربهم هذه ضد اخوانهم في الاسلام تلك الحماسة الدينية التي الهبت نفوسهم في الحروب الاخرى . وتوفي بايزيد في الاسر سنة ١٤٠٣ م .

ثم اعاد تيمور امراء السلاجقة السابقين الى اماراتهم في آسيا الصغرى وفتح ازمير ولكنه ابقى (الروم ايلي) للعثمانيين فآلت الى سليمان بن بايزيد الذي اضطر الى ان يعترف بسلطة تيمور . يمم تيمور وجهه قبل المشرق من جديد ، قاصدا مقره في سمرقند . وفي ١٩ كانون الثاني سنة ١٤٠٥ م توفي في اطرار (اترار) بينما كان يشن حملة على بلاد الصين (٢٤) وعمره (٧١) سنة فنقل جثمانه الى سمرقند ودفن فيها وكان حكمه مدة (٣٦)

(٢٣) تاريخ الموصل (١ / ٢٥٤) .
(٢٤) تأريخ الشعوب الاسلامية ص ٤٢٢ — ٤٢٣ .

سنة ، وكان تيمور مع كثرة مظالمه شديد الرغبة في العلوم حيث نقل الآثار القديمة من البلاد المحتلة الى سمرقند وكتب بيده ترجمة حياته وتحدث بها عن ظلمه في هدر الدماء موردا الاسباب التي حملته على ذلك (٢٥) .

وقسم ابنا تيمور شاهرخ وميرانشاه امبراطوريته شطرين شرقيا وغربيا يفصل ما بينهما خط ممتد على محاذاة هضبة ايران . واضطر ميرانشاه ، وقد آل اليه امر (العراق وآذربيجان وديار بكر واجزاء من بلاد القوقاز) الى ان يخضع لسلطان اخيه ليقتل سنة ١٤٠٨ في معركة خاضها ضد زعيم جماعة من التركمان تدعـو نفسها قرهقوينلو (الخروف الاسود) وتنـازع هـؤلاء وخصومهم آق قوينلو (الخروف الابيض) على امتلاك الولايات الشمالية الغربية التابعة لشاه رخ الذي وحد الامبراطورية تحت لوائه بعد وفاة اخيه (٢٦).

السلطان احمد في بغداد :

استغل السلطان احمد الجلائري وفاة تيمور لنك سنة ١٤٠٥ م فعاد الى حـكم بغداد وعاد الهدوء الى العراق ولكن السلطان عـاد الى سـيرته الاولى في الحكم السيء .

طمع السلطان احمد في استرداد تبريز التي كان يحتاج اليها الجلائريون وتركمان القرهقوينلو (الخروف الاسود) على السواء بحكم موقعها الجغرافي الممتاز . واحتل تبريز عام ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ ولكنه تعرض الى ضغط الخروف الاسود واصطدم بقره يوسف التركماني زعيمها وامير (وان وديار بكر) . وكان الاخير تابعا له في الاصل ثم اصبح حليفه ، وبدأ يطمع في املاك سيده . وقد انتصر قره يوسف على السلطان احمد بعد حرب شعواء قرب تبريز ووقع السلطان بين اسيرا فتنازل له عن العرش . فوقعت آذربيجان في

(٢٥) تأريخ الموصل (١ / ٢٥٥) .
(٢٦) تأريخ الشعوب الاسلامية ص ٤٢٣ .

يد ابن قره يوسف الامير (بيربوداق) وولاية بغداد اصبحت لابنه الثاني شاه محمد ، ويقال بأن السلطان احمد وقع المراسيم المتعلقة بهذه التنازلات التي قضت على امبراطوريته . وفي سنة ٨١٣ هـ / ١٤١٠ م اغتيل السلطان بعد حكم دام (٣٠) سنة وانقرضت الدولة الجلائرية بعد فترة قصيرة من وفاته (٢٧) .

ومما يذكر ان بقايا الجلائريين ظلت تحكم بعض المناطق مثل تستر وخوزستان والاهواز ، وممن تولى الحكم في تستر (محمود بن شاه) واخيه (أويس الثاني) الذي حكم تستر وخوزستان نحو خمس سنوات ، ثم السلطان محمد الذي تولى حكم خوزستان ثلاث سنوات ، وابن عمهم السلطان حسين الذي تولى حكم الاهواز الى سنة ٨٣٥ هـ وفيها انتهى الحكم الجلائري تماما (٢٨) .

(٢٧) عصر الانحدار ص ٣٧ .
(٢٨) عصر الانحدار ص ٣٩ .

الفصل الحادي عشر

دولة القره قوينلو (الخروف الاسود)

(٨١٤ هـ / ١٤١١ م — ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م)

نبذة عن القره قوينلو

ان القره قوينلو طائفة من التركمان كانوا قديما يقطنون بلاد تركستان الغربية . وفي عهد ارغون خان التتري (١٢٨٤ — ١٢٩١ م) نزحوا الى آذربيجان بأثقالهم ، ثم تحولوا عنها فسارت طائفة القرقوينلو الى نواحي ارزنجان وسيواس ، واقبلت طائفة آق قوينلو الى اطراف الموصل وديار بكر [1] . وكان رئيس القبيلة (بيرام خواجه) قد اتصل بخدمة الخليفة السلطان أويس الجلائري (٧٥٧ هـ — ٧٧٦ هـ) وانتسب اليه في سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م ، حيث استعان به السلطان في حروبه . وعلى اثر وفاة السلطان أويس الجلائري سنة ٧٧٦ هـ اصبح بيرام خواجه بن درويش يستطيع التعرض بممتلكات الدولة الجلائرية فتغلب على الموصل سنة ٧٧٨ هـ ، وبعد حصار طال اربعة اشهر أخذها بالامان وتملك سنجار وتلعفر وبعض المواطن في آذربيجان[2] . وتوفي بيرام خواجه سنة ٧٨٠ هـ وخلفه في الرئاسة اخوه مراد (خواجه) فحكم مدة قصيرة ثم آلت الامارة

(١) تأريخ الموصل (١/٢٥٥) .
(٢) التركمان في العراق (١ / ١١٢) .

الى (قرا محمد بن تورمش) فوسع هذا امارته وحارب حاكم ماردين، وزوج ابنته للسلطان احمد بن اويس الجلائري الذي استفاد من هـذه المصاهرة اذ انظم اليه (قرا محمد) في حروبه . واخيرا قتل (قرا محمد) فخلفه ابنه (قرا يوسف) في امارته (٣) .

وقد قويت الامارة في عهد قرا يوسف وامتدت رقعتها الى جهات كثيرة حيث عزم هذا الامير على ضبط البلاد من يد (ميرانشاه بن تيمور لنك) فجمع اصحابه حتى اصبحوا جيشا عظيما ، ثم سار على ميرانشاه والتقى به قرب تبريز وبعد معارك طاحنة قتل ميرانشاه وتمزق شمل اتباعه سنة ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م . ويذكر ان نفوذ قرا يوسف اخذ يتعاظم بعد مغادرة تيمورلنك للعراق حيث بدأ يتجول في الاقسام الشمالية من العراق مستفيدا من ضعف السلطان احمد الجلائري واستولى على بغداد سنة ٨٠٦ هـ (٤) . وكان السلطان احمد الجلائري (بعد رجوعه الى بغداد على نحو ما ذكر في الفصل السابق) دائبا في استرجاع ملكه فاصطدم بقرا يوسف سنة ٨١٣ هـ / ١٤١٠م فقتل في المعركة (٥) . واستقر الملك لقرا يوسف في آذربيجان والعراق العربي ثم حمل سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م على (بادشاه شروان) الشيخ ابراهيم فقتله واستولى على (ساوا) و (قزوين) ونواحيهما .

العراق في حكم القره قوينلو :

دخل ابن قرا يوسف (شاه محمد) بغداد سنة ١٤١١ م وخضع له العراق ، وكانت تبريز العاصمة الحقيقية للدولة الجديدة وبغداد احدى اكبر ولاياتها .

---

(٣) نفس المصدر (١/١١٢) .
(٤) تأريخ العراق بين الاحتلالين (٢/٢٥٧) .
(٥) وفي رواية اخرى اسر وتنازل عن املاكه لقره يوسف ثم مات غيلة.

شهد العراق استقرارا في عهد قرا يوسف (٧٩١ هـ — ٨٢٣ هـ) الذي اتخذ تبريز عاصمة له وعادت بغداد من جديد تابعة لتبريز [٦] • وبعد موت قرا يوسف وقعت الخلافات بين اولاده وتقارعوا بالسيوف فأستولى احدهم وهو (شاه رخ) على (تبريز) واستقل الاسكندر بمدينة (كركوك) واستولى اسبهان على بغداد ثم تلاقى شاه رخ والاسكندر في ميادين القتال وانهزم رخ فارا الى ارض الفرات ، اما الاسكندر فانه رجع الى خراسان واستقل بها وببلاد (تبريز) •

اما اسبهان فانه استولى على بغداد ووقعت بينه وبين اخيه (شاه محمد) خلافات حادة حتى اقام هو في الجانب الغربي من بغداد في عمارة السلطان احمد ، واقام اخوه محمد في الجانب الشرقي • استمرت الحالة هذه مدة والناس يقاسون ويلات من الاميرين حتى اضطر اسبهان الى ان ينسحب ويستقل بلوائي ديالى والحلة وما اليهما •

والجدير بالذكر ان بعض امراء الدولة الجلائرية المنقرضة قد طمعوا في استعادة سلطانهم بعد موت قرا يوسف مستغلين اختلاف اولاده على السلطة والحكم ، ففي سنة ٨٢٤ هـ هاجم الامير اويس الثاني بغداد ، ولكنه رد عنها خائبا •

وفي سنة ٨٢٥ هـ عاد اليها ثانية فهاجمها ورد عنها خائباً ولكنه استطاع الاستيلاء على الحلة ، وفي سنة ٨٢٧ هـ هاجم الامير علاء الدين بن السلطان احمد مدينة الحلة واستولى عليها وطرد منها الامير أويس • وفي سنة ٨٣٠ هـ عاد السلطان أويس فطرده واستولى على الحلة وحارب محمد شاه ببغداد وفيها قتل [٧] •

---

(٦) عصر الانحدار ص ٤٠ •
(٧) نفس المصدر ص ٤١ •

تنازع الامراء (القره قوينلو) :

الى هذا الامر الذي مر بنا صار حال العراق بعد موت قرا يوسف ، ولم تمض سنوات قليلة حتى توسعت الامور اضطرابا ، وزادت الانقسامات بين اولاد قرا يوسف حتى تفانوا ، ولم يبق منهم الا الامير اسبهان فانـــه استولى على اكثر البلاد ، ولكنه لم يكن حسن السيرة . ولم تكد البلاد تستعيد شيئا من الاستقرار والرفاه بسبب جودة المواسم الزراعية حتى اقبل اسبهان بخيله ورجاله ففتك بأهل العراق وصادر تجاره في سنة ٨٤٢ هـ وشرع يجمع الاموال والرجال ليتوجه بهم الى قتال الامير حمزة سلطان البايندرية (آق قوينلو) . ولما تم له ما اراد توجه الى بلاد سنجار لقتال الامير حمزة فتهرد هذا وفر جنده واضطره الى ان يعود الى بغداد ليستعد من جـــديد لقتال البايندرية فاقام سنة يستعد لهم ، ولما تمت له اسباب القوة ذهب الى بلاد ماردين واربل التي وقعت بيد آق قوينلو ففتك بطائفة منهم وانزل بأربل شر البلاء ، ثم رجع الى بغداد وفي هذه الفترة ذاع أمر ظهور (المهدي المشعشع) في سنة ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م [٨] في ارض واسط .

وكان المشعشع هذا رجلا يعرف شيئا من السحر وعلم المخاريق فالتف حوله الاعراب في واسط وخوزستان والحويزة وجزائر البحرين ولما رأى كثرة مؤيديه طمع في التملك وجهز جيشا حارب به حاكم الحويزة ثم استولى على البصرة ، وانتشرت جماعته التي عرفت بالمشعشعين تنشر دعوتهـــا في العراق كله ، حتى خاف الامير اسبهان منه ووجه اليه جيشا تغلب على المشعشع ولكن دعوته استمرت في الانتشار .

---

(٨) عصر الانحدار ص ٤١ .

اربل في هذه الفترة :

اخذ الامير اسبهان يقوي نفسه ويعمل على القضاء على المشعشعين حتى انحدر الى واسط وهي من معاقلهم فاستولى عليها ثم عاد الى بغداد وحاصرها وفيها اخوه شاه محمد فتغلب عليه ودخل المدينة وفر اخوه الى الموصل . فلما وصلها تسلطن فيها وامتد سلطانه الى بلاد اربل وكركوك • وعين حاكما على الموصل كما فوض اربل الى ابنه (ميرزا علي) [٩] ونصب (علي الاتابك) على كركوك وداقوق [١٠] •

ولما توسعت الرقعة التي يحكمها شاه محمد اخذ يطمع في استعادة بغداد واخيرا قتل في معركة جرت حول بغداد • وقد دام ملكه نحوا من ثلاث وعشرين سنة لم يعمل خلالها عملا صالحا بل خرب البلاد وبخاصة بغداد •

وبعد مقتل شاه محمد اخذ ابنه (شاه علي) اخوته وهم (شاه رخ وشاه بوداق وشاه ولي) ونساءه ونساء ابيه ورجع الى اربل وكان فيها (ميرزا علي) فقبض عليه • ومن جهة ثانية زحف اسبهان بعد موت شاه محمد على اربل وقاتل صاحبها (شاه علي) وهدم المدينة • ولم يتركها الا بعد ان القى السم في مياهها ومات من اهلها خلق كثير ثم انه رحل الى الموصل فاستولى عليها في سنة ٨٣٩ هـ/١٤٣٥ م ثم قصد بغداد واستولى عليها[١١]• وفي رواية اخرى ان الامير اسبهان « توجه الى اربل — بعد مقتل شاه محمد — فلما سمع بذلك (ميرزا علي) نهب البلد وخربه ثم تحصن في القلعة فلما وصل اسبهان وشاهد البلد (القسم الاسفل) قد تخرب اشتغل بحصار

---

(٩) ابن عمه في رواية أخرى

(١٠) العراق بين الاحتلالين (٣/ ٨٧) •

(١١) عهد الانحدار ص ٤٣ •

القلعة » (١٢) وجرت بينه وبين ميرزا علي واهل القلعة معارك شديدة فلم ينل مأربا ، فأخذ بعد خمسة اشهر من حصارها طريقة القاء السم في الآبار دون ان يشعر به احد ، ولكن دون جدوى وأخيرا اعطى الامير اسبهان عهـدا لميرزا علي بالامان اذا سلم فنزل اليه وأولاده وتزوج ابنته بلقيس ثم جعـل في اربل اميرا ورحل عنها الى الموصل في سنة ٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م فاستولى عليها ثم قصد بغداد واستولى عليها كذلك ، وبعد مكوثه سنة في بغداد خرج منها متوجها نحو اربل ومكث فيها مدة ثم عزم ان ينتقم من البايندرية (آق قوينلو) حيث انتصر عليهم في ماردين ثم رجع الى اربل ومنها سـار الى بغداد (١٣) .

حكم الامير اسبهان مدة اثنتي عشرة سنة (٨٣٦ ـ ٨٤٨ هـ) وتوفي، ولما سمع بذلك (الوند) وهو احد الامراء وبأن الامراء قد سلطنوا (فولاذ) التف حوله العسكر الذي كان معه فتوجه الى كركوك وكانت اقطاعة ومضى منها الى آلتون كوپري واربل والموصل ، ولكن جهان شاه (٨٤٨ ـ ٨٧٢ هـ) استطاع ان ينزع بغداد من يد ابن اخيه فولاذ بن اسبهان في سنة ٨٥٠ هـ ثم استولى على البصرة وطرد منها المشعشع .

ومما يذكر ان المشعشع اشتدت شوكته في هذه الفترة وكان قد احتـل البصرة ، وفي سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٤ م هاجم علي بن المشعشع بغداد بعد ان حاصر واسطا والحلة وقطع نخلها وهدم المشاهد والاضرحة، وفي سنة (٨٦٠هـ) توجه الى مهروز وبعقوبة فنهبها وقتل اهلها واسر عددا كبيرا ثم رجع الى الحويزة فأقام بها قليلا ثم توجه الى (بهبهان) فحاصرها وقتل اثناء الحصار سنة ٨٦١ هـ . اما والده فقد توفي سنة ٨٦٦ هـ وخلفه ابنه الآخر المحسن،

(١٢) العراق بين الاحتلالين (٣ / ٨٧) .
(١٣) نفس المصدر (٣ / ١٠٦ ـ ١٠٧) .

وكان رجلا حازما مدبرا تمكن من الاستيلاء على البحرين كلها وعلى اكثر انحاء بغداد وبلاد البختيارية في فارس [١٤] .

حكم جهـان شاه بن قرا يوسف :

اقطع جهان شاه الموصل لابناء اخيه اسكندر وهم (الونـد ورستم وترخان) ولم يمض وقت طويل حتى اظهر الوند العصيان على عمه فسيطر على اربل وكردستان ايضا ، فسير جهان شاه واحدا من اعاظم امرائه وهـو (رستم طورخان) في جيش فانكسر الوند بعد قتال عنيف والتجأ الى جهانكير ابن علي بك حاكم آمد وديار بكر [١٥] .

وكان جهان شاه يلاقي صعوبات من بقـايا الامبراطورية التيمورية في ايران بقيادة الشاه رخ وقد ابدت الحرب التي وقعت بين الطرفين تابعية القرهقوينلو الى تيمور ، غير ان موت الشاه رخ في ١٤٤٧ م افسح المجـال لجهان شاه بتوسيع امبراطورية القره قوينلـو من تبريز الى شط العرب ، وبخلع اية تابعية للتيموريين من عنقه واضافة فارس وكرمان لمملكته . وبذلك اصبحت قبيلة القره قوينلو امبراطورية غنية مترامية الاطراف بعد ان كانت قبيلة مجهولة غيرانها لم تكن امبراطورية مستقرة.على أن عهدجهان شاه الذهبي هذا كان قصير الامد ، فقد كلفته حروب الحـدود مع التيموريين خسران نفوذه وارضه . ولم يكتف القواد والتابعون على الثورة في ولاية بعد اخرى، وحذا ولده (پيربوداق) ، الذي كافاه بحكم العراق لمولاته ، حذو هؤلاء بعد بضع سنين فأعلن استقلاله [١٦] ، وتحصن في بغداد سنة ٨٦٩ هـ / ١٤٦٤ م ، وقد حاصره والده مدة سنة ونصف السنة الى سنة ٨٧٠ هـ ، وفي

(١٤) عهد الانحدار ص ٤٢ .
(١٥) العراق بين الاحتلالين (٣ / ٢١٩) وما بعدها .
(١٦) اربعة قرون ص ٢٩ .

بداية الحصار أرسل جهان شاه الى حسن الطويل زعيم آق قوينلو يعطيه الموصل واربل وسنجار على ان يسد الطريق على ولده ويمنع وصول الذخائر الى بغداد ، ثم خدع جهان شاه ابنه ووعده بالامان فلما استسلم قتله •

واخيرا قتل جهان شاه على يد حسن الطويل زعيم قبيلة آق قوينلو في سنة ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م • كما قتل معه عدد من الامراء ومن بينهم (محمد ميرزا) و (ابي يوسف ميراز) ولدي جهان شاه ، واحتل اوزون حسن تبريز سنة ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م بعد حرب مع بقية أمراء القرهقوينلو الذين حاولوا نصب احد اولاد جهان شاه في تبريز •

وكانت بغداد في هذه الفترة بيد (پير محمد الطواشي) حاكمها من قبل جهان شاه وقد توفي هذا الحاكم فجاة فتسلم حكم المدينة (حسن علي ابن زينل) بموافقة الامراء وكان حسن حسن السيرة رقيق القلب ، ولكنه لم يلبث في حكمه طويلا حتى مات ، فتسلم الامر من بعده أخوه (منصور ابن زينل) وكان جبارا فاتكا فكره الناس عهده وعملوا على التخلص منه فقتلوه وبموته انتهت الدولة البارانية (القره قوينلو) وكان ذلك في جمادي الآخرة سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م (١٧) •

ويذكر ان طاعونا اصاب الاهلين في بغداد في السنة المذكورة ومات منهم خلق كبير ويقال انه مات في يوم واحد (١٥٠) نسمة ثم وصل الطاعون الى تكريت وشهرزور واربل والموصل ومات في هذه الجهات خلق عظيم •

حكمت الاسرة البارانية العراق وما اليه قرابة نصف قرن لقي فيه العراق أشد الويلات على الرغم من انه كان مستقلا شبه استقلال عن العاصمة تبريز فقد كان والي بغداد يتولى امرها مستقلا بنفسه وخصوصا في عهد شاه محمد واسبهان ، وبيربوداق ، ولكن حالة بغداد وسائر المدن العراقية كانت تتحول

---

(١٧) عصر الانحدار ص ٤٥ •

من سيء الى أسوأ وخاصة بعد ظهور المشعشع الذي اتخذ الدين شعارا ولحقه عدد من الاعراب وأخذوا يفتكون بالناس من اهالي المدن ويعتدون على المساجد والمدارس والبيوت ويعملون على تقطيع اوصال البلاد [١٨] .

لقد عرفت هذه الدولة بقره قوينلو لان اصحابها كانوا يرسمون غنما اسودا على علمهم فاصبحت ذلك سمة تميزهم عن باقي الجماعات الاخرى . وكانت معظم طائفة قره قوينلو من غلاة الشيعة لذلك دخلوا في نضال سياسي وديني مع العشائر الكردية التي تتبع مذهب السنة [١٩] . ومع ذلك كانت العلاقات بين القره قوينلو والامارات الكردية في العراق والجزيرة وآذربيجان تسودها روح الموالاة والمسايرة ، وقد تذرع حسن الطويل زعيم آق قوينلو فيما تذرع بهذه الحجة فيما بعد في القضاء على الامارات الكردية وذلك ببذر الشقاق بينها وضرب الواحدة بالاخرى [٢٠] .

خاتمـــة :

بعد انقراض دولة القره قوينلو انقرضت نفس القبيلة ايضا تقريبا ولم يبق منها غير عدد قليل لاتتناسب اوضاعهم مع تلك السطوة . وانما تنحصر في قرى ضئيلة مكانتها ضعيفة في قدرتها ، هادئة وديعة وغالبها ذاب في قبائل التركمان او تفرق في المدن الكثيرة أو تبع مراكز القوة ، وهذه أشهر قراهم الموجودة اليوم :

(قرا قوينلو العليا . قرا قوينلو السفلى . جمالية . رشيدية . قاضيه . يعويذة . ديرج . جنجي . باريسة . فاضلية . اورته خراب . تلارةأتل يارة . عسر قايجي) . وكل هذه القرى تابعة لناحية تلكيف ولا نقطع في انها كانت

(١٨) التفاصيل في العراق بين الاحتلالين ج ٣ .
(١٩) تأريخ الكرد (١ / ١٧٣) .
(٢٠) خلاصة تأريخ الكرد (١ / ١٧٣) .

كلها من قره قوينلو سوى الفرقتين الاولتين وسائرها من التركمان بينهم قره قوينلو عاشوا معا بعامل الألفة (٢١) .

وفيما يلي قائمة بملوك الدولة التركمانية (القره قوينلو) الذين كان لهم حكم في بغداد (٢٢) :

١ ـ الشاه محمد بن قرا يوسف (١٤١١ ـ ١٤٣٢ م) .
٢ ـ اسبهان بن قرا يوسف (١٤٣٢ ـ ١٤٤٤ م) .
٣ ـ جهانشاه بن قرا يوسف (١٤٤٤ ـ ١٤٦٧) .
٤ ـ حسن علي بن جهانشاه (١٤٦٧ ـ ١٤٦٨ م) .
٥ ـ حسين علي بن جهانشاه (١٤٦٨ ـ ١٤٦٩ م) .
٦ ـ الشاه منصور بن زينل (١٤٦٩ ـ ١٤٦٩ م) .

---

(٢١) العراق بين الاحتلالين (٣ / ١٩٧) .
(٢٢) تأريخ التركمان في العراق ص ١٦٦ نقلا عن دليل خارطة بغداد صفحة ٢٨٣ .

الفصل الثاني عشر

دولة الآق قوينلو (البايندرية)

(٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م — ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م)

وسميت بهذا الاسم لان ملوكها كانوا يرسمون خروفا ابيض على اعلامهم . نزحت طائفة الآق قوينلو من تركستان في زمن الملك ارغون التتري كما اسلفنا ، وانتشرت في نواحي ديار بكر والموصل مستفيدة من الصراع الذي جرى بين القره قوينلو وزعيمها قرا يوسف وبين بقايا الامبراطورية التيمورية في ايران . وتنتسب الدولة الجديدة الى (بايندر بن كون بن ارغون) لذلك عرفت بالبايندرية .

وكان بايندر احد زعماء التركمان الذين جاؤا من بلاد تركستان الى ايران لمساعدة الدولة البارانية (الخروف الاسود) . واخذ نفوذهم يقوى الى ان ظهر تيمور لنك فذاع صيت احدهم واسمه (قره عثمان) فنال هذا مكانة مرموقة لدى تيمور لنك لشجاعته حيث انحازت قبيلته الى جانب تيمور في حروبه . ولما مات تيمور طمع قره عثمان في السلطان وأخذ يعمل لذلك حتى تم له ما اراد واسس دولته بعد ان تملك (ديار بكر وبلاد اربل والموصل وماردين) واتخذ مدينة (آمد) عاصمة له [1] .

وظل قره عثمان يعمل طوال حياته على تقوية امر دولته وتوسيع رقعتها الى ان مات في سنة ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م . ولما مات وقع الاختلاف بين اولاده

---

(١) عصر الانحدار ص ٤٥ .

احفاده : فتفرقوا شيعا ، ولكن احدهم وهو جهان كير ابن اخيه علي بت نفسه في الملك . وكان هذا شجاعا ولكن يشبه عمه في الظلم والجور لذلك م القتل والخراب في سائر بلاده (٢) .

ولما مات جهان كير خلفه اخوه السلطان حسن الملقب بالطويل ، كان اوزون حسن بطلا شجاعا ذا خبرة في الحروب وقد اصطدم بجهان شاه لك القره قوينلو وتغلب عليه حيث فر جهان شاه وقتل على يد احد جنود السلطان حسن في سنة ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م .

ولما قتل جهان شاه ذهب جنده شذر مذر ، اما حسن الطويل فانه جمع جموعه وتوجه نحو الموصل ففتحها ثم سار الى تبريز وبعث بجنوده ليفتحوا الحصون والقلاع المحيطة بها ففتحوها . ولما وصل تبريز علم ان السلطان ابا سعيد ميرزا بن محمد ميرانشان ابن تيمور لنك الوريث الاخير للدولة التيمورية ، وصاحب خراسان قد تجهز للمسير الى العراق فجمع سراياه وارسل وفدا الى السلطان ابي سعيد يستعطفه فرد السلطان رسوله ، ولما نشب القتال انتصر جنود السلطان حسن وجمعت من الغنائم والاسلاب ما لا يقدر وكانت هذه المعركة في سنة ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م ، حيث قتل التيموري وتم حسن الطويل الاستيلاء على ايران جميعها . وبعد ان وطد اقدامه ، وزع البلاد بين اولاده ورجع الى العراق .

ولما استولت جيوش السلطان حسن الطويل على بغداد خاف اهلها خوفا عظيما لما قد بلغهم من عسف البايندرية وقتلهم للنساء والاطفال ، ولكن الامير مقصود بك ابن حسن الطويل طمأنهم واعلن للملأ انه نصب نفسه واليا على بغداد (٣) .

---

(٢) تأريخ الموصل (١ / ٢٥٦) .

(٣) عصر الانحدار ص ٤٦ .

وكان ذلك في سنة ٨٧٤ هـ / ١٣٦٩ م ، وقتل (الوند) حاكم بغداد من القره قوينلو . وقد دخل العراقان وبلاد فارس وكرمان في حكم هذه القبيلة وأصبحت تبريز مقر السلطنة (٤) .

العراق في حكم آق قوينلو :

عين حسن الطويل الحكام للعراق العربي والجزيرة والجبال حيث اختفت سلالة القره قوينلو الى الابد (٥) . وقد اودع ميرزا مقصود بن حسن الطويل الموصل (لخليل آغا التواجي) وعين على اربل (حاجي لو) وهما من القره قوينلو .

وفي سنة ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ م مرض السلطان ومات وكان حسن السيرة محبا للعلم وقد بنى في زمانه بعض المساجد والمدارس . ولما اشيع خبر وفاته طمع محسن المشعشع في الاستيلاء على بغداد ولكن السلطان الجديد (خليل بك بن حسن الطويل) وقف في سبيله ورده . ولم يمض فترة طويلة في الحكم اذ تمرد عليه ابن عمه (مراد بك) في العراق فقصده السلطان وبينما هو منشغل في محاربته سار أخوه (يعقوب بك) حاكم ديار بكر ليستولي على تبريز فعاد السلطان خليل عن مراد بك الى حرب اخيه يعقوب بك وقتل في احدى المعارك عند حدود (سلماس) بين آذربيجان وأرمية وتبريز على مسافة ثلاثة ايام ، فملك اخوه يعقوب بك في سنة ٨٨٣ هـ / ١٤٨٧ م . وساس البلاد سياسة لا بأس بها وعم الامن في الديار العراقية وانتشر العدل بين الناس . ولكن حكمه المستقر في العراق هزه ظهور محسن المشعشع من جديد وتهديده بغداد فنظم السلطان يعقوب جنده وطرد المشعشع واخذت

(٤) تأريخ الموصل (١ / ٢٥٧) .
(٥) اربعة قرون ص ٣٠

الامور تستقر له الى ان توفي سنة ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م (٦) •

لقد اضطربت الامور بعد موته ووقعت الفتن من جديد بين امراء التركمان حتى استطاع ابنه الامير (بايسنقر) ان يستولي على زمام الامور وهدأت الفتن قليلا ، ثم عادت الى الاضطراب ثانية وصار الامراء شيعا وأحزابا واختل حبل الامن وثار الامراء عليه ، واضطروه إلى الهرب وسلطنوا الامير رستم بك (وكان ذلك في سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م) ابن عمه •

استقر الحكم للملك (رستم ميرزا ابن مقصود بن حسن الطويل) وكان رجلا خيرا استطاع ان يوطد دعائم المملكة بعد القضاء على خصمه بايسنقر وقتله في سنة ٨٩٨ هـ • ولم يكد يستقر قليلا حتى فوجيء بالسلطان علي بن حيدر الصفوي صاحب بلاد اردبيل يهاجمه وجرت معركة بين الطرفين قتل فيها الامير الصفوي وأولاده الا اسماعيل (الصفوي) فانه استطاع الهرب واللجوء الى بلاد (گيلان) عند اميرها (الميرزا علي) •

استقرت الاحوال من جديد لرستم بك في بلاد العراقين وفارس ولكنه مال اخيرا الى اللهو والفساد وتحكمت النساء في تصريف امور الدولة فضاق الناس به وبحاشيته وكاتبوا الامير (احمد ميرزا بن محمد بن حسن الطويل) الذي كان لاجئا الى السلطان بايزيد العثماني ان يجيء اليهم وينقذهم • فجاء على رأس جيش والتقى الجمعان عند نهر (آراس) وقتل رستم بك في سنة ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م •

وبمقتله سيطر الامير احمد على السلطة في الدولة وشرع في تطبيق الاساليب العثمانية في تنظيم مؤسسات الدولة ولكن امراءه المطبوعين على الظلم لم يرق لهم ذلك وكاتبوا (مراد بك بن شاه يعقوب) وتآمروا معه على قتل السلطان احمد ميرزا فتم لهم ما ارادوا في سنة ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م

(٦) عصر الانحدار ص ٤٧ •

ولم يدم حكمه الا نحوا من سنة (٧) .

وكان السلطان أحمد محبا للعلم والنظام . وبعد مقتله لم يجد الامراء من نسل السلطان حسن مؤسس الدولة سوى ثلاثة اطفال هم : مراد بك بن يعقوب . والوند بن يوسف ، وأخوه محمد . فانقسم الامراء كل يريد تنصيب واحد . وكان مراد في شروان ، والوند في آذربيجان وأخوه محمد في (يزد) . وأخيرا تغلب الامراء المؤيدين لمحمد فسلطنوه وكان ذلك في سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م . ولكن لم يمض عليه عهد طويل حتى عادت الفتن بين أنصار الوند ومراد ، واضطربت الامور وقتل محمد في سنة ٩٠٥ هـ ، وانقسم الامراء قسمين قسم مع الوند وقسم مع مراد وانتهوا بعدئذ الى تقسيم البلاد بينهما فاستقل أنصار الوند بآذربيجان واستقل انصار مراد بالعراق وفارس . واخذ بعد ذلك نجم الدولة يخبو حتى كانت سنة ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م وتغلب الشيخ اسماعيل الصفوي عليهم جميعا (٨) .

والجدير بالذكر ان اسماعيل الصفوي ويار علي هما من أولاد الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد والاخوان من امرأة الشيخ حيدر التركمانية (عالمشاه) ابنة حسن الطويل . وكان جد العائلة الشيخ جنيد قد احتمى بأوزون حسن — هربا من القرد قوينلو — في ديار بكر وتزوج بأخته (٩) . ويذكر بهذه المناسبة ان اوزون حسن مؤسس دولة آق قوينلو وعشيرته كانوا على مذهب السنة بخلاف القره قوينلو التي تمذهبت بمذهب الشيعة (١٠) .

ويقول الاستاذ العزاوي : « في انحاء الموصل تركمان عديدون ولكن

---

(٧) انظر : تأريخ القرماني ص ٣٣٨ .
(٨) تأريخ الموصل (١ / ٢٥٩) .
(٩) نفس المصدر (١ / ٢٦٠) .
(١٠) تأريخ الشعوب الاسلامية ص ٤٣٧ .

لا يفرق بينهم ولا يعرف لهم كيان خاص فهم الآن يعيشون اشتاتا متفرقين او كتل ضعيفة » [١١] .

ويظهر ان التركمان القره قوينلو والآق قوينلو قد اختلطوا بسكان المناطق في الشمال الشرقي من العراق وفي شمال العراق . وقد كان هؤلاء من التركمان الرحالة وقد سنحت لهم الفرص للاستيلاء على العراق وآذربيجان والجزيرة ، والمدة التي امضوها في الحكم كانت كافية في امتزاجهم بالشعب وبجماعات من التركمان الذين سبقوهم الى اتخاذ العراق والجزيرة وطنا لهم [١٢] .

---

(١١) تأريخ العراق بين الاحتلالين (٣ / ٣١٨) .
(١٢) تأريخ التركمان ص ١١٥ نقلا عن مصطفى جواد في مجلة الدليل النجفية العدد ٥ لسنة ١٩٤٧ م .

الفصل الثالث عشر

العهد الصفوي (١٥٠٨ ـ ١٥٣٤ م)

ان جد السلاطين الصفويين (ابو اسحق الشيخ صفي الدين الاردبيلي ابن جبرائيل العلوي الحسيني) وقيـل انه ينتسب الى علي بن ابي طالب بموسى الكاظم .

اشتهر صفي الدين واحفاده بالزهد والتصوف ولذلك سميت دولتهم بالصفوية (الصوفية) . كان صفي الدين درويشا يسكن مدينة اردبيـل على ساحل بحر قزوين وقد ذاع تقواه وزهده حتى ان تيمور لنك نفسه لما اقبل على اردبيل زار الشيخ مستمدا دعاءه ، وبعد وفاته احرز ابنه (الشيخ جنيد) شهرة واسعة فكثر اتباعه حتى خافه السلطان (ميرزا جهانشاه) ثالث سلاطين القره قوينلو فأبعده الى آذربيجان . ثم سار الشيخ جنيد واعوانه الى ديار بكر محتميا ولاجئا عند (اوزون حسن) زعيم آق قويندو فأكرمه هذا وزوجه باخته فأزداد الشيخ حرمة . ولما استولى حسن الطـويل على آذربيجان رحل الشيخ جنيد بأصحابه الى اردبيل حيث جند الآلاف وهاجم كرجستان في جنوب القوقاز ، ثم سار الى محاربة السـلطان خليل من السلاطين الدربندية في شروان من بتليس فقتل هناك في احدى المعارك سنة ٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م [١] .

وخلفه ابنه الشيخ حيدر الذي اعاد الكرة في الهجوم على شروان فقتل هو وأولاده ولم يسلم منهم الا (يار علي) واخوه اسماعيل من امرأتـه

---

(١) تأريخ الموصل (١ / ٢٦٠) .

(عالمشاه) ابنة خاله (اوزون حسن) وهذا هو اسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية .

هرب اسماعيل بأخيه الى جهات لاهيجان ، فلما بلغ ذلك (يعقوب بك) صاحب (تبريز) من آق قوينلو قبض عليهما مدة حياته ، ولما استولى (رستم ميرزا) على الحكم عفا عنهما وبعد وفاته تولى الحكم مكانه (احمد بن محمد بن حسن الطويل) في سنة ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م ، فخاف (يار علي) و (اسماعيل) صولته وشدة بأسه وهربا الى گيلان لاجئين الى صاحبها الشريف حسن خان . فلما قتل احمد بك وتولى مكانه في الحكم (الوند ميرزا) خرج اسماعيل الى هيجان وجمع حوله مؤيديه . وفي سنة ٩٠٥هـ / ١٤٩٩ م [٢] ، التقى (بالوند) في بلاد (النخجوان) وتغلب عليه ، ثم نزل الفاتح على تبريز مركز العرش ، وفر المدحور الى ارزنجان فبغداد ثم الى ديار بكر حتى ازاله الموت عن طريق الشاه [٣] . وبذلك استولى الشاه على آذربيجان . وما مرت سنة واحدة حتى كانت ايران الغربية باجمعها الى الخليج للصفويين . وفي خلال سنتين آخريين انتشرت سطوته عظيم انتشار في آسيا الصغرى . واخذ مراد ، امبراطور الآق قوينلو المذعور الذي ما برح ممسكا العراق بيده ، يتشبث بطلب المعونة من جميع الجهات . وفي سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٧ م اندحر وحلفاؤه ، ففر والتجأ لبلاط السلطان التركي .

وغدا العراق تحت سلطة قريبه السلطان يعقوب شبه الاسمية [٤] . وكان (باريك) حاكما في بغداد فلما سمع بزحف الشاه اسماعيل عليه بعث اليه يسترضيه بالهدايا وعرض عليه الخضوع في الظاهر واخذ يستعد للقائه فمنن

(٢) في رواية اخرى سنة ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م .
(٣) اربعة قرون ص ٣١ .
(٤) نفس المصدر ص ٣١ .

قلاعه وحصن عاصمته ، وجمع الذخائر وفرض على الاهليين ضرائب باهضة وحصر الاقوات كلها تحت تصرفه ليقوى على تحمل الحصار ، والقى القبض على الموالين للشاه اسماعيل في بغداد .

وبينما هو كذلك اذ بلغه ان الشاه اسماعيل قد بعث في مقدمة جيشه فرقة على رأسها (حسين بك لاله) وكان مشهورا ببطشه ، فلما سمع (باريك بك) اضطرب اشد الاضطراب وخاف مغبة الامر فجمع ذخائره ونفائسه وأهله وفر الى بلاد الشام ودخل حلب لاجئا الى صاحبها . اما اهل بغداد فانهم لما عرفوا بهروبه اطلقوا الموالين للشاه الذي حبسهم (باريك بيك) وسلموا الى كبيرهم مقاليد امورهم . ولما وصلت طلائع الجيش الصفوي الايراني خرج هؤلاء لاستقبال الشاه [٥] .

وهكذا دانت لاسماعيل الصفوي بلاد العجم والعراقين وكردستان [٦] ، وقد زار الشاه مراقد آل البيت وعين (حازم بك) اميرا على بغداد بعد ان لقبه بلقب خليفة الخلفاء ، ثم رجع الى الجنوب فحارب اتباع المشعشع وفرق جنده واستولى على خوزستان والحويزة وعمل على محو مذهبه ونشر مذهب الجعفرية الصفوية [٧] .

موقف العثمانيين من الاحداث الاخيرة :

لقد احس الاتراك بخطر اسماعيل الصفوي واعتبروا ظهوره منافسة قوية تحول دون امتداد سلطانهم الى العراق ، وهم الذين كانوا يترقبون انحلال آق قوينلو ويعملون على تفكيك اوصالها والسيطرة على العراق .

(٥) عصر الانحدار ص ٥١ .
(٦) تأريخ الموصل (١ / ٢٦١) . والعراق بين الاحتلالين الجزء الرابع .
(٧) يسميهم الاتراك (القزلباشية) أي اصحاب الطراطير الحمر لانهم كانوا يضعون على رؤوسهم طراطير حمرا طويلة ذات اثني عشر ضلعا .

وكان خلع السلطان بايزيد الثاني عن العرش العثماني قد وضع حدا لجيل من الهدوء النسبي في الممتلكات العثمانية . فقد خلفه على العرش في سنة ١٥١٢م ابنه سليم ، الذي جمع بين الثقافة والشراسة والبسالة . وكانت هنالك من الاسباب التي تجعل التصادم بين الدولتين العثمانية والصفوية امرا لابد منه . فان تقدم الصفويين نحـو الغرب من ايران لم يعد من الممكن تجاهله ، ولم يكن لدولة الآق قوينلو الحاجزة اي وجود . وباتت الدويلات الكرديـة الجبلية ذات القلاع والقبائل التركية في جبال طوروس الصغرى ، والاقليات المسيحية في ارمينيا كلها من املاك الشاه بحسب ادعاء الايرانيين فأعلن ساسة استانبول ان ايران قد خرقت الحدود العثمانيـة بغسها العراق وكردستان وارمينيا [٨] .

وقد تبودلت الرسائل الخشنة بين السلاطين العثماني والصفوي فلم يثمر ذلك شيئا . وكان العثمانيون قد بثوا عيونهم في العراق ليطعنوا في عقيدة الصفويين ويرمونهم بالضلال [٩] . وكان لابد من القاء التبعة لاعلان الحرب على الترك . وبعد استعدادات بدأ سليم بحملته .

وقد ادت الحرب العنيفة التي وقعت في چالديران [١٠] بالقرب من ارمينية الى انتصار سليم وهروب الشاه مجروحا من ساحة القتال ، فدخل الاتراك تبريز . وقد اثرت هذه الحملة التركية في حال الاكراد تأثيرا بينا ، فلقد خفت (بتليس واردلان والعمادية وجزيرة ابن عمر) والتوابع الصغيرة لكل منها للتعاقد مع الفاتح . ومع امتلاك الاتراك لكردستان الوسطى وشمال العراق فان الحكم الايراني في هذه الجهات قد انتهى امره . فنصب الحكام الاتراك

(٨) اربعة قرون ص ٣٣ .
(٩) عصر الانحدار ص ٥٢ .
(١٠) جالديران : وادي بين بحيرة ارمية وتبريز .

في ديار بكر وماردين والموصل ووضعت حامية قوية في وان [11] .

وفي نفس هذه السنة (٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م) اعترف السلطان سليم بالعائلات الحاكمة آنذاك في كردستان ، واشهرها البهدينانية في العمادية التي بدأ حكمها منذ سنة ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م . وابقاها السلطان على امارتها[12]، والامارة السورانية في هوديان ثم في حرير واخيرا في راوندوز .

ويذكر ان سيدي بك بن شاه علي بك امير السوران استرد بلاد كركوك واربيل باسم السلطان سليم الاول من الصفويين بعد واقعة جالديران [13] . وقد لاحظ السلطان سليم ان الاكراد كرهوا الحكم الصفوي بسبب الخلاف المذهبي ، وبسبب ان الشاه فرض عليهم حكاما ايرانيين ، لذلك امر السلطان بعودة الحكام الاكراد الى اماراتهم في اطار التبعية للسلطان العثماني [14].

والحقيقة إن انتقال الحكم الحقيقي العثماني الى الجهات التي دخلت في حوزة العثمانيين بعد معركة جالديران كان مفقودا .لان الامارات الكردية قدمت الولاء الاسمي فقط الى الفاتح الجديد [15] .

ثورة (ذي الفقار) :

كان التقدم العثماني في الدولة الصفوية له صدى قويا في بغداد حيث سيطر (ذو الفقار) الكردي وهو في اسرة لورية على الحكم حيث حصل على مشاعدة قبائل كلهور [16] . فقد حدث ان سار الخان من بغداد

---

(١١) اربعة قرون ص ٣٣ — ٣٤ .
(١٢) تأريخ العراق الحديث ص ٩٩ .
(١٣) تأريخ الكرد ص ١٧٦ .
(١٤) داود باشا والي العراق ص ١١٨ .
(١٥) انظر اربعة قرون ص ٣٢ — ٣٤ .
(١٦) نفس المصدر ص ٣٤ .

قاصدا جبال الحدود ليلتحق بالشاه . وفي اول مسر هناك هاجمه ذو الفقار ليلا فذبحه ، ثم سار مسرعا الى بغداد فدخلها وحاصر القلعة حتى سقطت في يده القوية ثم اضطلع بسلطات الحكم كلها . واصبح ذو الفقار سيد العراق الاوسط غير المنازع . واعلن ذو الفقار ولاءه للسلطان العثماني ووصلت الى استانبول رسائله مسترحمة السلطان في قبوله كتابع جديد وحمايتـه . ولكن حكمه كان قصيرا اذ ان الشاه طهماسب ازعجه خبر انسلاخ العراق كثيرا فسار في سنة ٩٣٦ هـ / ١٥٣٠ م . لاستعادة بغداد ، فلم تجد هجماته العديدة شيئا ، فقـد كان ذو الفقار جلدا في الدفاع كمـا كان مقداما في الاستيلاء .

ولكن الخيانة نجحت في مقام خاب فيه سلاح الصفويين . فقد اغرى الشاه اخوى المغتصب به وحقق امكان اغتياله ، فمات ذو الفقار وهو يدافع اعداءه عن نفسه بكل جرأة في بيته الخاص . وبذلك انتهى امد حكمـه القصير وانتهت معه تابعية استانبول .

وقد عين الشاه محمد خان واليا على بغداد وهو من ولاية (تكه) في الاناضول . وعين ايضا الضباط المخلصين له لحاكميات كركوك والحلة ومندلي والجزائر والرماحية ورجع هو الى قزوين . غير ان السلطان العثماني سليمان لم ينس عرائض المدينة الذائعة الصيت — بغداد — لبلوغ حمايته . وبذا كان السلطان القانوني وسيد عصره قد بدأ بمسيره اليها [١٧] .

(١٧) نفس المصدر ص ٣٥ .

الامارة السورانية او امارة راوندوز

تأريخ الامارة منذ نشأتها حتى الفتح العثماني للعراق :

تقع بلدة راوندوز في موقع حصين تشبه لحد ما بلدة العمادية ، اذ هي محاطة بوديان تلتف حولها ، فهي بذلك قلعة منيعة . ومن المحتمل انها كانت مستوطنة في العهود القديمة ثم وقعت ضمن الامبراطورية الآشورية . وفي فترات الضعف التي انتابت الاشوريين كانت المملكة الارمينية تضم منطقة راوندوز اليها وكانت هذه المنطقة تسمى (مصاصر) والتي ورد ذكرها في كتابات طوبزاوة وكيله شين .

كان اقليم مصاصر يقع في الزاوية الشمالية الشرقية من البلاد الاشورية أي الى الغرب من ممر كيلة شين ، وكان يضم عدة مدن عدا العاصمة التي كانت تعرف باسم مصاصر ايضا . ان اقليم مصاصر كان يمتد الى راوندوز التي يتألف اسمها من لفظين : « روان » وهو اسم عشيرة كردية . و«دز » التي تعني القلعة في اللغة الكردية القديمة . وقد ذكرت راوندوز في المصادر السريانية بانها من امنع القلاع في تلك الجهات ، ويحتمل انها هي القلعة التي ذكرها ابن الاثير في تاريخه الكامل في حوادث سنة ٦٢٧ هـ باسم : « روبندوز » (١٨) .

ولعل كلمة راوندوز مأخوذة من « روين دز » التي تعني في الفارسية القلعة الفولاذية (١٩) .

ان نسب حكام (سهران — سوران) يرتقي الى رجل يدعى (كلوس —

---

(١٨) انظر : المرشد الرحلة الخامسة ص ٢٣ — ٢٤ .

(١٩) امراء سوران ص ٢٨ .

الاثرم) [٢٠] من سلالة احد عظماء العرب في بغداد [٢١] ، كما يقول صاحب شرفنامة ، ولكن الحقيقة ان حكام سوران ينتسبون الى قبائل المكري شأنهم في ذلك شأن قبيلة بشدر التي تنتسب بدورها الى نفس القبائل[٢٢].

وكانت جمهرة قبائل المكري تقطن في شمال الممتلكات الاردلانية (في ايران) وفي شرق راوندوز ، وكانت تقرن باسم المكري مملكة كردية قديمة وربما كانت في ايام السلاجقة — ومقرها في (سوج بولاق) او صاو جبلاق. وان اسرة البيگات السورانيين القديمة النبيلة في كردستان الجنوبية كانت أشد صلة بقبيلة بشدر وانها وهذه القبيلة كما ذكرنا تنتسبان الى المكري في الاصل [٢٣] . ان كلوس ينتسب الى نفس الاسرة السورانية وليس من سلالة احد عظماء بغداد . ويؤيد لونكريك هذا ويقول : « ارسل سرخاب ابنه حاكما لراوندوز فأسس فيها سلالة ثبتت مدة قرون ثلاثة » [٢٤] .

ويقول حسين حزني المكرياني في كتابه (تأريخ سوران) المنشور في مجلة (زاركرمانجي) الكردية للسنة الاولى : « ان بلاد سوران لم تزل في فوضى واضطراب يتقلد حكمها امراء مگريان تارة وامراء بابان تارة اخرى حتى نهض بها الامير عيسى كلوس الذي نزح الى هذه المنطقة من شهرزور ، وكان من اسرة آمرة غادر وطنها من جراء ما حل به ... » .

استقر كلوس في قرية (هوديان) [٢٥] التابعـة لمنطقة (آوان) من

(٢٠) ان كلوس ليس اسما وانما هو لقب اطلق على احد الامراء الاكراد لسقوط اسنانه الامامية اي (ثناياه او رباعيته) .

(٢١) انظر : شرفنامة ص ٢٧٣ .

(٢٢) اربعة قرون ص ١٩ .

(٢٣) اربعة قرون ص ١٩ و ١٠٥ .

(٢٤) اربعة قرون . حاشية ص ٦٣ .

(٢٥) قرية عامرة الى الآن تقع في شمالي غربي راوندوز على بعد عشرة

اعمال ولاية (سهران — سوران) . فاشتغل في اوائل عهده برعي الغنم لبعض سكان القرية ، وقد ترك كلوس بعد وفاته ثلاثة ابناء هم : (عيسى وابراهيم وشيخ أويس) .

عيسى :

اشتهر هذا من بين اخوانه بالذكاء والشجاعة ، واتفق ان داهم حاكم المنطقة عدو خطير فنهض اليه عيسى وانضم اليه مجموعة من شباب المنطقة واتخذوه أميرا عليهم واتجهوا به الى (بالكان) ، وقد توسم اهلها في عيسى الشجاعة والكفاءة والشهامة فجمعوا رأيهم على اتخاذه زعيما لهم . ولم يمض وقت طويل حتى احتشد خلق كثير حول رايته فسار بهم الى غزو (آوان — راوندوز) . وتقول شرفنامة : لما كانت اطراف القلعة مكونة من صخور حمراء وشنوا من موقعها الحرب على اهلها حتى دوخوهم فبعثت هذه الحادثة على تسميتهم بلقب (سنگ سورخي) اي اهل الصخرة الحمراء ، لذلك عرفوا (بالسهران — سوران) ومعناه الحمرائيون . ولكن يبدو ان كلمة (سنگ سورخي) لم تنشأ من تلك الحادثة لان كلمة البلاد السهرية المأخوذة من (سوران) واردة في كتاب صبح الاعشى المنقول عن مسالك الابصار وهو مؤلف قبل عهد تأليف شرفنامة بقرنين تقريبا . وان (سنگ سورخي) : كلمة كردية اصلها (سنك سور)
وهي تعني (حمر الصدور) نسبة الى الاردية الحمر التي يلبسها الاكراد وهم مولعون بها [٢٦] .

وقد سقطت القلعة المذكورة (راوندوز) في يد هؤلاء ، ثم أخذ عيسى كم تقريبا منها على سفح جبل (بالكيان) .

(٢٦) شرفنامة حاشية ص ٢٧٤ للاستاذ الروزبياني .

يوسع امارته فتمكن من اخضاع ولاية (سوران) بكاملها لتصرفه [٢٧] . واتخذ (حرير) عاصمة له [٢٨] .

شاه علي بك : خلف اباه في الحكم وبعد وفاته ترك اربعة اولاد هم . (عيسى والامير بوداق والامير حسين والامير سيدي) [٢٩] . وقسم في حياته امارته بين ابنائه لكي لا يتنازعوا بعده فناط (حريرا) [٣٠] وكانت حاضرة ملكه بابنه الاكبر عيسى . ويقال انه منح الثاني من اولاده (بالكيـان) والثالث منهم (آوان ــ راوندوز) أما الرابع وهو الامير سيدي فبعثه الى شقلاوة [٣١] .

الامير عيسى بن شاه علي بك :

وقد حكم بعد والده في حرير ثم تعرض لهجمات (بيربوداق) حـاكم بابان وقتل في المعركة [٣٢] .

بير بوداق بن شاه علي بك :

اضطلع باعباء الحكم بعد وفاة والده ، ثم اخذ يوسع مملكتـه فنزع ناحية سوماقلق [٣٣] من عشيرة نيلخاص القزلباشية (الصفوية) فأجلاهـا

(٢٧) شرفنامة ص ٢٧٥ .
(٢٨) امراء سوران ص ٦ .
(٢٩) الامير سيدي علي كما يقول المكرياني .
(٣٠) هي ناحية حرير الحالية التابعة لقضاء شقلاوة .
(٣١) شرفنامة ص ٢٧٥ للاستاذ الروزبياني .
(٣٢) امراء سوران ص ٧ .
(٣٣) اوسوماقلو (محمد علي عوني) . اوصـوماقلق (امين زكي) اوسوما (المكرياني) . ولعلها قرية (سيماقولي) الحالية الواقعة في قضاء كويسنجق على مسافة كيلو مترين من (گروز) بالقرب من واديها السحيق .

بير بوداق وطاردها حتى (ارمية) • ثم توفي بير بوداق مخلفا ولدين هـ
الامير سيف الدين والامير حسين •

الامير سيف الدين بن بيربوداق :

قام مقام ابيه في الحكم ، الا انه لم يحكم طويلا فتوفي ، وقد استغل
عشيرة نيلخاص الصفوية فرصة وفاته فاحتلت سوما قلق مرة اخرى •

الامير حسين بن بيربوداق :

جلس على العرش مكان اخيه ولكن حكمه لم يدم طويلا حيث حكـ
زهاء ثلاث سنوات ، وكان يحب اهل العلم والادب • وترك بعد وفاته سبع
اولاد وتولى مكانه في الحكم اكبرهم (٣٤) وهو الامير سيف الدين (٣٥) •

الامير سيف الدين بن الامير حسين :

تقلد زمام الحكم بعد وفاة والده وعنى بتوسيع امارته فاسترد سنجق
سوما قلق من نيلخاص وفتك برؤسائها الفتك الذريع (٣٦) • وقد لعب الامير
سيف الدين هذا دورا خطيرا في تأريخ الامارة بعد الفتح العثماني للعراق في
زمن السلطان سليمان القانوني وسوف نذكر ذلك في الفصل التالي •

الامير سيدي بن شاه علي بك :

كان اصغر ابناء ابيه وقد عرف بالكرم والشجاعة وكان يحكم في

شرفنامة حاشية ص ٢٧٦ للروزبياني •
(٣٤) يقول حزني : انه كان ثاني اولاده في العمر •
(٣٥) شرفنامة ص ٢٧٦ •
(٣٦) شرفنامة حاشية ص ٢٧٦ •

(شقلاباذ) [٣٧] وبعد وفاة ابيه • وقد اعتزم الثأر لاخيه الامير عيسى من بيربوداق (مير بوداق) [٣٨] البابانى الذي بدأ يحشد الجيوش لغزو بلاد (سوران) • ويبدو أن الامير سيدي فشل في حربه مع الامير البابانى الذي احتل عاصمة ملكه واجبر الامير سيدي على الالتجاء الى الجبال والاحتماء بها • واغتر البابانى بهذا الوضع فخرج بعد فترة للصيد مع حاشيته وسار نحو (خروبيان) ففاجأهم الامير سيدي فقتلهم جميعا [٣٩] •

وقد صادف ان هاجم في هذه الفترة السلطان سليم العثماني الاراضي الصفوية وانتصر على اسماعيل الصفوي في معركة جالديران (١٥١٤ م) قرب تبريز • فاستغلت البلاد الكردية هذه الفرصة فثارت من اقصاها الى اقصاها ضد الصفويين • وبدأ الامراء الاكراد يهاجمون الولاة الصفويين في مناطقهم ويرفعون العلم العثماني على اماراتهم • اما الامير سيدي فقد احتل سناجق اربل والموصل وكركوك [٤٠] من عمال الدولة الصفوية عنوة • ويذكر ان الامير سيدي عندما حاصر قلعة اربل امتنع امراء القزلباش عن تسليم القلعة له فحاصرهم ستة اشهر بنى خلالها في سفح القلعة جامعا فخما وجمع كثيرا من العشائر فأمرهم ان يبنوا حول القلعة دورا حتى جعلها بليدة • كما انه عندما احتل كركوك والموصل عامل الناس فيهما معاملة حسنة وقد اعلن استقلاله سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٦ م واعترفت به الدولة الصفوية بشرط ان لا يتعاون عليها ودام حكمه حتى سنة ٩٣٢ هـ / ١٥٢٥ م [٤١] •

(٣٧) هي بلدة شقلاوة الحالية التي شيدت على سفح جبل سفين •
(٣٨) شرفنامة ص ٢٧٧ •
(٣٩) شرفنامة حاشية ص ٢٧٧ • وتأريخ السليمانية ص ٤٥ •
(٤٠) تأريخ الكرد ص ١٧٦ • وشرفنامة ص ٢٧٧ •
(٤١) شرفنامة حاشية ص ٢٧٧ للروزبياني نقلا عن حزني •

وبعد وفاته ترك ثلاثة ابناء هم : (الامير سيف الدين والامير عز الدين شير وسليمان) .

وقد مات الامير سيف الدين في ريعان شبابه حيث سقط من جواده فتوفي . ويظهر انه حكم فترة لا تزيد على ثلاثة اشهر قبل الحادث المذكور(٤٢). وسوف نأتي على ذكر باقي امراء سوران في الفصول القادمة .

(٤٢) امراء سوران ص ٨ . شرفنامة ص ٢٧٧ .

الفصل الرابع عشر

الفتح العثماني للعراق في سنة ١٥٣٤ م

ـ الدور العثماني الاول ـ

العثمانيون :

تذهب احدى الروايات ان العثمانيين ينتسبون الى عشيرة (قابي) احدى القبائل الغز التركية ، اضطرت ان تتراجع في وجه المغول الذين اجتاحوا اراضي خراسان وتلتمس الحماية من خوارزشاه جلال الدين منكبرتي الذي هداها الى المراعي القائمة في شمال غربي ارمينيا ، حتى اذا صرع حاميهم عزم زعيمهم (سليمان) على العودة بهم الى نجاد آسيا الوسطى بعيدا عن فوضى النزاع القائم بين الدويلات على ارض الحضارة القديمة . ولكن (سليمان) لم يلبث ان قتل فيما هو يضرب في البلاد عند مخاضة على الفرات قرب مشارف حلب ، فانقلب ابنه الثالث ، ارطغرل بالقسم الاصغر من القبيلة على الاقل وهو يضم نحوا من مائة اسرة الى آسيا الصغرى ، ليلتحق واياهم بخدمة (علاء الدين الثاني) السلجوقي ، سلطان (قونية) . فأقطعه علاء الدين المستنقعات الواقعة على الحدود قبالة البزنطيين ، عند (سكود) في وادي قرهصو (الفرات الغربي) وجبلي (طومانيج وارمني طاغ) . وترك اليه توسيع ممتلكاته على حساب جيرانه النصاري [١] .

(١) تأريخ الشعوب الاسلامية ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ .

وتزعم الرواية ان ابنه (عثمان) المولود سنة ١٢٥٨ م قد نقل مقره منذ سنة ١٢٨٨ من (سكود) الى (ملا نجنون) التي تقع ابعد الى الجنوب التي فتحها وجعل اسمها (قره حصار) .

والعثمانيون لم يبدأوا بكتابة تأريخهم الا بعد سقوط القسطنطينية في بعد القرن الخامس عشر ، لذلك ليس امامنا سوى مجموعة من الاساطير التي تنقل الينا عن بدء العثمانيين في شبه جزيرة آسيا الصغرى [٢] . ومن ناحية ثانية فأن المؤرخين الاوربيين ولا سيما البيزنطيين لم يكن في اذهانهم في اوائل القرن السابع عشر تفرقة واضحة بين العثمانين وغيرهم من الاتراك الذين كانوا يهاجمون الدولة البزنطية ، في اوائل هذا القرن . وأول سلطان للعثمانيين هو (عثمان) الذي وسع من حدود أرض قبيلته في آسيا الصغرى واليه ينسبون . ففي سنة ١٣٠٠ م تمكن من ان يخضع لنفوذه المنطقة التي يطلق عليهـا (فريجيا) و (بيتينيا وهي المربع من الارض تقع في الطريق بين (بروسة) و (نيقية) [٣] .

وفي عهد (أورخان) خليفـة عثمان سقطت مدن بزنطية هامة في يـد العثمانيين . ويقول مؤرخ فرنسي عن الامارة العثمانية في النصف الاول من القرن الرابع عشر : « ان العثمانيين بسطوا نفوذهم في آسيا الصغرى وابتلعوا الدول التي كان استقلالها حتى ذلك الوقت يقف حائلا دون الوحدة السياسة للأمبراطورية الاسلامية » [٤] .

---

(٢) الدولة العثمانية والشرق العربي ص ١٢ .

(٣) الدولة العثمانية والشرق العربي ص ١٥ .

(٤) نفس المصدر ص ١٥ . ولو ان العثمانيين استقروا لاجيال طويلة على حدود فارس المسلمة فانهم دخلوا شبه جزيرة آسيا الصغرى وهم في حالة الوثنية ي وهناك اسطورة تروى (حول اعتناق عثمان الدين الاسلامي)

وبوفاة (بايزيد) ينتهي القرن الرابع عشر في تأريخ الدولة العثمانية وهي فترة على جانب كبير من الاهمية شاهدت بدء تكوين العثمانيين كأمة ودولة فلا شك ان مراد وبايزيد جعلا من الدولة نواة امبراطورية مترامية الاطراف (٥) .

وبعد وفاة مراد الثاني تولى العرش (محمد الفاتح) وهو الذي فتح القسطنطينية المدينة الشرقية للاسلام بعد ان استعصت على المسلمين قرونا عديدة منذ عهد الامويين ؛ وحكم محمد هذا ثلاثين سنة (١٤٥١ — ١٤٨١ م) واهم ما يميز حكمه انه (دفع بالدولة دفعة قوية نحو التوسع الخارجي) حتى اصبحت اعظم دولة في شرقي البحر المتوسط .

وفي النصف الاول من القرن السادس عشر تولى عرش الدولة العثمانية سليم الاول الذي تحدثنا عن حروبه مع اسماعيل الصفوي سنة ١٥١٤ م . ثم جاء سليمان وهو من اعظم سلاطين آل عثمان وفي عهده اصبح العراق جزءا من الدولة العثمانية حتى الحرب العالمية الاولى . وقد وصلت الدولة في زمنه الى أوج عظمتها في الامتداد والتوسع . فأصبحت البلاد العثمانية تمتد الى حدود ألمانيا في اوربا والى البحر الاحمر العربي في آسيا ؛ وضمت هذه الامبراطورية المترامية الاطراف اقطارا عديدة تقطنها شعوب مختلفة تتكلم لغات عديدة .

ولا شك ان وجودهم في وسط اسلامي (سلاجقة الروم) كان اكبر عامل في اعتناقهم لهذا الدين .

انظر نفس المصدر ص ١٦ و ٢٢ .

(٥) نفس المصدر ص ٥٠ .

الفتح العثماني للعراق :

ذعر البلاط الايراني في شتاء (١٥٢٥ م) عند سماعه بالاستعدادات الحربية في استانبول ، حيث كانت رسائل السلطان الى الشاه [٦] بمناسبة تولي الاخير الحكم تتضمن شيئا من التهديد والوعيد • فاتصل الصفويون بملك المجر لتوحيد خططهما ضد العدو المشترك الامر الذي حول السلاح التركي الى المجر بدل العراق الذي بقي صفويا في حكمه — عدا دور ذي الفقار — مدة تسع سنين اخرى [٧] •

وفي اوائل خريف ١٥٣٣ م سار ابراهيم باشا الصدر الاعظم الى (بتليس) فعين عليها (ابن اولاماه) حاكما بعد وفاة (شريف بك) الذي توفي قبل مجيئه ، ثم رجع الوزير الى حلب ومن هناك تحرك في نيسان عام ١٥٣٤ م فعبر الفرات ووصل الى ديار بكر حيث مكث فيها عدة اسابيع ثم تحرك في اوائل تموز وسار السلطان نفسه في ذلك اليوم •

دخل ابراهيم باشا تبريز دون صعوبة وثبت الحكم العثماني على آذربيجان ، وفي اواخر ايلول التحقت قواته بقوات السلطان حيث مكثا في تبريز مدة قصيرة ، وكان الهدف التالي : بغداد التي كان يحكمها (محمدخان التكلي) الذي اراد الدفاع عنها ولكنه تخاذل لما سمع بانسحاب الشاه واقتراب السلطان وصمم على الفرار ، ولكن انصاره رفضوا ذلك وتمردوا عليه ، وبعد مساومات ومشاورات اتفقوا على الترحيب بالاتراك • فغادر الرؤساء المدينة حاملين المفاتيح هدية للسلطان • اما محمد خان نفسه فقد

(٦) هو الشاه طهماسب بن اسماعيل الصفوي •

(٧) اربعة قرون ص ٣٥ •

دبر لنفسه حيلة هرب بها الى ايران •

وقد وصلت اخبار هروبه الى السلطان فأرسل الاخير الصدر الاعظم قبله فدخل بغداد دون مقاومة واغلق الابواب منعا للنهب، ثم دخل السلطان بغداد بسهولة • وبذلك دخلت بغداد في عصر جديد • وزار السلطان المراقد المقدسة وامر بتعميرها في بغداد والنجف وكربلاء ، ثم زار قبر الامام علي في النجف وبعد ذلك رجع الى بغداد (٨) •

وقد قدم رؤساء القبائل وحكام المناطق المختلفة في انحاء العراق الطاعة والخضوع للسلطان • وقد خضعت البصرة له كذلك حيث ارسل حاكمها ابنه لتقديم الطاعة اليه ، واصبحت البصرة ولاية عين عليها (راشد) ابن الشيخ العربي الذي كان يحكم البصرة • وقد قدمت الى بغداد وفود مشابهة اخرى من جنوب العراق ومن جبال (اللر) ومن اهوار الحويزة ومن القطيف والبحرين •

امارة سوران والدولة العثمانية :

ذكرنا سابقا ان الامير سيدي توفي في سنة ٩٣٢ هـ / ١٥٢٥ م مخلفا ثلاثة بنين وهم : الامير سيف الدين الذي توفي بعد فترة قصيرة من الحكم والامير عز الدين شير وسليمان • وكان الامير عز الدين شير يتقلد زمام الامارة في سنجق اربل • وفي سنة ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م تمكن السلطان العثماني سليمان القانوني من الموصل الى منطقة السوران من تبريز (٩) ، ثم فتح بغداد وبعد ان نظم ادارتها غادرها في ٢٨ رمضان سنة ٩٤١ هـ ، فسار

(٨) نفس المصدر ص ٣٥ •
(٩) شرفنامة ص ٢٧٧ • وامراء سوران ص ٨ •

في طريقه نحو اربل فوصل الى مكان يدعى (كوك تپه) قرب آلتون كوپري من جهة كركوك وهنا سمع بأن امير سوران (عز الدين شير) وردت اليه رسالة من الشاه طهماسب الصفوي ذلك ما دعاه الى ان يشتبه السلطان منه فأمر بضرب عنقه في الديوان العالي (١٠) •

ويبدو ان السلطان سليمان القانوني خشي من تفوق نفوذ الاسرة السورانية فضربها بعد ذلك باليزيديين (١١) • وفتح منطقة اربل بكاملها الى حسين بك الداسني احد الامراء اليزيديين ثم ضم اراضي سوران إلى منطقة اربل (١٢) • ان تعيين هذا اليزيدي على هذه البلاد لم يقابل بالرضا من من قبل السكان لكونه دخيلا عليهم من جهة ولنحلته اليزيدية منجهة اخرى اضافة الى ما اتصف به هذا الامير اليزيدي من الجور والعسف ، لذلك رفع الاهالي العرائض وقدموها الى السلطان شارحين فيها ظلامتهم • وقد حمل هذه العرائض وفد ضم مولانا الشيخ شرف الدين النقشبندي ومولانا سيف الدين السهروردي من مشايخ العراق في المنطقة واربعة من كبار العلماء • فأمر السلطان بقتلهم جميعا (١٣) •

وبعد مقتل الامير عز الدين شير مات اخوه سليمان ايضا تاركا بعده ثلاثة بنين هم : (قلي بك وعيسى وسيف الدين) • ومما يذكر ان الامير عز الدين كان اميرا صالحا يقرر اعماله بموافقة مجلس استشاري • وقد قام باعمال عمرانية في امارته فبنى المعاهد الخيرية وعمر قبة النبي يونس في

(١٠) تأريخ العراق بين الاحتلالين (٤ / ٤٠ — ٤١) •
(١١) تأريخ العراق الحديث ص ١٠١ •
(١٢) امارة بهدينان العباسية ص ٢٢٢ • وكتاب داود باشا والي العراق صفحة ١١٨ •
(١٣) شرفنامة حاشية ص ٢٧٨ للاستاذ الروزبياني •

الموصل ووقف عليها كثيرا من العقار والاراضي في شواطيء دجلة • وبنى في شرق اربل جامعين ورباطا ووقف عليهما كثيرا • وفي اربل بنى كذلك معهدا لدراسة تجويد القرآن وجاء اليها بمدرسين من الموصـــل ، واهتم بتوسيع مدينة كركوك فشجع العشائر على السكن فيها وشيد فيها ثلاثة جوامـــع ومدرسة علمية ويحتمل ان تكون المدرسة الصهرانية (السورانية) الحالية في كركوك من مؤسساته ولذلك اشتهر بهذا الاسم (١٤) •

الامير سيف الدين بن الامير حسين بن بيربوداق :

سبق ان ذكرنا ان هذا الامير بسط سيطرته على ناحية صوماقلق • ولما اسندت ولاية سوران بحسب الامر الصادر من السلطان سليمان الى الامير حسين بك الداسني (اليزيدي) لم يكـــن من الامير سيف الدين الا ان نازعه عليها وجرت بينهما حروب عنيفة اسفرت عن اخفاق الامير سيف الدين•

ويبدو ان اهالي سوران قد حرضوا الامير سيف الدين لمحاربة الامير اليزيدي ، ولما اشتبكا في سهل حرير اندحر اليزيدي امامه وتحصن بالجبال وبقلعة حرير واوعز الى اربل ان تمده بالقوات ، في الوقت الذي اخذ الامير السوراني يوسع دائرة سيطرته في المنطقة • وبعد وصول نجدات من الموصل لليزيدي من قبل السلطان سليمان ، دخل اليزيدي في جولة جديدة من الحرب ضد الامير سيف الدين وانتصر عليه • واضطر الامير سيف الدين الى الالتجاء الى (بيكه بك) الامير الاردلاني الذي لم يمده بمعونة عسكرية خوفا من غضب السلطان سليمان • فعاد الامير اللاجيء ادراجه خائبا ولكن عزيمته لم تفتر ، فلما بلغ سوران كون فرقة من الشجعان المحاربين وهاجم بهم قلعـــة اربل فاحتلها حيث هرب الامير الداسني وقتل خمسمائة من اليزيدية • وبعد

(١٤) شرفنامة حاشية ص ٢٧٨ للاستاذ الروزبياني •

انتصاره هذا انحاز اليه القسم الاعظم من عشائر سوران وحالفوه (١٥) .

ثم وجه الامير همه للقضاء على اليزيدية فأضعفهم الى درجة كبيرة ووقعت اموالهم واثقالهم غنائم في يده . وهكذا استرد سيف الدين بلاده المغتصبة واعلن استقلاله (١٦) .

وقد حاول الامير حسين بك الداسني ان يستعيد املاكه المفقودة فاشتبك في حرب جديدة مع الامير السوراني لكن الفشل كان نصيبه . ولما وصلت اخبار هزائمه الى الاستانة استدعي اليها للتحقيق معه ، ثم صدر الامر السلطاني بقتله ونفذ فيه حكم الموت (١٧) .

موقف العثمانيين من الاحداث الاخيرة :

لم يقف السلطان سليمان موقف المتفرج من الاحداث المذكورة التي حدثت في منطقة سوران بل أصدر الامر الى سلطان حسين بك امير العمادية وبقية امراء كردستان بأن يقاتلوا الامير سيف الدين ويغزو بلاد سوران . ولكن محاولات هؤلاء باءت بالفشل . وحكم الامير سيف الدين بلاده بالاستقلال التام مدة من الزمن ثم خدع بمواعيد يوسف بك برادوستي المعروف بلقب غازي قران (١٨) الذي اقنعه بالسفر الى استانبول بطلب العفو عنه من لدن السلطان وان يعقد معاهدة مع الدولة العثمانية بموجبها يحارب الدولة الايرانية ويمده السلطان بقوات الامارات الكردية ولا يتجاوز على

---

(١٥) شرفنامة ص ٢٧٩ .
(١٦) شرفنامة ص ٢٧٩ .
(١٧) امراء سوران ص ١٠ .
(٨) هو غازي قران بن السلطان احمد من سلالة امراء الحكومة الحسنوية الذين نزحوا الى برادوست واسسوا فيها الامارات مثل إمارات (برادوست وتركو وصوماي) . شرفنامة حاشية ص ٢٨٠ .

املاك السلطان ويتبادل معه السفراء وتعترف الدولة العثمانية باستقلاله في سوران [١٩] .

وما ان وصل الامير سيف الدين العاصمة العثمانية حتى صدر الامر باعدامه فتم ذلك في سنة ٤ ذي الحجة من سنة ٩٦٦ هـ/١٥٥٨ م. وبموته عادت الاضطرابات الى ديار سوران واصابها الدمار والخراب . وقد اودع السلطان امارة اربل الى امير العمادية حسين بك لما ابدى الى السلطان من خدمات كبيرة [٢٠].

الامير قلي بك بن سليمان بك :

عندما استولت قوات داسني اليزيدية على ولاية سوران خاض الامير قلي بك غمار الحرب معها مرارا ولكنه خاب في مسعاه فالتجأ الى الشاه طهماسب الاول الصفوي لمساعدته على استرجاع ملكه . وفي اثناء ذلك قام اليزيدية باعمال فتك وقتل فظيع للسكان في سوران ، فأثارت هذه الاعمال الكراهية الشديدة في نفوس عشائر السوران فتحالفوا فيما بينهم وأوفدوا من يحث الامير قلي بك على المجيء [٢١] وفعلا جاء (قلي بك) خلسة وبدأ يعرض اخلاصه للسلطان العثماني الذي لم يطمئن اليه ولم يثق به لذلك ولاه على السماوة [٢٢] من اعمال البصرة . وبعد مقتل الامير سيف الدين وحسين بك الداسني التمس امير العمادية حسين بك على اعادة قلي بك من السماوة واسند اليه الحكم في ناحية حرير من ولاية سوران فحكم نحوا من

---

(١٩) شرفنامة حاشية ص ٢٨٠ .
(٢٠) العراق بين الاحتلالين (٤/٦٥ و ٢٥٢) .
(٢١) شرفنامة ص ٢٨١ .
(٢٢) بلدة في جنوبي العراق كانت تابعة للواء الديوانية واصبحت الآن مركز محافظة وفق التشكيلات الادارية الحديثة في سنة ١٩٦٩ .

عشرين سنه ثم توفي وخلف ولدين هما : (بوداق بك وسليمان بك) ٠
وكان الامير قلي بك قد اتخذ شقلاوة مصيفا له ٠

الامير بوداق بك بن قلي بك :

حل محل والده في الحكم بعد وفاته ورفع راية الاستقلال على مدينة شقلاوة [٢٣] ٠ وحكم زهاء سنتين ولكن وشايات المفسدين اوقعت بينه وبين اخيه سليمان بك ٠ وتطورت الحالة من مبادلة الشتائم الى استعمال السيف والقوة [٢٤] ٠ وقد توسط كثير من الفضلاء والعلماء بينهما ولكن اخاه سليمان بك ابى الا الحرب فاعلناها ، وزحف سليمان بك من برادوست الى حرير وبرز له الامير بوداق في عاصمة ملكه فالتقيا على مقربة من بليدة (باطاس) ودخلا في حرب دامت يوما كاملا مني خلالها الطرفان بخسائر فادحة في الاموال والانفس ثم انفضت القوات من حول الامير بوداق والتحقت باخيه سليمان ٠

ولما ادرك بوداق بك انه سيهزم لا محالة ارسل من يتوسط لدى اخيه ليكتفي بما احرزه من نصر وتوسع ويترك له شقلاوة وحرير واربل ، وظل ينتظر اربعة اشهر رد اخيه ، الا ان اخاه رفض شروطه ، فاضطر بوداق ان يلوذ بالفرار [٢٥] ، قاصدا السلطان حسين بك حاكم العمادية ، فأقام في حمايته بضعة ايام ينتظر نجدة منه للعودة الى ولايته ٠ ورجع مستصحبا معه جيش (بادينان) ولكنه توفي في الطريق في (عقرة) [٢٦] في سنة

(٢٣) امراء سوران ص ١١ ٠
(٢٤) شرفنامة ص ٢٨١ ٠ ومشاهير الكرد (١ / ١٣٩) ٠
(٢٥) شرفنامة حاشية ص ٢٨٢ نقلا عن حزني وامين زكي ٠
(٢٦) شرفنامة حاشية ص ٢٨٢ للروزبياني٠

٩٨٥ هـ / ١٥٧٧ م ودفن في العمادية ٠

الامير سليمان بك بن قلي بك :

تولى هذا الحكم بعد وفاة والده واخيه حيث ضم ملك اخيه الى مملكته (٢٧) ، ونظرا للخصومة القائمة بين السوران وبين عشيرة(زرزا)(٢٨) بسبب تعاون هذه القبيلة مع الايرانيين تارة ومع العثمانيين تارة أخرى ضد اسرة سوران وتعاونها مع يوسف بك قران في قتل الامير سيف الدين المار ذكره ، فان الامير سليمان بك اراد الانتقام منها لهذه الاسباب فحاربهم بجيش يقارب تعداده اربعة عشر الفا من الجنود وانتصر عليهم ٠ والجدير بالذكر ان عشيرة (زرزا) كانت من اشياع الدولة الصفوية وقد حاولت الدولة العثمانية الحصول على ولاء هذه القبيلة لما توسمت فيها الكفاءة في القتال ولاستعمالها لتحقيق اغراضها من ضرب الامارة السورانية المستقلة ، التي لم تعترف باية سلطة اجنبية سواء أكانت ايرانية او عثمانية٠

وقد اوفد السلطان مراد الثالث لهذا الغرض من يقنع (زرزا) بالانضواء تحت الحكم العثماني ومحاربة سليمان بك ٠ وبعد ان تأكد السلطان من ولائهم ارسل اليهم بالاسلحة والذخائر مما شجعت هذه القبيلة على التجاوز على الاملاك السورانية ٠

وكانت لدى الامير سليمان بك من الاسباب الهامة التي ذكرناها لمحاربة هذه القبيلة فاندفع بجرأة بالغة وزحف عليها فكانت الحرب المذكورة٠ التقى سليمان بك بأفراد (زرزا) عند جبال (سيتكان) فدارت حرب عنيفة استمرت يومين وانتهت باندحار المتجاوزين وهزيمتهم نحو عاصمتهم

(٢٧) امراء سوران ص ١٢ ٠

(٢٨) هي القبائل القاطنة في وادي (گادر) الواقع في سهول اشنه (شنو) وانحائها ٠

(أشنو) ووقع امير اللواء العثماني وخمسمائة نفر من العشيرة في الاسر[٢٩].

وسبى سليمان بك اولادهم ونساءهم وساقهم الى حرير ، اما الذين تمكنوا من الهرب فالتجأ بعضهم الى السلطان مراد الثالث عارضين شكراهم وتظلمهم فاستجاب السلطان[٣٠] لطلبهم وازمع ان يسير الجيوش ضد سليمان بك ، الا انه اتفق ان سليمان بك قام في تلك الآونة بشن الغارات على البلدان القزلباشية (الصفوية) وأسر الكثير من القزلباش واتى بالاموال الطائلة وقدم الاسرى مع الهدايا والتحف الى البـاب العالي وبذلك غض السلطان الطرف عنه وعفا عنه[٣١] .

ثم سار الامير سليمان بك لقتال ابن عمه (قباذ بك) الحاكم على سنجق (ترگ) بسبب عزمه على خيانته وطمعه في حكومة سوران . وقد ظل قباذ بك يعادي الامير حتى سنة ٩٩٤ هـ / ١٥٨٥[٣٢] بتأثير من السلطان العثماني الذي اخفق سابقا في اثارة قبائل (زرزا) على سليمان بك فبعث يغري قباذ بك حاكم (ترگه ــ ترگور) لمحاربة الامير السوراني . ولكن الاخير ظل ساهرا يقظا لكل طارىء ووصلت الى علمه دسائس السلطان فباغت ابن عمه بالهجوم عليه ، واستعد قباذ بك لصد زحفه بأربعة آلاف رجل وانتظار مدد اخرى من امراء (ارضروم) ، والتقى الجانبـان في حرب دامت نهارا كاملا ثم طلب قباذ بك الهدنـة ، ولكن سليمان بك ابى الا استسلامه بدون قيد او شرط ، ولما اظلم الليل لاذ قباذ بك بالفرار ، فطارده

(٢٩) شرفنامة حاشية ص ٢٨٣ للروزبياني نقلا عن حزني .
(٣٠) يقول حزني : ان السلطان آثر السكوت . امراء سوران ص١٢ .
(٣١) شرفنامة ص ٢٨٣ . والعراق بين الاحتلالين (٤ / ٢٥٣) .
(٣٢) شرفنامة ص ٢٨٣ . والعراق بين الاحتلالين (٤ / ٢٥٤) الذي يحدد تأريخ الحرب بسنة ٩٩٨ هـ / ١٥٨٩ م .

الامير حتى قلعة (ترگه ـ ترگور) • وهرب قباذ بك الى (وان) مع ثمانية عشر نفرا من مقربيه • وفي ارضروم حوكم وصدر الامر بقتله مع بعض رفاقه وبحبس الآخرين (٣٣) •

اكتسب سليمان بك شهرة واسعة بعد هذه الانتصارات على جيرانه الذين قدموا له الطاعة والخضوع رهبة ، وتمتع باستقلال تام في بلاد سوران لا ينازعه احد • ورغم انه كان اميا الا انه احب اهل العلم والفضل وكان يحترم المشايخ (٣٤) • وقد جلب من قرية (حسن آباد) الواقعة في منطقة اردلان اشهر علماء عصره والجد الاعلى للاسرة الحيدرية الموجودة في (ماوه ران) واربل وبغداد (الملا حيدر) ، وكذلك (الملا ابا بكر) الجد الأعلي (للملا أبي بكر افندي) والمعروف (بملا كچكه) • وأسكن الملاحيدر في حرير والملا ابا بكر في إربل وعلى يديهما تخرج كثير من العلماء في كردستان • (٣٥) واستمر حكم سليمان بك حتى سنة ٩٩٨ هـ / ١٥٨٩ م وفيها اتخذ ابنه (علي بك) ولي عهد له ، وقلده زمام الحكم مكانه حتى وفاته سنة ٩٩٩ هـ / ١٥٩٠ م •

وقد ترك سليمان بك آثاراً عمرانية من مساجد ومدارس وحصون • ومنها الجامع الكبير في حرير ، وحصنا بناه على مقربة من كهف (خرواتان) وبقيت آثاره الى الآن (٣٦) • ودفن سليمان في اربل ، وكانت (خانزادخاتون)

---

(٣٣) شرفنامة حاشية ص ٢٨٣ للروزبياني • وفي الشرفنامة : ان سليمان بك قتل قباذ بك مع اربعة عشر نفرا من اقاربه واتباعه • انظر : شرفنامة صفحة ٢٠٨٣ •

(٣٤) شرفنامة ص ٢٨٤ •

(٣٥) امراء سوران ص ١٣ •

(٣٦) شرفنامة حاشية ص ٢٨٤ للروزبياني •

شقيقته ومدبرة اموره الداخلية .

علي بك بن سليمان بك :

بعد وفاة سليمان بك خلفه في الحكم ابنه علي بك وأيدت الدولة العثمانية إمارته بفرمان سلطاني . (٣٧) وتمتع في بلاد سوران باستقلال تام . ويذكر ان علي كان يتولى الحكم في عهد والده في (جولامرگ) ، ولما انتقلت اليه الأمارة من والده اتخذ (حرير) دار ملك له . وقام في سنة ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م ببناء قنطرة حجرية على الزاب الكبير عند ملتقى نهري بالكيان وراوندوز . وأصلح الطريق المار بمضيق (گلي علي بك) وشيد على باب المضيق قلاعاً ومعاقل للطوارىء ، ولا يزال المضيق المذكور يعرف باسمه الى اليوم . وبنى حصناً مطلاً على الزاب اسمه (قلاي سردريا) وقلعة أخرى على (شمه) إسمها : (قلاي سر شمه) ، وبنى قلعة ثالثة في (كلاسو) بجبل حرير (٣٨) . ويبدو انه كان وديعا يكره الحرب ويحسن الجوار ويعامل الأمارات المجاورة معاملة حسنة ، ومع ذلك لم ينج من مضايقة البابانيين له . وكانت علاقاته مع الدولتين الفارسية والعثمانية حسنة .

وكانت تجمعه صداقة مع الامير (حيدر بن اميره باشا) حاكم ميگرياز حتى انه أنجده في حربه مع جعفر باشا القائد العثماني . (٣٩) وتنقل علي بك في اكثر من عاصمة واحدة فكان في (دوين) تارة وفي حرير تارة أخرى ، وخليفان الواقعة في وادي (آلانا) تارة ثالثة . ويظهر إنه انتقل الى خليفان وحصن گلي علي بك لدفع تعديات البابانيين ضده (٤٠) . وكان علي بك يحب

(٣٧) العراق بين الاحتلالين (٤ / ٢٥٣) .
(٣٨) شرفنامة حاشية ص ٢٨٤ .
(٣٩) نفس المصدر السابق . نفس الحاشية .
(٤٠) مشاهير الكرد (٢ / ٧٥) .

العلم والعلماء كوالده فكان الشيخ حيدر الماوراني ـ جد الاسرة الحيدرية ـ شيخاً للعلمـاء في عصره • عاش الى أن بلغ ما يناهز السبعين عاماً ثم توفي [٤١] تاركا ولدين هما : اوغوز بك وميران بك • وسوف يأتي ذكر بقية أمراء سوران في موضع آخر •

الأحوال العامة في العراق في الدور العثماني الاول (١٥٣٤ ـ ١٦٢٣):

عين السلطان سليمان القانوني حاكم ديار بكر وهو الوزير (مجرني سليمان باشا) أول والٍ عثماني على بغداد وترك معه قوة عسكرية مناسبه وأرسلت الحاميات العسكرية الاخرى الى أشهر البلدان في الولايات التي كانت تعرف آنذاك بمراكز (السنجق بكي) • [٤٢]

وكانت بغداد مركز المشيرية أو الوزارة وتنقسم هـذه المشيرية الى باشوية (باشالق) والباشوية الى اقضية [٤٣] وكان السلطان سليمان اثناء سيره لفتح بغداد سنة ١٥٣٤ قد أبقى الامارات الكردية الحاكمة محتفظة بأوضاعها ، واشهرها الامارة البهدينانية [٤٤] واوجب عليها تقديم الخضوع الذي اصبح اسمياً الى الدولة العثمانية ، وجعل من الموصل إيالة مستقلة قائمة بذاتها ضمت ستة سناجق ولكن حدود هذه الأيالـة لم تكن واضحة لأنها كانت مجاورة لمنطقة كردستان التي اصبحت إيالة باسم (شهر زور) وهي إيالة لم تتضح الا في النصف الثاني من القرن السادس عشر ، [٤٥] لانها كانت مجالاً واسعاً للعمليات العسكرية من جانب ايران وبخاصة تابعتها

(٤١) يقول الاستاذ الروزبياني انه توفي سنة ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤ م •
(٤٢) اربعة قرون ص ٤٠ •
(٤٣) تأريخ الموصل (١ / ٢٦٦) •
(٤٤) والي بغداد داود باشا ص ١١٨ •
(٤٥) نفس المصدر ص ١١ •

أردلان (وهي احدى الأمارات الايرانية القوية التي كانت تدعى السيادة على كردستان) والدولة العثمانية •

ومع ذلك يمكن تقسيم إيالة شهرزور الى حوالي العشرين سنجقاً ، [٤٦] وهي : « سروجك • كسنان • إربل • شهربازار • جنكولة (ضمت الى بغداد) • هزار مرد • جوران • مرگاوه • حرير • رودين • تيل طاري • سبه • زنجير • عجور • أبرومن • باق • برنلي • اوشني • قلعة غازي» [٤٧]

وكانت هذه السناجق سريعة الأختفاء وكان فيها حوالي مئة امير من مرتبة (زعامة) • وقو وضع الباب العالي نظام حكم الايالات في العراق على غرار النظام الموجود في بقية انحاء الأمبراطورية العثمانية • فكان الوالي على رأس الجهاز الأداري ، ومدة حكمه سنة تتجدد فتصل احياناً إلى ثلاث سنوات • وكان الوالي يعود الى ولايته اكثر من مرة ، ويتميز باشا بغداد عن غيره من باشوات الايالات الأخرى في العراق فكان من المرتبة الاولى • [٤٨] ويختار الباشوات أغلبهم من حاشية السلطان ، حتى تولى حسن باشا ولاية بغداد سنة ١٧٠٤ فأصبحت الباشوية لابنه من بعده والمماليك الذين انشأوا حكما مستقلا في العراق •

كان باشا ببغداد يتفوق ــ كما ذكرنا ــ على زملائه في الموصل وشهرزور والبصرة • لذا كان الباب العالي ينص في الفرمان على حق باشا بغداد (في عزل ونصب بشوات كردستان) ، وهذا إمتياز لم يحصل عليه أي باشا في

---

(٤٦) سنجق : كلمة تركية معناها : العلم • والسنجق منطقة يحكمها (سنجق بكي) بمقام وحدة اقطاعية واصبحت بعد ذلك تعني وحدة ادارية تابعة للايالة ويحكمها المتصرف •

(٤٧) انظر : نفس المصدر السابق ص ١٢ •

(٤٨) والي بغداد ــ داود باشا ص ١٣ • وزعامة : وحدة اقطاعية قيمتها من عشرين ألف اقچة فما فوق ويسمى صاحبها : زعيم •

الأيالات الاخرى في العراق • على أن الأعتراف بالعصبيات الحاكمة وتقسيم العراق الى إيالات متعددة كانت خطة لها عيوبها ، اذ أن التقسيم جرى على أساس جغرافي كما كان نتيجة لعوامل سياسية • فلقد كانت الموصل مثلاً لا تستطيع السيطرة التامة على إيالات كردستان • لذلك كان انشاء امارة شهرزور من العوامل التي تجعل السلطة العثمانية اكثر قدرة على رقابة الحدود الايرانية — العراقية في المنطقة ، ولا شك أن السلطان قدر خطورة تجميع العراق كله تحت يد والٍ واحد تكون ثورته مروعة اذا ما ناهض السلطان حيث كان تمرد الباشوات أمراً معهوداً في الدولة العثمانية (والي بغداد ص ١٥) •

أحوال المنطقة الكردية :

إن الاوضاع في هذه المنطقة كانت متغيرة ومتجددة • ففي حوالي سنة ٩٦٢ هـ / ١٥٥٤ م كان أمر إنفصال شهرزور وإسترجاعها سائراً في طريق مختلفة • اذ كانت الحكومة قابضة على كركوك واربل وآلتون كوبري بحزم وقوة ، ويظهر إن حكم السلطان في هذه المناطق كان مرغوباً ولكنه لم يكن كذلك في المناطق الشمالية الشرقية • اذ ان سلطان الدولة العثمانية فيها كان إسمياً • لذلك حاولت الدولة إستعادة نفوذها في هذه المناطق • فأرسلت حملة يقودها (عثمان باشا) والي حلب وانضم الى الحلة (بلطجي محمد) المنصّب في سراي بغداد بعد عزل علي باشا ، وجهز الرؤساء الاكراد الموالون قوات لمساعدة الباشا في حملته • فأعيدت شهرزور الى الدولة ووضع حرس كاف مع (والي بك) المعين حاكماً على شهرزور ، وهكذا إعترف بالايالة التي إنتظمت أول مرة سنة ٩٦٢ هـ / ١٥٥٤ م • في ضمن الممتلكات التركيـــة بمعاهدة سنة ٩٩٦ هـ/١٥٩٠ م • ويذكر أن (سرخاب) كان حاكماً لشهرزور

قبل تعيين (والي بك) وقد خلف سرخاب ابن أخيه (مأمون) الذي التجأ الى استانبول إثر هزيمته أمام القوات العثمانية والكردية الحليفة في سنة ١٥٣٨ م . [٤٩]

وقد حكم شهرزور بعد هذه الفترة حاكم أردلاني [٥٠] خاضع لتركيا حيث حصل على الفرمان من مراد الثالث ، ولكن ما إن حل عام ١٦٠٠ م حتى تبدلت الرياح من جديد فقد حاول خليفة تيمور الاستقلال فخضع للشاه عباس . وفي سنة ١٦٠٥ م اعتلى عرش الحكومة الملكية في (سنه) خان احمد خان بكونه ملكاً من الملوك التابعين لايران ، وإستخدمه سيده (ملك إيران) — اثناء جلوسه على العرش — لمضايقة القبائل الكردية التي تميل الى تركيا . فكان أول أعمال احمد اخضاع قبائل المكري والبلباس . وفي السنين التالية احتل راوندوز والعمادية ووضع ضباطه في كويسنجق وحرير . ولكن السبل التي تفرق بها بين الغزو والتملك لهذه المناطق مفقودة لأن المؤرخين الترك والعراقيين ينفون ذلك . [٥١]

تمرد الانكشارية في بغداد :

إن ضعف الانكشارية وتغلغل الفساد في صفوفها اديا الى أن يفكر الوالي في الاعتماد على القوات المحلية من المرتزقة ومن العشائر المحلية ، فأدى هذا الى الصراع بين الانكشارية التي كانت لا تزال تحتفظ ببعض القوة داخل بغداد وبين القوات المحلية . وإستطاع أحد الانكشارية المسمى بكر وكان بدرجة (صوباشي) أن يستبد بحكم الولاية في سنة ١٦٢١ م .[٥٢]

(٤٩) اربعة قرون ص ٦٢ — ٦٣ .
(٥٠) يدعى تيمور .
(٥١) اربعة قرون ص ٦٣ .
(٥٢) والي بغداد ص ١٨ .

وقد هاجم بكر باثني عشر الفا من رجاله يوسف باشا والي بغداد وقتله وتغلب عليه • وكانت الدولة العثمانية يومذاك بحالة إضطراب واختلال ؛ فأنتهز الصوباشي الفرصة وأظهر العصيان وأمر بالخطبة له وضرب إسمه على السكة ؛ فوردت الأوامر من الباب العالي الى حافظ احمد باشا والي دياربكر أن يسير بعساكره لتأديب العاصي •

فلما علم بكر بذلك داخله الخوف فأنفذ حالاً رسولاً الى الشاه عباس الاول الصفوي في إصفهان يوقفه على الأحوال ويعده ببغداد اذا أقبل الى الأخذ بناصره • فأرسل له الشاه يشدد عزمه ويعده بالمدد • اما حافظ احمد فقد وصل بغداد ووجدها محصنة وقد اغلقت ابوابها ؛ فشدد عليها الحصار • وكانت بغداد آنذاك عرضة لآفات طبيعية من امراض وقحط وغلاء الأسعار ؛ فخشي الشاه ان يقدمها خوفاً من سريان المرض الى جنده واكتفى أن يرسل للصوباشي نحو ثلثمائة جندي يستلموا منه مفاتيح المدينة • وقد يئس الصوباشي بذلك من مساعدة الشاه له فعمد الى إبرام الصلح مع حافظ احمد بموجبه إشترط على القائد الأحتفاظ ببغداد وملحقاتها ؛ فأنسحب القائد العثماني الى شمالي العراق • وظن الصوباشي انه بلغ مرامه فقتل جماعة الاعجام ، فلما بلغ ذلك الشاه صمم الأخير على قصده بنفسه حيث طلب الى الصوباشي البر بوعده في تسليم بغداد ؛ فأبى الصوباشي تسليم بغداد واجابه: « إني اخذتها صلحاً بعد اعراضك عنها ونكوثك بي » • فغضب الشاه وشدد الحصار حول بغداد ، فعاشت المدينة في ضيق اقتصادي شديد (٥٣) •

وكان للصوباشي ابن يقال له (محمد) وكان مسؤولا عن قلعة بغداد فأرسل له الشاه يعده ويغريه بانه يجعله حاكما على بغداد عوض ابيه ، فأغتر الابن بوعد الشاه (٥٤) ، وفي الليلة التالية فتح ابواب القلعة للفرس فدخلوها

(٥٣) تأريخ الموصل (١ / ٢٦٨) •

سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م • وقبض على الصوباشي واحضر الى مجلس الشاه الذي اجلس الى جانبه ابنه محمد ، فوبخه الشاه على خيانتـه ، ثم احرق الصوباشي في قارب في دجلة وقتل الشاه كذلك اخاه المسمى (علي آغا) • وكان من جملة من قتل القاضي والنائب ومعهم اربعة آلاف نفس ، واحرق مخازن الكتب واخرب مرقد الامام الاعظم والگيلاني وارتكبت فظائع كثيرة•

ثم ارسل الشاه وزيره (قاسم خان) بالعساكر الى الموصل ليفتحهـا• فسار الى كركوك فاحتلها ثم احتل اربل ثم اقبل نحو الموصل وكان واليهـا (حسين باشا الجركسي) فدافع عنها مدة طويلة ثم سلمها الى قاسم خان فتولى امرها [٥٥] • وهكذا دخل العراق في حكم الفرس ولكن لفترة قصيرة لم تستفد ايران فائدة ملحوظة فيها •

الامارة السورانية في اواخر الدور العثماني الاول :

قلنا سابقا ان علي بك توفي تاركا ولديه وهما (ميران بك)واوغوزبك• ويبدو من الحوادث التي شهدها العراق في هذه الفترة ان اواخر حـكم علي بك شهدت تطورات خطيرة ادت الى ضعف الامارة السورانية نسبيا ولجوء علي بك الى خليفـان لاتخاذها عاصمة له وتحصينه لمضيق گلي علي بك للوقوف امام اطماع البابانيين واخطار اخرى كانت تواجه امارته • وبقيت الامارة السورانية مع ذلك لها تأثيرها الملموس في الحوادث ومجريات الامور في العراق • ففي ٤ المحرم سنة ١٠١٥ هـ / ١٦٠٥ م توجه نصوح باشا الى بغداد بأمر من الوزير الاعظم التركي ليكون واليا على بغداد ، وكان محمد ابن احمد الطويل [٥٦] قد استولى عليها وتابعه الجيش الاهلي الذي تمكن

---

(٥٤) نفس المصدر (١ / ٢٦٩) وما بعدها •
(٥٥) نفس المصدر (١ / ٢٧٠) •
(٥٦) اربعة قرون ص ٥٢ •

من استمالته لجهته واعلن ولايته في بغداد فاستقل بها . ولما وصل نصوح باشا الى نصيبين استقبله حاكم الجزيرة (مير شرف) والتزم ان يساعده في استمالة الأكراد .

وقد تقدم نصوح باشا الخلع الى كل من سيد خان [٥٧] (١٥٨٥ — ١٦٢٠ م) وامراء سوران من الاكراد وكذلك امير العربان (احمد بن ابي ريشة) ودعا الكل الى السفر الى بغداد ، اتباعا للأمر السلطاني .

ويظهر ان مواعيد هؤلاء في مساعـدة نصوح باشا كانت غير صحيحة وان الباشا توقف في الموصل نحو اربعين يوما فلم يظهر اثر من اعمال اولئك (الامراء الاكراد) الذين وعدوه بالمساعدة . وبينما نصوح باشا في حيرة من امره عثر على كتاب من سيد خان ارسله الى ابن الطويل وفحواه : « اننـا تمكنا ان نؤخر نصوح باشا هذه المدة وخذلنا اكراد سوران ومنعناهم من الذهاب ، فعليك ان تثبت كالرجل الشجاع والعافية لك فلا تخرج بغـداد من يدك وان تسعى جهدك ... » [٥٨] . وبعد ذلك ورد الامر السلطاني بلزوم الذهاب لافتتاح بغداد .

فسار نصوح باشا وكان معه امير امراء شهرزور (ولي باشا) ومير شرف ولما وصل الى اربل كتب ايضا الى امراء سوران والي سيد خان فلم ينـل منهم مرغوبا ولم يلتفوا الى رسائله [٥٩] .

ويقول لونگريك : لقد فشلت حملة نصوح باشا ولكن ابن الطويل قتل

---

(٥٧) عاصر سيد خان سليمان بك وبعده ابنه علي بك . وكان ابن اخت سليمان بك وقد ساعده الاخير في تنصيبه حاكما على العمادية . امارة بهدينان العباسية ص ٦١ — ٦٢ .

(٥٨) العراق بين الاحتلالين (١٥٧ — ١٥٨) .

(٥٩) نفس المصدر ص ١٥٨ .

وخلفه في حكم بغداد اخوه الاصغر مصطفى • وكان (محمود بن جيغالزاده) الكبير في المشتى في أورفة حينئذ ومهدت له علاقات اسرته بالعراق وولاء ابي ريشة واسرة سوران الكردية الامور التي ادت الى تعينه حاكما على بغداد وطلب منه اعادة بغداد الى حوزة الامبراطورية (٦٠) •

ويقول (حزني) ان الحاكم السوراني الذي لم يتعاون مع نصوح باشا كان مصطفى بك (٦١) • وفي سنة ١٠٣١ هـ / ١٦٢١ م • وصل سليمان باشا المعين من قبل السلطان على بغداد بدل الصوباشي المتمرد الى ديار بكر حيث كان حافظ احمد باشا قد جمع باشوات الموصل وشهرزور ومرعش وسيواس • وكانت قوته مؤلفة من عشرين ألف مقاتل• وانضمت اليه قطعات البيكات الاكراد • ثم تريث الجيش في الموصل فاستعرضت فيها القوات الكردية • ثم تحرك الباشا الى كركوك وفيها بعث جيشا مع سليمان باشا والي الموصل وبصحبتهما رؤساء آل سوران الشرفاء• وقد وصل الجميع شمال بغداد بالقرب من الاعظمية وفي هجوم جريء فرقهم الصوباشي الى مكان ابعد فانسحب الجيش العثماني ومؤيديه الى مخيم بالقرب من ديالى • وبعد ذلك انضم حافظ احمد اليهم وقسم كبير من الاتباع الذين كان فيهم جميع الحكام الوراثيين للدويلات الكردية (٦٢) •

ويقول حزني : ان حاكم سوران (مصطفى بك) هو الذي اشترك في هذه الحملة وقتل في المعركة مع الصوباشي في عام ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م • وقد ناب منابه في الحكم في سوران (خان اودل ابن عز الدين شير) وهو

(٦٠) اربعة قرون ص ٥٣ •

(٦١) امراء سوران ص ١٥ •

(٦٢) اربعة قرون ص ٧٤ — ٧٥ •

الذي اشترك مع حافظ احمد كذلك في مسيره الى بغداد [٦٣] .

وقد ذكرنا ان خان احمد خان الذي اعتلى عرش الحكومة الملكية في (سنة) سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م ضايق القبائل الكردية التي تميل الى تركيا فغزا جمهرة قبائل المكري والبلباس وفي السنين التالية أي في سنة ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٥ م [٦٤] احتل راوندوز والعمادية ووضع ضباطه فيهما وفي كوي وحرير ، فانكمشت الامارة السورانية والسلالات الاخرى المحلية ولكن زوال حكمها كانت مدته قصيرة .

وكانت العشرون السنة الاولى من حكم (خان احمد) مجدا اردلانيا عظيما ، فقد كان يتمتع بثقة الشاه عباس وبذا استعاد ممتلكات اردلان القديمة [٦٥] . وقد استعاد الامراء الاكراد حكمهم — بعد فترة قصيرة — في اماراتهم واظهروا فعاليتهم في الاحداث الجارية في المنطقة من جديد .

فبعد وفاة الشاه عباس سار الصدر الاعظم (خسرو باشا) بجيشه الى العراق فأمضى شتاء سنة (١٠٣٩ هـ / ١٦٢٩ م) في مدينة الموصل . فوفد عليه في خلال ذلك كل من (سيد خان) امير العمادية و(ميره بك) امير السوران بقواتهما . ووفد رئيس عشيرة (باجلان) الى المعسكر العثماني ومعه اربعون الف كردي [٦٦] . واستقر رأي خسرو باشا على الزحف اولا على بلاد اردلان والاستيلاء عليها ثم يزحفون جميعا الى بغداد لاستعادتها من الايرانيين . وزحف الجيش الى الشرق والجنوب عابرا الزاب الكبير ، ثم عقد مجلس حربي فيما يقرب من اربل وكان حاكمها الايراني قد فر مع زميله

---

(٦٣) امراء سوران ص ١٦ — ١٧ .
(٦٤) وقيل سنة ١٠٣٩ هـ / ١٦٢٩ م .
(٦٥) اربعة قرون ص ٦٤ .
(٦٦) خلاصة تأريخ الكرد ص ٢١٣ .

حاكم كركوك الى بغداد • وقـد حضر المجلس الحربي جميع قواد الجيش النظامي التركي وعدد من البيكات الاكراد وعدد من شيوخ العرب من سكان سقي دجلة [٦٧] • وتقرر في هذا المجلس : ان توجه الحملة اولا على التابعين الايرانيين في بلاد شهرزور وما وراءها •

ويبدو ان الحملة لم تحقق اهدافها سواء اكانت في عملياتها العسكرية في اردلان او في حصـار بغداد • حيث رجـع الجيش في اوائل ايام سنة ١٦٣١ م [٦٨] •

(٦٧) اربعة قرون ص ٨٧ • والعراق بين الاحتلالين (٤ / ٢٥٣) •
(٦٨) اربعة قرون ص ٩٠ •

الفصل الخامس عشر

الدور العثماني الثاني

من سنة ١٦٣٨ حتى قيام حكم المماليك

حملة السلطان مراد الرابع :

في سنة ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨ م • اقبل السلطان مراد الرابع من استانبول بمائة ألف من الخيالة والرجالة قاصدا بغداد ، فدخل الموصل وحضر اليه من العمادية اميرها (قباذ بك) لاستقباله بجيشه مع بعض اتباعه فأحسن اليهم السلطان ، واعطى لقباذ بك ولاية العمادية ما دام في قيد الحياة • ثم تقدم نحو الجانب الشرقي من دجلة ، فلما رأى قاسم خان الفـارسي كثرة الجنود لاذ بالهزيمة فاستولى جند السلطان على الموصل •

ثم سار السلطان فعبر الزاب ومعه قباذبك فوصل اربل ثم عبر الزاب الصغير فوصل كركوك • وأثناء سيره هذا التحق بجيشه كثير من اهالي اربل وكركوك والموصل والسليمانية بما فيهم رؤساء العشائر الكردية وزعمائهـا مع ذواتهم [١] •

فلما بلغ هذا الامر الى الشاه (الصفي سام ميرزا) الذي خلف الشاه عباس في الحكم اقبل وحصن قلعة بغداد ووضع عليهـا الامراء الخبيرون ثم اخذ ينتظر • وقدم السلطان وخيم قريبا من سامراء لبضعة ايام ثم تقدم نحو

(١) خلاصة تأريخ الكرد ص ١٧٦ •

بغداد وحاصرها نحو اربعين يوما ثم حفر الالغام تحت قلعتها ففتحها ودخلها [٢] .

ان هذا الفتح العثماني الجديد لم يعقبه اصلاح شامل في الاوضاع وظلت معظم الامور كما كانت من فتن داخلية وثورات انكشارية وغزوات عشائرية وازمات اقتصادية واوبئة وفيضانات وتهديد ايراني [٣] . اما المنطقة الكردية فكان يصعب على قوات ولاة بغداد التغلب على تمرد باشواتها ومنعهم من الاستعانة بايران ولذلك عملوا على ان يضربوا الكرد بالكرد [٤] . فكان ذلك اسس السياسة التي اتبعها الولاة طيلة الحكم العثماني للعراق ، فظلت المشكلة الكردية — الايرانية تعرض العراق من وقت لآخر لازمات حادة مرهقة [٥] .

وفي زمن (حسن باشا) الذي تولى الحكم في بغداد سنة ١٧٠٤ م وقعت البصرة في قبضة المنتفك في سنة ١٧٠٨ وقد خاض الوالي حربا ضد المغتصبين وانتصر عليهم في نفس السنة . ومن جهة ثانية كلف هذا الوالي بحرب ايران التي كانت تثير المشاكل للعثمانيين ، ولتدخلها السافر في شؤون شهرزور .

وفي سنة ١٧١٥ م (١١٢٧ — ١١٢٨ هـ) والسنة التي تليها اخذت الحملات التأديبية للباشا من اعالي ولايته الى اسفلها والى خارجها ايضا . وجرت حملة ضد البلباس وهم اكراد جبليون في شرق اربل . وكان بكربك ابن سليمان بك بابان او ابن اخيه قد اثار حسد السلطة في كركوك ، فازيح ثم اعتقل واعدم . وبذلك رجعت المناطق البابانية الى حوزة النفوذ التركي

(٢) اربعة قرون ص ٩٢ وما بعدها .
(٣) والي بغداد ص ١٨ .
(٤) العراق بين الاحتلالين (٤/١٨٥) .
(٥) والي بغداد : داود باشا ص ١٩ .

وبقيت كذلك حتى ظهور (خانه باشا) في ١٧٢٠ م [٦] .

والواقع ان حركات حسن باشا في ايالة شهرزور كانت مهمة ، لانها تضمنت عملية امتصاص وادماج . ثم اعيد النظام الى نصابه في حرير بعد ان ادى اختلاف وقع بين الاسرة السورانية الى سفك الدماء .

استطاع حسن باشا الحاق البصرة بأمرته وبسيادة غير مدونة على شهرزور وبضم ماردين المستقلة الى باشوية بغداد . وعين ابنه احمد باشا في سنة ١١٢٨ هـ / ١٧١٥ م حاكما على شهرزور . وفي سنة ١٧٢٣ م احتل مقاطعة همذان في ايران واضاف بذلك ايالة جديدة الى الامبراطورية العثمانية .

وكان حسن باشا مهيب الجانب طيلة حكمه البالغ حوالي العشرين عاما (١٧٠٤ — ١٧٢٣ م) . اما ابنه احمد باشا الذي عين باشا لشهرزور سنة ١٧١٥ م فقد نقل الى قونية واخيرا (وربما في ١٧٢١ م) الى البصرة [٧] .

هجوم نادر شاه على العراق سنة ١٧٣٢ م .

في سنة ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م . تقدم نادر شاه نحو العراق بمئة ألف جندي ، وبما انه لم يكن يتوقع حصول مقاومة شديدة في شمالي العراق ففصل قسما من جيشه وبعثه لتدبير امر كركوك واربل والموصل ، ولقطع اتصالها ببغداد .

فتقدم هذا الجيش الذي كان يقوده (نرجس خان) احد قواده ومر بطوز خرماتو وعاث فسادا بقرى كركوك غير انه خاب في محاولته لفتح القلعة أول الامر . ثم تقدم نحو اربل فاحتلها بعد حصار لقلعتها ، ثم تقدم نحو

(٦) اربعة قرون ص ١٥٧ .
(٧) نفس المصدر ص ١٥٩ .

الموصل وارتد الجيش عنها بعد دفاع مجيد من قلعتها ومن اهلها • ثم انضم هذا الجيش بالجيش الرئيس الذي يقوده نادر شاه بنفسه [٨] •

وقد ضرب البغداديون والمماليك تحت قيادة احمد باشا ، الذي سيطر على الانكشارية والقبائل في الشمال والجنوب وعلى الجيش الذي يقوده . اروع الامثلة في الاستبسال خلال حصار نادر شاه لبغـداد في نفس السنة المذكورة ولم تحدث اية خيانة كما حدثت في السابق [٩] •

عودة نادر شاه في سنة ١٧٤٣ م :

وقد تجددت اطماع نادر شاه من جديد • ففي ربيع عام ١٧٤٣ م • وصل رسله الى بغداد بالرسالة التالية : « لست راغبا من ضررك (الكلام موجه الى احمد باشا والي بغداد) ولا في انزال الضرر ببغداد ، انما انا انازع السلطان فسلم الي ولايتك وسوف لا تندم على ذلك » •

فشرح الوالي حاله هذه للسلطان ثم رد على نادر شاه بجواب مبهم . « خذ الموصل اسلم اليك بغداد » • ولكن الوقت لم يكن يسمح بالضرب على هذه النغمة [١٠] •

وكان غرض الباشا من اطالة المفاوضات للسفراء الايرانيين القادمين الى بغداد ان ينتهي موسم الحصاد في مزارع الحبوب لذلك قال له : خذ الموصل • ومع هذا فان اعظم الضربات المنتظرة من قبل نادر شاه وقعت في شمالي العراق لا في اواسطه ، فقد تقاطرت القوات الفارسية الى كركوك

(٨) اربعة قرون ص ١٧٠ •

(٩) مثل خيانة ابن العلقمي كما تروى سنة ١٢٥٨ م وخيانة اخوة ذي الفقار سنة ١٥٣٠ م حينما سلموا بغداد للشاه بعد قتلهم لاخيهم • وخيانة اولاد بكر الصوباشي حينما سلموا بغداد للشاه سنة ١٦٢٣ •

(١٠) اربعة قرون ص ١٨٣ •

عن طريق شهرزور وحاصرت حصونها وفر ضباط الحامية الكبار الى الموصل عندما علموا بعدد الجيش النادر شاهي وهو (٣٠٠٫٠٠٠) مقاتل .

غمر جيش الشاه هذا الريف وعاث فسادا فيه ، وقد فتحت قلعة كركوك بعد حصار دام ثلاثة اسابيع ثم استسلمت بشرط المحافظة على ارواح المدافعين واموالهم . ثم زحف الجيش فعبر الزاب الصغير واحتل اربل بعد حصار لقلعتها دام ستين يوما [١١] . ومن اربل سار الجيش الايراني الى هدفه الثاني : مدينة الموصل . وكانت الموصل قد اعد لها الحاج حسين واليها عدة الدفاع اعدادا روحيا وماديا ، فكان دفاع المدينة باسلا حيث انسحب نادر شاه بعد قيام صلح بين الطرفين [١٢] .

وفي هذا الوقت كان قسما من جيش العدو يعيث فسادا في اعمال بغداد مع العلم ان قوة نادر شاه الرئيسية كانت منشغلة في حصار الموصل كان اول تأثير لتلك الاعمال ارتفاع الاسعار في بغداد حيث قطع نادرشاه طريق شحن الحبوب الى الجنوب . رجع نادر شاه الى كركوك فخيم حولها ثم جرت مفاوضات بين والي بغداد والعثمانيين وبين نادر شاه ، انتهت بزيارة الشاه للعتبات المقدسة . وأخيرا ، وقد انتبه الشاه للفتنة في بلاده والاستعدادات التركية في الشمال ، فعبر الحدود ورجع من دون ان يضرب ضربة ما أو يوقع على شيء من العهود . وقد مر (بسنه) بعد ان ترك بعض قواته في كركوك فهاجمها الأتراك ودحرت بشدة [١٣] .

وقد توالت الحروب في الشمال من املاك العثمانيين ، فقد التحم الاتراك والايرانيون في ساحات القتال السنوية في ارمينيا وآذربيجان . وحاصر

---

(١١) دائرة المعارف الاسلامية . مادة اربل ص ٥٧٢ .
(١٢) تأريخ الموصل (١ / ٢٧٨) ومابعدها .
(١٣) اربعة قرون ص ١٨٦ .

الايرانيون (قارص) وانتصروا على جيش (يحيى باشا) في صيف عا ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ • فأعقب الشاه هذا الانتصار بشروط صلح لاتفاق فقد طلب (الاعتراف بالمذهب الجعفري وتسليم « وان وكردستان والعراق بأجمعه » اليه وفي ضمنه العتبات المقدسة) • ثم تنازل عن قسم من مطاليب في مداولات اخرى جرت في اوائل سنة ١٧٤٦ م • ولكنه اصر على مطالبت بكربلاء والنجف ، ولم تصل بشائر الصلح المعقود مع الشاه الى استانبول حتى شهر ايلول • وقد اهملت فيه المطاليب الدينية ضمنيا ، واعترف بالحدو التقليدية ، واتفق على تبادل السفراء •

ولكن وفاة نادر شاه المفاجئة — اغتيالا — تركت ايران مقبلة على دور تخبطت فيه بالفتن من دون ان تكون لها مدة جيل كامل القدرة الكافي لازعاج الامبراطورية العثمانية [١٤] •

الامارة السورانية وانكماشها :

لقد ضعفت الامارة السورانية الى حد كبير قبل دخول السلطان مر الرابع بغداد سنة ١٦٣٨ م • بسبب هجوم الاردلانيين واحتلالهم لراوندو وكوي وحرير والعمادية ، واشتداد اطماع البابانيين في هذه الفترة فخرجت مناطق كثيرة من ايدي الاسرة السورانية وتغلب عليهم البابانيون [١٥] •

ومرت الامارة بفترة ضعف شديدة بعد ذلك ، وحاول اميرها : اوغو بك بن علي بك توسيع امارته فاستهدف باديء الامر راوندوز التي كانت قد انفلت زمام حكمها من يد الاسرة منذ مدة وانتقل الى تصرف عشير دخيلة ، فراسل وجهاء المدينة واشراف حاراتها الثلاث فأجابوه : انه

(١٤) اربعة قرون ص ١٨٧ •
(١٥) امراء سوران ص ١٧ •

مستعدون لاطاعة امره ومؤازرته ، اذ تمكن هو الزحف على منطقتهم بقوة تكفي لاحتلالها • فأغار عليها على رأس مائتي رجل من الشجعان في عملية مباغتة وتمكن بفضل شجاعة رجاله وبمعونة السكان من السيطرة عليها • فنقل مركز الامارة بذلك من خليفان الى راوندوز [16] •

ويقول حزني : « ان اوغوز بك استطاع السيطرة على راوندوز بمساعدة سكان البلدة وبمعونة سيدة كردية في راوندوز اسمها (شهمام) كسب له انصارا عديدين وزحف على المدينة من جهتين • وللذكرى بنى برجين في قلعة راوندوز ، ولا يزال احد هذين البرجين باقيا ويعرف ببرج شهمام [17] •

أنشأ اوغوز بك حكومة في راوندوز سنة ١٠٥٣ هـ / ١٦٤٥ م ، فتقدمت البلاد على عهده وازدهرت بليدة راوندوز بالعمران والزراعة والتجارة وامها الناس من الاطراف للسكنى فيها، ثم غزا (دولي آكويان) وسهل (سوران [18] ووطد نفوذه في (سيد كان) و (هاوديان) وبين العشائر المسيحية القاطنة هناك وتوفي سنة ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ [19] •

وقد خلفه في الحكم ابنه احمد بك وفي حكمه حاول عدد من قادة الجيش التمرد عليه ، فأرضى قسما منهم بالعطايا واستعمل القوة مع الاخرين واخمد الفتنة [20] • وقد وسع الامير احمد امارته بأضافة نواحي : (دركله) و (بالكان) و (سيد كان) • وبعد فترة احتل (بيرەسني)

---

(١٦) مشاهير الكرد (١/١٢٤) • وامراء سوران ص ٢٨•
(١٧) امراء سوران ص ١٨ •
(١٨) يقصد به سهل ديانا •
(١٩) شرفنامة حاشية ص ٢٨٤ للاستاذ الروزبياني •
(٢٠) امراء سوران ص ١٩ •

و (دورگنة) و (دوله مر) .

وكان اميرا عـادلا سخيا [٢١] . وفي احد الايام خرج للنزهـة ا
(سه رسا) الواقعـة على طريق جنديان واثناء ما كان يتسابق وقع م
حصانه ومات في سنة ١١٧٠ هـ / ١٧٥٦ م .

حوادث هامة في المنطقة الكردية :

وفي هذه السنوات ازداد تصادم البابانيين وجـيرانهم الشماليين
راوندوز ، تلك الامارة الصغيرة التي مددت سيطرتها سابقا (سنة ١٦٠٠
الى ما وراء فتحتها الشهيرة في سهل حرير . وحافظ بيگات سوران
كوي على استقلالهم الى سنة ١٧٣٠ م حتى اصبحت على عهد خالد با
الطويل من توابع البابانيين [٢٢] .

وفي نفس الوقت نظمت العلاقات بين بك العمادية والاتراك . فقـ
حافظت أسرة البهدينان التي كان يقدرها السلطان مراد كثيرا على منزلته
الخاصة بها . الى ان ارسل احمد باشاكهية فحاصر العمادية واحتلها وع
معها شروطا بعد تأديب عنيف . ومنذ ذلك الحين كان يرسل اليهـا م
بغداد سنويا بالفرمان وبخلعة الحاكمية . وكان اعظم حاكم من حـــك
العمادية هو (بهرام باشا) الامير الذي يحدثنا التاريخ كثـيرا من مآ
ذريته [٢٣] .

وفي سنة ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م . سار الوزير احمد باشاوالي بغد
لتأديب سليم باشا بابان الذي اعلن ولاءه للايرانيين . ثم عفاه والي بغد

(٢١) شرفنامة حاشية ص ٢٨٤ للروزبياني .
(٢٢) من عمان الى العمادية ص ٧٩ .
(٢٣) اربعة قرون ص ١٩٤ .

بشفاعة والدته ، ونصب سليمان باشا بابان آل خالد باشا على شهرزور وعثمان باشا على كويسنجق ، وقوج باشا على اربل • وفي نفس السنة توفي والي بغداد احمد باشا بعد حكم قارب الثلاثين عاما (٢٤) •

نظرة اخيرة في حكم احمد باشا والي بغداد :

لقد حكم احمد باشا فترة طويلة (١٧٢٣ — ١٧٤٧ م) خلالها توفر للعراق عامة استقرار نسبي انعدم فيه تخوف العراق من الشرق مدة ثلاثين سنة • وكان احمد باشا بالاضافة الى كونه سياسيا بارعا كان محاربا عظيما وأوجد نوعا من الاستقلال للعراق في حكمه ، ورفض احيانا مرشحي الباب العالي لملأ بعض الوظائف في العراق •

وقد اكثر والده حسن باشا من شراء المماليك وسار على نهجه هو كذلك حيث اصطنعهم في وظائف مختلفة • وعمل احمد باشا على توحيد العراق • فكان اقرباؤه في زمن ما يديرون امور البصرة والموصل وكركوك وقد ورث عن ابيه ماردين وحكم العمادية وكردستان الوسطى مباشرة • فتضاءلت ايالة الموصل امام نفوذه ، ولم يعط كركوك الا قليلا من الاستقلال •

لم تطل سيرة احمد باشا اكثر من سيرة خصمه العظيم نادر شاه الا بمقدار ستين يوما • فقد توفي في حملته على سليم باشا بابان ، فنقلت جثته الى بغداد حيث دفن الى جانب والده تحت قبة ابي حنيفة (٢٥) •

---

(٢٤) العراق بين الاحتلالين (٥ / ٢٨١) •
(٢٥) اربعة قرون ص ١٩٦ •

الفصل السادس عشر

حكومة المماليك فى العراق

١١٦٢ هـ / ١٧٤٩ م — ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م

المماليك :

حكم المماليك العراق فترة تزيد على ثمانين سنة ، أنشأوا خلالها حكماً مستقلاً خاضعاً للدولة العثمانية من الناحية الاسمية فقط . ويبدأ حكم هؤلاء بتسلم سليمان باشا المسمى بأبي ليلة حكم بغداد سنة ١٧٤٩ م .

لم يخلف احمد باشا والي بغداد ابنا ولا حفيدا غير انه كان قد مـلأ قصره بالمماليك ذوي العيون السود والبشرة البيضاء وكان يضع جل اعتماده عليهم ، وكانت اسرته بالنسبة لهؤلاء بمثابة السيد والوالد وهي من جـاء بهم الى الوجود [١] .

وكان المماليك القوقاسيون قد عرفوا منذ اقدم العصور في تركية وفي مصر وظهروا في مختلف الازمنة في سرايات استانبول والمدن الصغيرةالاخرى وفي ايران كذلك . واصلهم من منطقة (تفليس) التابعةلبلاد الكرجوكانوا من الجماعات الفعالة القوية لا الغنية المسالمة ، وقد برهن جميعهم على قابلية فيما بعد في الاضطلاع بالمسؤوليات الجسام .

وكان حسن باشا والي بغـداد اول من أدخلهم الوظائف ، حيث ان

(١) اربعة قرون ص ١٩٧ .

تدريبهم الخاص ومزايا تعليمهم وتثقيفهم قـد جعلت منهم موظفين مدنيين يمتازون على الاتراك والعراقيين •

وقد تسلموا فيما بعد السلطة المطلقة في ولاية بغـداد على مشهد من السكان وبموافقتهم تقريبا • ويظهر ان تدرجهم من احط درجات الخمول الى ارفع المراتب يدين بنظرة الاسلام السمحة الى العبيـد والدعوة الى عتقهم ومعاملتهم معاملة حسنة •

ومن بين الكرج الذين اشتراهم حسن باشا والي بغداد الشهير وتعهدهم بالتربية مملوك يدعى (سليمان آغا) • وقد حصل هذا المملوك على حريته بخدماته الجلّى لأبن سيده العظيم وبشجاعته التي اظهرها في حصار نادر شاه لبغداد • ثم تزوج (عادلة خانم) البنت الكبرى لاحمد باشا بن حسن باشا سنة ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م • وغدا كهية للولاية سنين عديدة تمتع خلالها بشهرة واسعة ما بعدها شهرة الا شهرة الباشا • وقـد حببت قسوته التي اخضع بها القبائل شخصيته لسكان بغداد الذين كانوا يرحبون بالاستقرار •

ولما مات سيده في سنة ١٧٤٧ م كانت درجته الباشا ومير ميران ، بعد ان كان ساعده الايمـن (٢) مدة خمسة عشر عاما •

تسلم سليمان باشا حكم بغداد بعد اثنين من الباشوات فشلا في حكم بغداد وايجاد استقرار في العراق • وحكم البصرة وماردين ايضا • وقـد استقام في هذا المنصب مدة اثنتي عشرة ستة ضبط خلالها العشائر في الشمال والجنوب •

وهكذا بدأ حكم المماليك في العراق واستمر حتى ١٨٣١ م كان فيـه العراق يتمتع باستقلال فعلي مع وجود بعض مظاهر الاعتراف الاسمي للدولة

(٢) اربعة قرون ص ١٩٩ •

العثمانية مثل ذكر اسم السلطان في خطب الجمعة وعلى النقود وارسال بعض المال الى استانة سنويا ومرافقة جيش السلطان لقوات الباشا المملوك في تأديب العشائر .

احوال المنطقة الكردية :

في سنة ١١٦٤ هـ / ١٧٥٠ م . عاد سليم باشا بابان الميال لايران الى التمرد بالاتفاق مع عثمان باشا متصرف كوي وحرير . وصار يعيث معه في انحاء بغداد (٣) . وقد كانت تصرفاته مبعث شك منذ ايام نادر شاه . ويبدو انه اعلن الانفصال والاستقلال عن والي بغداد (٤) . فقاد سليمان باشا المملوكي والي بغداد حملة بنفسه ضده وكتب الى الوية بابان وكوي وحرير واربل امرا خاطب به العلماء والامراء يدعوهم الى الصواب، وكتب الى سليم باشا وعثمان باشا كلمات تهديد ولزوم الاخلاد للسكينة . وقد هرب سليم باشا الى ايران وعزل وعين مكانه ابن عمه سليمان باشا . اما عثمان باشا فقدتعذر عليه اللجوء الى ايران بسبب تعديه على الايرانيين فاختار الفرار الى جهة مجهولة . فعاد الوزير واقام في كركوك بضعة ايام . ثم سمع الوزير ان عثمان باشا واتباعه تحصنوا في جبل يسمى (آو كرد) فحمل عليهمودك قلاعهم ، ومع ان عثمان باشا واتباعه اظهروا الشجاعة والاقدام في المعركة ولكنهم هربوا . ووقع في الاسر كل من عثمان باشا واخوانه وابراهيم بك وسليمان بك وابنه حسن بك . فقطع الوزير أعناقهم وارسلها الىالاستانة.

أما شقيقه (قوج باشا) فقد التجأ بأتباعه الى قلعة اربل وتحصن بها وطرد منها كل من لا يتابعه واعلن عصيانه . فأمر الوزير بضرب الحصار عليه،

---

(٣) العراق بين الاحتلالين (٦ / ٢٤).

(٤) دوحة الوزراء ص ١١٦ .

ثم امره بالاستسلام والامان ولكنــه لم يلتفت الى ذلك وعندئذ حاصرهم الوزير من جميع الجهات لمدة تسعة ايام ثم احتل القلعة وقبض على قوج باشا وعلى أعوانه وقطع عنقه كما قطع اعناق بعض أتباعه وارسلت الى الاستانة(٥) .

عين الوزير كما ذكرنا سليمان باشا على امارة بابان ومنحه كوي وحرير ولواء اربل ومقاطعات كوپري وقره حسن وجصان . فحكمها الباشا البابانى من سنة ١٧٥٠ م حتى ١٧٦٠ م بلا مزاحم ، ولكنه تمرد على أيام الوزير علي باشا الذي نال الوزارة في بغداد سنة ١٧٦٢ . حيث بدأ يتولى جبايــة الرسوم والضرائب من هذه المقاطعات ويتصرف بها تصرف المالك بملكــه ، حتى اتسعت ثروته وبدأ يفكر في الخروج على السلطة فوجه اليه علي باشــا حملة التقى به في مكان يسمى (كوشك زنكي) بين كفري وامام فتمزق جيش سليمان ولكنه نجا حيث فر الى كرمنشاه . وبعد ذلك انيطت شهرزور الى اخيه احمد باشا بابان (٦) .

وعين تيمور باشا من آل عثمان باشا من امراء كوي السورانيين على كوي وحرير .

وبعد وفاة علي باشا والي بغداد تسلم الحكم في بغداد عمر باشا سنة ١١٧٧ هـ / ١٧٦٣ م .

وكان الوالي الجديد يكره احمد باشا البابانى ويميل الى سليمان باشا الهارب وهو اخاه فعينه على بابان وكوي وحرير واربل وآلتون كوپري وقره حسن وجصان وبدرة . اما احمد باشا المعزول فانسحب الى العماديــة ثم

(٥) دوحة الوزراء ص ١١٦ ــ ١١٨ . والعراق بين الاحتلالين(٦/٢٥) .
(٦) دوحة الوزراء ص ١٣٥ ــ ١٣٧ . ويقصد (بامام) قرية الاثني عشر اماما .
وانظر : العراق بين الاحتلالين (٦ / ٣٤) .

تركها الى الموصل • ثم توجهت ايالة بابان الى محمد باشا الذي استدعى اخاه احمد باشا واعطاه لواء كوي وقره داغ • ثم حدث الشقاق بين الاخوين فذهب احمد باشا الى الوزير ، الذي منحه مقاطعات بدرة وجصان ومندلي•

وفي سنة ١٧٧٢ م انتشر الطاعون في منطقة بابان [٧] فاستغل ذلك احمد باشا وهاجم كويسنجق • وقد تقابل الاخوان عند الزاب الأسفل في حرب ثم عقد الصلح بينهما • فعين محمد باشا اخاه احمد علي كوي ثم سحب ثقته منه فسجنه وهرب اخوه الاصغر الى بغداد • ويذكر ان سليمان باشا قتل على يد فقيه ابراهيم الذي اعدم الباشا اخاه ظلما فانتقم لذلك •

موقف ايران من النزاع :

عزل محمد باشا والي بابان بعد اتصاله بالايرانيين ولجوئه الى كريم خان الزندي فعين مكانه محمود باشا اخاه الاصغر ولكن الاخير تنازل لاخيه احمد بالباشوية •

وقد زود كريم خان محمد باشا بجيش لاستعادة ملكه • وقد اصطدم هذا الجيش الأيراني الذي قاده علي مراد خان بالقوات العثمانية على مقربة من قلعة (جولان) • وانكسرت القوة الايرانية ووقع قائدها اسيرا بيد العثمانيين • ولذلك جهز كريم خان ثلاثة جيوش انتقاما لهذه الحادثة • وكان الجيش العثماني قد انسحب الى كركوك حينما اصدر كريم خان امرا بمهاجمة البصرة من جهة وكردستان من جهة اخرى • وقد رأى القائد العثماني واحمد باشا ان القوة الوجودة معهما لا تكفي لصد الاعداء يضاف الى ذلك عودة الفتور بين الوزير واحمد باشا وقيام الوزير بتعيين محمد باشا لقضائي اربل وكويري ترضية للايرانيين وتهدئة لهم فلم ير احمد باشا واخوه محمود

(٧) العراق بين الاحتلالين (٦/ ٤٥) • دوحة الوزراء ص ١٤٦

باشا بـدا من الذهاب الى كركوك • والتحق بهما (تمر باشا) متصرف كويسنجق • الامر الـذي ادى الى تضعضع الوضع في المنطقـة • فاتهز ثم صدرت الأوامر بتعيين احمـد باشا لألوية حرير واربـل وكويري [٨] هذه الجيوش الزاحفة فطلب مساعدة الباب العالي •

وقد مكث الفرس ومعهم محمد باشا فترة في دربند بازيان ثم انسحبوا الى ايران ، وتردد خبر بعزل الوالي عمر باشـا فاثر هذا على الوضع وأعلن تمر باشا العصيان وحاول الهرب من كركوك الى كويسنجق ولكنه اعتقـل• ثم صدرت الاوامر بتعيين احمد باشا لالويـة حرير واربل وكـويري [٨] وكوي [٩] • وسافر احمد باشا ومحمود باشا والقائد العثماني ومن معهم من القوات حتى وصلوا كويسنجق وعسكروا فيها •

وفي وزارة سليمان باشا [١٠] الكبير (١٧٨١ م) كان متصرف كردستان (شهرزور) اول من اعان الوزير سليمان واوفـد ابنه عثمان باشا ليقـاتل المنشقين تحت لواء الوزير ، ولكن محمود باشا لم يحافظ على عهده مع الوزير واخذ يتقاعس في تنفيذ ما يؤمر به • لذلك سار اليه الوزير حتى وصـل كركوك • وتحصن محمود باشا وعثمان باشا في دربند • ولكن الوزير استطاع استمالة بعض امرائه ومناهم بالوظائف والرتب العالية فتخلوا عنه وامر الوزير بتعيين حسن بك حاكما على مقاطعة بابان ومنحه لقب باشا وعزل محمود باشا وبتعيين (محمود باشا بن تمر باشا) لمقاطعة حرير وكويسنجق ، ثم سار الوزير نحو الثائر الذي توسط لديه وقبل الوزير الوساطة بشرط تخليه عن كـوي

(٨) دوحة الوزراء ص ١٥٠ — ١٥١ •

(٩) اربعة قرون ص ٢١٦ •

(١٠) حكم بغداد بين (١٧٨٠ — ١٨٠٢ م) •

وحرير وابقاه حاكما على بابان [١١] ، نقض محمد العهد من جـديد وهاجم كويسنجق وسجن حاكمها محمود باشا آل تمر باشا . ولكن هذا كان شيئا موقتا فقد احتل العثمانيون كوي واطلقوا سراح حاكمهـا ، ثم طلب محمود باشا بابان العفو فقبل طلبه وعين ابراهيم بك آل احمد باشا لمتصرفية(كويسنجق وحرير [١٢] .

وفي السنة التالية (١٧٨٣ م) صمم الوزير على عزل محمود باشا لمـا رأى منه اخلاله بالشروط المعقودة . وخرج الوزير مع ابراهيم بك حـاكم (كوي وحرير) واصدر امرا بعزل محمود باشا وتعيين ابراهيم متصرفا على مقاطعات (بابان وكوي وحرير) مع منحه لقب باشا . وبعد تضييق الخناق على المعزول هرب الى ايران والتجأ الى علي مراد خان في اصفهان ، وقد وعده الاخير بتعيينه حاكما على (صادق بولاق) ولما لم يكن حاكم هذه المدينـة راضيا عن التخلي عن منصبه لذلك دخل مع عبد الرحمن باشا بن محمود باشا في حرب انتصر فيها عبد الرحمن في هذه الحرب لكن والده قتل .

ولما رأى عبد الرحمن بك ما حل بوالده اتجه نحو سافز . وقد حصل الاخوان عبد الرحمن وعثمان على قوة عسكرية من علي مراد خان وسارا بها نحو سافز ، ولكن علي خان ندم على ما فعل ودبر لقتل عثمان باشا الذيهرب قبل وقوع الحادث الى بلباس ثم واصل سفره الى راوندوز والعمادية ، ثم عاد واقام ببلباس وعاد ثانية الى العمادية [١٣] .

يبدو من الحوادث التي وقعت في هذه الفترة في منطقة بابان ان تبدل الحكام السريع في بابان وكوي وحرير كان منوطا برغبةوالي بغداد الشخصية

(١١) دوحة الوزراء ص ١٧٤ .
(١٢) نفس المصدر ص ١٧٦ .
(١٣) نفس المصدر ص ١٧٧ — ١٧٩ .

كيله لشخص دون آخر ، وكان يختار حكاما لهذه المقاطعات من بين اصدقائه في العائلة البابانية .

اما ايران فكان تأثيرها واضحا في نصب او عزل حكام بابان بدرجات متفاوتة تبعا لنوع العلاقات السائدة بينها وبين العثمانيين . وكثيرا ما لزمت ايران جانب امير باباني ضد آخر تبعا لما تمليه عليها مصلحتها في المنطقة .

عزل وتعيين :

في سنة ١٧٨٨ م توفي محمود باشا آل تمر باشا متصرف كوي وحرير وبذلك الحقت متصرفية وكوي وحرير بعهدة ابراهيم باشا متصرف بابان .

وفي السنة التالية عزل ابراهيم باشا ، ووجه مقاطعات (بابان وكوي وحرير) الى عبد الرحمن بك (١٤) ، ثم عزل عبد الرحمن باشا في سنة ١٧٩٧م من بابان وعين ابراهيم باشا على الامارة البابانية واعطى للباشا المعزول كوي وحرير (١٥) ، الى ان القي عليه القبض في سنة ١٨٠١ م وعلى اخيه سليم بك وعهدت ادارة كوي وحرير الى محمد بك ابن محمود باشا آل تمر باشا مع الرتبة الباشوية ، وابعدا الاخوان الى الحلة وبقيا فيها تحت المراقبة .

حرب البلباس :

في سنة ١٨٠٢ م توفي والي بغداد سليمان باشا الكبير فوجهت الوزارة الى علي باشا . واول عمل قام به علي باشا كان سيره لمحاربة البلباس الذين سار لمحربتهم حسن باشا قبل قرن (١٦) .

وكان البلباس في هذه الفترة يقومون بغارات على (صاوجبلاق) ومراغة

---

(١٤) دوحة الوزراء ص ١٩١ — ١٩٢ .
(١٥) نفس المصدر ص ٢٠٣ .
(١٦) اربعة قرون ص ٢٦٨ — ٢٦٩ .

وارمية ، مما حمل الحكومة الايرانية مكاتبة الدولة العثمانيـة للضرب على ايديهم . لذلك كتب الوزير الى ابراهيم باشا بابان باتخاذ الاجراءات ضدهم. اما الذين نزلوا في القرى المجاورة لاربل فقد توجه الوزير بنفسه اليهم على رأس حملة عسكرية . ولما بلغ آلتون كوپري نحو البلباس نحـو اماكنهم في الجبال . وتمكنت الحملة من الاستيلاء على مواشيهم واثقالهم كما تمكن ابراهيم باشا طردهم من نواحي كويسنجق حتى وصل مع جيشه الى اربل . ولحق بالوزير فيها . وقد وقعت غنائم كثيرة في ايدي القوات العثمانية منها (٦٠) الفا من الضأن والماعز والف رأس من البقر واكثر من ألف برذون وبغل عدا ما هلك في الطريق . وقد وزعت هذه الغنائم على سـكان اربل وكوپري وكركوك وسكان القرى المجاورة لهذه المدن تعويضا عما اصابهم من اضرار .

وقد مكث الوزير مدة شهر في اربل ثم سار الى محاربة اليزيدية وفي اثناء ذلك توفي ابراهيم باشا حاكم بابان فعهد بحكمها الى عبد الرحمـن باشـا (١٧) .

وفي سنة ١٨٠٤ م سار الجيش العثماني بقيادة (سليمان بك) ابن اخت الوزير وكان حاكما على اربل الى جبل شمر في نجد فشتت شمل الوهابيين ورجع (١٨) . ويذكر ان سليمان بك هذا اصبح كهية لخاله الوزير علي باشا ثم صار واليا على بغداد في سنة ١٨٠٨ م بعد يوسف باشا (١٩) .

ثورة عبد الرحمن باشا بابان :

في سنة ١٨٠٨ م عين سليمان باشا المذكور واليا على بغـداد والبصرة

(١٧) دوحة الوزراء ص ٢٢٣ .
(١٨) نفس المصدر ص ٢٢٧ .
(١٩) اربعة قرون ص ٢٧١ .

وشهرزور بعد يوسف باشا ، وفي نفس السنة سار الوزير لقتال عبد الرحمن باشا حاكم بابان الذي اعلن التمرد والثورة فعزله الوزير وعين مكانه آخر • فجهز الوزير حملة وتعاونت معه قوات حاميات اربل وكركوك وبعض الاكراد وعلى رأسهم (محمد بك آل خالد باشا) والخزنة دار (محمد بك) الموعود بمتصرفية كويسنجق لمحاربة عبد الرحمن باشا • ثم عين سليمان باشا بابان على كوي وبابان وعين محمد بك متصرفا على كويسنجق • وقد انتصرت هذه الجيوش على عبد الرحمن باشا عند دربند ، وعقبته حتى قزلجة قرب الحدود الايرانية •

وقد التجأ عبد الرحمن باشا الى حكومة ايران طالبا مساعدته • وكان الوزير قد وعد خالد باشا بتعيينه حاكما على بابان ثم صرف نظره عنه فتذمر خالد باشا وانضم الى عبد الرحمن باشا ، وعندئذ رأى الوزير اعادة تعيين عبد الرحمن باشا متصرفا على مقاطعة بابان وعزل سليمان باشا وجلبه الى بغداد (٢٠) •

وفي سنة ١٨١٠ م قتل سليمان باشا والي بغداد • فعهدت الولاية الى عبد الله آغا الخزندار السابق • فعزل هذا عبد الرحمن باشا حاكم بابان وعين مكانه في بابان وكوي وحرير خالد باشا • ولم يقف عبد الرحمن باشا مكتوفي الايدي فتحصن في سنة ١٨١١ م في كويسنجق • وقد تعاون الوزير عبد الله باشا مع (محمد علي الميرزا) الايراني على ابعاد عبد الرحمن باشا من بابان • لذلك اقتربت قوات الميرزا من كويسنجق وحاصرتها •

وقد امر الوزير باسناد بابان وكوي وحرير الى خالد باشا • ولكن تقدم الميرزا بقواته اخاف الوالي ، لان هذا التقدم كان يشجعه على الاستيلاء شيئا فشيئا على اقسام اخرى وكركوك خاصة • فندم عبد الله باشا الوزير

(٢٠) دوحة الوزراء ص ٢٤٤ •

على عمله السابق واصدر بيانا الى عشائر كردستان بوجوب الالتفاف حول عبد الرحمن باشا ومعاونته في انقاذ البلاد وايقاف الايرانيين عن التقدم واعادتهم الى ما وراء الحدود (٢٨) .

ولكن عبد الرحمن باشا استغل هذا البيان واطلع الميرزا على مضمونه . وعندئذ تصالح معه ووافق على اعهاد متصرفية بابان الى خالد باشا ، وكوي وحرير الى عبد الرحمن باشا ، وانسحب هو وقواته الى كرمنشاد ، وكانت مدة محاصرته لكويسنجق خمسة عشر يوما (٢٢) .

ويبدو ان عبد الرحمن باشا قبل هذا الاتفاق مضطرا وكان طامعا في ولاية بابان . وبعد ثلاثة اشهر وبايعاز من مقربي الميرزا اتجه نحو السليمانية بحجة النزهة . ولكن الوزير فهم قصده فترأس حملة عسكرية ضده .

ويظهر ان عبد الرحمن باشا لم يدخل السليمانية وكتب الى الوزير عبد الله باشا يعرض عليه طاعته ، فقبلت طاعته وامر الوزير بضم السليمانيه اليه . اما خالد باشا فأقام في بغداد وعهدت اليه ادارة مندلي (٢٣) في هذه السنة (١٨١٢ م) .

لم يكد عبد الرحمن باشا يستقر في امارته حتى سمح لاتباعه بعد ذلك بالاعتداء على القرويين في اطراف اربل وكركوك ، وحاول الهجوم على اربل وضمها الى الاراضي التابعة له . لذلك عزله الوزير وعين خالد باشا متصرفا على بابان ، وسليمان باشا متصرفا على كوي وحرير .

ثم ترأس الوزير حملته ضده فالتقى به عند كفري وانتصر عليه فهرب عبد الرحمن باشا الى جهة كرمنشاه مع حوالي العشرين شخصا تمكنوا من

---

(٢١) دوحة الوزراء ص ٢٥٤ .
(٢٢) نفس المصدر ص ٢٥٤ .
(٢٣) نفس المصدر ص ٢٥٥ .

الافلات • وقد عاقب الوزير في كركوك الذين شايعوا عبد الرحمن باشا وايدوه في ثورته وقبض عليهم وسجنهم ، ثم سار متجها نحو اربل ومن هنا حاول مواصلة سفره الى الموصل (٢٤) •

اما عبد الرحمن باشا فقد التجأ الى الشاهزادة محمد علي الميرزا وحاز على ثقته مرة اخرى حتى ان الميرزا ارسل الى الوزير عبد الله باشا يتوسط لحصول على عفو له •

وبينما كان خالد باشا يحاول مرة ثالثة تنظيم ولايته اخذ عبد الرحمن باشا يتوسل من جديد للايرانيين• ومع انهم لم يكن في انفسهم اي عطف كان ، فقد رحبوا بفرصة جديدة يؤيدون بواسطتها مطالبتهم بشهرزور • فطلب الميرزا اعادة اللاجيء اليه الى بابان والا تكن الحرب جزاءا للسكوت عن اجابة الطلب • وكان معنى عودته خسران الثمار التي جنتها الحكومة العراقية في واقعة كفري • وكان الميرزا قد اخترق الحدود بقوة مؤلفة من سبعة آلاف مقاتل ، وبينا كان الباشا متهيئا للاستعداد الحربي اعرض عن ترك بغداد بسبب فرار سعيد بك الى المنتفك • وبذلك اعيد عبد الرحمن بسهولة لحكم السليمانية وكوي وحرير • وبعد سنة قضاها بالسلم مات سنة ١٨١٣ م فخلفه ابنه محمود (٢٥) •

الامارة السورانية :

ذكرنا في الفصل السابق ان الامارة السورانية مرت بفترة ضعف شديد في النصف الاول من القرن السابع عشر • وفي النصف الثاني من هذا القرن بدأت الامارة تنتعش على يد اميرها اوغوز بك الكبير • وبعد وفاته

(٢٤) دوحة الوزراء ص ٢٥٦ • واربعة قرون ص ٢٧٤ •
(٢٥) اربعة قرون ص ٢٨١ •

تولى حكم الامارة ابنه احمد بك الذي اضاف بعض الجهات المجاورة ا
امارته ، وتوفي احمد بك اثناء سباق حيث سقط من حصانه .

تولى الحكم بعده ابنه اوغوز بك الصغير وانتعشت الاحوال الاقتصاد في عهده وتقدمت الزراعة ، فازداد غرس الكروم وسائر الاشجار المثمرة وامر بتسليف الزراع وفتح مدارس جديدة وعين لها المرتبات . وكان هد وادعا يتجنب الحروب . وقد انجب ستة اولاد هم : الامير (مصطفى بك الذي اتخذه ولي عهده ، وناط به ادارة شؤون الامارة ، حتى لا يفـ ـار عاصمة امارته راوندوز ؛ (وتسر خان) [٢٦] الذي كان يتولى الامور (هوديان) ؛ و (يحيى بك) الذي كان يتولى الحكم في (سيد كان) و (بايز بك) الذي كان يقـوم بادارة منطقة (بايپشتيان) ؛ وحسن با واحمد بك اللذان كانا مرافقين لاخيهما الاكبر مصطفى بك . وتوفي الام اوغوز بك الصغير سنة ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م [٢٧] .

ويذكر ان حرير كانت لا تزال الى هذه الفترة في حكم البابانيين الذ توسعوا على حساب الامارة السورانية مستغلين ضعفها . واستولى البابانيو كذلك على كويسنجق في سنة ١٧٣٠ م بقيادة خالد باشا بابان ، تلك المدي التي بقيت مستقلة حتى تلك السنة تحت حكم اسرة سوران [٢٨] .

اما اربل فكانت في هذه الفترة يتأرجح حكمها بين البابانيين والعثماني الذين كانوا يحكمونها مباشرة عن طريق أمير تركي يعينه والي بغداد . وا

(٢٦) او تيمور خان .

(٢٧) شرفنامة حاشية ص ٢٨٦ . ويقول امين زكي : انه تولى الحك مكان ابيه سنة ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ وان ابنه مصطفى بك سبب لـه مصاع جمة . مشاهير الكرد (١ / ١٢٤) . اما حزني المكرياني فيقول : ان توفي عام ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م . امراء سوران ص ٢٠ .

(٢٨) من عمان الى العمادية ص ٧٩ .

يسمح سليمان باشا البابابي (١٧٥٠ — ١٧٦٤ م) لحكومة راوندوز ان تتمتع بالسلم أثناء حكمه (٢٩) .

بعد وفاة اوغوز بك اضطلع باعباء الحكم في راوندوز مصطفى بك الذي جعل اخوته يذعنون له قسرا . وقد نصب اخوانه في مناطق مختلفة من الامارة . ولقد اثار هؤلاء معارضة في وجهه ولم تقف اطماعهم عند حد، ولكن مصطفى بك تغلب عليهم واخمد ثوراتهم غير مرة (٣٠) .

وفي سنة ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م . تصادق تمر خان مع سليمان بك البابابي حاكم كويسنجق وحرير وحرضه على الهجوم على راوندوز وطلب منه العون شريطة ان يصبح هو (تمر خان) حاكما على سوران . ويذكر ان عبدالرحمن باشا بابان كان قد اعلن ثورته ضد والي بغداد علي باشا في هذه الفترة لذلك عزل من منصبه ووجه حاكمية بابان لخالد بك بن احمد بك البابابي وكوي وحرير لسليمان بك بن ابراهيم البابابي المار ذكره .

تقدم سليمان باشا بجنوده ، ولم يكن بمقدور امير راوندوز ان يقف وجه عدوه . فقد اضعفت الاضطرابات الداخلية والنزاعات الشخصية امارته واكتفى بان تحصن في راوندوز . اما سليمان باشا فكان قد وصل منطقة (آلانا) (٣١) وعسكر جيشه هناك . ولما رأى مصطفى بك انه لاقبل له به قصد بنفسه سليمان باشا وعقد معه صلحا فانسحب البابابي من بلاده (٣٢) .

وقد هدأت الاحوال بعد ذلك في راوندوز حتى سنة ١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م . حيث اتفق اخوان مصطفى بك مرة ثانية مع الامراء البابانيين ضده . وكانت

(٢٩) اربعة قرون ص ٢١٦ .
(٣٠) امراء سوران ص ٣١ .
(٣١) قرية صغيرة في وادي خليفان .
(٣٢) شرفنامة حاشية ص ٢٨٦ للروزبياني .

احوال الامارة البابانية مضطربة في هذه الفترة بسبب طموح عبد الرحمن باشا الذي التجأ الى ايران اكثر من مرة اثر اندحاره .

وعرفنا فيما سبق انوالي بغداد اتفق سرا مع الشاهزادة لتضييق الخناق على عبد الرحمن باشا ، خاصة ان طموحه في التوسع لم يقف عند حد حتى طمح في السيطرة على اربل التابعة لحكم بغداد المباشر [٣٣] . وبتأثير من ايران وتخوف والي بغداد عبد الله باشا من تقدم الجيش الايراني لمطاردة عبد الرحمن وافق الوالي على تعينه حاكما لكويسنجق وحرير وتعيين خالد باشا على بابان [٣٤] .

ويقول صاحب كتاب السليمانيـــة : ان عبد الرحمن باشـــا نال عطف الشاهزادة محمد علي الميرزا في كرمنشاه مرة اخرى فاتيحت لعبد الرحمن الفرصة لاحتلال اربل والزحف منها على كركوك [٣٥] ، الامر الذي دفـع بانوالي الى عزله في سنة ١٨١٢ م وتعيين سليمان باشا على حرير وكويسنجق.

وكان اخوة مصطفى بك كما اشرنا قد اتفقوا مع سليمان بك ضده ، ففي ٢٠ رجب من سنة ١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م . حشد سليمان باشا جنوده وزحف على مدينة راوندوز وقلعتها . وضيق عليها الخناق من جهة الغرب ومن سهل (سەرسا) . فتحصن مصطفى بك في المدينة واحكم ابوابهـا حتى عجز البابانيون خلال شهر كامل من الحصار من دخولها . وفي شهر شعبان رجع عبد الرحمن باشا من اردلان بجيش قـوي وزحف به عـلى شهرزور ، فلما سمع بذلك سليمان باشا فك الحصار وتوجه لمساعدة خالد

(٣٣) دوحة الوزراء ص ٢٣٠ .
(٣٤) تأريخ السليمانية ص ١٥٥ .
(٣٥) نفس المصدر ص ١٢٧ .

باشا حاكم شهرزور [٣٦] . وقد كمن اتباع مصطفى بك للجيش البابانى اثناء الانسحاب في منطقة (گەلي ميگر) و (بيجان) حيث سدوا طرق المشاة الوعرة ، ثم انقضوا عليهم فأوقعوهم في خوف واضطراب شديدين . فولى الجنود البابانيون الادبار تاركين اثقالهم واسلحتهم غنائم للسورانيين [٣٧] .

ولم تمض فترة قصيرة على هذه الحادثة حتى اختلف مصطفى بك مع خوانه من جديد فأغار تمر خان والامير يحيى على راوندوز مرات عديدة ونهبا سوقها واتفق معهما بايز بك ، فوقف مصطفى بك امامهم حائرا ضعيفا . وحاول غير مرة التنازل عن الحكم لاحدهم ولكن زوجته كانت تمانع في ذلك وترى ان ينزل عن الحكم لابنه الاكبر محمد بك الموجود آنذاك في (جونه ميرگ) . وقد استدعاه والده وعرض عليه الامر فوافق بشرط ان لايتدخل والده في شؤون الامارة ، فخشي والده ذلك ومن ان يقتل جميع اخوانه (اخوان مصطفى بك) فلم يعهد له بالامارة [٣٨] .

وفي عام ١٢٢٩ هـ/١٨١٣ م . اضطر مصطفى بك الى التخلي عن الحكم فدعا الامير محمد بك مجددا . وبحضور شيوخ القوم وقادة الجيش قبل ابنه تولي الحكم وفق شروط فرضها على والده وهي :

١ — ان يعطيه والده ستين ألف ريال ووالدته ثلاثين الفا .

٢ — ان لا يتدخل والده بأي شكل من الاشكال في شؤونه واعماله .

٣ — ان يترك راوندوز وينتقل الى قلعة آكويان .

وفعلا انتقل والده الى آكويان وشيد هناك قلعة (دمدم) وسكن فيها الى ان توفي سنة ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٢ م ودفن في راوندوز . وبتسلم الامير

(٣٦) امراء سوران ص ٢٣ .

(٣٧) نفس المصدر ص ٢٣ .

(٣٨) نفس المصدر ص ٢٥ .

الامير محمد الحكيم عن والده في راوندوز بدأ عهد جديد في تاريخ امارة سوران بفضل شجاعته ودهائه وحسن تنظيمه للأمور ٠

الامير محمد بك بن مصطفى بك الملقب بالامير المنصور

ولد الامير محمد في راوندوز عام ١١٩٨ هـ / ١٧٨٣ م ٠ وامه (شاه زمان) ، وتلقى علومه على أيدي اساتذة خصوصيين ، حيث جلب له والده اشهر علماء زمانه ليتولوا تعليمه ٠

وفي سنة ١٢٢٩ هـ / ١٨١٣ م ٠ تسلم الحكم من والده حسب شروط معينة ٠ وبدأ بتقوية امارته بالسلاح والرجال فأنشأ قوات عسكرية جديدة من مشاة وخيالة مزودين بأحسن سلاح متوفر ٠ ثم حصن راوندوز بعدة قلاع وسور ٠ وشيد على احد التلال الواقعة في غربي راوندوز برجين ٠

وبعد الانتهاء من الاصلاحات العسكرية التفت الى الاوضاع الاجتماعية فمنع الرقص المختلط ، ومنع الجلوس في المساجد لغير التعبد ، وكان يقدر العلماء والصناع وارباب الاعمال ٠ وقد بث عيونه في ارجاء الامارة لتلقي الاخبار ٠

وقد نظم المذكور ادارة الامارة وقضى على اعمامه المنافسين له والذين كانوا لا يزالون يحكمون في بعض المناطق ، معلنا الحرب ضدهم في اول محرم من سنة ١٢٣٠ هـ / ١٨١٤ م ٠ حيث سقطت في يده قلاعهم ، فتم له السيطرة على راوندوز والقلاع المجاورة سيطرة تامة ٠ وبعد عام من هذا التأريخ فكر في توسيع بلاده فأحتل (برادوست) و (ليتان) و (زيبار)٠

وفي سنة ١٨١٤ م ارسل سفيرا الى طهران لعقد معاهدة صداقة مع ملكها الشاه (فتح علي) ٠

وقد سمى الناس الامير (بالامير الاعور) لان احدى عينيه قد اعورت وأصبحت منخفضة معتمة ، مع انه كان وسيم المظهر ، ابيض البشرة ، تبدو فيه آثار الجدري ٠ وكان ذو لحية بنية طويلة ، مرتب الهندام ، يتكلم بصوت خافت (٣٩) ٠

اصلاحاته الداخلية الاخرى :

في سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٥ ٠ اسس الامير عدة معامل لصنع السيوف والخناجر والبنادق والمدافع وقنابلها ٠ وانشأ كذلك معامل للصب والصياغة والنجارة ولبناء عربات المدافع ٠ واشهر من صنع المدافع له هو الاسطة (رجب) الذي استغل معادن الحديد والرصاص الموجودة في المنطقة لتسهيل مهمته ٠ ثم ضرب الامير السكة باسمه ٠

وفي عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ م ٠ صبت المدافع في مصانع راوندوز وخرجت للاستعمال وكان عددها (٢٢٢) مدفعا من زنة قنطارين واربعة وستة قناطير ٠ ثم ضربت مدافع اخرى في السنين التالية (٤٠) ٠

وفي سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٦ م ٠ كان الامير قد شرع في بناء وتعمير المساجد والمدارس والجسور ٠ فشيد تسعة جسور على نهر راوندوز ٠ وقد بنى مسجدا واسعا في وسط المدينة لا تزال جدرانه قائمة ٠

اعلان استقلال الامارة :

اكمل الامير تهيئة وسائل الحكم ونظم امارته في شكل حكومة عصرية وضع لها دستورا ونظاما للحكم ٠ وفي سنة ١٢٣٤ هـ / ١٨١٨ م ٠ اعلن استقلال امارته عن الدولة العثمانية وسمى نفسه بالامير المنصور امير سوران ٠

---

(٣٩) انظر : رحلة فريزر ص ٢٣ ٠

(٤٠) امراء سوران ص ٤٤ ٠

وهدد جيرانه وبث فيهم الذعر ، حيث شكاه محمود باشا الباباني لدى عباس ميرزا نائب السلطنة الايراني •

وكان لمجيء داود باشا الى الحكم في بغداد سنة ١٢٣٢ هـ / ١٨١٦ م له اهمية خاصة بالنسبة الى المنطقة الكردية • اذ تطلع والي بغداد الجديد ان يحل الامير السوراني محل البابانيين في كردستان لانه كان يميل اليه بسبب عدائه لايران وللبابانيين الذين وضعوا كردستان غير مرة تحت اقدام ايران . لذلك قوي داود باشا اواصر الصداقة بينه وبين باشا راوندوز الذي كان اشبه بالباشا المستقل الذي لم يخضع للشاه ولا للسلطان (٤١)•

وقد وعد محمود باشا بابان الوزير بأن يقطع علاقته بايران ، ولكن حاكم كرمنشاه (محمد علي الميرزا) هدد البابانيَّ في الخفاء فلم يستطع هذا ان يخرج عن طاعته • فلما سمع الوزير بذلك ارسل اليه (عناية الله آغا المهردار) لينصحه ولكنه لم ينتصح وبدأ يهمل اوامر بغداد فقرر الوزير عزله عن كويسنجق • ثم جهز عليه حملة بقيادة عناية الله ، وقد ضم هذا الى حملته بعض القوات الاحتياطية من حاميتي اربل وشمامك ، وعددا من عشائر الذرهيي •

وحين علم محمود باشا بدنو هذه الحملة منه ، اوفد احد اخوانه وهو حسن بك حاكم قرداغ الى ايران لمقابلة الميرزا • غير ان حسن بك جمع من اتباعه ما يقرب من الخمسمائة فارس واتجه بهم نحو بغداد ، فارا من اخيه ومتبرئا من اعماله • كما ان احد امراء كويسنجق وهو عثمان بك قد التحق هو ومحمد عيسى أغا مع توابعهما بالحملة التي يقودها عناية الله اغا حين بلغت مدينة اربل • وقد واصلت الحملة سفرها ، ووصلت الى كويسنجق واحتلتها وعسكرت فيها • وقد اصدر الوالي امرا بتعيين حسن بك حاكما على كوي

---

(٤١) داود باشا والي بغداد ص ١٣ •

وحرير مع رتبة الباشوية [٤٢] .

اما محمود باشا فانه استنجد بالحكومة الايرانية وطلب مساعدتها في التوسط لاعادته الى منصبه ، فلم تخيب الحكومة المذكورة امله فيها وجهزت حملة وارسلتها لمعاونته . ولكن الوزير جهز حملة بقيادة عبد الله باشا واشتركت فيها حامية كويسنجق والقبائل الموالية مثل عشائر دزه يي وشمامك . وقد تحرك الشاه زادة محمد علي الميرزا من كرمنشاه متوجها بحملته نحو كركوك لاحتلالها واحتلال كويسنجق . وقد واصلت القوات الايرانية هجومها الى قرب قرية تسعين الا انها ردت على اعقابها ولم تستطع الصمود امام القوات العثمانية فانسحبت ناهبة القرى الواقعة في طريقها اثناء الانسحاب وكان على رأس الفارين محمود باشا . ويظهر ان الجيش الرئيسي الذي يقوده الميرزا نفسه لم يتقدم كثيرا حينما سمع بخذلان القوات الايرانية المتقدمة . وركن الميرزا الى السلم لاعادة محمود باشا الى منصبه ، فوافق الوزير على اعادته لحاكمية كوي وحرير فقط [٤٣] .

اربل في هذه الفترة :

رأينا سابقا ان اربل كانت تحكم مباشرة من قبل والي بغداد الذي يعين لها حاكما . وقد عين سعيد باشا سلف داود باشا خالد باشا بابان على حكومة اربيل اولا ، وعلى حكومة كوي بعدها . وكان سليمان بك الابن الاكبر لابراهيم باشا بابان يحكم في كوي ، وقد التجأ حسب المعتاد الى الميرزا في كرمنشاه [٤٤] . ثم عين عبد الله باشا اخا عبد الرحمن بابان حاكما على

(٤٢) دوحة الوزراء ص ٢٨٢ — ٢٨٣ . والعراق بين الاحتلالين (٦/٢٥١) .

(٤٣) دوحة الوزراء ص ٢٨٥ — ٢٨٦ .

(٤٤) اربعة قرون ص ٢٨٣ .

السليمانية بدل محمود باشا الذي استجار بايران • واستعد سعيد باشا لتأييد مرشحه وتمكينه بالسلاح • ووصل في هذا الوقت مندوب من استانبول ندب لكشف حالة الحدود فأقام مدة ادرك خلالها ضعف سعيد ، ومقدار تدخل الايرانيين ، وسوء الادارة الشائن في العراق •

وبعد اسابيع قليلة عزل سعيد باشا من منصبه كوالي بغداد [٤٥] بعد ان حكمها من سنة ١٨١٣ الى سنة ١٨١٦ م •

وممن حكم اربيل في اوائل حكم داود باشا (١٨١٧ — ١٨٣١ م) (يحيى عبد الله افندي الاربلي) الذي كتب قصائد في مدح الوزير داود ، فعينه حاكما على اربيل [٤٦] • وتولى حكم اربيل في نفس الفترة (محمدبك ابن خالد باشا بابان) وقد عينه الوزير في ذلك المنصب بعد ان اعجب ببسالته في حرب الخزاعل •

الامارة السورانية وداود باشا :

مع انتعاش الامارة السورانية المتواصل على يد الامير محمد بك بدأ تدهور الامارة البابانية بسرعة • وكان داود باشا يقدر ان القوة الكردية في المنطقة كانت خطرا شديدا عليه اذ كانت تحط من قدره ومنزلته في نظر الباب العالي الذي وصمه بالعجز عن ضمان ولاء الكرد للسلطان • لذلك اراد داود باشا ان يقلم اظافر محمود باشا بطريقتين :

١ — التضييق عليه بالسيطرة على بعض المواقع الكردية الهامة مثل (كوي) واربل وآلتون كوپري وقد اشرنا الى حملة عناية الله التي حققت هذا الغرض •

---

(٤٥) اربعة قرون ص ٢٨٣ •
(٤٦) دوحة الوزراء ص ٢٧٨ — ٢٧٩ •

٢ ـ اجتذاب احد الامراء البابانيين الى جانبه وذلك لايجـاد منافسة بينهم على الحكم لاضعافهم ، حيث تم تعيين احد امراء بابان وهو حسن بك على كوي وحرير [٤٧] .

ثم ساءت العلاقة بين حسن بك وبين داود باشا الذي احتجز حسن بك في بغداد سنة ١٨٢٠ م . ويذكر ان الوزير اصدر عفوه عن محمد باشا بن خالد باشا في سنة ١٨١٩ م والذي سجنه متسلم كركوك لما قام من اعمال مخلة بالنظام والامن في منطقة كركوك وسجن معه كذلك والده خالد باشـا وسليمان باشا بن ابراهيم باشا . وقد شمل الوزير خالـد باشا وسليمان باشا بعفوه كذلك .

ولكن محمد باشا الذي خصصت كركوك لاقامتـه لم يلبث ان غادر المدينة في السنة التالية (١٨٢٠ م) الى كرمنشاه والتحق بالميرزا محمد علي . ولما سمع الوالي بذلك القى القبض على والده خالد باشا ، ثم اتجه نحو ايران وجمع قوة كبيرة سار على رأسها حتى الحدود وارسل قوة اخرى في اربيل تقدر بأكثر من الفي محارب بقيادة احمد بك نحو ايران ايضا . ولما علم الشاهزادة بذلك تظاهر بالولاء والصداقة وارسل الى الوالي بعض الهدايا ، وقد تظاهر الوالي هو ايضا بالمثل وشكره على هداياه [٤٨] واعلمه بانه انما قدم الى هذه الجهات بقصد الصيد .

وفي نفس السنة شوهدت تحشدات ايرانية على الحدود بتحريض من محمد باشا آل خالد باشا وسليمان باشا آل ابراهيم باشا وعبد الله باشا وهو اخـو عبد الرحمن باشا ، وهؤلاء الامراء كانوا قـد فروا الى إيران والتجأوا الى الشاهزادة وحرضوه على مهاجمة العراق .

---

(٤٧) داود باشا والي بغداد ص ١٢١ .

(٤٨) دوحة الوزراء ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

فاتجه الميرزا بقواته نحو (زهاو) وتخطى الحدود ومعه محمد باشا واحتلوا (خانقين) .

وقد جمع الوالي قوة كبيرة لردهم وطلب مساعدة الباب العالي ، وخلال ذلك عين الميرزا عبد الله باشا حاكما على شهرزور وبعث معه قوة عسكرية لمهاجمة السليمانية واحتلالها وكان فيها يومئذ محمود باشا الذي طلب مساعدة الوالي . وتقدمت قوات كتخدا بغداد باتجاه السليمانية في الوقت الذي هاجم عبد الله باشا السليمانية فلم يفلح في احتلالها وارسل في طلب قوة جديدة من كرمنشاه . الامر الذي حمل الوالي على الخروج بنفسه لمقاتلة المتدخلين .

ثم انتشر المرض بين جند الوالي ، وعلم كذلك بخيانة (محمد)كتخدا الوالي واتصاله بعبد الله باشا . وفي السنة التالية ١٢٣٧ هـ / ١٨٢١ م التحق محمد كتخدا بالايرانيين واقترب الشاهزادة من (دلي عباس) ، ولما رأى ان التقدم نحو بغداد ليس سهلا عرض الصلح على الوالي الذي وافق عليه بشرط ان تعطى مقاطعة بابان الى عبد الله باشا وكوي وحرير الى محمد باشا . وعاد الميرزا بجيوشه الى ايران وتوفي في الطريق بمرض اصيب به(٤٩) .

ويذكر ان الهيضة الحادة (الكوليرا) قد تفشت في الجيش الايراني وأخذت تفتك به ، ومن المحتمل انها كانت قد تفشت في بغداد ايضا . ووقع الامير الايراني نفسه فريسة للمرض الوبيل . وكانت وفاته قد اعادت الخصومة المتعبة بين افراد الاسرة البابانية . فقد استعاد محمود باشا السليمانية لنفسه بحملة ثم ضردته الجنود الايرانية .

ثم التحق محمود باشا بعبد الله باشا بعد نبذ التابعية التركية . وقد سبب ارسال احمد بك ، اخي داود لتولي دويلة السليمانية بنفسه التجاء محمود بسرعة الى ايران ، ولم يسد السلم الا عندما اتفقت القوتان(ايران

(٤٩) دوحة الوزراء ص ٢٩٨ — ٣٠٠ .

وبغداد) على نصب محمود في السليمانية وعبد الله في كوي [٥٠] .

ويذكر (ريج) الذي زار السليمانية في ربيع عام ١٨٢٠ م ان والدة محمود باشا قد توسطت لدى الوالي في موضوع نزاع جرى بين البابانيين ووالي بغداد فيقول : « ان باشا بغداد استقبل والدة محمود باشا .. وانه من المحتمل ان تقبل مقترحاته هو ، وانه منح في الوهلة الاولى مقاطعة (قره حسن) مع تسلم حسن بك [٥١] والوعد بتوليته على (اربيل) و (آلتون كوبري) ، على ان يطلق سراح باقر خان الذي يلازم السليمانية منذ مدة كرسول من شهرزادة (كرمنشاه) جاء يطلب ثلاثين الف تومان[٥٢].

والمعروف ان هذا الصراع بين داود باشا وآل بابان كان فرصة انتهزها الوكيل السياسي البريطاني في بغداد (المستر ريج) لكسب ثقة البابانيين من ناحية ولتحريضهم على الانفصال عن جسم العراق من ناحية اخرى [٥٣]، سيما وان تدخل ايران كان مستمرا ومناسبا لخلق وضع كهذا .

وكانت معاهدة ارضروم الاولى ، الموقعة في الثامن عشر من تموز ١٨٢٣ م / ١٢٣٩ هـ . من الوثائق المهمة ، الا انها لم تكن تؤذن بالتسوية النهائية بين ايران والدولة العثمانية الا قليلا . وقد صودق بها على حدود مراد الرابع القديمة [٥٤] . ولكن هذه المعاهدة لم تأت بشيء جديد بالنسبة الى تعيين الحدود من جميع الوجوه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والجغرافية لتحديد تبعية كل عشيرة تحديدا دقيقا . فكان من الطبيعي ان

(٥٠) اربعة قرون ص ٢٩٧ .
(٥١) الاخ الاصغر لمحمود باشا ، وقد فر الى بغداد قبل عام .
(٥٢) رحلة ريج ص ٧٥ .
(٥٣) تأريخ العراق الحديث ص ١٢٩ .
(٥٤) اربعة قرون ص ٢٩٧ .

تعود الخلافات بين بغداد وكرمنشاه بشأن المشكلة الكردية بسبب استمرار تدخل القوات الفارسية في امور الامارة البابانية وبسبب وجود الفرس في (زهاو) برغم من ان المعاهدة جعلتها من اراضي الدولة العثمانية • بل واحتدت الازمة الكردية الفارسية عندما ظهرت الامارة الصورانية — بعد نهضتها الجديدة — في راوندوز كقوة جديدة تسعى الى التوسع على حساب فارس والامارة البابانية في السليمانية وعلى حساب ولاية الموصل كذلك •

ونظرا لان داود باشا كان يسعى الى كسر شوكة آل بابان وجد في هذه الامارة الكردية القوة القادرة على تحقيق هدفه • وهذه السياسة تؤكد انه برغم عناية داود بالجيش كان لا يزال حتى اواخر ايام حكمه عاجزا عن فرض حكمه على كردستان (٥٥) •

ولا شك ان هذه التطورات الخطيرة التي رافقت علاقات البابانيين السيئة بباشا بغداد قد اضعفتهم الى درجة ملموسة واعطت الفرصة الى الامارة السورانية لكي تتوسع وتمتد اراضيها على حسابهم •

فتوحات الميركور :

في سنة ١٨٢١ م بدأ باشا راوندوز يراسل رؤساء العشائر ورجالات حرير واربل وكويسنجق ، وعقد مع هؤلاء اتفاقيات ود وصداقة • وفي السنة التالية هاجم الامير مدينة حرير التي كانت عاصمة آبائه واجداده ؛ وكان البابانيون يحكمونها منذ زمن بعيد • وقد انسحب الجنود البابانيون نحو كويسنجق دون قتال (٥٦) • وبعد ثلاثة ايام زحف الامير على خوشناو (منطقة شقلاوة) ؛ وقد تم الصلح بين اميرها ومحمد بك بعد قتال عنيف

(٥٥) تأريخ العراق الحديث ص ٢٢٩ •
(٥٦) امراء سوران ص ٤٦ •

وقد عاهد امير خوشناو الخضوع له .

ثم سار الامير بجيشه قاصدا قلعة (ديره) حيث هرب منها الجند البابانيون ووقعت قلعة ديره في يد الامير بدون اراقة دماء .

ثم تقدم الامير نحو اربل وقد اجتمع حوله جنود خوشناو وسورچي وزراري وكوري وكان هؤلاء قد تم احتشادهم قرب حرير . وكان الامير قد اتفق مع علماء اربل ووجوهها اتفاقية مهدت له دخول اربل دون مقاومة تذكر عدا المقاومة التي ابدتها قلعتها في وجهه . وفي اثناء وجوده في اربل عين ابن صهره (خدر بك بن بايز بك) حاكما على المدينة . وكان احتلال اربل في العشرين من رمضان جنة ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٣ م [٥٧] .

اخضاع المناطق المجاورة لاربل :

وارسل الميركور اخاه (رسول بك) لمحاربة قبائل دزەيي والقبائل العربية ولكنه انكسر امام هذه القبائل اول الامر في منتصف ذي الحجةمن سنة ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٣ م وفي مفتتح السنة المقبلة جهز الامير جيشا جديدا لقتال نفس القبائل واعطى قيادته الى اخيه رسول بك كذلك . وقد استطاع اخوه بعد حرب ضارية الانتصار عليها في هذه المرة واسر زعيم القبائل العربية الشيخ حمود وارسل الى اربل . وقد اخضعت جميع القبائل الموجودة في منطقة كنديناوة [٥٨] .

وفي العاشر من رجب من نفس السنة زحف الامير على (آلتون كوپري) واحتلها وعين عليها (عەودي كاكەرەش) ، ثم عاد الى اربل .

(٥٧) امراء سوران ص ٤٧ .
(٥٨) نفس المصدر ص ٤٨ .

طرد البابان من رانية وكويسنجق :

بعد تنظيم امور اربل جرد الأمير حملة في صفر ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م على كويسنجق فتركتها القوات البابانية بدون قتال وعادت الى السليمانية عن طريق دوكان . فأحتلها الأمير ودخلها وسط مظاهر الفرح ، ونصب ابن عمه (عثمان بك) حاكما عليها وانعم على زعماء المدينة الهدايا والمنح . ثم شيد قلاعا وبروجا حول المدينة وفي داخلها بنى قلعة حصينة . وفي جمادى الثانية من نفس السنة هاجم رانية واستولى عليها وانسحب البابانيون منها كما انسحبوا من المناطق الاخرى وعادوا الى السليمانية . فبنى الامير في مضيق رانية وعلى ضفاف نهر دوكان وعلى تل (سارتكه) وفي قرية (قهمچووغه) قلاعا واسوارا للدفاع ضد المغيرين .

وخابر محمود باشا وعقد معه معاهدة واصبحت (قهمچووغة) الحد الفاصل بين ممتلكات سوران وبابان . وشيد هنالك سورا وستة ابراج للجنود (٥٩) .

اما محمود باشا الباباني فلقد كانت الخصومات المحلية قد انهكته ، ولم يكن بوسعه الصمود امام سيل جنود الامير المحاربين الاشداء ولم يكن يستطيع الوقوف امام حملاتهم المتتابعة . وكان عبد الله باشا الباباني ينتظر الفرصه من (سهرددشت) لينقض عليه ، فلما هوجم من جانب الجيش القاچاري من جهة كرمنشاه وخرقت حدوده ، اضطر الى التراجع امام امير راوندوز وتحاشى الاصطدام به واتفق معه كما قلنا (٦٠) .

ويقول الدكتور عبد العزيز سليمان في كتابه (تأريخ العراق الحديث) .

---

(٥٩) امراء سوران ص ٥٠ .
(٦٠) نفس المصدر ص ٥٠ .

« ان داود باشا سلط الميركور على البابانيين • ودارت المعارك الطاحنة بين ميركور من ناحية والامارة البابانية من ناحية اخرى ، وكانت كفة الميركور هي الراجحة • ولم تكن هذه الانتصارات نتيجة لمهارة الميركور العسكرية فحسب ، بل كذلك لعنايته باستغلال موارد بلاده وبتكوين قوة المدفعية لها تمكينها في تلك الجهات » (٦١)•

عودة الامير الى راوندوز :

بعد احتلال كويسنجق ورانية عاد الامير الى راوندوز وسط الابتهاج وفي جو من السعادة المفعمة بعد فتوحاته الناجحة المتوالية • وردا على عبارة (حاكم بابان وكويسنجق وحرير) التي كان حكام بابان يتلقبون بها ، صب الامير في عام ١٢٤٤ هـ / ١٨٢٨ م مدافع عديدة كتب عليها (نصر من الله وفتح قريب • الامير المنصــور محمد بك متصرف راونـدوز وكويسنجق وحرير) •

وقــد اعترفت به ايران وانعمت عليه بلقب (حــاكم امارة راوندوز المستقلة) • ووصلته تهاني من الحكومــة الايرانية وحاكم (هــه كاري) وحاكم (موكري) • وانتاب حكومتي بغداد والموصل قلق عظيم ، فأرسل داود باشا العالم الكردي المعروف (الملا محمد الخطي) (٦٢) الى الامير مصحوبا بالهدايا وليعقد معه اتفاقية صداقة وتقديم التهاني له لانتصاراتــه على البابانيين • وقد بقي المــلا الخطي في راوندوز ، وتولى منصب شيخ الاسلام وصار مفتيا لبلاد سوران ،كما اتخذه الامير معتمدا ومشاورا له(٦٣)•

(٦١) انظر كتابه : تأريخ العراق الحديث ص ١٠١ ـــ ١٠٢ •
(٦٢) من اهالي قرية (خه تي) •
(٦٣) امراء سوران ص ٥١ •

الامير ومنطقة بهدينان :

في عام ١٢٤٤ هـ / ١٨٢٨ م • قتل الامير الكردي علي بك الدا
امير اليزيدية (علي آغا الالقوشي) او البالطي [٦٤] ، فالتجأ العالم المعرو
الملا يحيى المزوري الذي كان ابن اخي (علي آغا) المقتول الى الامير محـ
ملتمسا منه الثأر والانتقام ، وذلك في منتصف ذلك العام [٦٥] •

وبعد وصول الملا يحيى وقع خلاف بين سعيد باشا العمادي وبين اخ
موسى بك فالتجأ الاخير كذلك [٦٦] الى محمد بك طالبا منه العون • وقـ
لقيت استغاثة اللاجئين استجابة لدى الامير ، فاستعد الامير للانقضاض عـ
بهدينان واليزيدية ، وجهز الجيوش والمعدات •

وفي سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م [٦٧] سار الامــير بقوات كبيرة نحـ
الزاب وهاجم منطقة الاكراد الداسنيين وقتل منهم الكثير • فقام علي بـ
الداسني بجيشه لملاقاة الامير ، وبعد قتال شديد ضيق الخناق على اليزيد
حتى اضطره الى الفرار وهرب بأهله واولاده الى طور عابدين •

اما رجاله فقد اختفى كثير منهم في الجبال والوديان وتوجه معظمه
الى الموصل ، وتعقبهم الامير قتلا وجرحا واسرا والتقى من جديد بعلي بـ
في (تل قوينجق) وحاصره من كل صوب وبعـــد قتال لم يستمر طوي
استسلم علي بك فأرسله الامير مع اهله فورا الى العاصمة راوندوز •

ويذكر بأن اليزيدية بعد فرارهم امام الراوندوزي التجأوا الى جهـ

(٦٤) نسبة الى قرية بالطة بجوار بريفكان على مسافة بضع دقائق •
(٦٥) امراء سوران ٥١ ــ ٥٢ •
(٦٦) امارة بهدنيان العباسية ص ١٠٣ •
(٦٧) في سنة ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م • كما في امارة بهدنيان العباسيـ
ص ١٠٣ •

مختلفة ، مثل جبل جودي وطور عابدين وجبل سنجار • ومنهم من فر الى الموصل فلم يجدوا ملجأ فان الجسر كان قد ازيح عن دجلة خوفا من غائلة جنود راوندوز فتحصنوا في تل قوينجق فحاصرهم الباشا اياما حتى قضى عليهم وقتلهم عن بكرة ابيهم (٦٨) •

ونهب الامير جميع القرى والضياع الواقعة في اطراف الموصل واخضع كل من وقف في طريقه ، وسار بجيشه قاصدا العمادية وبوصوله اليها حاصرها بشدة فتحصن فيها الامير سعيد باشا (٦٩) وبدأ يستعد للمقاومة • اما الامير محمد بك فكان من جهة يواصل حصاره الشديد للمدينة ، ومن جهة اخرى ارسل قسما من قواته لاحتلال زاخو بقيادة احد اقربائه واسمه (شالي بك) وارسل قسما آخر منها بقيادة رسول بك الى سنجار فأحتلها (٧٠) •

وقد دام حصار العمادية ثلاثة اشهر ، ثم تصالح الطرفان على عدم الايذاء والقتل واعطى الامان للمدافعين ، فدخل الامير المدينة ونظم ادارتها ونصب موسى باشا اميرا على العمادية وترك له عددا من الجنود (٧١) • اما سعيد باشا فقد وقع اسيرا في يد الامير فأكرمه واخذه الى معسكره في (سرعمادية) (٧٢) •

وقبل ان تنصرم سنة على هذه الاحداث ساق الامير جيوشه لفتح عقرة فتصدت له قوات اسماعيل باشا • وبعد معارك دامية سقطت عشرات من القتلى من الجانبين فيها اصدر الامير امرا بالهجوم على القلعة تحت جنح الظلام

(٦٨) تأريخ الموصل (١ / ٣٠٦ ٣٠٩) •
(٦٩) امارة بهدينان العباسية ص ١٠٤ •
(٧٠) امراء سوران ص ٥٣ •
(٧١) نفس المصدر ص ٥٣ •
(٧٢) امارة بهدينان العباسية ص ١٠٥ •

فتحت القلعة وفر منها الزيباريون بعد مقاومة باسلة • ثم توجه علماء المدينة لمقابلة الامير وتصالح الطرفان •

اما اسماعيل باشا فقد هرب نحو الجبال • وقد سقطت عقرة في يد الامير في ايلول سنة ١٨٣٢ م (٧٣) •

وبعد ان نظم الامير شؤون عقرة سار الى زيبار وفتحها هي الاخرى عنوة • وبعد ان وقعت منطقة عقرة برمتها تحت سيطرة الامير ، زحف بجيشه لاحتلال الجزيرة (٧٤) وبعد مناوشات واصطدامات ضيق الخناق على امير (ازيزان) وفتح الجزيرة وسار الى قلعة (ارخ) ، وفتحها ، ثم انعطف نحو الموصل وسار الى (القوش) فأوقع بين سكانها القتل الذريع الى ان افناهم عن بكرة ابيهم ، ثم سار الى (دير هرمز) الذي كان يقطنه الرهبان فتواروا مع سكان المنطقة عن الانظار ، ولكن لفيفا منهم ساروا للقاء الامير فأعطاهم الامان (٧٥) •

ثم نهب الامير ضواحي مدينة الموصل ، وسار بنفسه على رأس قوة كبيرة الى زاخو ودهوك واحتلها كما اعاد احتلال العمادية (التي لابد ان قد تكون قد شقت عصا الطاعة بعد ان تركها الامير متجها الى عقرة)واعاد تنصيب موسى باشا حاكما عليها ، وسار الى الجزيرة مجددا ، فقد كان اهلها قد اعلنوا العصيان بعد رجوع الامير واعاد فتحها بالقوة وسيطر على الجزيرة برمتها (٧٦) • وقد افزع الامير البدر خانيين في حصن كيفا وهذا

(٧٣) امراء سوران ص ٥٥ •
(٧٤) المقصود بالجزيرة : جزيرة ابن عمر •
(٧٥) امراء سوران ص ٥٦ • وتأريخ الموصل (١/٣٠٦) •
(٧٦) امراء سوران ص ٥٦ — ٥٧ •

نصيبين وماردين ، غير ان هذا كان حده الذي وقف عنده [٧٧].

وعقب سفر الامير الى نصيبين وماردين تمرد سكان العمادية على الامير موسى باشا وطردوه من المدينة والتفوا حول الامير سعيد باشا ونصبوه اميرا عليهم ، فاطلع الامير على ذلك . وقبل ان يهاجم العمادية هاجم ضواحي الموصل ثم عاد باتجاه العمادية التي تحصن فيها سعيد باشا والاهالي . وظل الامير محاصرا المدينة ومقاتلا المدافعين عنها ثلاثة اشهر تقريبا . فعم القحط وإنتشرت المجاعة في المدينة المحاصرة ، فأضطر المحاصرون الى طلب الصلح فأعطاهم الامير الامان والمحافظة على ارواحهم وممتلكاتهم على ان يسلموا إليه سعيد باشا .

واعيدت الامور الى نصابها في المدينة وعين الامير اخاه رسول بك حاكما على المدينة ، وقد تم كل ذلك في سنة ١٢٤٩ هـ/١٨٣٣ م [٧٨] والتحقت العمادية براوندوز [٧٩] .

---

(٧٧) اربعة قرون ص ٣٤٣ .
(٧٨) امراء سوران ص ٥٧ — ٥٨ .
(٧٩) تأريخ الموصل (١ / ٣٠٦) .

الفصل السابع عشر

الدولة العثمانية والميركور

اصبحت الامارة السورانية بعد الفتوحات المظفرة التي قام بها الميركور اقوى إمارات كردستان ولم يبق امام الامير للسيطرة الكاملة على الكردسوى القضاء على الامارة البابانية في السليمانية (١) .

وكانت الامارة البابانية قد دخلت في هذه الفترة في صراع حاد بسبب تنازع الاخوين محمود باشا وسليمان باشا (٢) . وكان سليمان بابان ينظر الى نمو هذه الامارة السورانية السريع بكل خوف فلجأ سليمان الى الفرس على عادة البابانيين وتعاون معهم على ارسال حملة مشتركة ضد ميركور امير راوندوز اذ كانت الحكومة الفارسية هي الاخرى تخشى من هذه الامارة الفتية . وكانت حوادث الحدود — بين الامارة السورانية والدولة الفارسية — تزيد من حدة التوتر بينهما وتطورت المنازعات الى اشتباكات مسلحة .

وشدد الفرس الضغط على الامارة السورانية الى الدرجة التي اضطرت ميركور إلى أن يطلب النجدات من باشا بغداد (٣) .

(١) تأريخ العراق الحديث ص ١٠٢ .
(٢) اربعة قرون ص ٢٩٩ .
(٣) تأريخ العراق الحديث ص ١٠٣ نقلا عن تقرير درويش باشا ص ٣٩ — ٤٠ وهذا التقرير كتبه كل من محمد درويش باشا ومحمد خورشيد باشا بأمر من السلطان عبد المجيد بعد ان قاما بتحديد الحدود ودراسة الاحوال العامة في كردستان .

وكان علي رضا باشا هو الآخر يخشى من توسع ميركور ومن امتداد نفوذه الى الدرجة التي اصبحت تهدد الموصل ، بل وتهدد الجيش العثماني الذي كان يحاول الوقوف على قدميه دون جدوى امام الجيش المصري في الشام الذي احتل بلاد الشام بقيادة ابراهيم باشا ابن محمد علي والي مصر .

ولكن ظروف القتال بين ميركور والفرس كانت تقتضي من والي بغداد ان يحافظ على كل شبر من الاراضي العراقية بعيدا عن تناول ايدي الفرس ، ومن ثم كانت الضرورة ملحة في ان يقف علي رضا الى جانب ميركور وبعث اليه بقوة تشد ازره .

وكانت السلطات البريطانية هي الاخرى ضد اي تحركات فارسية معادية للعثمانيين خلال محنتهم امام القوات المصرية في الشام . فتكاتفت هذه العوامل على وقف القتال بين الاطراف المتصارعة ، وكان وقف القتال من مصلحة امير راوندوز بسبب تفوق اعدائه عليه (٤).

لم يلبث ميركور ان تعرض لخطر كبير من جانب العثمانيين . فقد تفرغ العثمانيون بعد صلح كوتاهية لتصفية الامارات الكردية تأمينا لظهر الجيش العثماني عندما تبدأ الجولة الثانية بينه وبين الجيش المصري في الشام . فقد بعث العثمانيون لاول مرة منذ القرن السابع عشر واليا عثمانيا لحكم شهرزور (كركوك) في سنة ١٨٣٣ م . وقدر باشا راوندوز هذه الخطوة . وبدأ بالتحرش بالوالي الجديد . وكان هذا الوالي هو (محمد اينجه بيرقدار) .

ويبدو ان السلطات العثمانية ادركت ان الظروف في كردستان غير ملائمة لتعيين وال عثماني في كركوك . حيث ان بيرقدار لم يكن تحت يده من القوات العسكرية او من القوات المحلية ما يمكنه من تثبيت أقدامه في

(٤) تقرير درويش باشا ص ٤٩ — ٤٠ .

هذا المحيط الكردي وسرعان ما نقل الباب العالي محمد اينجه بيرقدار من ولاية شهرزور الى ولاية الموصل بعد ان طرد من الاخيرة يحيى باشا الجليلي[٥].

وفي سنة ١٨٣٥ م تسلم اينجه بير قدار حكم الموصل ، ولم تكن مهمته توطيد الحكم العثماني في الموصل فحسب ، بل ان يعيد العراق الشمالي ليكون قاعدة من قواعد الهجوم على القوات المصرية في الشام بالتعاون مع الجيش العثماني المحتشد في ديار بكر • وكان هذا يتطلب السيطرة على كردستان باخضاع الامارات الكردية التي كانت تهدد الجيش العثماني من الخلف [٦] •

بدأ والي الموصل الجديد بالتحرش بممتلكات الميركور المجاورة للموصل وسار في جيش انضم اليه جنود من الموصل وديار بكر وبغداد قاصدا العمادية •

فأصدر امير راوندوز اوامره الى اسماعيل باشا وسعيد باشا وشقيقه رسول بك لمهاجمة بيرقدار • وفي تلك الايام كان اسماعيل باشا ذهب لتعمير قلعة (نيراوا) الواقعة شمالي شرقي العمادية ، كما كان قد خرج منها رسول بك وعدد كبير من جنوده فاحتلها بيرقدار دون قتال وعاد الى الموصل بعد ان ترك فيها عددا كبيرا من الجنود [٧] •

ولكن (صاحب تأريخ الموصل) يذكر : ان اسماعيل باشا عقب رسول بك على امارة العمادية واستقل بادارتها وما يجاورها ، ولما حاصرها والي الموصل حتى افتتحها هرب اسماعيل باشا بجنده الى ناحية (نيراوا) وكان

(٥) تأريخ العراق الحديث ص ١٠٤ • واربعة قرون ص ٣٤٠ •
(٦) نفس المصدر ص ٨٥ •
(٧) امراء سوران ص ٦٢ — ٦٣ •

قد عمر قلعتها فامتنع فيها [٨] .

ثم توجه والي الموصل في نفس السنة ١٣٥١ هـ / ١٨٣٥ م نحو راوندوز فالتقى بجيش راوندوز الذي يقوده (رشيد بك) بالقرب من الزاب الكبير ، وبعد قتال هزم بيرقدار ووقعت غنائم كثيرة في ايدي قوات راوندوز [٩] .

وقد استطاع اسماعيل باشا في هذه الاثناء العودة الى حكم العمادية مما دفع بالوالي الى التوجه نحو العمادية مرة ثانية . وتصدى اسماعيل باشا لبيرقدار في (عين توثا) [١٠] فهزمه . وفي محاولة اخرى من الوالي لاحتلال العمادية انتصر عليه اسماعيل باشا في الشيخان . وقد ارسل اسماعيل باشا بأخبار انتصاراته الى امير راوندوز وعاد بنفسه الى دهوك وأعيد تنصيب رسول بك شقيق الامير على العمادية [١١] .

ادرك الميركور خطورة هذا الوضع والضغط الذي يتعرض اليه من جانب العثمانيين فبدأ يتصل بايران وارسل سفيرا له الى طهران حمل رسالة الى محمد شاه القاجاري (طالبا منه العون من جنود وسلاح) فأجابه الشاه: (انه على استعداد لمد يد العون اليه عند الطلب) [١٢] ، وازاء هذا كانت الدولة العثمانية تنظر الى توسع ارارة راوندوز بعين ملؤها الخوف والقلق . واعتبرت وجودها غائلة من امهات الغوائل قام لها الترك وقعدوا [١٣] .

---

(٨) تأريخ الموصل (١ / ٣١١) نقلا عن مخطوط في تأريخ العمادية محفوظ عند احد اشراف قرية (زيروا) من قرى العمادية .

(٩) امراء سوران ص ٦٣ .

(١٠) من قرى دهوك .

(١١) امراء سوران ص ٦٤ .

(١٢) نفس المصدر ص ٦٤ .

(١٣) العراق بين الاحتلالين (٣٥/٧).

حملة والي سيواس :

كانت الخطوات العثمانية الاولى ضد الامارة ترمي الى السيطرة على الطرق المؤدية الى قلب الامارة وضرب اطرافها . فأخضعت القوات العثمانية التي كانت تحت قيادة الصدر الاعظم السابق ووالي سيواس (رشيد باشا) العشائر اليزيدية التي كانت تحت حكم الميركور واحتلت زاخو ، وعقرة بعد حصار دام ثلاثة اشهر [(١٤)] . ثم قبض العثمانيون بيد من حديد على نصيبين وماردين .

وادت هذه الحركات الى ان يصبح العثمانيون قادرين على تنفيذ خطة واسعة النطاق لغزو الامارة السورانية . ووضع العثمانيون خطتهم على أساس (ان يزحف كل من علي رضا وميرقدار ورشيد باشا ، كل على رأس قواته في هجوم من ثلاث شعب على الامارة السورانية) [(١٥)] . وبدأت القوات العثمانية تتحرك من قواعدها صوب هذه الامارة وفي هذا الوقت اراد الفرس ان يقحموا انفسهم في المعركة المقبلة ضد ميركور . فقد عرض امير النظام (قائد الجيش الفارسي) على كل من رشيد باشا — قائد عام الجيش العثماني — وعلي رضا باشا (والي بغداد) وحاكم ارضروم ان يتعاون معهم في حملة مشتركة ضد ميركور .

واتصلت السلطات الفارسية بالمسؤولين الانكليز في هذا الصدد فرحبوا بهذا العرض بل وزكوه لدى العثمانيين . وبعث السفير البريطاني بونسنبي Ponsonby احد رجاله الدبلوماسيين وهو وود R . Wood (قنصل بريطانيا في حلب) الى السلطات الفارسية والعثمانية لتنسيق التعاون

(١٤) امراء سوران ص ٦٥ .
(١٥) تأريخ العراق الحديث ص ١٠٥ .

بين هذه الاطراف • واتصل وود Wood بالقواد العثمانيين مباشرة ليحثهم على التعاون مع الفرس ، وسلم الى رشيد باشا خطاب امير النظام في هذا الشأن (١٦) •

رأى رشيد باشا في هذه الوساطة البريطانية تدخلا في امور الدولة كما رأى في العرض الفارسي مناورة خطيرة يهدف الفرس من ورائها الى الحصول على حق التدخل في امور كردستان • وكانت السلطات الفارسية منذ وقت ليس بالقصير تطالب (بأن يكون لها رأي فيمن يسند اليه حكم السليمانية) • ولذلك صدرت التحذيرات من جانب العثمانيين الى السلطات الفارسية بعدم التذرع بتطورات القتال ضد امير راوندوز بقصد الاشتراك فيه حيث ان ذلك من صميم اعمال الدولة العثمانية ولا شأن للفرس فيه•

وحذر حاكم ارضروم العثماني امير النظام الفارسي من دخول القوات الفارسية ارضا عثمانية تحت ستار التعاون ضد امير راوندوز (١٧) •

وبالرغم من هذه التحذيرات الشديدة من الجانب العثماني ، لم يتورع الفرس عن العمل من وراء الستار ، فقد شرعوا في حث امير راوندوز على اعلان الولاء للشاه لينقذ نفسه من الجيوش التي احاطت بأمارته • وفي ناحية اخرى كانت السلطات البريطانية التي ايدت من قبل فكرة التعاون بين الفرس والعثمانيين لا تسمح للفرس بمتابعة المناورات في بلاط الامير السوراني حتى لا تحدث ارتباكات عنيفة على الحدود تؤدي الى تعقيدات دولية تحطم السياسة البريطانية الخاصة بالمحافظة على الاستقرار على طول الحدود الفارسية العثمانية •

---

(١٦) نفس المصدر ص ١٠٥ •
(١٧) نفس المصدر ص ١٠٦ •

ولما كان الانكليز قد فشلوا في ايجاد ذلك التعاون بين الفرس والعثمانيين ضد امير راوندوز فانهم عزموا على التدخل في المشكلة برغم معارضة القيادة العثمانية لذلك .

فقد كانت السلطات البريطانية تخشى ان يعمد امير راوندوز في فترة من فترات اليأس الى ان يضع امارته تحت الحكم المصري نكاية في العثمانيين اذا ما اطبقوا على امارته ، وكان الانكليز يعملون على عدم اشتراك المصريين او غيرهم في هذه المشكلة حتى لا يتطور الصراع الى ازمة كبرى ، خاصة اذا كان هذا التدخل في جانب قوة مناهضة للمصالح البريطانية الاستعمارية في العراق [١٨] .

وقد بعث الانكليز (ريتشارد وود) للاتصال بالامير السوراني وكانت مهمته تقضي (بأن يبذل اقصى الجهد في سبيل اقناع الامير بعدم الاستماع الى التحريضات الفارسية التي تدعوه الى اعلان الخضوع ويعلن للشاه بأنه يخضع للسلطان ويقدم نفسه مستسلما للقوات العثمانية على امل ان تسعى السفارة البريطانية في الاستانة لدى الباب العالي لاستصدار العفو عنه واعادته معززا مكرما الى امارته ليحكمها مرة اخرى بفرمان من السلطان) .

والواقع كان موقف امير راوندوز من الوجهة العسكرية يتدهور بسرعة. فقد سقطت آلتون كوپري في يد جيش علي رضا باشا والي بغداد .واعقبتها اربل الحصينة بعد حصار استغرق ثلاثة اشهر . وعندما دخلت القوات العثمانية المدينة اعملت السيف فيها وفي حاميتها . ثم اخذت القوات العثمانية تتقدم في قلب الامارة السورانة نفسها . واحتشدت هذه القوات في سهل

---

(١٨) تأريخ العراق الحديث ص ١٠٧ نقلا من كتاب
Ponsonby to Palmerston لندن ١٨٣٦ م .

حرير ، بعد ان تعرض الجيش الذي يقوده رشيد باشا الى مقاومة على الزاب من قبل جنود راوندوز بقيادة احمد بك شقيق امير راوندوز [١٩] .

ويقول صاحب كتاب تاريخ العراق الحديث الدكتور عبد العزيز سليمان: « اخــذ اعوان ميركور يتخلون عنــه حيث ان فرمان السلطان بعزلــه كان له مفعول السحر في تفكيك قواه ، وادرك ميركور ان الامور تتطور بسرعة ضد مصالحه [٢٠] ووجد ان الاستــسلام خير له من متابعة المقاومــة، لعله يحصل على عفو من السلطان ويعود الى مقر اقامته معززا مكرما حسب ما وعد به ريتشارد وود » [٢١] .

ولا شك ان المعسكر العثماني استغل العلاقات الطيبة التي كانت بين ميركور ورشيد باشا . وكان استسلام امير راوندوز نتيجــة لذلك [٢٢] . فرضخ الامير لهذه النداءات حقنا للدماء وابقاء على صداقته مع رشيد باشا الذي يمكن ان يحصل بواسطته على العفو من السلطان . وحسب نصيحــة رشيد باشا ذهب الى الاستانة ليقدم فروض الطاعة للسلطان حتى يمكــن استصدار فرمان بالعفو عنه . وعندما سمع علي رضا والي بغداد باستسلام الامير الى رشيد باشا ثار على هذا الاجراء . واعتبر ذلك تحديا له وتعديا على حقه في تصريف امور راوندوز التابعة لباشوية بغداد (بالاسم) ، مع ان القيادة العامة كانت معقودة لرشيد باشا . وعلى اي حال لم يأخــذ رشيد باشا باحتجاج علي رضا في هذا الصدد [٢٣] .

---

(١٩) امراء سوران ص ٦٦ .
(٢٠) اذ سقطت حرير وكويسنجق في يد القوات العثمانية .
(٢١) تاريخ العراق الحديث ص ١٠٧ — ١٠٨ .
(٢٢) نفس المصدر ص ١٠٨ نقلا عن كتاب من عمان الى العماديــة ص ١٣٣ — ١٣٤ .
(٢٣) نفس المصدر ص ١٠٨ .

وقد توفي رشيد باشا في رجب ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ م . فزالت بذلك القوة التي كانت تؤمن حياة ميركور واستطاع علي رضا ان يقنع سلطات الأستانة (بضرورة اعدامه ، لان عودته الى راوندوز ستضيع العراق وتربك امور الدولة) .

وكان الامير قد غادر الاستانة في تلك الايام قاصدا طرابزون ، فأصدر الباب العالي امره الى ولاة المدن بالقبض عليه . وهكذا فاجأه التتار (حامل البريد السلطاني) يحمل البراءة في قتله الى والي سيواس ، فقتل في سيواس ودفن فيها بسرية تامة ، ومن قال انه قتل في طرابزون (٢٤) .

وفي اليوم التالي لقتله رأى الملا عزيز مفتي راوندوز وابن عم الامير وكان قد صاحبه في سفره الى الاستانة ، فروة الامير وبنطلونه وعمامته التي كانت من نسيج الترمة في ايدي الدلالين في السوق ، فعاد هو ومن معه مسرعين الى كردستان (٢٥) .

ويقول لونگريك : « ان ظهور رشيد باشا الذي اختير لكبح جماعة (الامير) او القضاء عليه ارخى العرى التي كانت تربط بين اجزاء امبراطوريته المشرفة على الفناء وسر اعداءه وخصومه . فتراجع الكردي الاعور الى عاصمته . وقد كان مخيفا دائما اكثر مما كان محبوبا . ثم خانه كثير من اتباعه بحيث لم يستطع الاستفادة من التنافس المبني على الحسد الذي نشأ بين رشيد باشا وعلي رضا والي بغداد ، واستسلم بعد

(٢٤) تأريخ الموصل (١ / ٣١٣) . امراء سوران ص ٦٩ . ويقال ان الامير بينما كان آتيا في طريقه من الاستانة خرج عليه من قتله . تأريخ العراق حاشية ص ١٠٩ نقلا عن محفظة عابدين (في القاهرة) وثيقة ٢٦ — ٢ في ٣ محرم ١٢٥٤ هـ — ٣١ آذار ١٨٣٨ م .

(٢٥) امراء سوران ص ٦٩ .

اعطى اوثق العهود وذهب ضحية للحذر التركي والخيانة التركية معا»[٢٦].

لا شك ان الامارة السورانية ضعفت الى حد كبير بعد وفاة الامير سنة ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ م . ورجع الموظفون الاتراك ثانية الى اربل وآلتون كوپري ، ونتيجة لهذه الاحداث انتعشت برهة العمادية الا ان البابانيين لم يستعيدوا عزتهم [٢٧] .

والواقع ان التشنيع على الميركور كان بسبب توسع امارته وبخاصة في ديار الكرد فحسب لها الاتراك خطرها ، فأرسلوا احد الصدور العظام العظام من درجة (سردار اكرم) للقضاء عليه . ونال الولاة الثلاثة (والي سيواس ووالي الموصل ووالي بغداد) انعامات من السلطان من جراء هذا العمل [٢٨] .

وفي السنوات التالية لهذا الحادث الخطير سقطت امارات اخرى كردية اقل شأناً هي الامارة البهدينانية التي سقطت في سنة ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م وارسل اسماعيل باشا اميرها مكبلا الى الموصل ومنها ابعد الى بغـداد . وبقي يعيش فيها الى ان مات عقيما في شوال ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م .

وبعد انقراض امارة العمادية ، صارت المدينة تابعة الى الموصل ومعها عقرة الى سنة ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ م ، ثم انفصلت وصارت تابعة للواء حكاري من الويةوان . ولم تعد العمادية الىالموصل الا بعد اكثر مناربعينسنة[٢٩].

وفتح سقوط الامارة البهدينانية الطريق نحو سقوط الامارتينالصغيرتين:

---

(٢٦) اربعة قرون ص ٣٤٣ .

(٢٧) نفس المصدر ص ٣٤٤ .

(٢٨) العراق بين الاحتلالين (٧ / ٣٥) .

(٢٩) العراق بين الاحتلالين (٧ / ٣٥) . تأريخ الموصل (١/٣١٠ — ٣١٣) .

الامارة البوتانية بزعامة آل بدرخان في جزيرة ابن عمر ، وامارة حكاري تحت حكم نور الله بك . وكان بيرقدار ايضا معنيا كل العناية بأن يرث الامارة السورانية . فكما قضى على الامارة البهدينانية وضمها الى ولاية الموصل عمل على ضم جزيرة ابن عمر الى ولايته ايضا برغم اعتراض والي ارضروم . وطالب بيرقدار حكام جزيرة ابن عمر ان يدفعوا الضرائب اليه مباشرة ، فوطد الامير البوتاني بدر خان صلاته مع والي بغداد نجيب باشا وحصل منه على تثبيته في حكم الامارة ، ولكن لم يلبث ان واجه بدرخان خطرا جديدا من جانب النساطرة المجاورين له .

وكان نمو قوة هذه الطائفة نتيجة لاستغلال قوانين التنظيمات العثمانية ولاعتمادها على الحماية البريطانية وعلى المبشرين الاجانب . فأوقع بدر خان بالتعاون مع نور الله بك (امير حكاري) بالنساطرة مما احرج مركز الباب العالي امام الدول الاجنبية . ولتثبيت حسن نية الدولة العثمانية عزل الباب العالي نور الله بك وبدر خان وجردت عليهما الجيوش واوقعتهما في الاسر واتنهت بذلك امارتهما . ولم يبق بعد سقوط تلك الامارات سوى الامارة البابانية في كردستان [٣٠] .

خلف الميركور في الحكم اخوه رسول باشا ، وزاول رسول باشا الحكم مدة اربع سنوات ، ثم امتنع عن دفع الاموال الاميرية للدولة العثمانية ، فسيرت اليه حكومة بغداد قوات تأديبية ، واشتبكت معه في معركتين في (ديرمحرير) وخليفان انسحب على أثرهما الى راوندوز ، ولما ضاق به الامر هناك ذهب الى (أشنو) ولبث فيها خمسة اعوام [٣١] .واستقر

(٣٠) تأريخ العراق الحديث ص ١١٢ — ١١٣ .
(٣١) شرفنامة حاشية ص ٢٨٨ .

رسـول باشـا اولا في آشنو [٣٢] بالقرب من الحـدود الفارسية العثمانية وكان ذلك من أسباب عرقلة لجنة الحدد المشتركة (العثمانية ــ الفارسية ــ الروسية ــ البريطانية) عن عملها فتدخل المسؤولون الانجليز لدى البلاط الفارسي لنقل رسول باشا الى طهران بعيدا عن الحدود [٣٣].

وكان رسول باشا أثناء وجوده في آشنو اخذ يثير المتاعب في وجه حكام راوندوز من قبل نجيب باشا والي بغداد ولكن دون ان يصل الى نتيجة ما . وعند ما دب اليأس في نفسه عمد الى التفاهم مع نجيب باشا على اساس ان يعيش في بغداد وعفا الله عما سلف . وكان ذلك التفاهم بوساطة القنصل البريطاني .

ولعل هذه الوساطة اطمعت رسول باشا في ان يستعيد حكم مدينته عن طريق الانجليز ايضا ، ولكن أدرك نجيب باشا خطورة اعادته الى الحكم من حيث ان ذلك يهدد سياسة اعادة الحكم المباشر التي يتبعها في كردستان كما ان عودة رسول باشا بوساطة انجليزية تقوي من النفـوذ البريطاني هناك ، وكان نجيب باشا يعمل على الحد من هذا النفوذ قدر الامكان .

وفرض عليه نجيب باشا اقامة اجبارية في مكان يقع غربي دجلة بعيدا عن الكرد لمدة ثلاث سنوات حتى يمكن النظر في امر اسناد حكم مدينته اليه . وكان رسول باشا هو آخر حكام راوندوز من الامراء السورانيين وخلصت المدينة من بعده للعثمانيين تماما [٣٤] .

(٣٢) يقال : بأن والي بغـداد رشيد باشا الكوزلكلي (١٨٥٢ ــ ١٨٥٦ م) بعث رسول بك الى كركوك لتقرير الدفاع فيهـا حينما اشيع بأن ايران تدخل الحرب الى جانب روسيا ضد العثمانيين في حرب القرم (١٨٥٣ ــ ١٨٥٦ م) . انظر : تأريخ العراق الحديث ص ٣٤٤ .

(٣٣) تأريخ العراق الحديث حاشية ص ١٠٩ .

(٣٤) نفس المصدر ص ١١٠ .

وذكر بأنه بعد سفره الى بغداد عين متصرفا لمركز بغداد ، ثم واليا على وان حيث زاره فيها السائح (فردريك ميلنغن) ثم واليا على ارضروم وكانت وفاته بها سنة ١٣٠١ هـ / ١٨٨٤ م ، وانجب خمسة أولاد هم : (اسعد بك وفتاح بك ورشيد بك وبارام بك واحسان بك) غرق اسعد بك في نهر دجلة ببغداد سنة ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٩ م . وتقلد الباقون وظائف مهمة (٣٥) .

ظلت راوندوز متصرفية بعد انقراض الامارة السهورانية لعدة سنوات ثم حولت الى قائمقامية الحقت بمنطقة شهرزور . وأول متصرف لراوندوز بعد انقراض الامارة كان (كنعان تاشا) ، وتلاه (اسرار باشا) . اما اول قائممقام لراوندوز بعد ان تحولت الى قضاء فهو (قدري بك) وتلاه عثمان شوقي وكان تركيا متعصبا .

وفي عام ٢٩١٤ م . تولى حكم قضاء راوندوز (علي نيازي بك) وفي أيامه نشبت الحرب الاولى . وفي ايام (مسعود بك) قدم الموظفون الانكليز الى المدينة (٣٦) .

امارة كـــوي :

لقد مرت مدينة كويسنجق بأحداث هامة طيلة الحكم البابـاني لهـا تميزت هذه الاحداث بالصراع الحاد بين امراء البابانيين انفسهم فيحكمهذه المدينة من جهة وبين ولاة بغداد الذين كانوا لا ينفكون يتدخلون في شؤونها الداخلية ، لان امارة كوي بالنسبة للبابانيين كانت خطوة نحو تسلم الامارة البابانية في السليمانية . ولنرجع الآن قليلا الى الوراء لنستعرض الاحداث

(٣٥) شرفنامة حاشية ص ٢٨٨ للاستاذ الروزبياني .
(٣٦) امراء سوران ص ٨١ — ٨٢ .

التي مرت بها كوي • ففي اوائل القرن السادس عشر الميلادي (١٥٠٠ م / ٩٠٦ هـ) كانت (درنة) وبنجوين وكوي وحرير وراوندوز وعقرة (على الزاب) كلها من الدويلات ذوات القلاع (٣٧) •

وفي سنة ٩٦٢ هـ / ١٥٥٤ م • انتظمت ايالة شهرزور وكان خضوعها بادارة حاكم اردلاني يدعى (تيمور) ، ولما تحقق هذا من ضعف ايران نقل ولاءه الى استانبول ، وحصل على الفرمان والخلعة من مراد الثالث •

وفي سنة ١٠٠٩ هـ / ١٦٠٠ م • حاول خليفة تيمور الاستقلال غير انه خضع للشاه عباس ، ولكن ظهور (خان احمد خان) في (سنه) سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م كملك تابع لايران اضعف حكمه ، حيث ضايق خان احمد القبائل الكردية التي تميل الى تركيا فغزا جمهرة قبائل المكري (٣٨) والبلباس (٣٩) ، وفي السنين التالية احتل راوندوز والعمادية وكوي وحرير ووضع ضباطه فيها (٤٠) •

وفي اواخر هذا القرن انتقل حكم كوي الى بيگاتها السورانيين وكان لهم استقلال غير كامل ، وقد حافظ هؤلاء على استقلالهم الى سنة ١٧٣٠ م حيث استولى خالد باشا الباباني عليها واصبحت من توابع البابأنيين (٤١) • واستغل البابانيون حروب نادر شاه ضد العثمانيين ومدوا نفوذهم الى راوندوز وحرير بعد ان كانت امارتهم محصورة في سنة ١٦٠٠ م في منطقة السليمانية ،

(٣٧) اربعة قرون ص ١٩ •
(٣٨) قبائل كردية مركزها صاوجبلاق •
(٣٩) قبائل كردية تعيش شرق اربل •
(٤٠) اربعة قرون ص ٦٣ — ٦٤ •
(٤١) نفس المصدر ص ١٩٤ • ورحلة ريج ص ١٠٩ • ومن عمان الى العمادية ص ٧٩ •

وكانت المنازعات مستمرة في العائلة البابانية في شهرزور حول السلطة فقد كان اولاد (خان باشا) الثلاثة : محمد واحمد ومحمود ٠ يحارب الواحد الآخر من أجل امارة كوي وامارة (قرەچولان) ٠ وفي سنة ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م ٠ تمكن محمد باشا الباباني من القاء القبض على اخيه احمد الذي كان يحكم في كوي ٠

وحينما وحدت الدولة العثمانية ايالة كركوك وايالة الموصل ومنح حكمها الى حسن باشا ، كانت الحالة في شهرزور في تدهور مستمر ، بسبب تدخلات ايران التي وصلت الى حد اكتساح شهرزور واعادة محمد باشا بابان حليفها الى حكم شهرزور ٠

ولكن ولاء البابانيين لأيران او تركيا كان ولاء قلقا مذبذبا لا يستقر، حيث نرى محمد باشا في (قره چولان) وأخـاه احمد باشا في كـوي يتعاونان بعد هذا الحادث مع حسن باشا والي بغداد في محاربة ايران[٤٢]٠

رجوع اسرة سوران الى حكم كوي :

وفي عام ١٧٧٨ م رجعت الاسرة السورانية الى حـكم كوي وما يجاورها من القرى ولكنها دخلت في صراع مع احمد باشا بابان في قره چولان المؤيد من قبل والي بغداد حسن باشا الذي تقلد حـكم بغداد في مايس في نفس السنة [٤٣] ٠

وقد ورث محمود باشا اخاه احمد سنة ١١٩٢ هـ / ١٧٧٨ م ٠ في حكم شهرزور بموافقة والي بغداد وفي اوائل حكمـه اصبحت كوي من توابع الامبراطورية البابانية مع انها كانت قـد انعم بها على محمود بك سوران ٠ وكان توسع الامارة البابانية على حساب جارتهـا راوندوز ولم

(٤٢) اربعة قرون ص ٢٢٠ ٠
(٤٣) من عمان الى العمادية ص ٨٥ ٠

تعرقل الفتن الداخلية في داخل الامارة هذا التوسع (٤٤) •

وقد اضطر والي بغداد سليمان باشا الكبير ان يسير الى محمود باشا بابان جيشا كبيرا ولكن محمود اعلن خضوعه وقبل الشروط المفروضة عليه بعد عصيانه الفاشل على الوالي •

وفي الوقت استقر فيه حكم البابانيين في كوي اخذ نجم الاسرة السورانية في راوندوز بالصعود ونفوذه في التوسع بسبب ظهور اعظم واشجع امرائها وهو محمد باشا الراوندوزي الملقب بالباشا الاعور (الميركور)الذي استطاع في عام ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م ان يحتل كويسنجق دون مقاومة من القوات البابانية التي رجعت الى السليمانية • وقد نصب امير راوندوز ابن عمه (عثمان بك) حاكما عليها وانعم على علمائها واغواتها بالمنح والهدايا • ثم شيد قلاعاً وبروجا وحفر مكامن حول المدينة وبنى قلعة حصينة داخلها (٤٥) •

وقد بقيت كوي سنجق تحت حكم الامارة السورانية حتى سنة ١٨٣٦م وفيها جهزت الدولة العثمانية حملة كبيرة قادها رشيد باشا واشتركت فيها كذلك قوات والي الموصل ووالي بغداد • وقد تقدمت هذه الحملة السورانية حتى احتشدت في حرير ، وبعد مفاوضات ومراسلات استسلم امير راوندوز على النحو الذي ذكرناه آنفا • وكانت كويسنجق قد سقطت كذلك في يد القوات العثمانية (٤٦) • ويقول صاحب كتاب امراء سوران : ان احمد باشا الباباني استغل فرصة وفاة امير راوندوز فسار الى رانية وكويسنجق واحتلها (٤٧) • كما بسط سيطرته على قبيلة (مه نگور) وعلى چناران وخوشناو وپيران وخه لكان وبتوين •

---

(٤٤) اربعة قرون ص ٢٤٨ — ٢٤٩ •
(٤٥) امراء سوران ص ٥٠ •
(٤٦) تأريخ العراق الحديث حاشية ص ١٠٨ •
(٤٧) امراء سوران ص ٧١ •

الفصل الثامن عشر

الحالة العامة في عهد المماليك وفي فترة ازدهار الامارة السورانية

الادارة :

كانت اربل طوال عهد المماليك في العراق ـ الا فترات قصيرة ـ خاضعة لولاية بغداد ، التي كانت تضم المدن التالية : « البصرة ، اربل ، ماردين الديوانية (الحسكة رسميا) ، قزاني ، رماحية ، مشهد علي ، كربلاء ، داقوق ، كوپري ، قرهداغ ، مندلي ، بدرة ، خراسان ، مهروت ، بهرز ، قزلرباط ، خانقين ، قصر شيرين ، شهربان ، دجيل ، تكريت ، سامراء ، الدور ، زنكباد ، بلدروز ، خرنابات ، عانة ، هيت ، كبيسة ، ومدن صغيرة اخرى » (١) .

وكانت هناك امارتان كرديتان احداهما السليمانية وهي البابانيه والثانية هي امارة راوندوز ، وكانتا تنازعان السيطرة على بعض ما يجاور اربل .

ففي الوقت الذي تسيطر فيه امارة راوندوز على ما يجاورها في المنطقة الجبلية كان البابانيون يمدون نفوذهم الى كويسنجق وحرير ، مع العلم ان

(١) رحلة نيبور ص ٧٣ .

باشا كوي كان مستقلا احيانا ويقدم الجزية السنوية الى باشا بغداد [٢] ، ومن القرى الواقعة في منطقته قرية (روش) وقرية موران ، وقرية دووين ، ثم بلباس وهي قرية كبيرة فوق جبل عال [٣] . ويقول نيبور الذي زار العراق في سنة ١٧٦٦ م . عن كويسنجق : « انها مقر باشا كردي تابع لباشابغداد وتقع على مسيرة ١٢ ساعة الى الشمال الشرقي من آلتون كوپري وقد كانت اربل وآلتون كوپري الى قبل بضعة اعوام تابعين لهذا الباشلق ، امـا الآن فان والي بغداد يرسل حاكما عنه الى اربل فيقوم هذا ألاخير بدوره بارسال آغا آلتون كوپري » [٤] .

ويذكر ان زيارة نيبور للعراق صادفت وزارة عمر تاشا الـذي تسلم الولاية بعد مقتل علي باشا سنة ١١٧٧ هـ / ١٧٦٣ م ، وقد عزل عمر باشا بعد ذلك ثم قتل فتسلم الولاية (بغداد) مصطفى باشا .

طرق المواصلات :

كانت الطرق التي تستعملها القوافل بين بغداد واربل ومدن الشمال عامة امينة . وقد وصف نيبور السفر عن طريق بغداد ــ اربل بأنه امين جدا (حتى ان المرء لا يحتاج الى انتظار سفر قافلة كبيرة ليرافقها ، والمسافر غير المستعجل يحبذ سلوك هذه الطريق وان كانت طويلة لان عددا من المدن تقع عليها وهي جديرة بالزيارة) [٥] . وقد فضل غيره من الرحالة كذلكهذه الطريق ، لان طريق بغداد ــ الموصل صحراء ليس عليها مكان مأهـول بالسكان عدا بلدة تكريت ، اما طريق بغداد ــ اربل (فهي طريق رخيصه

(٢) نفس المصدر ص ٧٥ .
(٣) نفس المصدر ص ٧٥ .
(٤) نفس المصدر ص ٨٧ ــ ٨٨ .
(٥) رحلة نيبور ص ٨١ .

النفقات وهي التي كانت تخص الكمرك واجرة الطريق (ضريبة الطريق والعبور) ، ففي كركوك وآلتون كوبري واربل وعند نهر الزاب : كان المسافر لا يدفع الا جزءا قليلا من النقود وهذا النوع من الضريبة يدعى (باج) وكان التجار في هذه الفترة يدفعون عن كل حمل جمل من الاقمشة (كتان ، حرير ناعم او خشن) عشرة قروش ، وعلى حمل الجمل الفلفل ستة قروش وثلث القرش ، اما اذا كانت البضاعة محملة على الحمار فانها توزن ويدفع الباج عليها بالنسبة للاحمال السالفة الذكر) .

العمـــران :

يذكر نيبور (ان القلعة كانت غير مسورة ولكن البيوت قد أقيمت على حافة التل بصورة متماسكة فلا يستطيع احد ان ينفذ خلالها الى داخل القلعه الا من الباب الحالي [٦] . (يقصد الباب الرئيسي الذي هدم اخيرا) .

ويذكر ان هذا الرحالة يطلق اسم مدينة على القلعة ومثله فعل محمد مهدي خان مؤرخ نادر شاه . اما القسم الواقع في اسفل القلعة حيث كانت تقع عليه مدينة اربل الكبيرة فتوجد بضعة بيوت حقيرة) .

اما (ريج المقيم البريطاني في بغداد (١٨٠٨ — ١٨٢١ م) الذي زار اربل في عام ١٨٢٠ م . فيذكر عن اربل — القسم الاسفل — : « ان اربل تقع عند سفح التل الاصطناعي وعلى الجانب الجنوبي منه خاصة ، وفيها حمام واحد وخانات واسواق ، وقسم من المدينة فوق الطنف ويسمى هذا بالقلعة » [٧] وقد اظهر ريج دهشته خلال طوافه في المدينة من تجمع الاربليين حوله ، وغلايينهم في ايديهم وافواههم ، وذكر انهم لم يضايقوه مطلقا . اما

(٦) نفس المصدر ص ٨٩ .
(٧) رحلة ريج ص ٢٤٥ .

المنشيء البغدادي [٨] الذي كان سكرتيرا في المقيمية البريطانية في بغداد والذي زار اربل ضمن جولة قام بها في ديار الكرد ومواطن العراق الاخرى وكتب عن جولته هذه سنة ١٨٢٢ م . فيقول عن القلعة : (ان في القلعة نحو ألف بيت للسكنى . وفي خارج القلعة نحو اربعة آلاف بيت... وفي قرية عينكاوة نحو ثلثمائة بيت من النصارى وحاكمهم منهم . وان جميع اهالي اربل شافعية المذهب) [٩] .

اما منارة اربل فكانت قوية البناء قائمة وتحيط بها بقايا جامع كبير في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . وكانت مدارجها صالحة للصعود [١٠]. ولكن في الربع الاول من القرن التاسع عشر اصبحت بقايا الجامع منهدمة خربة وقد نبشت اسس الجامع واخرجت انقاضها وآجرها . فيما بقيت المنارة قوية باقية وتحيط بها تلك الخرائب والانقاض [١١] .

الزراعة والقرى :

كانت الاراضي في منطقة اربيل لا تسقى بمياه الانهار والجداول كما هي الحال في بغداد والبصرة ، انما — كما هي الآن — تعتمد في زراعتها على الامطار ، وكانت زراعة القمح تغل عشرة امثال ولا تزيد في سنوات الخير عن الخمسة عشر مثلا .

والقمح الذي تعتمد زراعته على الامطار يكون اكثر بركة واحسن

(٨) هو السيد محمد بن السيد احمد الحسيني المعروف بالمنشيء البغدادي .

(٩) رحلة المنشيء البغدادي ص ٧٦ — ٧٧ .

(١٠) رحلة نيبور ص ٩٠ .

(١١) رحلة ريج الى العراق سنة ١٨٢٠ ص ٢٤٤ .

طحينا من الذي يسقى بمياه الانهار كما يكون الذ طعما [١٢] .

واستمرت الزراعة في اربل بنجاح حيث شاهد ريج الاراضي مزروعة بكاملها زرعا جيدا والفلاحون يستعملون المحراث الخشبي الذي يجره الثور واحيانا الحمار ، او يشترك الاثنان فيربطان بالمحراث[١٣].

اما المنشيء البغدادي فيقول : « وليس في اربل بساتين ، والزراعة وافرة وتأتي البلد انواع الفواكه من جبال العمادية » [١٤] .

لم يشاهد نيبور أية قرية في طريقه من اربل الى الزاب الاعلى الا في الضفة الثانية حيث شاهد قرية عبد العزيز المسكونة بأناس يعرفون باليزيدية او الدواسن ، ولكن بعد خمسين سنة من هذا التأريخ تقريبا شاهد ريج اول قرية في طريقه وهي قرية (ره شكين) المعروفة الى الآن . ثم مر بقرية (گردشير) وقال انها صغيرة وقبلها يوجد موقع گردشير وهو حصن صغير يعلو ربوة ، وتقع القرية المذكورة في سفحها ، وهي في منتصف الطريق بين اربل والزاب . ثم مر بقرية (بشير) الواقعة على الزاب وبقرية (كلك) الواقعة على ضفاف الزاب الحصوية ، وفي الضفة الثانية كانت تقع قرية سكى كلك اليزيدية [١٥] .

ويذكر ان اليزيدية كانوا يسكنون قرية عبد العزيز ويقيمون شعائرهم الدينية سرا لان الاتراك كانوا لا يسمحون بحرية الاديان لمن ليس من اهل الكتاب . لذلك فاليزيدية كانوا ينكرون ديانتهم ، واذا سألهم احد عن

(١٢) رحلة نيبور ص ٩٠ — ٩١ .

(١٣) رحلة ريج ص ٢٤٦ .

(١٤) رحلة المنشيء البغدادي ص ٧٧ . جبال العمادية بعيدة . والظاهر انها جبال شقلاوة .

(١٥) رحلة ريج ص ٢٤٨ .

دياناتهم يدعون انهم ينتمون لاحد الاديان السماوية ، واذا ما اطلع احد على حقيقة امرهم ودينهم وعرف انهم يزيدية ادعوا بأنهم والسنة دين واحد [١٦].

وقد ظل هؤلاء اليزيدية يعيشون عند الزاب اذ مر بهم ريج في قرية (اسكي كلك) [١٧] .

الحالة السياسية :

ان الهدوء النسبي الذي تطرقنا اليه والى بعض مظاهره في نهاية القرن الثامن عشر وفي بداية القرن التالي ، اخذ يتدهور بسبب الصراع بين الامارات الكردية المتنافسة في المنطقة من جهة وبسبب النزاع العائلي في الامارة الواحدة من جهة اخرى . وقد انعكست مظاهر هذا الصراع على الحياة العامة فتركت فيها آثارا سيئة .

وكان توسع البابانيين في منطقة اربل عامل اضطراب ، وكثيرا ما تنافس ابناء من البيت الباباني حول الحكم والسلطة وعرضوا المنطقة الى معارك وفوضى سياسية وصلت الى حد الاعتداء على الطرق والقرى كما حدث ذلك في ثورة عبد الرحمن باشا الباباني الذي توفي سنة ١٨١٣ م .

وقد شهدت اربل نوعا من الاستقرار في عهد الباشا الاعور (امير راوندوز) حيث استطاع ان يقيم في ممتلكاته التابعة له ضبطا بقسوته العادلة ولم يكن مثل هذا الضبط معروفا قط في مثل هذه الاصقاع . وكان الكل يقايسون هذه الحالة بالفوضوية والارتباك اللذين كانا سائدين في العراق [١٨] .

---

(١٦) رحلة نيبور ص ٩٠ .
(١٧) رحلة ريج ص ٢٤٨ .
(١٨) أربعة قرون ص ٣٤٣ .

ويقول الرحالة (فريزر) الذي قام بجولة الى بعض انحـــاء العراق سنة ١٨٣٤ م وهي الفترة التي شهدت اوج عظمة امارة سوران : « ان البلاد بدلا من ان تحتلها امة من اللصوص اصبحت خالية من اية سرقة او سارق . فقد قضى عليه صنعة اللصوصية من اصلها بعملية بتارة ، اذ صار الـــذي تكتشف بحوزته اشياء تعود الى الغير يعاقب في نفس المكان الذي يكتشف فيه امره ، او يقتل ، وتتوقف العقوبة في هذا الشأن على ظروف الجريمـــة فيعاقب المذنب لاول مرة بسمل واحدة من عينيه او قطع احدى يديه او يجذع الانف احيانا ، ثم يعاقب للمرة الثانية بتشويه اشد ، اما في المـــرة الثالثة فانه يعاقب بالموت على الدوام » [١٩] .

هذا وصف موجز لصرامة العقاب والقانون الذي كان يطبقـــه امير راوندوز في امبراطوريته . وبقسوته العادلة عم الاستقرار والامان في البلاد وامن الناس على ارواحهم واموالهم وشلت ايدي اللصوص والمتجـاوزين من الخوف المستولي على نفوسهم اذ ليس هناك رحمة في عدالته (الامير) وصار في كل البلاد الخاضعة لسيطرته لا يمس حتى كيس الذهب اذا وجده في الطريق ، وانما يخبر مختار القرية القريبة من الموقع ، وهذا بدوره يحفظه عنده حتى يتم تسليمه الى صاحبه الشرعي [٢٠] .

وكانت عدالة الميركور تسري على الجميع دون تمييز حتى لاقرب المقربين اليه وهم اخوته ، اذ يقال انه قطع يد اخيه الذي قطف رمانة من بستان دون ان يترخص من صاحبه [٢١] . ويذكر ان احد رجال رسول بك شقيق الاميركان قد اخذ سلة عنب بالقوة من احد البساتين في الجزيرة ، فشكاه

(١٩) رحلة فريزر الى بغداد عام ١٨٣٤ ص ١٢ .
(٢٠) نفس المصدر ص ١٣ .
(٢١) نفس المصدر ص ١٣ .

هذا لدى الامير وسأله الامير عما اذا كان يعرفه فتعرف عليه البستاني بين افراد الجيش واراه الامير ، فأصدر امره فورا باعدامه فتوسط رسول بك لديه ورجاه ان يعفو عنه فاجابه الامير : « يا رسول ، انني لا اتخذ من عدلي صدرية لحماية خادم يسرق سلال العنب ولتوسلات اخي » [٢٢] .

وقد زار الدكتور (روص) طبيب المقيمية البريطانية في بغداد آنذاك بعض المدن التابعة لمملكة الميركور بطلب من المير نفسه حيث ان المير مصطفى والده كان رجلا اعمى على ما يبدو ويأمل ان يرد اليه بصره، فاتصل المير بالكولونيل (تايلر) المقيم البريطاني ورجاه ان يوفد طبيبا انكليزيا يجرب في والده ما عنده من مهارة . وتوجه الدكتور روص الى بلاد المير في قافلة يرأسها عمه (عم الامير) بايزيد بك الذي كان قد ارسل الى بغداد للاتصال بالمقيم حول القضية .

وقد وصف روص ما شاهده في بلاد المير اثناء مروره واقامته فيها بقوله : « كانت جميع القرى في المناطق التركية مهجورة ؛ لان السكان قد فروا منها لتحاشي ما كانت تفرضه الحكومة عليهم . وكل من بقي متذمر من باشا بغداد ، علي باشا وحالما كان يظهر في الافق رجل من رجال الحكومة كان الناس يفرون من وجهه ليخفوا انفسهم عنه » [٢٣] .

غير ان قافلة الدكتور روص ما ان وصلت آلتون كوپري حتى « تقاطر الناس عليها لاستقبال بايزيد بك وهم يضعون الزهور فوق رؤوسهم كما يفعلون في ايام العطل والمناسبات » [٢٤] .

لا شك ان مظاهر الولاء للمير التي شاهدها الطبيب تدل على مدى قوة

---

(٢٢) أمراء سوران ص ٥٧ .
(٢٣) رحلة فريزر ص ١٥ .
(٢٤) نفس المصدر ص ١٦ .

حكومة المير وعدالته التي نشرت الرضا والاطمئنان في البلاد . واخيرا لنلقي نظرة على شخصية المير الذي احرز : « التقدم السريع في السلطة والسطوة خلال السنوات الخمس او الست الاخيرة (من حكمه) مع التبدل الاخلاقي الذي كان من الممكن ان يحدثه في هذا الجزء من آسيا » [٢٥] .

« ان شخصية الامير واخلاقه تظهر من اعماله [٢٦] . فهو طموح الى حد الافراط ، فطن بعيد النظر .. ومرتاب للغاية وهو على تشعبه لفكرة العدالة الحقة التي لا تعرف المحاباة يسخر مبادئه للحصول على المزيد مما يشبع به اطماعه — وهو لا يرحم حينما يتيسر السبب مهما كانت اهميته » [٢٧].

السكان والحياة الاجتماعية :

كانت البلادالواقعة فيحكم أمير راوندوز مزدهرة بالسكان والعمران. إذ أدى الاستقرار الذي فرضته حكومته الى ازدهار الزراعة والتجارة وقد عرف الأمير بعدله واهتمامه بشؤون الرعية وحبه لجنوده . وقد عمر المدن والارياف واحيى الاراضي وجمع الصناع والحرفيين من كل صوب وخلع عليهم وارضاهم [٢٨] وكان يجل العلماء والصناع وارباب الاعمال ويحترمهم كثيرا .

وكان الموظفون في ممتلكات الامير نزيهين (فان البخشيش لم يذكر قط) [٢٩] في هذه الممتلكات . وهذا وضع كان يختلف عما هو موجود في المناطق التركية اذ ان الرشوة كانت منتشرة في صفوف الموظفين الاتراك.

(٢٥) نفس المصدر ص ٢٧ .

(٢٦) فتوحاته في منطقة اربل والعقر والجزيرة .

(٢٧) نفس المصدر السابق ص ٢٦ — ٢٧ .

(٢٨) أمراء سوران ص ٤٥ .

(٢٩) رحلة فريزر ص ٢٥ .

وقد قام الدكتور روص بمقارنة بين حكومة المير وبين حكومة علي باشا واعطى الافضلية لحكومة المير واشار الى احاديث الخيانة التي كان يصرح بها علانية بالنسبة لعلي باشا بينما كان الثناء والاطراء على المير بهأ الجميع صراحة (٣٠) .

وكان التجار والبقالة وسكان البلاد المجاورة لا يحتاجون الى جواز سفر في ممتلكات المير اذ كانوا احرارا في رواحهم وغدوهم . ولكن الاشخاص البعيدين القادمين من مسافة بعيدة وخاصة من بلاد اظهرت له شيئا من العداء يوما ما لابد ان يتعرضوا للتوقيف او الحبس كجواسيس (٣١) .

كان الناس في منطقة راوندوز يرتدون سترة قصيرة وسراويل صوفية فضفاضة ، وصديريا من اللباد لا اردان له ، مع احذية قطنية وجواريب صوفية كما كانوا يضعون فوق رؤوسهم العمامة الكردية الخاصة . اما النساء فيلبسن ثوبا ازرق مع سراويل فضفاضة مشدودة من اسفل حول رسغ الرجلين وعباءة مربعة تشد من زاويتين بحيث تصبح مدلاة من فوق الظهر . اما في الرأس فيلبس قطعة مدورة من الفضة تتدلى منها دلايات كبيرة تعلق في كل منها قطع من العملة حول الرأس والرقبة ، مصنوعة كلها من الفضة (٣٢) .

اما الجنود في راوندوز وغيرها فكان القواد منهم يرتدون الملابس الشعبية الكردية المعروفة بـ (چوغه ورانك)ذات الخطوط البيضاء والسوداء والمنسوجة من الحرير والصوف الناعم المعروف بـ (مه ره ز) ويضعون على رؤوسهم الطاقيات اللبادية المتدلية شبرا الى الوراء من جانب الاذن اليسرى ، وهذه العلامة الفارقة كانت رمزا للقواد . اما افراد الجنود فكانوا

(٣٠) رحلة فريزر ص ٢٥ .
(٣١) نفس المصدر ص ٢٦ .
(٣٢) نفس المصدر ص ١٧ .

يلبسون الـ (چوغه ورانك) من الشعر الاصفر ويضعون على رؤوسهم طاقيات من اللباد الترابي اللون . وكان امير راوندوز وقائد القواد ومنجز المهام يضعون على رؤوسهم انة من نسيج الترمة ، ويلبس الامير جلد السمور . اما القائد والآخرون فكانوا يلبسون المعطف الصوفي المحلي العديم الاردان والبالغ الى حد الركبتين والذي يعرف بـ (په ستەك) [٣٣] .

وقد اطلع الدكتور روص اثناء زيارته لاربل على الكثير من احوال الاكراد اذ قال : « ان طبيعة الكردي مجبولة على الحرب ، لانه يدرب عليها من المهد . ولا يرتاح مطلقا من دون الاشتباك مع الغير او خوض المعارك . وقد قيل له في اربل بعد ما شاهد ازدراء الاكراد بالمماليك : ان المدينة (اربل) لو كان فيها أي نفع لهم (للاكراد) لما استطاع الاتراك ان يقفوا في وجههم يوما واحدا ، دون احتلالها . وقد وجدوا الفرصة سانحة للاستيلاء على اربل وآلتون كوپري في بعض المناسبات ولم يستغرق استيلاؤهم على اربل سوى ساعة واحدة » [٣٤] .

ويذكر ان اربل كانت قضاء تتصل رأسا بولاية بغداد في زمن المماليك وكان حاكمها يقال له (بك) [٣٥] وهو اقل الرتب في الامارة وقد يلقب باشا كذلك . ويتميز عليه امير السليمانية الذي يلقب بـ (مير ميران) أي امير الامراء [٣٦] .

---

(٣٣) أمراء سوران ص ٤١ — ٤٢ .
(٣٤) رحلة فريزر ص ٢٠ .
(٣٥) رحلة المنشيء البغدادي ص ٩٨ .
(٣٦) نفس المصدر حاشية ٩٨ للأستاذ الغراوي .

الفصل التاسع عشر

من نهاية حكم المماليك حتى الاحتلال الانكليزي

مقــدمة :

لقد حكم المماليك العراق اكثر من ثمانين سنة ، كانوا خلالها يتمتعون باستقلال فعلي في امورهم ولا تربطهم بالدولة العثمانية الا بعض مظاهر الخضوع الاسمي . ولم تكن هذه الحالة لترضي الباب العالي الذي ظل عاجزاً عن القضاء على حكم المماليك في العراق فترة طويلة . لقــد أخذت روح الاصلاح تسرى في جسم الدولة العثمانية ، بعد ان عمت اوربا نهضة عظيمة اوصلتها الى ما نراها اليوم في تقدم عظيم في العلم المعرفة ، فبدأت الدولة بالاصلاحات العسكرية والبحرية ، منذ ان تسلم الحكم في الاستانة السلطان سليم الثالث سنة ١٢٠٤ هـ / ١٧٨٩ م .

وكان هذا السلطان بمزاجه من المصلحين واستطاع ان يحطم الوضع التأريخي الشاذ الذي كانت بموجبه البلاد مضطربة خائرة القوى ، فأمر بأيقاف سوء الاستعمال في امور الاقطاع بشرط ان تدخل الاراضي الاقطاعية تدريجيا ضمن الاملاك الاميرية ، وحددت مدة الحكم لحكام الولايات بثلاث سنوات فقط ، ثم امر بالغاء جباية الضرائب بالضمان (الالتزام) ، واسس المدارس وشجعت الطباعــة ، وترجمت الكتب من اللغــات الاجنبية الى التركية [١] .

---

(١) أربعة قرون ص ٣٠٩ .

على ان هذا البرنامج الاصلاحي الطموح طبق قسم منه في بعض مناطق الامبراطورية فقط • ولم يفكر احد في تطبيقها في العراق • وقد حاول السلطان سليم الثالث تطبيق الاساليب العسكرية الحديثة على الانكشارية ولكن عمله هذا ولد فتنة ومعارضة قوية [٢] •

وقد استأنف السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ — ١٨٣٩ م) حركة الاصلاح فلقي معارضة من الرجعية التركية ، ولم يستطع تطبيق ما يريده من اصلاح الا في سنة ١٨٢٦ م حيث قضى فيهـا على الانكشاريـة في استانبول والمدن الاخرى، ثم امر بتأليف جيش حديث على الطراز الاوربي الحديث • وكانت اصلاحاته تدل على روحية تركية الحديثة التي اصبح مماليك العراق نقمة عليها ، فبينما كان داود باشا في بغداد ينعم بمعظم الاراضي العراقية على مقربيه كان السلطان يشتغل في وضع القسم الاكبر من الاوقاف الدينية تحت الاشراف الحكومي ، وكانت سياسة داود باشا الاستقلالية الضعيفة تجاه شيوخ القبائل والامراء الاكراد بعيدة كل البعد عن عزم السلطان في اخضاع كل واحد بل جميع (بيكات الوديان) [٣] •

وقد اتهم الباب العالي حكومة المماليك في العراق بانها (خابت في حماية العراق من الوهابيين وفشلت في توطيـد دعائم السـلم مع ايران واصبحت واسطة لسوء التفاهم مع الدول الأوربية) ، كما حدث في النزاع بين المقيم البريطاني (كلوديوس ريج) وسليمان باشا الصغير ، ومع داود باشا كذلك فيما بعد ، مما اضطر ريج الى مغادرة العراق سنة ١٨٢١ م حيث خلفه الميجر تايلور • وقد تدخلت حكومة الهند البريطانية لدى الباب

(٢) نفس المصدر ص ٣١٠ •

(٣) أربعة قرون ص ٣١١ • كانت كلمة (دره بكلري) أو بيگات الوديان تطلق على الأمراء الاكراد المستقلين مثل البابانيين والسورانيين (جعفر خياط)•

العالي تسويت الامور بين الوالي في بغداد وبين البريطانيين بتعيين الميجر تايلور مقيما في بغداد • ولهذه الاسباب المتقدمة الذكر صممت الدولة العثمانية على تبديل السلالة العراقية الحاكمة بحكمها هي بالذات ، الا انها ظلت عاجزة عن ذلك فترة طويلة ، وبعد ان دبت الحياة من جديد الى الامبراطورية غدت لا تحتمل انشقاق مماليك العراق عنها فضلا عن مساوئهم الاخرى (٤) •

حملة علي رضا باشا :

ارسلت الدولة العثمانية حملة كبيرة قادها علي رضا باشا اللاظ (٥) الذي حشد قواته في حلب في كانون الثاني من سنة ١٨٣١م/ ١٢٤٧ هـ وتبعه عدد كبير من قوات العشائر وخاصة من شمر من اتباع صفوك • وفي الموصل توفق علي رضا باشا ببذل الاموال ان يجتذب اليه قلوب الناس فعين حاكمها قاسم بك العمري قائدا ثانيا بعده • انتشر الطاعون في تبريز وكانت الاشاعات عن انتشاره تصل بغداد منذ تموز ١٨٣٠ م • وبعد شهرين تحقق تأثيره المروع وسرى شره الى كركوك ، وقد حدثت فيها اصابات طاعونية • ثم جاوز المرض كركوك واخذ يعيث فتكا بالسليمانية •

وفي نهاية رمضان سنة ١٢٤٦ هـ جاء الطاعون الى بغداد وفر منها الناس وزادت دجلة زيادة لم يسمع مثلها ، وكسرت السداد واحاط الماء والبلاء بالناس ومات في اليوم عشرة آلاف نفس واكثر (٦) • اما علي رضا

---

(٤) أربعة قرون ص ٣٠٩ •

(٥) هو من اللاظ الذين يمتون للجراكسة بصلة ويقطنون في الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الاسود • (جعفر خياط)

(٦) أربعة قرون حاشية ص ٣١٩ لمصطفى جواد • وتأريخ العراق الحديث ص ٣٥ •

باشا فقد غادر الموصل وعبر الزاب الكبير الى اربل ومنها الى كركوك فوصل بغداد في بداية تموز بعد ان جد في المسير . ثم خيم في الاعظمية واعد مدافعه لحصار المدينة المبتلاة بالداء والفيضان والفوضى .

وفي ايلول من سنة ١٨٣١ م سقطت بغداد بيده واخذ داود باشا آخر المماليك اسيرا حيث سير الى الاستانة . ويذكر ان داود باشا بعد وصوله الاستانة وقد استرحم له علي باشا العفو من السلطان تسلم عدة وظائف هامة في الدولة العثمانية كانت آخرها وظيفة : (حامي العتبة المقدسة) في المدينة المنورة وبقي في وظيفته الى ان توفي سنة ١٢٦٨ هـ / ١٨٥١ م وفي المدينة دفن [٧] .

وكان فرمان علي رضا باشا ينص على حكم (بغداد وحلب وديار بكر والموصل) وهي مجموعة من الولايات لم يسبق ان انعم بحكومتها معا حاكم واحد في وقت واحد . ومع بداية حكم علي رضا انتهى امد الانشقاق الطويل ورجعت ولايات العراق التي انفصلت لمدة طويلة الى احضان الامبراطورية العثمانية بعدما ادركها الاصلاح والتقدم بوجه عام . فتلاشت سلالة المماليك واصبح العراق ولاية من ولايات تركيا الحديثة [٨] .

اربل بعد اخضاع الميركور :

ذكرنا آنفا ان الدولة العثمانية استطاعت القضاء على امارة الميركور بحملة كبيرة قادها رشيد باشا واشترك فيها علي رضا باشا والي بغداد وجنود من ديار بكر والموصل وجميع العشائر المعادية لامير راوندوز ؛ وبعد استسلام الامير رجع الموظفون الاتراك ثانية الى اربل وآلتون كوپري ؛

(٧) نفس المصدر ص ٣٢٤ .
(٨) نفس المصدر ص ٣٣١ .

وبقيت راوندوز يحكم فيها اخو الباشا الاعور [٩] .

وبوقوع اربـل في حوزة العثمانيين ثانيـة رجعت الحياة الرتيبـة البعيدة عن الاصلاح .

ان من ينظر الى تأريخ العراق عامة في الفترة ما بين سقوط بغداد سنة ١٨٣١ وبين حكم مدحت باشا (١٨٦٩ — ١٨٧٢) يرى دور انتقـال تخلله اضطراب ادى الى نتائج هامة في نزعات الناس وآمال الدولة العثمانية. وتتميز هذه الفترة بالتحول العام الذي طرأ في سياسة الدولة باعـلان التنظيمات الخيرية والوعد بالاصلاح ، ومن مميزات هذه الفترة ايضا القضاء على بعض الامارات العراقية وانقراضها مثل امارات الراوندوزي والعمادية والجليليين وبابان ، وظهور الجرائد والمطابع . وانشاء مدارس في انحاء مختلفة من الدولة العثمانية [١٠] .

وقد حكم علي رضا العراق الى سنة ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م . وتميز حكمه بالاضطراب حيث افشل في ضبط المدن والقبائل واصابت العراق موجات جديدة من الطاعون ، ثم نقـل الى سورية . واعقبه في سنة ١٨٤٢ م نجيب باشا الذي كانت قواته عاجزة عن تهدئة القلاقل التي كان يسببها هو بنفسه في ولايته ، لما عرف عنه من روح قومية متعصبة وبسبب تمسكه بنظام الجباية القديم . وقد عرفنا سابقا عن سوء التفاهم الذي حصل بينه وبين رسول باشا أمير راوندوز الـذي امتنع عن دفـع الجزية السنوية [١١] .

وقد عرف الوالي (محمد رشيد باشا الكوزلكلي) الذي حـكم بين

(٩) نفس المصدر ص ٣٤٤ .

(١٠) العراق بين الاحتلالين (٧ / ٨ — ٩) .

(١١) تأريخ العراق الحديث ص ١٠٩ .

سنة ١٨٥٢ م الى سنة ١٨٥٦ م بالحكم النزيه الصارم ، وقد حاول ان يدخل الاصلاحات الى العراق وكافح الفساد العام المستولي على كل شيء فكثرت في ايامه الواردات وحقق موردا دائماً للتصدير بنقل الحبوب الى الحجاز مع اهتمامه بمشاريع الري من شق الترع والقنوات (١٢) •

ثم اعقبه في الحكم (عمر باشا) الذي وصل بغداد في رجب سنة ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧ م • وقد ضمت ولايته وزارة العراق مع انضمام ديار بكر والموصل وكركوك واربل وما حولها من قرى الاكراد ومن بغداد الى البصرة (١٣) •

ويذكر عنه انه كان مجري الاصل • وقد اهتم بتنظيم الجيش حسب الطراز الحديث ، واخرج الهاينة (باش بوزق) من الجيش ، وأراد تطبيق نوع من الخدمة الاجبارية في العراق ، ولكنه لم ينجح في عمله، اذ كانت الروح القبائلية تسود العراق وكانت بعيدة عن الاستجابة لمثل هذا الاجراء فعمت الاضطرابات انحاء كثيرة من العراق •

وفي سنة ١٨٥٨ م ، سار الوزير عمر باشا الى السليمانية لما علم بوصول ناصر الدين شاه الى (سنه) واضطراب احوال العشائر في الحدود العراقية لهذا الحادث ، وقد انتهز الوزير فرصة وجوده في السليمانية للقضاء على (الهماوند) لما قاموا به من سلب راحة الاهلين وايقاع الاضرار بهم في نهب وغصب ، وكان عمله هذا من جملة الاسباب التي ادت الى عزله فيما بعد في السنة التالية (١٤) •

وربما كان الهماوند وهم اشهر قبائل اللصوص في كردستان الجنوبية

---

(١٢) أربعة قرون ص ٣٤١ •
(١٣) العراق بين الاحتلالين (٧ / ١١٦) •
(١٤) العراق بين الاحتلالين (٧ / ١٢٤) •

من الجاف في الاصل ، وقد ظهروا في منطقة بازيان ــ بعد ان كانوا مقيمين في ايران من قبل ــ في حدود سنة ١٨٣٠ م (١٥) .

وأشهر من حكم العراق بعد ذلك هو (مدحت باشا) الذي دخل بغداد في نهاية نيسان ١٨٦٩ م / ١٢٨٦ هـ ، وقد دلت سيرته في السابق، كما حققت اعماله فيما بعد ، على انه جيء به من أوربا الى هذه الولاية النائية للاصلاح والتجديد (١٦) . وقد انجز اعمالا في بغداد خاصة كانت كلها تدل على الروح التجددية التي كان يحملها ، (من اصدار جريدة وتأسيس المعامل العسكرية وبناء مستشفى ودار للعجزة ومدارس ومد خط الترامواي بين بغداد والكاظمية) . وبعثت اعماله هذه في بغداد حياة جديدة لم يألفها الناس من قبل . وقد طبقت الاصلاحات العسكرية والمدنية في بغداد لاول مرة على عهده بعد ان كانت مطبقة مدة طويلة من الزمن في ولايات أخرى . وفرض مدحت باشا الخدمة العسكرية ثم اسس البلديات والمجالس الادارية وطبق نظام الولاية الجديد بحذافيره ، وكان تمصير البلدتين الناصرية والرمادي من صنع يديه (١٧) .

وكان اعظم ما قام به من الخدمات ، انه وضع خطة حكيمة لتوزيع الاراضي على القبائل (١٨) لاجل ان يعيد الاراضي الواسعة في العراق الى الاستيطان مستفيدا في الوقت نفسه من الخطة في تمدين القبائل، ويرجع

---

(١٥) أربعة قرون حاشية ص ٣٥٠ .
(١٦) نفس المصدر ص ٣٥٨ .
(١٧) نفس المصدر ص ٣٦٠ .
(١٨) سجل مدحت باشا لكثير من الاغوات على الحدود الكردية بقسم من الاراضي باسمائهم .
انظر : أربعة قرون ص ٣٧٠ .

الفضل في هذه الخطوة التي خطاها في مضمار التوطين ونشر الامــن في الربع الأخير من القرن التاسع عشر لهذه الخطة وللروحيــة الرسمية التي صحبتها • وكان مدحت باشا قد طبق نظام الولايات في العراق • وهو نظام سبق ان وضعه وطبقه في الدانوب ، وبهذا النظام ادخلت الترتيبات الادارية التي بقيت فلم يمسها الا قليل من التبدل ، حتى عام ١٩١٤ م •

ففي كل بلدة او قرية مصنفة بحسب اهمية منطقتها ، كان يوجـــد المتصرف او القائم مقام او مدير السنجق او القضاء او الناحية • وفي كل هذه التشكيلات كان ثمة ملاك للموظفين الذين يقومون بواجبات معينة ، وفي كل منها مجلس منتخب يساعد رئيس الوحدة الادارية بصلاحيــات مبهمة (١٩) •

والمعروف ان نظام ترتيب الولايات وضع سنة ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤ م فلم يعمل به في العراق الذي تغيرت اوضاع الويته واقضيته ونواحيه كثيرا • ثم صدر النظام المؤرخ في ٢٩ شوال ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م في ايام مدحت باشا ، فلم يحدث تبدل جوهري فيه • وهــذا النظام بقي معمولا به ثم عدل الباب الثاني منه بالقانون الوقتي المؤرخ في ١٨ ربيع الاول سنة ١٣٣٠هـ /١٩١١ م واستمر العمل به الى ان صدر القانون المؤرخ في ١٧ ربيــع الآخر ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م • وهــذا لحقته تعديلات ودام العمــل به الى احتلال بغداد (٢٠) •

وفي هذه التعديلات بقيت واجبات الوالي والمتصرف والقائممقام ومدير الناحية ومجالس الادارة والانتخابات • وان قانون ادارة الولايات الاخير

---

(١٩) أربعة قرون ص ٣٧٥ •

(٢٠) العراق بين الاحتلالين (٧ / ١٦٧ — ٩) •

في العراق جرى على منوال الاخير من هذه القوانين [٢١] .

وعلى هذا اصبح العراق التركي بشكله الاخير يومئذ يحده سنجق ديرالزور الذي لا يتبع اية ولاية ، وولاية ديار بكر التي لها سنجق المركز وسنجقا ارغنة وماردين وايران . وكان يتألف من ولايات ثلاث هي :

١ ـ ولاية الموصل التي كانت تضم ثلاثة سناجق وهي (سنجق المركز) وتتبعه اقضية (دهوك وزاخو والعمادية وسنجار وعقرة) و (سنجق كركوك) وتتبعه (اقضية اربيل ورانية وراوندوز وكوي سنجق وكفري) و (سنجق السليمانية) وتتبعه اقضية (بازيان وحلبجة وشهرزور ومرگه) .

٢ ـ ولاية بغداد التي كانت تضم (سنجق المركز) واقضيته (عانه والرمادي وسامراء والكاظمين والعزيزية والكوت وخانقين وبعقوبة ومندلي وبدرة) . و (سنجق الديوانية) وتتبع له (اقضية الحلة والسماوةوالشامية) و (سنجق كربلا) واقضيته (الهندية والنجف وقضاء الرزازة الصحراوي).

٣ ـ ولاية البصرة التي كانت تضم (سنجق العمارة) واقضية (دويريج والزبير وقلعة صالح) و (سنجق البصرة) نفسها واقضيته (الفاو والقرنة والكويت) . و (سنجق المنتفك) واقضيته (مركز الناصرية والشطرة وسوق الشيوخ والحي) . وكان (سجق الاحساء) يضم ثلاثة اقضية وهي الهفوف والقطر والقطيف . مع انه كان سنجق القصيم الخيالي فيوسط الجزيرة العربية يضم ، على الورق فقط ، قضائي بريدة والرياض . وقد تشكل سنجق القصيم هذا بشكله المذكور منذ سنة ١٩٠٥ م [٢٢] .

(٢١) نفس المصدر (٧ / ١٦٨ ـ ٩) .

(٢٢) أربعة قرون حاشية ص ٣٧٦ . وأنظر العراق بين الاحتلاليين (٧ / ١٦٧ ـ ١٦٩) .

ويظهر من التقسيم السابق ان ولاية الموصل ضمت اليها ولاية شهرزور كذلك وكان لواء كركوك يسمى شهرزور لان المتصرفين يستقرون كركوك دون السليمانية . وفي ايام تكون السليمانية من تأريخ القضاء على بابان سنة ١٨٥٠ م صارت كركوك لواءا باسم (لواء كركوك) والسليمانية لواء آخر .

ويذكر ان الوالي في الولاية كان يعاونه معاون وال ومتصرف المركز وقائممقام المركز . اما اللواء فيحكمه المتصرف ويعاونه نائبه . وكان القائممقام يعين من قبل الدولة واحيانا يمنح رتبة المير ميرانية مع القائممقامية . وينظر القائممقام في الامور الملكية والمالية والضبطية ومرجعه متصرف اللواء وهو مسؤول عن تحصيل واردات الدولة واستيفاء المصروفات . وهو آمر فرقة الضبطية في قضائه ويتولى الاشراف على انتخاب مديري النواحي[٢٣] .

وكان في كل قضاء مجلس ادارة يتألف من ثلاثة من الاهالي المسلمين منتخبين وثلاثة من الاهالي غير المسلمين منتخبين كذلك الى جانب عدد من موظفي القضاء [٢٤] .

والجدير بالذكر ان الفضل يعود في هـــذه التنظيمات الادارية التي استقرت في العراق الى مدحت باشا الذي عزل عن حكم العراق سنة ١٨٧٢م .

وكان مدحت باشا اكبر شخصية حكمت العراق في الفترة الاخيرة من الحكم التركي ، فقيامه بتطبيق النظم الحديثة التي استعصت على جل الولاة من قبله وتنظيمه الادارة وضربه على يد المرتشين واهتمامه بالحياة الاجتماعية والصحية كل هذه امور هامة ضرب فيها الوالي مثلا : بأن الشرقي لا يقل عن الغربي اقبالا على هذه الاساليب من الحياة المتطورة . ان النقد الرئيسي

(٢٣) تأريخ العراق الحديث ص ٣٦٠ .
(٢٤) نفس المصدر ص ٣٦٢ .

الذي يوجه الى مجهودات مدحت هو انه كان تركيا في تفكيره . وكانت اصلاحاته تستهدف انقاذ الرعية والحكومة من الهاوية التي كانوا ينجرون اليها ، ولكن لم يعن بأشراك العرب والاكراد اشراكا فعليا في توجيه امور البلاد او في تدريبهم على مسؤوليات الحكم ، فظلت الادارة تركية وظلت المدارس تعلم بالتركية فكان ذلك من اسباب الصراع العنيف بين القومية العربية وغيرها من جهة وبين حكومة الاستانة من جهة ثانية (٢٥).

خاتمة :

كانت اربيل قد احتملت كثيرا من اهوال السلب والنهب التي كانت تقوم بها عصابات كردية وعربية من البلاد المجاورة . وكان آخر عصور الشدة التي مرت بها المدينة هو غزو نادر شاه لبلاد الترك عام ١٧٤٣ م ، حينما حاصر الشاه اربيل (٦٠) يوما واستطاع ان يدخلها دخول المنتصر(٢٦).

كذلك لقيت اربيل مصاعب في ثورة عبد الرحمن باشا بابان ضد والي بغداد ، وفي حصار علي رضا باشا لها في طريقه للقضاء على امارة الراوندوزي .

كانت اربيل طوال شطر كبير من القرن التاسع عشر جزءا من ولاية بغداد ، وكانت بها حامية انكشارية قوية باعتبارها مركز حربي من اهم مراكز هذه الولاية ، ولما انفصلت ولاية الموصل عن ولاية بغداد ضمت اربيل الى الاولى (٢٧) ، كما ذكرنا .

(٢٥) تأريخ العراق الحديث ص ٤٤٠ — ٤٤١ .

(٢٦) دائرة المعارف الاسلامية . مادة إربل .

(٢٧) نفس المصدر . مادة إربل .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر مرت المدينة وما يجاورها بأوضاع سيئة كبقية انحاء الولاية من ناحية الادارة وفقدان الاستقرار وانتشار الفساد • فكان الولاة ومن يليهم في الرتبة اغلبهم من المعروفين بالفساد والرشوة ، لذلك كان الولاة الاخيار من الكائنات النأدرة (٢٨). لهذا السبب كان العراق يتمتع بسمعة سيئة لا يحسد عليها لدى الباب العالي في الاستانة ، فهو في نظره منطقة نائية فقيرة وهو مسرح للقلاقل والاضطرابات ، فلم يكن السلطان ليرسل الى هذه الاصقاع في اغلب الاحوال سوى الموظفين الفاشلين أو المغضوب عليهم (٢٩) •

ولما كان هؤلاء مضطرين على الفوز برضا السلطان والحاشية فكانوا يشترون الحظوة بأفدح الاثمان من الحاشية فيكلفهم ذلك ثمنا فاحشا • وكان هؤلاء الموظفون لا يتقاضون رواتبهم في اوقاتها المعينة وبصورة منتظمة لذلة كان كل واحد منهم يبذل ما في وسعه من جهود لابتزاز اكبر المبالغ الممكنة من دافعي الضرائب وممن شملتهم الجباية • وفي الوقت نفسه ، ارسال اقل مبلغ ممكن من النقود الى خزانة الولاية •

وكانت جباية الضرائب كرسوم الكمارك والمكوس تتم عن طريق (اللزمة) ، اذ يمنح التزام جباية هذه الاموال الى موظفين صغار سرعان ما يثرون على حساب جماهير الشعب • اما الاستهتار الاداري فلم يكن تقل درجته عن هذا الدرك ولا سيما في الحقل القضائي • ويظهر ان صفة عدم الاستقرار كانت هي الغالبة في المنطقة ، فكان يصادف « ان يحرض الوالي احد الاقاليم عشائره على الاغارة على عشائر الاقليم المجاور لغير

(٢٨) الحياة في العراق منذ قرن • بغداد ١٩٦٨ ص ٧٧ •
(٢٩) نفس المصدر ص ٧٨ •

هذا الوالي الاخر » [٣٠] .

هذا ما وقع في عام ١٨٥٤ م لوالي الموصل الذي نهب اقليمه من قبل (بدو) دفعوا الى هذا العمل بتحريض من زميليه وهما والي بغداد ووالي كركوك ، فقد كانت حصيلة اعمال النهب والسلب قد تقاسمها السلابون والنهابون ونائب والي اربل فبيعت الحيوانات المسروقة على ملأ الاشهاد في سوق اربل تحت اشراف نائب الوالي الذي ما كان ليسمح بامثال هذه الفضيحة لو لم يكن مخولا بارتكابها من قبل رئيسه المباشـر وهو والي كركوك [٣١] .

وقد استمرت اعمال النهب والسلب في منطقة اربيل وما يجاورهـا فكانت اعمال العصابات لا تنقطع بسبب ضعف الادارة العثمانيـة وفساد موظفيها ، ففي سنة ١٨٨٠ م ثارت الهماوند ــ وهم اشهر قبائل اللصوص التي كانت تتجول بين همذان وكركوك . فبقيت الطرق الواقعة شرق كركوك في حكمهم ، ولم يجد نفعا ترحيل قسم منهم الى شبه جزيرة سـيناء في سنة ١٨٨٢ م ، حيث انهم رجعوا لوطنهم قسرا بالحـرب والسلب فأزدادوا فسادا حتى قضوا على الحكومة في السليمانية في بعض الاحيان [٣٢].

اما من الناحية الاقتصادية ، فقد بقيت الزراعة المعتمدة على المطـر وعلى الوسائل القديمة سائرة دون تبدل يذكر والى جانبها بعض الحرف اليدوية التي تتطلبها الحياة الزراعية كالسراجة والحدادة والنجارة وصناعات اخرى يدوية لا تزال موجودة في اربيل الى يومنا هذا . وكانت اربيل تعتبر محطة تجارية هامة ومركزا للحياة التجارية الناشطة ، وتلتقي بها عدة طرق

(٣٠) الحياة منذ قرن ص ٩٩ .
(٣١) نفس المصدر ص ٩٩ .
(٣٢) أربعة قرون ص ٣٧٣ .

للقوافل ، من ذلك الطريق القديم الذي يبدأ من بغداد مارا بكركوك ، ومن آلتون كوبري الى اربيل فالموصل ، وهو أقرب الطرق بين بغداد والموصل ، وكان فيما مضى يربط بابل بنينوى • ويتفرع من اربيل طريقان يتجهان نحو الشرق والشمال الشرقي ويخترقان ممرات جبلية وعرة وينتهيان الى آذربيجان ، ويمر الاول براوندوز في الشمال الشرقي والآخر بسنجق كوي في الشرق (٣٣) •

ولما كانت اربيل والمنطقة الشمالية من العراق عامة تعتمد في زراعتها على المطر ، لذلك فان عدم انتظام سقوط المطر اوتأخره ادى الى قيام ازمات اقتصادية حادة وصلت الى حد المجاعة • ففي سنة ١٨٨٠ م اجتاحت موجة القحط شمال العراق كله ، ويقول القنصل الفرنسي في الموصل آنذاك: « لقد تحول القحط الى مجاعة حقيقية اخذت وطأتها تشتد يوما بعد يوم فكانت اعداد كبيرة من سكان الارياف تترك قراها مولية وجوهها شطر الموصل بحثا عن الرغيف بعد ان طوح بها الجوع وضاقت بها ديارها ، فاضطر بعضهم تحت لهيب الجوع الى اكل لحوم جثث الحيوانات ، ولم تكن الحنطة وحدها تباع بسعر فاحش بل ان كافة المواد الغذائية قد ارتفعت اسعارها ارتفاعا رهيبا ، فاستفاد المحتكرون من هذه الفرصة فأثروا ما وسعهم الاثراء على حساب الفقراء » (٣٤) •

وربما كانت الحالة في كركوك واربيل اشد من ذلك بحيث ان ثلاثين شخصا كانوا يموتون في كركوك كل يوم (٣٥) • وكانت عصابات اللصوص تعبث في الارياف وتهاجم القرى وتستولي على كل ما تجدها دون انتتدخل

(٣٣) دائرة المعارف الاسلامية • مادة إربل •
(٣٤) الحياة في العراق منذ قرن ص ٨٣ •
(٣٥) نفس المصدر •

السلطة فتتقدم أية نجدة للضحايا • ومن جهة ثانية لم تكن المنطقة بناجية من اخطار الاوبئة والامراض الخطيرة التي كانت تنتشر في العراق في بعض الفترات نتيجة فقدان الخدمات الصحية ووسائل الوقاية والنظافة .

وبسبب الجهل المستشري بين الناس ، ولعدم وجود المحاجر الصحيةعلى الحدود تقريبا ، وهي وان وجدت في بعض المناطق فان القائمين عليها كانوا فاسدين لا يضيرهم ادخال شخص مصاب بمرض خطير مقابل رشوة يدفعها هذا المصاب اليهم • واكبر دليل على ذلك ما حدثت في العراق من موجات الهيضة الحادة في اعوام (١٨٧١ و ١٨٨٩ و ١٨٩٤ و ١٨٩٩ م) • وتفشي الطاعون في العراق في (١٨٧٧ و ١٨٨١ و ١٨٨٢ م) [٣٦] •

اما من ناحية الامن الداخلي فقد كانت الجاندرمة والضابطية المتوزعة في مناطق مختلفة ، تتعهد ضبطه ، وهي قوات منحطة لانظام لها يدير امورها ضباط اميون فاسدوا السيرة في العادة ولا تدفع اليهم رواتبهم بانتظام • وكانوا يتحولون الى مراسلين وجباة ضرائب وخدم للموظفين الكبار الاقربين [٣٧] •

ولم يكن بوسع افراد الجاندرمة ان يقوموا بواجبات الشرطة على الوجه المطلوب في الطرق العامة ولا في الاسواق وجل ما كانوا يتفوقون به على الناس هو شيء من السلاح والنظام وشيء من القيادة والتدريب بغيراختصاص•

وعلى هذا فكانوا ضعفاء لا قدرة لهم لمطاردة اللصوص العشائريين وهم فوق هذا يسهل ارتشاؤهم في المدن [٣٨] ، على انهم لم يخلوا من جال مقتدرين أشداء ضبطوا الامن احيانا •

---

(٣٦) أربعة قرون حاشية ص ٣٨٠ •
(٣٧) نفس المصدر ص ٣٧٦ •
(٣٨) نفس المصدر ص ٣٧٧ •

وما يتعلق بالعلم والمعارف يقول لونگريك : « من المحتمل ان نسبة المتعلمين كانت في سنة ١٨٥٠ م (في العراق عامة) بمقدار نصفه في المائة من سكان المدن ، ثم ارتفعت النسبة الى (٥ ــ ١٠) بالمائة في سنة ١٩٠٠ م » (٣٩) .

وكانت الكتاتيب (مدارس الملالي) موجودة في اغلب المساجد والجوامع في العراق ومنه اربل ولكن مواضيع دروسها كانت منصبة على الامور الدينية وعلومها . وكانت للحكومة مدرسة ابتدائية في مركز كل قضاء ، وكانت التركية هي لغة التدريس في مثل هذه المدارس الحكومية ، لذلك كانت مادة الدرس غير مفهومة في الغالب فبقي التعليم لهذا السبب محصورا على طبقة الموظفين (٤٠) . وقد زار اربيل عدد من الرحالة قبيل الحرب العالمية الاولى ومنهم كوينيه Cuinet الذي زار اربيل في سنة ١٨٩٢م وقدر نفوسها بـ (٣٧٥٧) نسمة منهم(٤٩٧) من غير المسلمين (٤١) .

اما بلك Beick ولهمان Lehmann فقد زارا اربيل في سنة (١٨٩٩ م) وقدرا عدد المساكن التي في الجزء الاعلى (القلعة) من المدينة بـ (٨٠٠) بيت ، ويقال ان عدد مساكنها يبلغ ١٨٢٢ بيتا ، الى جانب سراي الوالي التركي ومسجدين وعشر زوايا وست عشرة مدرسة (٤٢) واغلبها مدارس دينية .

---

(٣٩) نفس المصدر ص ٣٨٠ .

(٤٠) نفس المصدر ص ٣٨١ .

(٤١) دائرة المعارف الاسلامية مادة إربل .

(٤٢) نفس المصدر . ولا شك ان هذه المدارس المقصودة هي مدارس المساجد والجوامع ، اذ لا يعقل أن تكون في اربيل في هذه الفترة مثل هذا العدد الكبير من المدارس الحكومية .

لقيت اربيل قدرا ضئيلا من العناية في أواخر العهد التركي ، اذ تأسست فيها أول بلدية في سنة ١٨٨٥ م وكانت تتكون من رئيس ومجلس يعاونه واعضاؤه من اهالي المدينة . قامت هذه الدائرة بواجبات الانارة والسقايه والحراسة والتنظيف بشكل محدود وفي نطاق صغير . وقد اشرف على البلدية عدة رؤساء من وجهاء المدينة . ولم يتميز عهد أي منهم بعمل هام من الناحية العمرانية . عدا ما قام به احدهم من بناء حوض للماء في المدينة ينقل اليه الماء من احد الكهاريز في انابيب فخارية . وكان هذا الرئيس هو عبد الله باشا الذي شغل منصب رئيس بلدية اربيل اكثر من مرة . وقام كذلك بفتح اول شارع في المدينة وهو شارع السراي . وقد واصل خلفه السيد احمد عثمان الذي تولى رئاسة البلدية بين ١٩١٨ — ١٩٢١ م بتنفيذ بعض اعمال اخرى [٤٣] ومنها شق طريق آخر يربط القلعة بالمدينة وهو الطريق الذي يعرف باسمه .

الاحتلال الانكليزي :

اعلنت الحرب العامة الاولى في اوائل آب سنة ١٩١٤ ، فاشتبكت الدول العظمى فيما بينها بقتال عنيف طاحن . وكانت المانيا في جهة وانكلترا وفرنسا وروسيا في جهة اخرى ، ومالت دول اخرى لاحدى هاتين الجهتين بعامل المصالح [٤٤] .

وقد التزمت الدولة العثمانية الحياد وتأهبت للطواريء باعلان النفير العام في ١١ رمضان سنة ١٣٢٣ هـ / ٣ آب ١٩١٤ م ، وقبلت البدل النقدي

(٤٣) أنظر : اربيل في اربعة اعوام . ص ٣٨ .
(٤٤) العراق بين الاحتلالين (٨ / ٢٥١) .

من غير المسلمين • وضاق الامر بالناس ووقع الاضطراب ، وبقي الترك على حيادهم الى يوم ١٦ تشرين الاول سنة ١٣٣٠ رومية ، وكانت الحرب على اشدها • ولا شك ان العثمانيين كانوا حجرة عثرة في المواصلة بين الروس وحلفائهم ، فلم يسهل امر التعاون فيما بينهم ورأوا من الضروري اجتياز هذه العقبة فاتخذوا مناورة الاسطول العثماني في البحر الاسود وسيلة لتعقبوه ، وحاولوا وضع ألغام في مضيق البوسفور [٤٥] ، ثم تقدمت جيوش روسيا وتجاوزت حدود ارضروم (أرزن الروم) في نقاط مختلفة ، وقبلها فعل الفرنسيون والانكليز ومن ثم صار ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩١٤ تأريخ اعلان الحرب على الدولة العثمانية فدافعت الاخيرة عن نفسها واشتبكت أيضا في الحرب •

وقد عد الحلفاء العثمانيين في جانب الالمان من جراء سكة حديد بغداد ، وجلب ميل الاتراك للالمان سخط الانكليز واضطرابهم لما لهم من الآمال في العراق ، وفي طريق الهند • فكان خط بغداد مبدأ السخط•وقد نفر الاهلون هذه الحرب وصاروا لا يبالون بالهزيمة ، فكانوا يذهبون الى خط الحرب مكبلين لا يبالون أن ينهزموا في احرج المواقف • فعجزت الحكومة عن ضبطهم وتوالى عدد الفارين وتكاثر [٤٦] •

وفي ٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ دخل الانكليز شط العرب فكان هذا بداية الحملة الانكليزية في العراق • وفي ١٦ من نفس الشهر قرر البريطانيون مواصلة الزحف وأخذت قواتهم تتقدم نحو البصرة •

ويبدو ان الدولة العثمانية لم تهتم بالعراق ، وكان خوفها من انحاء

(٤٥) العراق بين الاحتلالين (٨ / ٢٥٣) •
(٤٦) نفس المصدر (٨ / ٢٥٤ — ٢٥٧) •

قفقاسية ، ومن سورية وچناق قلعة ، فلم تهتم بهذه الناحية ، وسيق الجيش العراقي الى قفقاسية وجهات اخرى ولم يرجع منه الا القليل ، واصابته امراض وحروب ماحقة .

استمر البريطانيون في توغلهم في العراق لحد انهم استولوا على العمارة والناصرية وعلى الكوت في ٢٨ ايلول سنة ١٩١٥ ومنها تحركوا في (١١) تشرين الثاني سنة ١٩١٥ م نحو سلمان پاك قاصدين بغداد . وبعد حرب ضارية دامت اربعة ايام بين العثمانيين والانگليز انسحب هؤلاء الى الكوت وتحصنوا فيها . وبقي الانگليز محاصرين في الكوت حتى استسلموا في ١٩ نيسان ١٩١٦ فوقع الجنرال (طاونسند) مع اكثر من ١٣ الف من جنوده اسرى في يد الاتراك [٤٧] .

ولكن الوقائع التالية لهذه المعركة اودت بالجيش التركي فقد جاء الانگليز بقوة اكبر ودخلوا في معارك شديدة انتهت بواقعة بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ م حيث تم لهم احتلال بغداد . وفي ٣ كانون الاول سنة ١٩١٧ هاجم الانگليز الجيش العثماني واستولوا على مواقعه في ديالى من جراء ضيق الاعاشة واستولوا على جبل حمرين ، ولكنهم ما لبثوا ان انسحبوا خوفا من حركة إلتفاف يقوم بها الأتراك فرجعوا في ٨ كانون الاول ، فأستعاد العثمانيون مواقعهم .

وكان الروس (بعد إتفاقهم مع الانگليز والفرنسيين في معاهدة سرية بتقسيم الاملاك العثمانية في آسيا وتحديد مناطق النفوذ الخاصة لكل دولة ، وتعيين مقاطعات (ارضروم وطرابزون ووان وبتليس وجنوبي كردستان وجزيرة ابن عمر وآمد لهم) قد أرسلوا حملة بقيادة اللواء (باراتوف) لحماية

---

(٤٧) نفس المصدر (٨ / ٢٨٢ — ٢٩٢) .

بلاد فارس ضد كل هجوم محتمل قد يشنه الألمان والأتراك • فاستولوا على أرضروم وطرابزون (المرفأ الوحيد في شرق أناضوليا القوقاز) ، وعلى مقاطعة (وان) بأكملها ثم احتلوا أرمية فهمدان فسلطان آباد حتى خانقين • وكان هدف الروس هو الاستيلاء على بغداد عن طريق خانقين ومن أرمية عن طريق راوندوز التي تم إحتلالها في أيار سنة ١٩١٦ (٤٨) ، وقد ألحق الروس أضرارا بالغة براوندوز وأحرقوها بكاملها عدا دارين او ثلاثة دور إتخذوها سرايا لهم ، (٤٩) وكان وصول الجيش الروسي الى راوندوز قد أدخل الذعر في قلوب السكان في المنطقة وفي أربيل كذلك • ولم يبق الروس في هذه المنطقة مدة طويلة حيث أخذوا يتراجعون بعد سقوط مدينة الكوت بيد الأتراك • وقد دخل الأتراك راوندوز ولكنهم تركوها بعد ذلك بدون إدارة حكومية مما اضطر الأهالي أيضاً تركها والهجرة فيها (٥٠) •

ومن جهة ثانية كان الروس في توجههم نحو العراق من ناحية الحدود الايرانية قد عبروا نهر ديالى في العشرة الأولى من مايس سنة ١٩١٧ • وإستطاع الجيش العثماني في السليمانية صد هجوم الروس الذين جاؤا من أنحاء (سنه) فلم يتجاوزوا الحدود ، وذلك في ٨ مايس ١٩١٧ في جوار مريوان ولكن الروس إستطاعوا بعد ذلك احتلال بنجوين في أواخر مايس وفي بداية تموز ١٩١٧ ، ولكن الاتراك دفعوهم الى انحاء (بانة) و (سنه) وأخذوا منهم بعض الأسرى والأسلحة •

وكانت الثورة قد إندلعت في روسيا في شتاء عام ١٩١٧ في الوقت الذي

---

(٤٨) الآشوريون في التأريخ ص ١٨٥ • وأنظر : الجيش الروسي في صوب العراق لشكري محمود نديم ص ٤٢ وما بعدها •

(٤٩) أمراء سوران ص ٨٣ •

(٥٠) أمراء سوران ص ٨٣ •

إستعد فيه الروس لمتابعة عملياتهم الحربية من جديد ضد الدولة العثمانية • فأمرت الحكومة الروسية الجنرال (باراتوف) بالانسحاب من الأراضي الايرانية • وفي كانون الاول دخل الروس في مفاوضات مع الأتراك أسفرت عن الاتفاق حول الانسحاب الطرفين من إيران (٥١) ، وفي ٧ كانون الاول من نفس السنة اجتمع مندبوا روسيا والترك في الموصل وعينوا الشروط الخاصة والخطوط الفاصلة فأمن العثمانيون جهة الروس (٥٢) • نفذ الروس نص الاتفاق بينما الاتراك والألمان أصروا على عدم الانسحاب من إيران لكونهم في حالة الحرب مع الحلفاء تشمل أراضي ما بين النهرين وبلاد فارس • وتذرعوا بمساندة الحلفاء للأرمن والجورجيين في القوقاز ، فأستولى الاتراك على شرق أناضوليا وحاولوا اخضاع القوقاز وأذربيجان وباكو • وفي أيار ١٩١٨ دخلت القوات التركية الى أذربيجان عن طريق مجاورة لباكو على الرغم من المقاومة التي أبدتها قوات الآشوريين والأرمن (٥٣) •

قلنا إن الانكليز بعد احتلالهم بغداد بدأوا يوالون تقدمهم نحو الشمال• ففي أواخر نيسان ١٩١٨ ضيقوا على الجيش العثماني في طوز خورماتو . وفي مايس في نفس السنة انسحب الجيش العثماني من كركوك الى آلتون كوپري ، ولكن الانكليز إنسحبوا عن كركوك بدورهم بعد احتلالها فدخلها الأتراك من جديد في ٢٧ مايس ١٩١٨ ، وكان الجيش العثماني يائساً ولكنه وصلته نجدة فزاد أمله وذلك في تموز ، فتولى خليل باشا قيادة الفيالق الشرقية وجعل (علي إحسان باشا) وكيله وصار قائد (القول أردو ١٣) • ووصل

(٥١) الآشوريون في التأريخ ص ١٨٥ •

(٥٢) العراق بين الاحتلالين (٨ / ٣٠٨) • انظر : الجيش الروسي في حرب العراق • ص ٧٩ •

(٥٣) الآشوريون ص ١٨٣ •

إحسان باشا هذا الى الموصل في ١١ أيلول وتولى امر القيادة فيها ، ولكن الانكليز إستولوا على كركوك للمرة الثانية في ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩١٨ وإنسحب العثمانيون الى آلتون كوپري • وكان قسم من الجيش البريطاني يتقدم باتجاه الموصل من ناحية ثانية وهي ناحية (الفتحة) فأضطر العثمانيون الى الأنسحاب الى شرقاط (٥٤) في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩١٨ • ودخل الانكليز أربيل في تشرين الثاني سنة ١٩١٨ ، وكانوا قد احتلوا راوندوز في أيلول من نفس السنة • وفي ٣١ تشرين الاول سنة ١٩١٨ كانت القوى المرابطة للانكليز في (خانقين ــ الصلاحية ــ كركوك ــ القيارة ــ عانة) ولكن الهدنة أعلنت • وبالرغم من ذلك فقد إستمر الانكليز في تقدمهم فأستولوا على الموصل وطلبو تخلية أنحائها حتى أواخر هذا الشهر وأنذروا قيادة الفيلق السادس بذلك • وفي نهاية تشرين الثاني سنة ١٩١٨ إنسحب الأتراك الى الجزيرة ونصيبين •

والجدير بالذكر إن الهدنة قد أعلنت يوم الجمعة في ١ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ وكان اكثر ولاية الموصل غير محتل عند توقيعها بالرغم من أن الجيوش البريطانية كانت قد أحتلت كركوك ، وسمع الانكليز بالهدنة وهم يطاردون الاتراك المتراجعين بحد الزاب الصغير (٥٥) •

وقد عين البريطانيون الميجر (هاي) حاكماً سياسياً لاربيل فحكمها الى سنة ١٩٢١ حيث تشكلت الحكومة العراقية ، فكان السيد احمد أفندي عثمان أول متصرف لأربيل وأعقبه في ١٩٢٦ السيد عبد المجيد اليعقوبي الذي ظل في أربيل حتى سنة ١٩٣٠ م •

---

(٥٤) العراق بين الاحتلالين (٨ / ٣٠٩) •
(٥٥) مشكلة الموصل للدكتور فاضل حسين بغداد ١٩٦٧ ص ٣ •

وفي كانون الاول ١٩١٨ عين الميجر (نويل) معاوناً للحاكم السياسي لادارة قضاء راوندوز • وكان هذا أول حاكم انكليزي عين في المدينة بعد احتلالها من قبل الانكليز • ثم تناول الادارة في المدينة بعد الميجر (نويل) ثلاثة آخرون من الانكليز عينوا معاونين للحاكم السياسي في راوندوز (٥٦) ، وفي سنة ١٩١٩ عين الكابتين (كرك) معاوناً للحاكم السياسي في راوندوز ولكنه اضطر الى مغادرة المدينة بعد اضطراب الأمور التي نتجت عن ثورة الشيخ محمود في السليمانية وثورة العمادية ومقتل الحاكم البريطاني فيها • وفي ١٥ كانون الاول ١٩١٩ م عين الميجر هاي إسماعيل بك بن عبد الله باشا حاكماً لقضاء راوندوز • وفي آذار ١٩٢٠ نشبت نار الثورة في راوندوز وما ولاها • وفي ٣٠ أيلول سنة ١٩٢٠ إحتل السورجيون المدينة ، ونكبوا سكانها (٥٧) • وفي بداية ربيع ١٩٢٣ عين السيد طه حاكماً من قبل السلطات البريطانية على راوندوز • وبدأت المدينة في حكمه تسير نحو العمران • إذ اسست فيها مطبعة ومجلة (زاركرمانجي) وجلب اليها مكائن عسل وتفريخ وماكنة لدودة القز وانشأت فيها كذلك مدرسة إبتدائية • وفي الثالث عشر من تشرين الثاني ١٩٢٨ سافر السيد طه في إجازة الى طهران ولكنه ظل هناك ، فعين كريم بك ابن احمد أفندي قائممقاماً لراوندوز بالوكالة ، وتشكلت فيها إدارة مدينة ورتب لها شرطة رسمية ودوائر للقضاء •

وفي ٢٩ وكانون الثاني ١٩٢٩ قدم السيد طه إستقالته من طهران فعينت وزارة الداخلية العراقية في ٢٣ شباط ١٩٢٩ كريم بك قائممقاماً أصيلاً

(٥٦) أمراء سوران ص ٨٤ •

(٥٧) امراء سوران ص ٨٦ نقلاً عن كتاب (سنتان في كردستان) للكابتن هاي ص ٣٢٤ •

لراوندوز [٥٨] . ويذكر ان راوندوز أصبحت مركز متصرفية بعد انقراض الامارة السورانية ، ثم أصبحت قضاء يشتمل على (٥٥) قرية وثلاث نواح ألحقت بسنجاق شهرزور . أما في عهد الانتداب فقد ضمت كقضاء الى لواء أربيل ، وكانت أربيل كما ذكرنا قضاءً تابعاً لسنجاق شهر زور وبعد تشكيل الدولة العراقية صارت أربيل مركز لواء ، وصارت راوندوز أحد الاقضية التابعة له .

(٥٨) أمراء سوران ص ٨٧ .

المراجـــع

الكتب :

ابن خرداذبة — المتوفي سنة ٣٠٠ هـ — المسالك والممالك — بغداد

ابن خلدون — تأريخ إبن خلدون — بيروت

أبو القاسم بن حوقل النصيبي — صورة الأرض — بيروت . وهذا الكتاب هو نفس كتاب المسالك والممالك — لأبي إسحق الفارسي المعروف بالاصطخري ولكن إبن حوقل نسبه الى نفسه .

إبن الساعي الخازن — أبو طالب علي بن أنجب تاج الدين المعروف بابن الساعي الخازن المتوفي ٦٧٤ هـ — الجامع المختصر — ٩ جـ — نشر مصطفى جواد — بغداد ١٩٣٤ .

إبن العبري — غريغوريوس أبو الفرج أهرون الطبيب المتوفى ٦٨٥ هـ — تأريخ مختصر الدول — بيروت ١٨٩٠ .

إبن الاثير — عز الدين محمد بن عبد الكريم الجزري المتوفي سنة ٦٣٠ هـ . الكامل في التأريخ — تسعة أجزاء مصر ١٣٥٣ هـ .

الشيخ رسول الكركوكلي — دوحة الوزراء — ترجمة موسى كاظم نورس — بيروت .

ابراهيم العدوي — العرب والتتار — القاهرة ١٩٦٣ .

أمين زكي — خلاصة تأريخ الكرد وكردستان — ترجمة محمد علي عوني القاهرة ١٩٣٩ مشاهير الكرد وكردستان — بغداد ١٩٤٥ ر

١٩٤٧ تأريخ السليمانية — ترجمة الملا جميل الروزبياني —
بغداد ١٩٥١ .

أدوارد كييرا — كتبوا على الطين — ترجمة الدكتور محمود الأمين بغداد ١٩٦٢

أدي شير — تأريخ كلدو وآثور — بيروت ١٩١٣ .

أنستاس ماري الكرملي — النقود العربية وعلم النميات — القاهرة ١٩٣٩ .

أبو الفدا — عماد الدين إسماعيل بن محمد بن معروف المعروف بإبن الفدا
المتوفي ٧٣٢ هـ — كتاب تقويم البلدان — باريس ١٨٤٠ .

ابن خلكان — أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد المتوفي سنة ٦٨١ هـ
وفيات الأعيان — مصر ، مطبعة السعادة .

أبو الحسن علي بن المعروف بالشابشتي — المتوفي سنة ٣٨٨ هـ .
الديارات — تحقيق گورگيس عواد — بغداد ١٩٥١ .

ابراهيم أحمد زرقانة — الدكتور — العائلة البشرية — القاهرة ١٩٦١ .

إبن الفوطي — كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي
المتوفي سنة ٧٢٣ هـ .
الحوادث الجامعة — تحقيق مصطفى جواد — بغداد ١٣٥١ هـ

إبن الحق — عبد المؤمن المعروف بابن الحق المتوفي سنة ٧٣٩ هـ
مراصد الأطلاع — تحقيق علي البجاري ، مصر ١٩٥٤ .

البشاري — المقدسي المعروف بالبشاري
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم — طبعة ليدن ١٩٠٦ .

البلاذري — فتوح البلدان — مصر ١٩٥٩

پييردي فوصيل — السفير الفرنسي
الحياة في العراق منذ قرن — ترجمة الدكتور اكرم فاضل —
بغداد ١٩٦٨ .

بارتولد ـ تأريخ الترك في آسيا الوسطى • ترجم احمد السعيد ـ القاهرة ١٩٥٨ •

بطرس نصري ـ ذخيرة الاذهان ـ جزآن ـ الموصل ١٩٠٥ ـ ١٩١٣ •

جعفر حسين خصباك ـ العراق في عهد المغول الأيلخانيين ـ بغداد ١٩٦٨ •

حسين أمين ـ تأريخ العراق في العهد السلجوقي ـ بغداد ١٩٦٥ •

حسين حزني المكرياني ـ أمراء سوران ـ ترجمة محمد ملا عبد الكريم ـ بغداد ١٩٦٧ •

حنا خباز ـ المعارك الفاصلة ـ بغداد •

خير الدين الزركلي ـ الأعلام ـ الطبعة الثانية القاهرة ١٩٥٦ •

دائرة المعارف الاسلامية ـ المجلد الاول ـ القاهرة ١٩٣٣ •

دائرة معارف القرن الرابع عشر ـ مصر ١٩٢٣ •

دروثي مكاي ـ مدن العراق القديمة ـ ترجمة يوسف يعقوب مسكوني بغداد ١٩٥٢ •

دحلان ـ أحمد بن زيني : الفتوحات الاسلامية • القاهرة ١٣٥٤ هـ جزآن •

رشيد الدين فضل الهمذاني ـ جامع التواريخ ـ نقله الى العربية محمد صادق نشأت ورفاقه ـ القاهرة •

ريج ـ كلوديوس جيمس ريج ـ
رحلة ريج الى العراق سنة ١٨٢٠ ـ ترجمة بهاء الدين نوري بغداد ١٩٥١ •

رفائيل بابو اسحق ـ تأريخ نصاري العراق ـ بغداد ١٩٤٨
مدارس العراق قبل الاسلام ـ بغداد ١٩٥٥ •

زامباور ــ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ــ ترجمة الدكتور زكي حسن القاهرة ١٩٥١ ٠

سليمان الصائغ ــ تأريخ الموصل ــ القاهرة ــ ١٩٢٣ م

يزداندوخت ــ الموصل ٠

سعيد الديوجي ــ الموصل في العهد الاتابكي ــ بغداد ١٩٥٩!

سليم واكيم ــ الآشوريون في التأريخ ــ بيروت ١٩٦٢ ٠

شرف خان بدليسي ــ الشرفنامة ــ تعريب ملا جميل الروزبياني ــ بغداد ١٩٥٣!

شاكر صابر الضابط : التركمان في العراق ــ بغداد ١٩٦٠ ٠

طـــه باقر : مقدمة في تأريخ الحضارات القديم ــ القسم الاول ــ بغداد ١٩٥٢ ٠

المرشد الى مواطن الآثار ــ الرحلة الرابعة بغداد ١٩٦٥ ٠

المرشد الى مواطن الآثار ــ الرحلة الخامسة بغداد ١٩٦٦٠

عباس العزاوي : تأريخ العراق بين إحتلالين ــ ثمانية اجزاء ــ بغداد ٠

عبد الرزاق الحسني : العراق قديما وحديثا ــ صيدا ١٩٥٦ ٠

عبد الجبار الجومرد : هرون الرشيد ــ بيروت ١٩٥٦ ٠

علي سيدو الكوراني : من عمان الى العمادية ــ القاهرة ١٩٣٩ ٠

عبد العزيز سليمان نوار : داود باشا والي بغداد ــ القاهرة ١٩٦٨ ٠

تأريخ العراق الحديث ــ القاهرة ١٩٦٨ ٠

فريزر : رحلة فريزر ــ ترجمة جعفر خياط ــ بغداد ١٩٦٤ ٠

القزويني : آثار البلاد واخبار العباد ــ بيروت ١٩٦٠ ٠

كارل بروكلمان : تأريخ الشعوب الاسلامية ــ الطبعة الرابعة ــ ترجمة منير بعلبكي ــ بيروت ١٩٦٥ ٠

كريستنسن : ايران في عهد الساسانيين ــ ترجمة يحيى الخشاب القاهرة ١٩٥٧ ــ كتاب هام يبحث في حضارة ايران .

محمد أنيس : الدكتور : الدولة العثمانية والشرق العربي ــ القاهرة .

محفوظ العباسي : امارة بهدينان العباسية ــ الموصل ١٩٦٩ .

محمود شيت خطاب : قادة فتح العراق والجزيرة ــ مصر ١٩٦٤ .

محمد اسعد طلس : عصر الانحدار ــ بيروت ١٩٦٣ .

محمود الامين : محاضرات في تأريخ العراق القديم ــ القيت في كلية الآداب ١٩٥٧ .

ناصر النقشبندي : الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ــ بغداد ١٩٥٣ .

نديم ــ شكري محمود : الجيش الروسي في حرب العراق ١٩٤٤ ــ ١٩١٧ ط ٢ بغداد ١٩٦٧ .

نيبور : رحلة نيبور الى العراق سنة ١٧٦٦ ــ ترجمة الدكتور محمود الامين بغداد ١٩٦٥ .

ياقوت الحمودي : شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله المتوفي ٦٢٦هـ / ١٢٢٨ م ــ معجم البلدان ــ القاهرة ١٩٠٦ .

المجلات والاحصاءات :

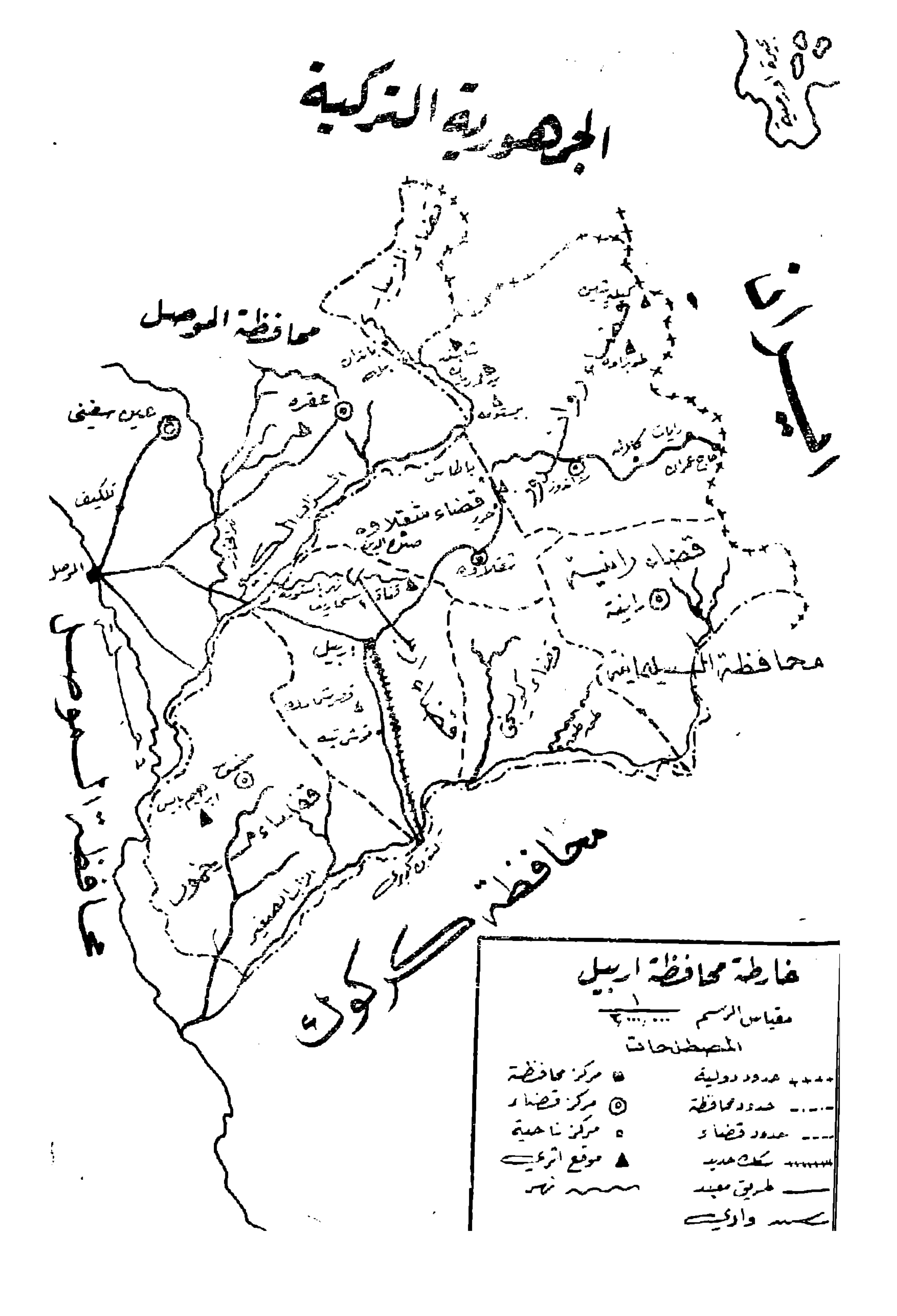
سومر : تصدرها مديرية الآثار القديمة العراقية .

النجم : كانت تصدر في الموصل الى السنوات الاخيرة .

مجلة كلية الآداب : تصدرها كلية الآداب في جامعة بغداد .

دليل الاحصاء العام للنفوس في العراق ــ لسنة ١٩٥٧ و ١٩٦٥ ــ وزارة الداخلية ــ بغداد .

الفهرس



الجمهورية التركية
ايران
محافظة الموصل
محافظة السليمانية
محافظة كركوك
قضاء شقلاوة
قضاء رانية
خارطة محافظة اربيل
مقياس الرسم
المصطلحات
حدود دولية
حدود محافظة
حدود قضاء
سكك حديد
طريق معبد
وادي
مركز محافظة
مركز قضاء
مركز ناحية
موقع اثري
نهر

وقعت اخطاء مطبعية لا تخفى عن القاريء الكريم وهذه أهمها

ص	س	الخطأ	الصواب	ص	س	الخطأ	الصواب
٤	١٠	شيءاً	شيئا	٩٣	٣	وكافية	وكان فيه
٦	٤	كدنياوة	كديناوة	٩٣	٩	فار	فسار
٧	٨	الطرق	العراق	٩٨	٤	الأخمنية	الاخمينية
٩	١٩	قريب	القريب	٩٨	٢٤	رگورگيس	وگورگيس
١٢	١٠	فسم	سم	١٠٢	٢	ramvaoisht	ramvahisht
١٥	١٢	منيورسكي	مينورسكي	١٠٢	١٦	سهراط	شهراط
٢٩	٦	النحل	الدخان	١٠٣	١٨	مرزبا	مرزبان
٤٢	١٦	كپيرا	كيبرا	١٠٤	٢	تصرفه	تحت تصرفه
٥٠	١٠	هذا	هنا	١٠٤	١٧	ولكه	ولكن
٥٦	٦	قيل	قبل	١٠٩	١٤	جوبين	جويين
٥٦	٢٣	الأمن	الأمين	١١٤	٩	الدبن	الدين
٥٩	٢٠	الدركاء	الوركاء	١١٨	١٠	للناطق	للمناطق
٦١	٥	اسم	إن اسم	١١٨	٢٠	ما وراء	ما بين
٦٥	٢٠	nanna	nannar	١١٩	٩	ققبل	قبل
٦٩	١٧	أغادروا	أغاروا	١٢٥	٧	أبا عون	ابو عون
٧٦	٣	خرسياد	خرسباد	١٢٦	٢٢	راسعة	واسعة
٨٢	٨	شوش	وشوش	١٤٠	١٤	مواغة	الى مراغة
٨٥	٧	الآشورين	الآشوريين	١٤١	١٢	المصير	المسير
٨٥	١٣	الارارتين	الارارتيين	١٤٢	٢٢	أمير	اميراً
٨٧	٢٢	الآشورين	الآشوريين	١٤٩	٢٠	ونهر ولفا	ونهر فولغا
٨٩	٥	خاضها	خافها	١٤٩	١٧	يهدنيان	بهدينان

رقم الأيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٤٨٩ لسنة ١٩٧١

الثمن : ٧٥٠ فلساً